المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى مكة المكرمة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

نيابة حماة في عصر سلاطين المماليك

(٦٩٨-٩٢٢هـ/١٢٩٩-١٥١٦م)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعـــداد

إيمان بنت عبد الحليـــم عبد القادر تركســـتاني

بإشـــراف

الأستاذ الدكتور/عبد الله بن سعيد محمد الغامدي

١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

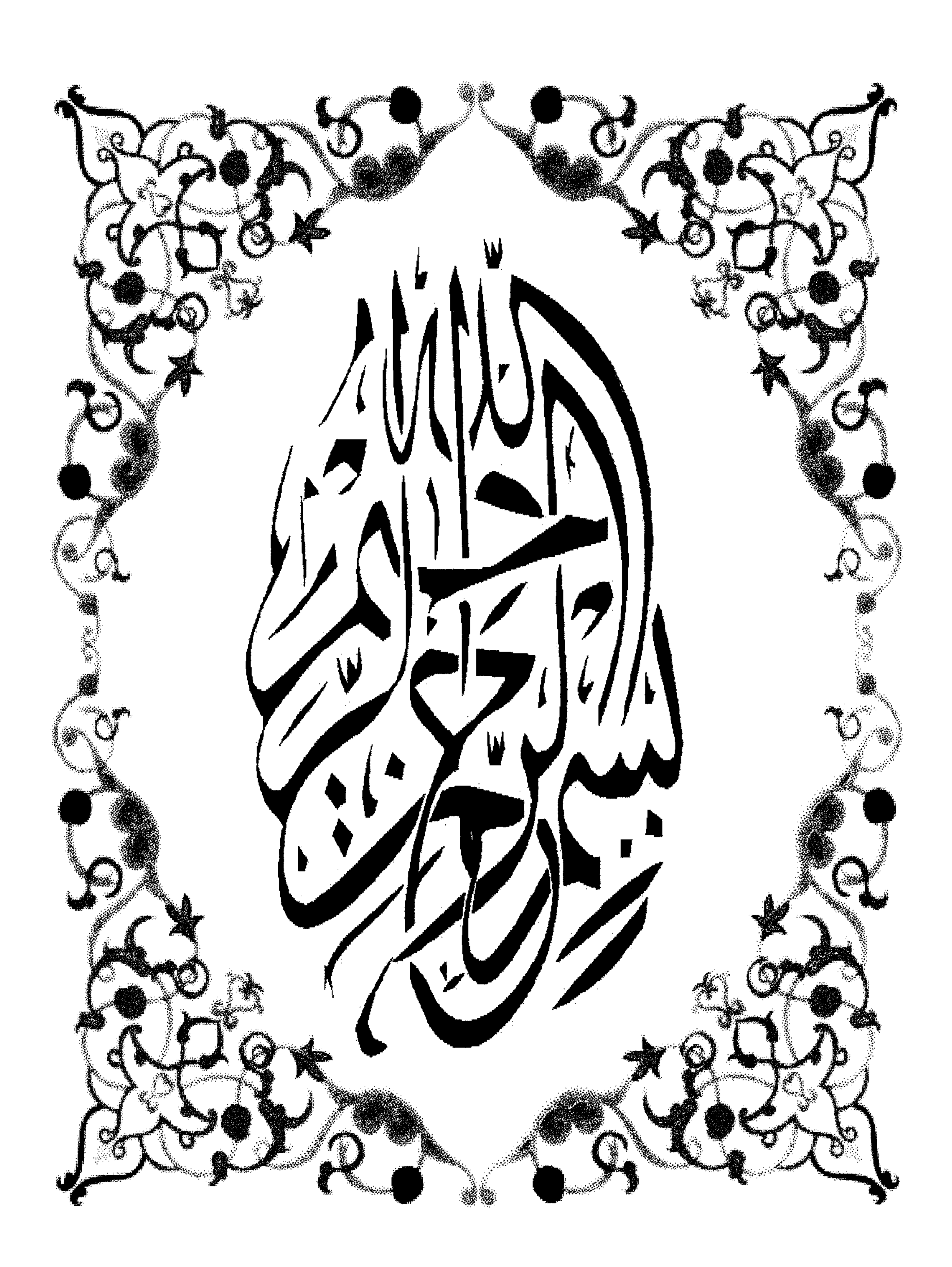
بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص رسالة ماجستير

إن الحمـــد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد

فلقــد تناولــت هذه الرسالة دراسة نيابة حماة في عصر سلاطين المماليك ٦٩٨-٩٢٢هـــ/١٢٩٩-١٥١٦م، دراسة علمية وصفية تحليلية، وقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، تضمنت المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره، وعرض لأهم مصادر البحث،في حين تناول التمهيد دراسة طبيعة التقسيمات الإدارية لبلاد الشام، مع التركيز على مملكة حماة الأيوبية قبيل خضوعها لسلطنة المماليك.

أمـــا الفصل الأول فخصص لدراسة قيام نيابة حماة، وتناول الفصل خمسة مباحث وضحت الدراسة فـــيها، كيفية خضوع مملكة حماة الأيوبية لنفوذ المماليك، ثم حكم المماليك المباشر لنيابة حماة سنة ٦٩٨هـــ/ ١٢٩٩م، مع بيان الإطار العام لنيابة من حدود وطبيعة جغرافية وأعمال وجهاز إداري وعسكري.

أمـــا الفصــــل الثانـــي فخصص لبيان علاقة نيابة حماة بالقوى المجاورة ، واشتمل هذا الفصل على خمســـة مباحـــث سلطت الدراسة الضوء فيها على جهود نيابة حماة في صد غزوات المغول عن بلاد الشام، وإســـهامها فـــي اضمحلال مملكة إرمينية الصغرى، ودورها في تفعيل حركة الجهاد ضد الصليبيين في جزر الـــبحر المتوسط ﴿ قبرص-أرواد-رودس ﴾، وكذلك الحملات التأديبية ضد الإمارات التركمانية، و موقفها من حملة تيمورلنك على بلاد الشام سنة ٨٠٣هـــ/١٤٠٠م.

أما الفصل الثالث فخصص لدراسة سقوط نيابة حماة ٩٢٢هـــ/١٥١٦م، وأحتوى الفصل على أربعة مباحـــث ناقشـــت الدراسة فيها العوامل التي نخرة في نيابة حماة وأضعفتها وأسهمت فيما بعد في سقوطها بيد الأتـــراك العثمانييـــن مـــن الثورات الداخلية، وعلاقة نيابة حماة بحركات العصيان العامة في بلاد الشام ضد السلطنة في مصر،وموقف نيابة حماة من تأرجح العلاقات المملوكية العثمانية،وختم الفصل ببيان آلية سقوطها

أمـــا الفصــــل الرابع فخصص لعرض أهم مظاهر التطور الحضاري في نيابة حماة، وتضمن أربعة مباحـــث وصـــفت الدراســـة فيها المظاهر العمرانية من التحصينات الحربية والمرافق العامة، وكذلك الحياة الاقتصادية من الزراعة والصناعة والتجارة، وأيضاً الحالة الاجتماعية والفكرية.

وأخـــيراً احـــتوت الدراسة على خاتمة توضّح أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وكذلك مجموعة الملاحق والخرائط التوضيحية التي تفسر بعض الحوادث والأماكن الواردة في فصول الرسالة.

وفـــي النهاية أسال الله العلي القدير أن يكون عملاً خالصاً لوجهه الكريم وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي.

الطالبة: إيمان عبد الحليم عبد القادر تركستاني

المشرف: أ/د عبد الله سعيد محمد الغامدي

Master thesis summary

This study is an analytical descriptive study that studies Hamat deputyship at the era of mamaleek sultans 698 – 922 / 1299 - 1516 . the study is composed of an introduction , a preface and four chapters . the introduction discusses the importance of the topic and the reason behind the choice of it , beside a preview of the main references upon which this study relies .the preface presents the nature of the administrative divisions of the region with focus on the Ayopian kingdom of Hamat before the dominance of Mamaleek .

The first chapter is devoted to study the appearance of Hamat deputyship and it is composed of five sections that through light on the supordination of Hamat deputyship under the sovereignty of Mamaleek , the direct rule of Mamaleek to the deputy 698 /1299 , and a general description of the depuy in terms of boundaries , geographical nature , military and administrative structure .

The second chapter is devoted to study the relationship between Hamat and the neighboring regions . it consists of five sections that through light on the efforts of Hamat to defend the region against Maghool attacks and its contribution in the decline of Armenia kingdom , its role in activating the resistance movement against crusader in the island of the Mediterranean sea (Cyprus , Arwad , rodos) , beside the disciplinary attacks against the Turkomani emirates and its attitude from Taymorlunk invasion for the region 803 /1400 .

The third chapter is devoted to discuss the fall of Hamat deputyship and it involves four sections studies factors that contributed in weakening Hamat deputy and led to its fall under the dominance of Osmani Turkish , the relation between Hamat and the rebellion movements in Al-sham region the Sultanate in Egypt , and the attitude of the deputy from the weakness of the relation between Mamaleek and Turkish , and the chapter is concluded with a demonstration of the mechanism of Hamat decline .

The forth chapter discusses the aspects of civilization of Hamap and its development . it involves four sections that descries the constructral aspect of the deputy such as military entrenchments and public institution , in addition to the economic aspects such as agriculture , industry , commerce , also the social and cultural aspects

The study contain a conclusion presents the main findings , attachments , maps that demonstrates some incidents and places mentioned in the study

Student : Eman Abdul-Haleem Abdul-qadir

Supervisor : Dr. Abdullah Saeed M . Al-Ghamdi

نيابة حماة في عصر سلاطين المماليك
(٦٩٨-٩٢٢هـ/١٢٩٩-١٥١٦م)

قائمة المحتويات

المقدمة

عرض لأهم مصادر

البحث

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وكل من تبعه بإحسان إلى يوم الدين....

وبعد

عـــندما سيطر المماليك على بلاد الشام عشية انتصارهم على المغول في معركة عين جالوت سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، قاموا بتقسيم بلاد الشام إلى عدد من النيابات ، إدراكـــاً منهم بأن هذا الإجراء هو السبيل الأمثل، الذي سيحمي دولتهم من ناحية الشرق والشمال من الأخطار المحدقة بها من تلك الجهات، وخاصة من قبل مملكة أرمينية الصغرى في إقليم قيلقية، فضلاً عن خطر المغول المتكرر على بلاد الشام تــارة عــن طريق هضبة الأناضول، وأخرى عن طريق معابر نهر الفرات، هذه بالإضــافة إلـــى ما تعرضت له دولة المماليك من هذه النواحي من أخطار لاحقة كخطر حملة تيمورلنك على مدن بلاد الشام سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، وكذلك بعض الإمارات التركمانية التي ناصبت دولة المماليك العداء في كثير من الأحيان.

وعليه فقد تولدت لدي الرغبة في دراسة إحدى هذه النيابات، ووقع اختياري علـــى **نـيابة حماة** لتكون موضوع أطروحتي لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإســـلامي بعــد أن اتضــح لي أنه موضوع جديد بالدراسة والبحث،وأنه حسب علمي- لم تكتب رسالة علمية حوله- وسأتناول هذه النيابة منذ خضوعها المباشر لحكــم ســلاطين المماليــك ســـنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م، حتى سقوطها بيد الأتراك العثمانيين سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، من كافة جوانبها بهدف إبراز الدور الذي قامت

بــه هــذه النيابة على المستويين المحلي والخارجي لبلاد الشام، وقد اعتمدت في دراستي هذه على مصادر أساسية منها:

١- **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة والتحفة** لركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م)، فقد وفر لي هذا المصدر مادة علمية جيدة عن كثير من حركات العصيان التي شاركت فيها نيابة حماة، وتُعتبر مادته العلمية في غايــة الأهمــية لموضوع البحث، إذ إن ما ورد به من معلومات هي عبارة عن مشاهدات المؤلف ومشاركاته في كثير من الحوادث.

٢- **نخــبة الدهر في عجائب البر والبحر**، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بــن أبي طالب الأنصاري المعروف بشيخ الربوة(ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م). الذي يُعــد من المصادر الهامة التي أشارت إلى التنظيمات الإدارية لنيابات الشام زمن الممالــيك، كما وفر وصفاً جغرافياً لمعظم الأعمال التابعة لهذه النيابة، إضافةً إلى بعض المعلومات الخاصة بالسلوك الاجتماعي لأهالي نيابة حماة.

٣- **المختصــر فــي أخبار البشر**- وتحديداً الجزء الثالث والرابع- للملك المؤيــد عماد الدين إسماعيل الشهير بأبي الفداء(ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م). الذي أفاد الدراســة ببــيان طبيعة العلاقة التي ربطت المملكة التقوية بالسلطنة المملوكية ، وتــاريخ نشــأة النظام النيابي في حماة، والظروف التي دعت السلطان المملوكي محمــد بن قلاوون على إعادة النظام الملكي إليها بعض الوقت، ولقد أكتسب هذا المصــدر صفة المصداقية لمعاصرة المؤرخ للأحداث التي مرت بها حماة والتي حيك غالبها على يديه.

٤- **كــنز الدرر وجامع الغرر**- تحديداً الجزأين الثامن والتاسع- لأبي بكر عــبد الله بــن أيبك الدواداري (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، فقد وفر الجزء الثامن منه مــادة علمية عن جهود السياسية والعسكرية التي بذلتها المملكة التقوية لاستمرار

وجودهـــا في حماة ، أما الجزء التاسع فقدم بياناً مفصلاً عن دور السلطان الناصر محمد بن قلاوون في تطوير النظام الإداري في نيابة حماة.

٤- **الوافـــي بالوفـــيات، وأعيان النصر في أعوان النصر**، لأبي الصفاء صـــلاح الديـــن خليل بن أيبك الصفدي(ت ٧٦٤هـــ/١٣٦٣م)، فقد وفّر لي هذان المصـــدران عدداً من التراجم لثلة من الأعلام والموظفين الحمويين، كما تضمنت هذه التراجم مادة علمية عن الإدارة والنشاط العلمي في نيابة حماة.

٥- **تاريخ الدول والملوك المعروف بتاريخ ابن فرات**، لناصر الدين محمد ابن عبد الرحمن بن الفرات(ت ٨٠٧هـــ/١٤٠٤م)، الذي تحدث بشكل مفصل عن عـــدد مـــن الحـــوادث السياسية والعسكرية والإدارية في نيابات الشام ومنها نيابة حمـــاة، وبالأخص المدة التي عاصر فيها الحوادث بنفسه وسجل خلالها الكثير من مشاهداته.

٦- **صـــبح الأعشى في صناعة الإنشا**، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن على القلقشندي(ت ٨٢١هـــ/١٤١٨م)، فقد وفّر هذا المصدر معلوماتٍ هامة عن نـــيابة حمـــاة في عهد المماليك، وبالأخص ما يتعلق بالجهاز الإداري والعسكري، فضـــلاً عن الحوادث التاريخية الأخرى، بحكم وظيفته التي شغلها كرئيس لديوان الإنشاء لفترة طويلة.

٧- **الـــدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، وكتاب أنباء الغمر في أبناء العمـــر**، لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت ٨٥٣هـــ/١٤٤٩م)، واللذان أمدا هذه الدراسة بمادة علمية غزيرة، سواء ما يتعلق بتراجم أهم مشاهير بلاد الشام خلال هذه الحقبة، فضلاً عن ما يحتويه هذان المصدران، من معلومات هامة تتعلق بالحوادث السياسية والعسكرية والإدارية في نيابة حماة.

٨- **السلوك لمعرفة دول الملوك**، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي(ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م). الذي يُعدّ مصدراً هاماً لهذه الدراسة بحكم أنه احتوى على مادة شاملة لعهد سلاطين المماليك، وبالأخص المدة التي كان معاصراً فيها لحوادث البحث وسجل خلالها كثيراً من مشاهداته، وكذلك كتابه **المقفى الكبير**، الذي بيّن في تراجمه لبعض نواب حماة النتاج السياسي والعسكري لنيابة الداخلية.

٩- **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، لغرس الدين خليل بن شاهين الظاهري(ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م)، الذي شغل عدة مناصب إدارية في مختلف أنحاء سلطنة المماليك، فأفادت معلوماته عن نيابة حماة الدراسة في شتى المجالات الجغرافية والإدارية والسياسية والحضارية.

١٠- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، لأبي المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي(ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م). الذي لا تقل مادته العلمية أهمية عن كتاب السلوك، ولا سيما أنه قد تسنى له على ما يبدو الاطلاع على بعض الوثائق الخاصة ببعض سلاطين المماليك، بحكم أن والده شغل مناصب عدة في هذه الدولة في كل من مصر والشام، وكذلك كتابه **حوادث الدهور في مدى الأيام والعصور**، الذي جاء في عرضه للأحداث التاريخية متمماً للنجوم الزاهرة ومشيداً بجهود نيابة حماة لدرء خطر الخارجين على السلطنة من أعراب ونوّاب.

١١- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، لمحمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن عثمان السخاوي(ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م). فقد وفر هذا المصدر عدداً من التراجم لبعض أبناء حماة وموظفيها في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وتضمّنت هذه التراجم مادة علمية تتعلّق بالجوانب السياسية ولإدارية والاجتماعية والنشاط العلمي في نيابة حماة ، كما أمدت كتب المؤرخ الأخرى الدراسة بمادة غنية في التاريخ السياسي والإداري والاجتماعي والثقافي التي

عاصر المؤرخ بعضها، فكان شاهد عيان كشف عن حالة دولة المماليك في أواخر عهدها وقبيل استيلاء العثمانيين عليها، وما آلت إليه من انحدار وتفسخ، ومن تلك الكتب **وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، والتبر المسبوك في الذيل على السلوك.**

١٢- **بدائع الزهور في وقائع الدهور،** لأبي بكر محمد بن أياس (ت ٩٣٠ هـ/١٥٢٣م)، والذي خدم الدراسة في بيان طبيعة العلاقة التي ربطت بين دولة المماليك والسلطنة العثمانية، وكشف أسباب الصراع فيما بينهما وما قامت نيابة حماة من دور في حسم هذا الصراع لصالح العثمانيين.

وإضافةً إلى هذه المصادر، فقد أفاد البحث من مصادر أخرى كثيرة، وكذلك مراجع حديثة متخصّصة، وجميعها مثبته في حواشي الرسالة ، وقائمة المصادر والمراجع.

واحتوت الدراسة على مقدمة وتمهيد وأربعة فصول، فقد تناولت **المقدمة** أهمية الموضوع وأسباب اختياره مع عرض لأهم مصادره ومراجعه.

أمّا **التمهيد** فقد ناقش نقطتين هامتين أولاهما طبيعة التقسيمات الإدارية لبلاد الشام،التي استخدمها المماليك عشية سيطرتهم عليها، وأوضح كيف غدت هذه النيابات دروعاً تحمي بلاد الشام من الأخطار التي أحدقت بها من الشرق والشمال.

و ثانيهما مملكة حماة الأيوبية قبيل خضوعها لسلطنة المماليك، حيث أوضح علاقة المملكة التقوية بدولة المماليك منذ نشأة الثانية في مصر سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، حتى دخول المغول حلب وفرار أمراء البيت التقوي إلى الديار المصرية.

في حين تضمن **الفصل الأول**، الذي عنوانه قيام نيابة حماة المملوكية، دراسة تفصيلية عن تاريخ حماة السياسي تحت مظلة الحكم المملوكي ابتداءً من مباركة السلطنة لاستمرار الحكم الملكي التقوي فيها، وما بذلته تلك المملكة من جهود عسكرية وسياسية لضمان ثباتها على الساحة الإدارية، ومروراً بالأسباب التي دعت السلطنة لتحولها إلى نيابة شامية تتبع السلطنة المملوكية في مصر، ثم الدوافع التي حفزت السلطنة فيما بعد لإحياء النظام الملكي التقوي فيها مرة أخرى بعض الوقت، مع بيان الوضع الإداري لهذه المملكة مع بقية النيابات الشامية، وكذلك موقف الأمراء المماليك منها، وانتهاءً بعودة النظام النيابي في حماة مرة أخرى، وما نجم عنه من تغيرات إدارية وعسكرية، وأثره على أعمال هذه النيابة، كما عمدت الدراسة إلى تحديد موقع هذه النيابة وحددوها وطبيعتها الجغرافية وهيكلها الإداري والعسكري.

أما **الفصل الثاني**، فقد عالج بالدراسة علاقة نيابة حماة بالقوى المجاورة كدولة إيلخانات فارس والعراق، ومملكة أرمينية الصغرى، وبعض جزر البحر المتوسط، والإمارات التركمانية، والدولة التيموريه في عهد مؤسسها تيمورلنك.

أما **الفصل الثالث**، وعنوانه سقوط نيابة حماة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، فقد ناقش العوامل التي أضعفت الجبهة الشامية عامة ونيابة حماة خاصة والتي مهدت لسقوط النفوذ المملوكي هناك، كما أوضح طبيعة العلاقة التي ربطت بين السلطنة المملوكية والدولة العثمانية، ثم موقف نيابة حماة من التوسع العثماني نحو المشرق الإسلامي والذي انهى الوجود المملوكي من المنطقة كلياً.

أما **الفصل الرابع**، وعنوانه أهم مظاهر التطور الحضاري في نيابة حماة، فقد تناول الحركة العمرانية في هذه النيابة، ودورها في حماية حماة وأعمالها من الهجمات التي تعرضت من القوى الخارجية وكذلك ما أصاب بعضها من تخريب، كما شملت الدراسة دراسة وصفية لبعض هذه المرافق العمرانية من مساجد، ودور

سكنية، وخانات، وأسواق، ودور علم، كما ناقشت الدراسة الحالة الاقتصادية داخل النيابة من زراعة وصناعة وتجارة، ودور السلطنة في ازدهارها، ومدى انعكاس ذلك على الحالة الاقتصادية لسكان هذه النيابة، وأخيراً تناول الفصل الحالة الاجتماعية والفكرية، فسلط الضوء على دور سكانها في حقل الدراسات العلمية والأدبية.

وأخيراً احتوت الدراسة على خاتمة توضّح أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وكذلك مجموعة الملاحق والخرائط التوضيحية التي تفسر بعض الحوادث الواردة في فصول الرسالة.

وفي ختام هذه المقدمة لا يستحق الشكر بعد الله ﷻ إلا والديّ الكريمين حفظهما الله، فلهما الفضل عليّ بأن ذللا لي المصاعب والمشاق، فكانا خير معنين وموجهين في حياتي العلمية. ومن الواجب في هذا المقام أن أتقدم بخالص شكري ووافر تقديري واعترافي بالجميل إلى أستاذي الفاضل المشرف على الرسالة الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن سعيد الغامدي، الذي لم يبخل علي طيلة مدة البحث بغزير علمه ووافر توجيهاته وإرشاداته العلمية السديدة، فضلاً عما أمدني به من مصادر ومراجع نادرة لهذا البحث- فجزاه الله عني وعن طلبته وطالباته خير جزاء- كما لا يفوتني أيضاً أن أتقدم بخالص شكري إلى عمادة كلية الشريعة ممثلة بعميدها الدكتور/ عابد بن محمد السفياني،ووكيلية الدكتور/ سعود بن إبراهيم الشريم ،والدكتور/ عبد الله بن مصلح الثمالي، وكذلك إلى أساتذتي في قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية ، وأخص بالذكر الدكتورة/ أميرة مداح وكيلة رئيس القسم، وكذلك أساتذتي وأستاذاتي في قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، لما بذلوه ويبذلونه من جهود في إنجاح مسيرة القسمين، كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير أيضاً إلى القائمات على مكتبة جامعة أم القرى، ومكتبة الحرم المكي الشريف لما قدمته من مساعدات كان لها ابعد الأثر في إنجاح هذا البحث.

والشكر موصول لعضوي لجنة المناقشة الدكتور/ عدنان بن محمد الحارثي عميد شؤون المكتبات، والدكتورة/ لمياء بنت أحمد الشافعي، لما بذلاه من جهد في قراءة هذه الرسالة وتقويمها.

كما أخص بالشكر زوجي العزيز محمد عبد العال الأنصاري، واخوتي الأفاضل محمد ومجدي ومصطفى، لما قدموا لي من عون و مساعدة في سبيل إتمام هذا البحث.

وأود كذلك أن أتقدم بالشكر لمدير المديرية العامة للآثار والمتاحف بدمشق لما قدمه من تسهيلات إدارية، ولا يفوتني أن أسجل امتناني لمدير المديرية العامة للآثار والمتاحف بحماة المهندس راضي عقده الذي أبدى حماساً واهتماماً لتزويدي بالمعلومات والمخططات التوضيحية لبعض العمائر الأثرية التي ازدانت بها مدينة حماة، والتي أثرت الجانب الحضاري في هذا البحث،والشكر موصول للمكتبة الظاهرية ومكتبة الأسد بدمشق اللتين تقدمان كل المعونة والخدمات المجردة للباحثين والمستزيدين من المعرفة، ولما أتاحتا لي من المراجع الضرورية لهذا البحث.وأخص بالشكر أيضاً الدكتور أكرم العلبي، لما لمست منه من نبل وصدق تشجيع، فجزى الله الجميع عني خير الجزاء، والله أسأل العون والسداد، إنه نعم المولى ونعم النصير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

التمهيد

- طبيعة التقسيمات الإدارية لبلاد الشام .

- مملكة حماة الأيوبية قبيل خضوعها لسلطنة المماليك .

طبيعة التقسيمات الإدارية لبلاد الشام

تُعــدّ بلاد الشام بمثابة الدرع الواقي للأراضي المصرية على مر العصور. فقد حرصــت معظــم الدول التي تعاقبت على حكم مصر،على السيطرة على بلاد الشام، وضـــمان اســتمرار الوحدة بين هذين القطرين، وهذا ما فطن إليه الفاتحون المسلمون الأوائــل الذيــن أدركــوا أن فتح الأراضي المصرية لابدّ أن يسبقه تأمين هذا الجانب، وعندما استقر الفتح الإسلامي في مصر سنة ٢١هـ/٦٤٠م،حرص الخلفاء على تقسيم بـــلاد الشـــام على شكل أجناد([1]) لحماية الوجود الإسلامي في مصر والشام من خطر الهجمـــات البيزنطية. وعندما دبّ الضعف إلى جسم الخلافة الإسلامية منذ أوائل القرن الثالــث الهجري/التاسع الميلادي،وتمخّض عن ذلك ظهور عدد من الدويلات الإسلامية التي استقلت عن الخلافة العباسية في بغداد، حرصت الدول التي ظهرت في الأراضي المصرية على تحقيق هذه الوحدة بين مصر والشام،وقد تمثّل ذلك بوضوح فيما قام به الطولونـــيون و الأخشيديون من بعدهم، وكذلك فعل الفاطميون الذين أدرك خلفاؤهم منذ أن وطـــأت أقدامهم الأراضي المصرية أن بقاء حكمهم فيها مرهون بالسيطرة السريعة على بلاد الشام([2]).

([1]) **الأجـــناد** : مفردها جند وقد قسمت بلاد الشام إلى خمسة أجناد وهي دمشق وحمص وقِنّسرين والأردن وفلسطين ، وقد ذكر شيخ الربوة أن الخليفة أبو بكر ﷺ أقرّ في كلّ مدينة جند لحمايتها وحفظها ، ثم عرفت تلك المدن بأجناد الشام (انظر، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص٢٥٨؛ الجوهري ، الصحاح، ج٢، ص٤٦٠).

([2]) أحمد شلبي، موسوعة التاريخ والحضارة الإسلامية،ج٥، ص٨٥-١٦٦؛ **والطولونيون:** نسبة إلى أحمد ابن طولون ت٢٧٠هــ، حكم مصر من بعده خمسة من أفراد أُسرته،ويعود امتداد حكم الطولونيين إلى الشام إقطاع الخليفة المعتمد الشام والثغور لأحمد ابن طولون بعد وفاة مأجور الذي كان قد أقطع دمشق، وقد شهدت مصر في عهده تقدماً حضارياً وعسكرياً(للمزيد انظر المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، ج٤، ص٢١١-٢١٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، مج٦، ١٨ ،١١٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية ،ج١١، ص٥٣-٥٥؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج٣،ص٣١٦ ،٣٥٤ ؛ السخاوي،حسن المحاضر في أخبار مصر والقاهرة،مج٢، ص١٦-١٨؛حامد غنيم،عصر الدول المستقلة،ج١،ص١٩٢ -٢٠٧)؛ **الأخشـــيديون:** نســبة إلـــى محمد بن طغج الأخشيد مؤسس الدولة الأخشيدية ت ٣٣٥هــ، حكم الأخشيدين لمصـــرمن ســنة٣٢٣هــ،حتى سقوطها بيد الفاطميين(للمزيد انظرالذهبي،دول الإسلام،ج١،ص٢٠٨-٢٠٩؛ ابن أيبك الدودار،كــنز الدرر وجامع الغرر، مج٥، ص٣٧٠-٤١٤؛ أبو الفداء،اليواقيت والضرب في تاريخ حلب،ص٩٧-٩٨ ؛كليفورد-أ- بوزورت، الأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص٧٧)؛ للوقوف على تفصيلات دخول الفاطميين مصر وســيطرتهم على أجزاء من بلاد الشام (انظر المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين،ج١،ج٢؛ إدريس عماد الديــن، تــاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب من كتاب عيون الأخبار؛السيد عبد العزيز سالم،تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص٥٤٨-٥٥١؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي، مج٣، ص١٤٨-١٤٩).

وعند تعرض المشرق الإسلامي للهجمة الصليبية الشرسة منذ أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وظهرت على المسرح دول فتيه جاء في طليعتها الدولة الزنكية التي قامت بدور جهاديّ فاعل ضدّ الوجود الصليبي في المنطقة زمن عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود. حرص الاثنان على ضرورة توحيد القاهرة ودمشق تحت لواء دولتهم، قبل قيامهم بمشروعهم الجهادي الشامل لاستئصال شأفة الوجود الصليبي في المنطقة، فبالرغم من نجاح عماد الدين زنكي في استرداد إمارة الرُّها من يد الصليبيين سنة ٥٤٩هـ/١١٤٤م[١]، فإن ابنه نور الدين أوقف حركة الجهاد الشامل ضد الصليبيين في المنطقة ريثما يتم تحقيق هذه الوحدة ، وكما هو معروف فقد بذل جهوداً مضنيه في هذا المجال أثمرت عن إسقاط الخلافة الفاطمية الشيعية في القاهرة سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م، و إعادة الوحدة المذهبية والسياسية بين الأراضي المصرية وبلاد الشام [٢].

---

[١] عن قيام الدولة الزنكية ودورها في حركة الجهاد ضد الصليبيين(انظر ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص٣١٢-٣١٦؛ ابن الأثير،التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية،ص٩١-١٣١؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان،ج٨،ق١،ص٢٤٦-٢٥٢؛ ابن العديم، زبدة الحلب في أخبار حلب،ج٢،ص٢٤٤-٣٣١؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص١٨٠-١٨١؛فايد حماد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية العصر الفاطمي والسلجوقي والزنكي، ص١٧٩-٢٢٦؛ عبد الله سعيد الغامدي، مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود؛ أرنست باركر، الحروب الصليبية، ص١٥٤-١٥٧)؛**وإمارة الرُّها**:أول إمارة صليبية تأسست عام ٤٩١هـ/١٠٩٧م، وتولاها الأمير بلدوين الأول، وظلت في يد الصليبيين حتى استرجعها عماد الدين زنكي، للتعرف على تاريخ هذه الإمارة بالتفصيل(انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية،ج١،ص١٨٣-١٨٤؛ عليه الخبروزي،إمارة الرها الصليبية، ص٥٣، وما بعدها؛ارنست باركر، الحروب الصليبية، ص٤٦-٤٧؛ ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ص٢٤-٢٦؛ علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ص١٢٩-١٣٠؛ سعيد أحمد البرجاوي، الحروب الصليبية في المشرق، ص١١٦-١١٨)؛ **والرُّها**:مدينة كبيرة تقع على الجانب الشمالي الشرقي من الفرات، بالقرب من قلعة الروم(انظر أبو الفداء، تقويم البلدان،ص٢٧٧).

[٢] عن جهود نور الدين لتحقيق الوحدة بين مصر والشام (انظر ابن الأثير،التاريخ الباهر، ص١٢١-١٣٣؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، ص٣٦-٣٨؛البنداري الأصفهاني، سنا البرق الشامي،ص١٩-٢٠؛ ابن العديم، زبدة الحلب،ج٢، ص٣١٥-٣٢٥؛المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٦٦-٢٨٧؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، ص٢٦٩-٢٩٠؛عبد الله سعيد الغامدي، صلاح الدين والصليبيون ،استرداد بيت المقدس، ص٣١-٥٣؛ حامد غنيم أبو سعيد، الجبهة الإسلامية الموحدة؛ أرنست باركر ، الحروب الصليبية، ص١٥٨-١٦٢).

وعـندما توفي نور الدين محمود يوم الأربعاء ١١شوال من سنة ٥٦٩هـ/١٥ مـايو ١١٧٤م، قـبل أن يجني ثمار جهوده التي بذلها في سبيل إكمال مشروع الجبهة الإسـلامية المـتحدة وذلك بتحقيق الوحدة بين مصر والشام، وانفرط عقد هذه الجبهة بسـبب تـنافس عـدد من أمرائه على الفوز بمنصب الوصاية على ابنه القاصر الملك الصالح إسماعيل الذي لم يكن قد تجاوز الحادية عشرة من عمره[١] ، لدرجة أن بعضهم فكـر في الاستعانة بالقوى الصليبية في ساحل بلاد الشام والبعض الآخر عمد فعلاً إلى الاتصـال بحكـام مملكة بيت المقدس وعقد هدنة مؤقتة معهم لكي يتفرّغ لصراعه مع خصومه من الأمراء النوريين[٢].

وأمـام هـذه الـتطورات الخطيرة أدرك صلاح الدين أن الدولة النورية فقدت شرعية وجودها بسبب تخلي الأمراء النوريين عن إقامة فريضة الجهاد ضد الصليبيين ، فخرج من مصر ودخل دمشـق في ربيع الآخر من سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م، ثم واصل سيطرته على بقية مدن الشام ومدن إقليم الجزيرة لإدراكه المسبق أن عملية الجهاد ضد الوجـود الصليبي في ساحل بلاد الشام لن يكتب لها النجاح إلا بإعادة الجبهة إلى سابق عهدها زمن سيده نور الدين محمود[٣].

---

(١) للوقوف على تفصيل هذه الحوادث (انظر ابن الأثير ، الباهر ، ص١٧٦؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص٤٧؛ ابن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج٢،ص١-٨؛ عماد الدين خليل ، نور الدين محمود الرجل والتجربة ، ص٤٨؛ حسـين مؤنـس، رائـد نصر المسلمين على الصليبيين نور الدين محمود ، ص٢٩٤-٢٩٦؛ عبد الله سعيد الغامدي، صلاح الدين والصليبيون، ص٥٨-٦٣).

(٢) سـبط ابـن الجوزي ، مرآة الزمان ، ج٨،ق١، ص٣٢٤؛ ابن العديم ، زبدة الحلب ، ج٣، ص١٢؛ **ومملكة بيت المقدس:** سقطت بيت المقدس في يد الصليبيين سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٨م، وحكمها جودفري بصفة دينية تحت مسمى(حامي بيـت المقـدس)، وفي سنة ٤٩٥هـ/١١٠١م، أُعلنَ قيام مملكة بيت المقدس على يد الأمير بلدوين أمير الرها، وظلت تحـت الحكم الصليبي حتى تمكّن صلاح الدين الأيوبي من استردادها سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، للمزيد من التفصيل عن تاريخ هذه المملكة الصليبية(انظر سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١، ص٣٢٣-٣٢٤؛ ابن العبري ، تاريخ الزمان، ص١٢٤-١٢٥؛ عبد الله سعيد الغامدي، صلاح الدين والصليبيون، ص٢٠٨-٢١٥).

(٣) شـملت هذه الجبهة الأراضي الممتدة من جبال طوروس شمالاً حتى خليج عدن جنوباً وإقليم الجزيرة شرقاً حتى برقة غرباً ، وقد أثمر ذلك نجاح صلاح الدين الأيوبي في إنزال هزيمة ساحقة بالصليبيين في معركة حطين سنة ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧م، ومـن ثم استعادة مدن الساحل الشامي ، من بيروت شمالاً حتى غزة جنوباً وتوج ذلك باسترداد بيت المقـدس منهم في السنة ذاتها (انظر ابن العبري، تاريخ الزمان، ص١٩١-١٩٢؛أبو شامة، مختصر كتاب الروضتين، ص١٨٥-٢٣٠؛ خاشـع المعاضـيدي، تـاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، ص١٦١-١٧٤)؛**وإقليم الجزيرة:**هي الهضـبة الممـتدة شـمالي بغداد المحصورة بين نهري دجله والفرات، ومن مدنها الموصل وتكريت والرقة وقرقيسيا والرحـبة(انظـر ابـن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ص١٢٣-١٢٨؛عبد الرحمن حميده، جغرافية الوطن العربي، ص٣٣٢).

وعندما حل المماليك مكان أسيادهم الأيوبيين في حكم الأراضي المصرية سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م ([1])، أدركوا منذ بداية عهدهم أن بلاد الشام هي بمثابة خط الدفاع الأول لحكمهم في مصر، الذي سيتلقى الضربة الأولى أمام أي اعتداء خارجي عليها، ولهذا وقر في أذهان سلاطينهم الأوائل ضرورة توسيع نفوذهم ليشمل بلاد الشام وخاصة الأجزاء الداخلية الذي كانت تتجاذبه أطراف أيوبية ليست على وفاق فيما بينها([2]).

وفي خضم هذا التطلع الذي راود سلاطين المماليك فوجئ المسلمون في المشرق الإسلامي بالهجمة المغولية الشرسة والتي نجحت في الإطاحة بالدولة الخوارزمية سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م([3])، ثم واصلوا تقدمهم غرباً و استطاعوا إسقاط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م([4]).ثم تقدموا غرباً إلى بلاد الشام ونجحوا في اقتحام مدنه الواحدة تلو الأخرى مستغلين ظروف الفرقة والانقسام بين حكامه من أمراء البيت الأيوبي. وهنا وجد المماليك في مصر أنفسهم أمام اختبار صعب نتيجة نجاح المغول في السيطرة على معظم مدن الشام الداخلية، والذي بات يهدد الوجود المملوكي في مصر، ولهذا ازداد اهتمام المماليك ببلاد الشام، فصمموا على مواجهة المغول داخل الأراضي

([1]) عن قيام دولة المماليك في مصر (انظر سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان ، ج٨،ق١،ص٧٨١-٧٨٣ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ،ص ٢٢٧-٢٢٨؛ تاريخ الزمان ، ص٢٩٥؛ بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، ص٢-٤٤؛ النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج٢٩، ٣٥٩-٣٦٤؛ ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر،مج٨، ص٣٨١-٣٨٣،مج ٩،ص١٢-١٣؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص٢١٠-٢١١).

([2]) ابن ايبك الدوداري، كنز الدرر، مج٨، ص٣٨-٤٤؛ ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ٤٦-٤٧؛ علي محمد الغامدي، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي،ص٣٧٩.

([3]) كان للسياسة العدائية التي انتهجها سلطان الدولة الخوارزمية جلال الدين ضد الكيانات الإسلامية ومنها الدولة الأيوبية ودولة سلاجقة الروم وكذلك الخلافة العباسية وما أعقبها من انشغال عن الجبهة المغولية بتوسعاته على حساب الدول المجاورة،دورٌ في اسقاط الدولة الخوارزمية على يد المغول(للمزيد انظرابن الأثير،الكامل،مج٩، ص٣٨٤-٣٨٥؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٢٧٥-٢٧٨؛ تاريخ مختصر الدول،ص٢١٤-٢١٧؛ الذهبي،العبر في خبر من غبر،ج٣، ص٢٠٠-٤٢؛ عطا الملك الجويني،تاريخ فاتح العالم جهانكشاي في تاريخ جنكيز خان وأعقابه حتى كيوك خان وحروبهم مع الخوارزميين،ج٢، ص٣٥-١٠٧؛ النسوي،سيرة جلال الدين منكبرتي؛ارمينوس فامبري،تاريخ بخارى، ص١٧٨-١٩٧؛ محمد طقوش،تاريخ الأيوبيين في مصروالشام والجزيرة،ص٣٣١؛عفاف صبرة،التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية).

([4]) عن سقوط الخلافة العباسية في بغداد(انظر رشيد الدين الهمذاني، جامع التواريخ ، ص٢٢٩-٢٣١؛ابن طبا طبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، ص٣١٠-٣١١؛ابن العبري ، تاريخ الزمان ، ص٣٠٧-٣٠٨؛ تاريخ مختصر الدول ، ص٢٣٦-٢٣٧؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، ص٣٥٤-٣٦٣؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان ، ج١ ، ص٨٥؛ سعد الغامدي، سقوط الدولة العباسية ، ص٣٠٨-٣١٢؛ فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ، ص٢٤٩-٢٦٩؛ سليم واكيم ، امبروطورية على صهوات الجياد ،ص١٣٣-١٤٩).

الشـــامية ذاتها، وتمت المنازلة بين الطرفين في معركة عين جالوت الشهيرة سنة ٦٥٨ هــــ/ ١٢٦٠م، والتـــي ترتب على انتصار المماليك فيها نتائج بالغة الأهمية، يأتي في مقدمـــتها كســـر شوكة المغول وطردهم كلياً من بلاد الشام وإجبار فلولهم على عبور الفـــرات باتجـــاه الشـــرق. فضلاً عن أن هذا الانتصار الحاسم، قضى على المعارضة الأيوبـــية لحكـــم المماليك حيث أدرك معظم الأمراء الأيوبيين عدم جدوى استمرارهم باعتـــبارهم حكاماً لبلاد الشام بما هم عليه من تفكك وانقسام،وأن عليهم الانضواء تحت لـــواء دولة المماليك الفتية التي استطاعت تحطيم خرافة الجيش المغولي الذي لا يقهر. وبهذا تمكن المماليك من فرض سيطرتهم على كامل بلاد الشام(١).

ونظراً للأخطار التي استمرت تحدق بالوجود المملوكي في بلاد الشام والمتمثلة فـــي محاولات المغول المتكررة غزو بلاد الشام تارة عن طريق الفرات، وأخرى عن طـــريق هضـــبة الأناضول، فضلا ًعن خطر مملكة أرمينية الصغرى(٢) على مناطق شمال الشام ، ناهيك عن الوجود الصليبي الذي لا تزال بقاياه تقبع في ساحل بلاد الشام.

---

(١) للوقوف على تفصيلات انتصار المماليك على المغول في معركة عين جالوت وما ترتب على ذلك من نتائج (انظر ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص٦٣-٦٧؛ بيبرس المنصور ي، زبدة الفكرة، ص٥٠-٥١؛ ابن أيبك الدودار، كنز الدرر، مج٨ ،ص٤٩٠-٥٠٠؛ ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص٥٣-٥٤؛ المقريزي، السلوك في معرفة دول الملوك، ج١،ص٥١٥-٥١٨؛فؤادعبد المعطي الصياد،المغول،ج١، ٣١٣ -٤٢١؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، ص٢١٦-٢١٨؛ أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك، ص١٦٧-١٧٠؛ عبد الرحمـــن زكـــي، الجيش المصري في العصر الإسلامي من عين جالوت إلى الرشيد،ج٢ ،ص٧٤-٧٧؛ عبد الله سعيد الغامدي، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، الفصل الثاني)؛ **والفرات:** نهر ينبع من بلاد الروم و يمر بعدة مدن منها ملطية و سيسمياط مخترق البلاد الشامية ثم العراقية ويلتقي بنهر دجلة فيكونان مجرا واحداً يسمى شط العرب يصب في الخليج الفارسي- الخليج العربي حاليا(انظر المقدسي،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،ص١١١؛ ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ٩٢ - ٩٣؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص ١٢٧-١٢٩)

(٢) أدى نجـــاح السلاجقة في فتح أرمينية إلى هجرة أعداد كبيرة منهم وخاصة بعد الانتصار الذي تحقق للسلاجقة في معـــركة ملاذكرد سنة ٤٦٣هـــ/١٠٧١م، إلى المنطقة الواقعة غربي الفرات،حيث لجأ الكثير منهم إلى جبال طوروس، فضـــلاً عـــن قليقـــية وشـــمال الشام، وقد اختار الأرمن هذه المناطق لوعورتها،ليتحصنوا بها من غزوات السلاجقة، وأصـــبحت تعرف بأرمينية ثم أسسوا بها إمارة،فنالت لموقعها أهمية إستراتيجية حيث اعتبرت بوابة آسيا الصغرى إلى بلاد الشام، فضلاً عن تضاريسها التي ساعدت في إيجاد مرافئ بحرية كان من أهمها ميناء أياس،وما لبثت أن تحولت إلـــى مملكـــة نظراً لما أسهموا به من نشاط في دعم الحركة الصليبية وخاصة في الحملة الصليبية الثالثة، للمزيد من التفصيلات (انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨٤٩؛ أديب السيد، أرمينية في التاريخ العربي، ص٢١٢-٢١٤؛علي الغامدي ، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي ، ص٣٤٨؛ وانظر الملحق رقم ٤)؛ **وهضبة الأناضول:** أرض مســـتوية الارتفـــاع تغطـــي أكثر من ثلث مساحة تركيا – تحديداً فيما كان يعرف بآسيا الصغرى- وهي تنحدر انحداراً هادئاً في اتجاه الغرب(انظر صلاح الدين الشامي وزين الدين عبد المقصود، جغرافية العام الإسلامي، ص٥٤٤).

فقد حرص المماليك على تقسيم بلاد الشـــام إلى عدد من النيابات لمواجهة هذه الأخطار وهي:

أولاً نيابة دمشق أو "النيابة العظمى" على حد تعبير العمري، وهي أعلى نيابات الشـــام شأناً وأرفعها رتبة، أنشأها المماليك عشية طرد المغول من بلاد الشام وذلك في ســـنة ٦٥٩هـــــ/١٢٦١م، كان يتولى أمرها نائب ينظر في شؤونها، وكان هذا النائب يتمـــتع بمكانـــة سامية تفوق بقية النيابات الشامية الأخرى حتى استحقت هذه النيابة أن يطلـــق عليها " مملكة الشام " وتمتع حاكمها في الوقت نفسه بمنزلة كبيرة لا تقل كثيراً عن منزلة حاكم السلطنة الفعلي في القاهرة، فضلاً عما كان يقوم به من مراقبة ورصد لتفاعل نيابات الشام مجتمعة، ولهذا أطلق عليه البعض اسم "كافل الممالك الشامية " ([1]).

ونظـــراً لهذه المكانة الفريدة التي تمتعت بها نيابة دمشق مما جعل نائبها يتمتع بمكانـــة خاصة من قبل السلطنة في مصر، فقد وُجِدَ بها جهاز إداري كان لا يقلّ أهمية عـــن الجهـــاز الإداري لإدارة السلطنة المملوكية في القاهرة، حتى غدا نائب دمشق " ســـلطاناً مختصـــراً " ([2])، فقد تمتع هذا النائب بسلطات شبه مطلقة حيث كان مسؤولاً مســـؤولية مباشرة عن كافة الشؤون السياسية والعسكرية والمالية وغيرها أمام السلطان المملوكـــي في القاهرة، الذي كان حريصاً على القيام بزيارات متكررة إلى نيابة دمشق لـــتفقد أحوالها وضمان استعدادها عسكريا لمواجهة أيّ خطر خارجي، وربما كان هذا الأمر هو المسوغ لسماح سلاطين القاهرة لنواب دمشق بتوسيع رقعة نيابتهم حيناً آخر، وذلـــك بإضافة أجزاء حديثه إليها، ويبدو أن هذا التوسع هو الذي دعا السلطان الناصر محمـــد بـــن قلاوون إلى ربط جميع نواب الشام بنيابة دمشق، وذلك في سنة ٧١٤هـــ/ ١٣١٤م، وجعل مكاتبة النواب إليه تتم عن طريق نائب دمشق([3]).

([1]) العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ج٤، ص١١٦؛ علي إبراهيم حسن ، تاريخ المماليك البحرية ، ص ٢٨٢-٢٨٤؛ وانظر أيضاً جان سوفاجية، دمشق الشام لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى عهد الأنتداب،ص٩٣.

([2]) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص ١١٥.

([3]) ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة،ج٩، ص٣٨؛ يوسف درويش غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، ص ١٤؛ و**الناصر محمد بن قلاوون**:الصالحي الألفي،ولد سنة ٦٨٤هـــ، تقلد حكم دولة المماليـــك ثـــلاث مرات الأولى سنة ٦٩٣هـــ، ثم خلع في العام التالي، والثانية سنة ٦٩٨هـــ، ولكنه أستعفى عنها سنة ٧٠٨هـــ، أما الثالثة فكانت في سنة ٧٠٩هـــ، فظل قائماً عليها حتى توفي في سنة ٧٤١هـــ، يُعد عصره من العصور الذهبـــية التـــي عاشتها دولة المماليك بعد الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون، حيث شهدت الدولة في عهده العديد من النشـــاطات السياســـية والعسكرية، والتنظيمات الإدارية، والمنجزات الحضارية، فضلاً عن إحكام قبضته على أمراء=

وبناءً على هذا الاهتمام الذي حظيت به نيابة دمشق من قبل سلاطين الدولة في مصر، اضطلعت بدور فاعل في مواجهة تهديدات المغول المتكررة على بلاد الشام، فضلاً عن جهودها البارزة في دعم مشروع الجهاد الإسلامي ضد الوجود الصليبي في ساحل بلاد الشام،حتى تمّ اقتلاعه كلياً من هذه المنطقة بسقوط آخر معاقله مدينة عكا سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م (١).

ثانـياً نيابة حلب : التي أنشأها المماليك عقب انتصارهم في عين جالوت ٦٥٨ هـ/١٢٦٠م، وهـي لا تقل أهمية عن سابقتها مكانة ومساحة، حيث امتدت حدودها لتتصل بأرمينية الصغرى وأراضي السلاجقة وديار بكر والجزيرة الفراتية، وغدت حلقة وصـل بين شمال الشام وآسيا الصغرى من جهة وإقليم الجزيرة من جهة أخرى، وهي بهـذا تقـوم بـدور المشرف على الحدود الشمالية و الشمالية الشرقية لأراضي دولة المماليك(٢) مما جعلها خط الدفاع الأول لمواجهة الأخطار الخارجية التي تتعرض لها أطراف هذه الدولة من قبل حكام مملكة أرمينية الصغرى أو حلفائهم مغول فارس(٣) ، ناهـيك عن غارات الإمارات التركمانية سواء أكانوا من تركمان الطاعة الذين استظلوا بمظلة السلطان المملوكي، أو من التركمان الذين كانوا يتمتعون بكيانات مستقلة، وكانوا

=المماليك، مما أحل الهدوء العسكري على الساحة الداخلية(انظر ابن حجر،الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة،ج٤، ص٢٦١؛ ابـن تغري بردي، الدليل الشافي على المنهل الصافي،ج٢،ص٦٧٤-٦٧٥؛ حياة الحجي، السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده) .

(١) عـبدالله سعيد الغامدي، جهاد المماليك ضد المغول والصليبين، ص٢٧٧؛و**عكا**:Acre-akkon ميناء ساحلي يطل علـى الـبحر المتوسط يقع إلى جواد خليج حيفا على بقعة بارزة قليلاً في البحر، تبعد عن طبرية ٢٤ميلاً (أنظر أبو الفـداء، تقويـم البلدان، ص٢٤٢-٢٤٣؛فولفغانغ مولر-فيز، القلاع أيام الحروب الصليبية، ص٩٥؛ لطيفة أبو العنين، الحـياة الاقتصادية في عكا في عصر الحروب الصليبية٤٩١-٦٩٠هـ/١٠٩٧-١٢١٩م، رسالة لنيل درجة الدكتوراة كلية الآداب للبنات بالدمام، غير مطبوعة، ص٢٦-٣١)

(٢) عـادل عبد الحافظ ، نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك ،ج١،ص١٦-٤٦؛ نعيم زكي فهمي ،طرق التجارة ومحطاتها من الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)،ص١٤٩؛السيد عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام ،ص٣٠٣؛ **وديـار بكر**: تقع بين نهري دجلة والفرات،وتُعد همزة وصل بين الشام والعراق،وتشمل ديار ربيعة ومضر عامرة من أرض الجزيرة، ذات المدن والقرى وقصبتها الموصل وحران(انظر ابن الوردي، خريدة العصر وفريدة العجائب، ص ٤٤؛ زكريا القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص٣٦٨)؛ **والجزيرة الفراتية**: تشمل الجانب الآخر من الفرات الممتد من بّر الشام إلى الجزيرة ، وهي قريبة من البلاد الجزرية(انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٧٣).

(٣) أحمـد مختار العبادي ، قيام دولة المماليك الأولى ، ص٢٣٠-٢٣١؛ أحمد عبد الكريم سليمان ، المغول والمماليك حتى نهاية عصر بيبرس ٦٤٨-٦٧٦هـ/ ١٢٥٠-١٢٧٧م، ص٨٧.

يشـــكلون مصــــدر قلـــق لسلطنة دولة المماليك بما كانوا يقومون به من غارات خاطفة وارتكـــاب جرائم سلب و نهب([1]). ولا يقلّ عن ذلك الدور الهامّ الذي قامت هذه النيابة فـــي مـــناوأة القوات الصليبية إبان تواجدها في ساحل بلاد الشام،فضلاً عن الدور الذي قامـــت به في مطاردة فلولهم في جزر البحر المتوسط عشية طردهم من بلاد الشام،هذا بالإضـــافة إلى ما قامت به هذه النيابة من دور بارز في مواجهة التوسع العثماني الذي حـــاول أن يستثمر عداء هذه الإمارات التركمانية لدولة المماليك،عندما شرع العثمانيون في العمل لإسقاط دولة المماليك،ولهذا فقد أولى سلاطين المماليك في مصر نيابة حلب جلّ اهتمامهم، حيث حرصوا على تزويدها بين الفينة والأخرى بقوات خاصة ترابط بها لمواجهة الأخطار التي تهدد حدودها، حتى غدت نيابة حلب بفضل هذا الاهتمام، تشكل حـــزاماً أمنياً لحدود سلطنة المماليك، إضافةً إلى دورها في القضاء على مملكة أرمينية الصغرى سنة ٧٧٦هـــ/ ١٣٧٥م، التي طالما شكلت خطراً على سلطنة المماليك بفضل تحالفها مع المغول ضد هذه المناطق. كما أدى ضم أراضي أرمينية الصغرى إلى نيابة حلـــب زيـــادة رقعتها، ومن ثَمَّ دعم دورها السياسي والعسكري لموجهة جميع الأخطار التـــي كانـــت تهدد دولة المماليك من تلك الجهات،ونظراً لاتساع نطاق هذه النيابة فقد حرص سلاطين المماليك في القاهرة على تحري الدقة في اختيار النواب بها حيث شمل ذلك الاختيار عدداً من كبار أمراء السلطنة، الذين أقاموا بها نظاماً إدارياً محكماً يناسب مكانتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية أيضاً([2]).

ثالثاً نيابة حماة : والتي سيتم التعرف عليها عن كثب من خلال البحث.

رابعـــاً نـــيابة صفد : أعلنت صفد نيابة شامية عشية نجاح الظاهر بيبرس في استردادها من يد الصليبيين في ١٨ شوال ٦٦٤هـــ/١٢٦٦م ، حيث أمر بتجديد عمارتها ثم شحنها بالرجال والذخائر والأسلحة لتكون نقطة انطلاق لتعقُّب بقايا الوجود الصليبي

([1]) أكرم العلبي ، دمشق بين عصر المماليك والعثمانين، ص٣٢؛ أما عن الإمارات التركمانية، فسيتم التعرف إليها عن كثب في الفصل الثاني، المبحث الرابع.

([2]) للــتعرف علـــى نيابة حلب وجهودها العسكرية في دحر القوى المعادية،واهتمام سلاطين المماليك بها(انظر عادل عبدالحافظ، نيابة حلب،ج١، الفصل الأول والثاني؛ج٢،ص٧٧-٩٢).

فـــي ساحل بلاد الشام[١]، وقد حرص نوابها على توسيع مساحتها حتى شملت المناطق الممتدة إلى مجري نهر الزهراني ومرجعيون شمالاً ومرج ابن عامر إلى البحر الشامي جنوباً، أما من الشرق فضمت الأراضي الممتدة من مرجعيون حتى جسر الصنبرة[٢].

وقـــد تمتعت هذه النيابة بحصانة طبيعية نتيجة تنوع تضاريسها التي تتألف من سهل ساحلي ومرتفعات جبلية وسهول داخلية ، فضلاً عن وفرة مصادر المياه بها، حيث اشـــتملت على عدد من الجداول والبحيرات الصغيرة[٣]. ونتيجة للمكانة المتميزة لهذه النـــيابة، فقـــد أســـهمت بدور فاعل في حركة الجهاد الشامل التي قادها سلاطين دولة المماليك لاستئصال شأفة الوجود الصليبي من ساحل بلاد الشام، حيث أسهم أهلها بحظ وافـــر في استرداد طرابلس من يد الصليبيين سنة٦٨٩هـــ/١٢٩٠م، وكذلك في سقوط مدينة عكا آخر معقل للوجود الصليبي في ساحل بلاد الشام . كما قامت بعد ذلك بحكم موقعهـــا المتوسط في ساحل بلاد الشام بدور كبير في تعقب فلول الصليبيين في بعض جزر البحر المتوسط القريبة من ساحل بلاد الشام، كأرواد وقبرص وغيرهما، كما قامت في ذات الوقت بجهد وافر في دعم بقية نيابات الشام في صدّ غارات المغول سواء عن

---

(١) انظر طه ثلجي الطروانه، مملكة صفد ، ص٤٨-٥٣؛ **وبيبرس البندقداري الصالحي التركي:** اختلف حول تاريخ مولـــده، بيع بدمشق وهو صغير السن، فغدا من مماليك الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري، ثم انتقل إلى مِلك الملك الصـــالح نجم الدين أيوب، شهد مولد دولة المماليك بمصر، والصراعات بينها وبين بقايا أمراء الدولة الأيوبية في بلاد الشام، اعتلى عرش دولة المماليك في سنة ٦٥٨هـــ، وبدأ بعدها سلسلة من الحملات الجهادية ضد الوجود الصليبي في بلاد الشام وبعض جزر البحر المتوسط، كانت وفاته بالقصر الأبلق بدمشق في المحرم من سنة ٦٧٦هـــ(للمزيد انظر ابـــن شـــداد، تـــاريخ الملك الظاهر؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص١٥٩-١٧١؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج٣،ص٤٤٧؛محمود شلبي، حياة الظاهر بيبرس الأسد الضاري قاهر التتار ومدمر الصليبيين، بيتر توراو،الظاهر بيبرس، ص٢٧، وما بعدها).

(٢) طـــه ثلجـــي الطروانه، مملكة صفد ،ص١٠٨؛ **ونهر الزهراني:** يبعد مسافة ميلين ونصف ميل شمالي الصرفند (ساريبتا القديمة) (انظر السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي ،ص١٢)؛ **ومرج ابن عامر :** وهـــو مـــن المروج الواقعة على السهل الساحلي لجنوبي لبنان واشتهر بخصوبته (انظر عبد الرحمن حميدة، جغرافية الوطن العربي ، ص٢٩٢)؛ **ومرجعيون:** تقع على الضفة الشرقية من نهر الليطاني شرقي جبل عام، وتتبعها مجموعة مـــن القـــرى (انظـــر طه ثلجي، مملكة صفد، ص١٠٨) ؛ **وجسر الصنبرة:** لم أقف على تعريف له فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

(٣) ابـــن شداد ،الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ص١٤٦؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ،ج٣،ص ٤١٢؛ شيخ الربوة ، نخبة الدهر، ص٢٧٧-٢٨٠؛ العمري ،مسالك الأبصار ، ج٤ ، ص٢٠٥-٢٠٧.

طـريق نهـر الفـرات، أو تلك الهجمات التي قاموا بها بمهاجمة حلفائهم حكام مملكة أرمينية الصغرى عن طريق ممرات شمال الشام[1] .

خامسـاً نـيابة طرابلس : وهي نيابة ساحلية وليدة العمليات العسكرية التي قادها السـلطان المملوكـي المنصـور قلاوون ضد الوجود الصليبي في ساحل الشام، والتي تُوّجت باسـترداد طرابلس منهم في شـهر ربيع الأخر سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م[2]. وقد أصـبحت طـرابلس بعد استردادها قاعدة عسكرية متقدمة لحماية السواحل الشامية من مغبة الغارات الصليبية المتكررة عليها حيث حرص السلطان قلاوون على إعادة إعمار هـذه المدينة من جديد والتي كانت قد هدمت إبان استرداد جيوشه لها، وأصدر تعليماته لمن أشرف على بنائها بأن تكون بعيدة بعض الشيء عن شاطئ البحر لتكون في منأى عن الأساطيل الصليبية مستقبلاً[3] .

وقـد حرص السلطان المنصور قلاوون على الإفادة من موقع طرابلس الجديد، فجعلهـا مقراً لقواته المرابطة في ساحل بلاد الشام لمراقبة تحركات الأساطيل الصليبية التـي كانـت تفد على الساحل لدعم بقايا الوجود الصليبي في عكا، وما يتبعها من مدن

---

(١) للوقوف على التفصيلات السياسية لنيابة صفد مع الصليبيين والصراعات الداخلية (انظر طه ثلجي الطروانه، مملكة صفد، ص١٩٢-٢١١)؛ وأرواد: جزيرة من جزر البحر المتوسط حدد شيخ الربوة وأبو الفداء موقعها قبالة أنطرطوس قريباً من الساحل الشامي، وتبلغ مساحتها ستة أميال طولاً وعرضاً، ويوجد بها حصن فتحها معاوية بن أبي سفيان(انظر شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٩١؛أبو الفداء، المختصرفي أخبار البشر، ج٤، ص٤٧)؛ **وقبرص**:جزيرة تقع في البحر المتوسـط إزاء الساحل السوري، على بعد ٩٦ كليو متر إلى الغرب، وأقرب البلدان إليها من جهة الشمال تركيا، تبلغ مساحتها ٣٥٧٢ميلاً مربعاً،من أهم مدنها نيقوسيا، ليماسول، لارناكا، كرينيا، وفاماجوستا(انظرشيخ الربوة، نخبة الدهر، ص١٩١؛ آمنه أبو حجر، الموسوعة الجغرافية لبلدان العالم، ص٥٣؛ محمد عتريس، معجم بلدان العالم، ص٣٢٦).

(٢) بيـبرس المنصوري،زبدة الفكرة، ص٢٦٦-٢٦٩؛أبو الفداء، المختصر،ج٤،ص٢٧؛ النويري، نهاية الأرب،ج٣١، ص٢٤٣؛ ابن الجزري، حوادث الزمان وأبنائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه المعروف بتاريخ ابن الجزري، ج١، ص١١٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث سنة ٦٩١ هـ، ص١٣، المقريزي،السلوك،ج٢،ص٢٣٥؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات أو تاريخ الأمم والملوك،ج٨ ،ص١٤٤-١٤٥؛ و**المنصور قلاوون الصالحي النجمي**: تقلد السلطنة بعد خلع السلطان العادل سلامش سنة ٦٧٨هـ، اُستؤنفت في عهده العمليات الجهادية ضد الإمارات الصليبية في بلاد الشام، كما شهدت الديار المصرية إسهاماته الحضارية، توفي سنة ٦٨٩هـ(انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج٧، ص٢٩٢-٣٤٣).

(٣) المقريـزي، السـلوك ، ج١، ق٣، ص٧٤٨؛ ابـن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج٨، ص٨١؛ سعيد عبد الفتاح عاشـور، الحـركة الصليبية ، ج٢، ص١١٧٥؛ السيد عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام ، ص٢٩٠؛ تاريخ الأيوبيين والممالـيك ، ص٢٦٨-٢٧٣؛ عمـر عبد السلام تدمري ، تاريخ طرابلس السياسي و الحضاري عبر العصور عصر الصراع العربي، البيزنطي،الحروب الصليبية، ص٥٨٦-٥٨٧.

ســاحل بلاد الشام([1])، كما عمل السلطان قلاوون على توسيع نطاق هذه النيابة ، حيث شملت حيزاً كبيراً من القلاع والحصون والأعمال الساحلية منها العشرون وانطرطوس وعكــار وعــرقا وحلــبا ومرقية وجومة عكار، والحدث والأكراد والخوابي والكهف والقدمــوس والعلــيقة والمنــيقة والرصـــافة وأبو قبيس ومصياف والمرقب وصهيون وبلاطنس واللاذقية والبقيعة والناعم وجبل النصيرية وغيرها ([2]) .

وامتازت طرابلس كغيرها من النيابات الشامية بحصانتها الطبيعية حيث اشتهرت بقلاعها الشامخة المطلة على البحر لمتوسط التي لعبت دوراً بارزاً في حماية مدن الشام مــن مغبة الهجمات الصليبية المتكررة عليها([3])، وبالإضافة إلى هذا فقد أسهمت نيابة طرابلس بعد ذلك كغيرها من نيابات الشام الأخرى بدور فاعل في دعم جهود السلطان المملوكــي الأشرف خليل بن قلاوون عندما شرع في استرداد آخر معقل للصليبيين في ســاحل بلاد الشام مدينة عكا . حيث أسهم سكان الأعمال التابعة لها بجهود وافرة في

([1]) حياة الحجي ، الوضع الإداري لطرابلس في العصر المملوكي ، بحث منشور في المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع ٧٤ ، ص١١٨.

([2]) حــياة الحجي ، المرجع السابق ، ص١٢٠؛ **وأنطرسوس:** تعرف أيضاً طرطوس،و بالفرنجية Tortosa ، وهي ميــناء بحــري ذات حصن رومي البناء؛ و **عكار:** Akkar ، هي حصن منيع من بناء المسلمين يمتاز بوفرة مصادر المــياه، يــبعد عن طرابلس ٢٥ ميلاً تقريباً إلى الشمال الشرقي منها(انظر فولفغانغ مولر-فيز، القلاع، ص٦٠-٦١)؛ **وعــرقا:** بهــا حصن له تسع أعمال ومراكز، وكذلك **حلبا**، **أما مرقية** فهي مدينة ساحلية ذات عمل متسع؛ وأما **جومة عكــار والكورة والحدث**، تقع بأذيال لبنان المطلة على البحر المتوسط ؛ **وأما الخوابي:** فهي من حصون قلاع الدعوة الإســماعيلية، وكذلــك **الكهــف**، المدينة المشهورة بغارها الذي يزعم فيه الإسماعيلية بوجود أحد زعمائهم فيه، **وأما القدمــوس** إحــدى قلاع الإسماعيلية بالشام، **وأما العليقة والمينقة وأبو قبيس** فتقع على أذيال طراز من جهة الشام(انظرشــيخ الــربوة، نخــبة الدهــر، ص٢٧٥-٢٧٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، ج٤، ص١٤٧)؛ **ومصياف** بالفرنجية Mesiat: بلدة جليلة في لحف جبل اللكام شمالي بارين وغربي حماة،،تقع على تل متدرج الانحدار في الشعاب الشرقية من جبال النصيرية وهي ذات قلعة حصينة وتجري بها أنهر صغيرة وتكثر فيها البساتين(انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٢٩-٢٣٠؛فولفغانغ مولر-فيز، القلاع، ص٨٨)؛ **الرصافة:** قلعة بالقرب من مصياف تقع على أذيــال طــراز مــن جهــة الشام (انظرشيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٧٦؛ أبو الفداء، تقويم البلدان،ص٢٧٠-٢٧١؛ القلقشندي، صبح الأعشى،ج٤، ص١٤٧)؛ **والمرقب:**Marqab قلعة حصينة تقع على الساحل الشامي بالقرب من مدينة بانــياس(انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٥٤-٢٥٥؛ فولفغانغ مولر- فينز، القلاع، ص٧١)؛ **وصهيون:**Sahyun حصن منيع من أعمال الساحل، لكنه لا يشرف على البحر المتوسط، وهي جنوب شرق اللاذقية(انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٥٦-٢٥٧؛فولفغانغ مولر-فيز، القلاع، ص٣٠١)؛ **وبلاطنس:** حصن منيع لــه أحد عشر باباً(انظرشيخ الــربوة، نخبة الدهر، ص٢٧٦)؛ **واللاذقية:** ميناء ساحلي يطل على البحر المتوسط(انظر أبو الفداء، تقويم البلدان،ص ٢٥٦-٢٥٧)؛**والبقيعة والناعم وجبل النصيرية:** تقع فيما بين صهيون والانقية(انظر شيخ الربوة، نخبة الدهر،ص٢٧٧)

([3]) نعيم زكي، طريق التجارة الدولية ، ص١٥١.

استردادها سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م، فضلاً عن قيام نيابة طرابلس بدور المراقب للتحركات الصليبية اللاحقة ، التي هددت سواحل بلاد الشام عشية طردهم منها، وخاصة من استقر منهم في جزيرة أرواد، كما قامت أعمال هذه النيابة بدعم جهود سلاطين المماليك بعد ذلك خلال جهادهم الطويل ضد الصليبيين في جزر البحر المتوسط، وفي مقدمتها جزيرتا قبرص وردوس فيما عرف بالحروب الصليبية المتأخرة([1]).

سادساً نيابة الكرك : التي حرص سلاطين المماليك على إنشائها في هذا الجزء الهام الذي يربط بين الأراضي المصرية وبلاد الشام من ناحية، والحجاز واليمن وبلاد الشام من ناحية أخرى. ويبدو أن المماليك حرصوا على إقامة هذا الكيان السياسي في هذه المنطقة ، حرصاً منهم على وأد أيّ محاولة صليبية للسيطرة على حصني الكرك والشوبك ، التي طالما اكتوى المسلمون بنار الوجود الصليبي فيها إبان سيطرتهم عليها، عندما كانا يتبعان ما كان يعرف بمملكة بيت المقدس الصليبية، ولهذا أولى سلاطين المماليك هذه النيابة جُلّ اهتمامهم حيث ولوا عليها نواباً من خيرة رجالهم ودعموهم مادياً ومعنوياً ليكونوا على أهبة الاستعداد لمواجهة الأخطار التي قد تهدد كيانهم في تلك المنطقة، وإلى جانب دورها السياسي فقد لعبت دوراً آخر هام باعتبارها محطة تجارية للقوافل البرية التجارية القادمة من الحجاز ومصر والشام ([2]) والقوافل البحرية القادمة من الهند والصين، خاصة بعد أن أصيب الطريق البري القادم من المشرق بالشلل الجزئي من جراء الفوضى التي أحدثتها الاصطدامات العسكرية في المنطقة ([3]). إضافة

([1]) للوقوف على المزيد من التفصيلات عن هذا الموضوع(انظر سعيد عبد الفتاح عاشور،الحركة الصليبية،ج٢،ص ١١٧٧ وما بعدها؛ خلف الونيناني، الفتح العثماني لجزيرة رودس٩٢٩هـ/١٥٢٣م، ص٨)؛ **والأشرف خليل بن قلاوون:** ولي السلطنة بعد وفاة والده في ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ، فاستكمل بعدها حركة الجهاد ضد بقايا الوجود الصليبي في بلاد الشام، كان مقتله في سنة ٦٩٣هـ(للمزيد انظر ابن عبد الظاهر، الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الملكية الأشرفية، ج٣؛ ابن تغري بردي،الدليل،ج١،ص٢٩٢-٢٩٣)؛ **وردوس:Rhodes** جزيرة من جزر البحر المتوسط شمال غربي قبرص، غدت مقراً للأسبتارية لمدة قرنين من الزمن(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج ٣،ص٧٨؛ أبو الفداء، تقويم البلدان،ص١٩٤-١٩٥؛ فولفغانغ مولر-فيز، القلاع، ص١٢٧).

([2]) يوسف حسن غوانمة، أمارة الكرك الأيوبية، ص٥٤.

([3]) كان للاصطدامات العسكرية بين المغول والمماليك ثم الصفويين و المماليك دور كبير في تعطيل الطريق البري الواصل بين الهند والصين بالبلاد الشامية(انظر نعيم زكي فهمي،طرق التجارة الدولية،ص١٤٥، ١٦١)

إلى إشرافها على طريق الحاج وتأمين سلامة قوافل الحجيج القادمين من آسيا الصغرى والشام إلى الأراضي المقدسة بالحجاز([1]).

أمـــا عن إطارها الحدودي فقد امتدت إلى بحيرة لوط شمالاً والعقبة جنوباً وبلاد البلقاء شرقاً وصحراء سيناء غرباً ([2])، وكانت مدينة الكرك حاضرة النيابة، وتلتها في الأهمية الشوبك ، وزود المماليك هذه النيابة بجهاز إداري محكم شأنه شأن بقية النيابات ([3])، وقد بلغ من إدراك سلاطين المماليك لأهمية موقع هذه النيابة أن جعلوا مراسلاتهم تكتب إليهم باللون الأحمر([4]).

سابعاً نيابة غزة:وهي من النيابات الشامية التي تمتعت بموقع هام، إذ كانت تقوم بدور الخط الدفاعي الأخير الذي يحمي المدخل البري للأراضي المصرية، التي طالما كانت هدفاً رئيساً لمطامع الغزاة وخاصة الصليبيين والمغول. ورغم أن غزة وردت عند القلقشندي على أنها إحدى ولايات نيابة دمشق ([5])، فإنه يبدو أن هذا مدخل إلى ما أُشير

([1]) العمري، مسالك الأبصار ، ج٤، ص٢١٣.

([2]) أكرم العلبي، دمشق بين المماليك والعثمانين، ص٣٥-٥٥؛ **بحيرة لوط:**لم أقف على تعريفها؛ **والعقبه:** منفذ بحري في طريق مكة المكرمة بين واقصة والقاع، يقع على طرف اللسان الشرقي للبحر الأحمر ، وقد نال لموقعه ذلك أهمية اسـتراتجية حيث غدا بندر الأردن ودهليز الشام إلى سواحل أفريقيا الشرقية والهند والصين، بها أبار بعيدة جداً (انظر المقدســي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص٢٠٧؛ ياقوت الحموي، المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، ص٣٦١؛ يوسف درويش غوانمة، شرقي الأردن في عصر دولة المماليك ، القسم الحضاري، ص٢٤-٢٥)؛ **وبلاد البلقاء:** وهو الحد الفاصل بين جزيرة العرب وإقليم بلاد الشام، وقد شكلت في عهد دولة المماليك ولاية تابعة لنيابة دمشق، وهي تمتد مـن نهـر الموجـب جنوباً إلى وادي الزرقاء شمالاً ومن الأغوار غرباً إلى الأزرق والبادية شرقاً ومن مدنها عمان وكحسبان(انظرابن شداد، الأعلاق الخطيرة ، ص٨٣؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٧٨ ،٢٢٥؛ أحمد الجوارنة، تاريخ الأردن فـي العصـر المملوكـي، ص٣٦؛ يوسـف درويش غوانمة، شرقي الأردن في عصر دولة المماليك، القسم الحضـاري، ص٢٤-٢٥)؛ **وصحراء سيناء:** القسم الشمالي من شبه جزيرة سيناء، وهي منطقة سهلية محصورة بين الـبحر المتوسـط شمالاً وهضبة التية جنوباً، تغطيها الكثبان الرملية من أهم مدنها العريش وتبلغ إجمالي مساحة شبه جزيـرة سـيناء حوالى ٦١ ألف كم مربع، مقسومة إلى ثلاثة أقسام جنوبي وأوسط وشمالي(انظر أحمد رمضان،شبه جزيـرة سـيناء في العصور الوسطى، ص٥-١٠؛ محمد صبري محسوب، العالم العربي دراسة جغرافية، ص٢١٤؛ يسري عبد الرزاق الجوهري، شمال أفريقية، ج٢، ص٤٠٥-٤٠٩).

([3]) العمري، مسالك الأبصار،ج٤، ص٢١٢؛ ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، ص١٩٥، ٢٠٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى،ج٤، ص٢٤١؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ص١٣١-١٣٢؛ ابن كنان،المواكب الإسلامية في الممالك الشامية، ق٢، ص١٣٩.

([4]) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٣٢.

([5]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٨.

إليه سابقاً من أن نيابة دمشق كانت لها الهيمنة الكاملة على بقية نيابات الشام، وإلا فإن الصحيح هو ما أشار إليه كُلٌّ من شيخ الربوة والعمري وابن ناظر الجيش وغيرهم الذين عدوا غزة نيابة مستقلة تمتعت بكل المميزات التي حظيت بها بقية النيابات سواء على المستوى الإداري أو العسكري. وقد أشارت هذه المصادر إلى الأعمال التابعة لهذه النيابة سواء الساحلية والتي شملت المدن الممتدة من عسقلان حتى العريش، أو الداخلية وقد شملت المدن الواقعة بين تيه بني إسرائيل وبيت المقدس([1])، كما يثبت أهمية هذه النيابة سيطرتها على مدن الساحل الفلسطيني الجنوبي، الذي أعطاها أهمية كبرى بحكم اشرافها على الطريق البري و البحري الذي كان يربط الساحل الفلسطيني بالأراضي المصرية،هذا بالإضافة إلى اتصالها بحدود نيابة الكرك التي كانت تتحكم في مداخل البحر الأحمر الشمالية، مما حذا بها للعب دورٍ اقتصاديٍ كبير جعلها تتحكم في تجارة الشرق القادمه عن طريق هذا الممر المائي إلى بلاد الشام ومصر، فضلاً عن العابر منها إلى الغرب الأوربي عن طريق موانئ الساحل الشامي.

والذي يجدر ذكره، أن البعض يرى أن **بيت المقدس** تحول إلى نيابة شامية مستقلة منذ سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م، يتربع على هرمها نائب كبير يتم تعينه بمرسوم سلطاني يصل من القاهرة، وكانت إقامته في دار النيابة التي اختير لها مكان مرموق بجانب الرواق العلوي للمسجد الأقصى المجاور لمنارة الغوانمة، ونظراً لأهمية هذه النيابة المستحدثة فقد خصص سلاطين المماليك لنائب بيت المقدس إقطاعاً خاصاً ضم عدداً من القرى والأعمال التابعة لهذه النيابة، ونظراً لكون هذه النيابة تضم بين جنباتِها مدناً تحوي أماكن مقدسة لدى المسلمين فقد أُطلق على هذا النائب ناظر الحرمين ونائب

([1]) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٨١؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص٢١٦؛ ابن ناظر الجيش، تثقيف بالتعريف، ص٩٥؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك ، ص١٣٤؛ و**عسقلان** : تقع بين غزة وبيت جبريل على الشريط الساحلي وهي من أعمال فلسطين تشتهر بخصوبة أراضيها و كثرة بساتينها(انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان،مج٤، ص١٢٢؛ ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٣٩؛ عادل محمد عبد الهادي، عسقلان منذ منتصف القرن الرابع الهجري حتى النصف الثاني من القرن السابع الهجري دراسة تاريخية وحضارية، رسالة لنيل درجة الدكتوراة من جامعة أم القرى غير مطبوعة، ص٣٠-٣٢) ؛و **العريش**: كانت من أول أعمال مصر من ناحية بلاد الشام، ثم أصبحت من أعمال بلاد الشام(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ،مج٤، ص١١٣-١١٤)؛ **وتيه بني إسرائيل**:أرض صحراوية تقع بين مصر وأيلة وجبال السراة من بلاد الشام وبحر القلزم،وهي بمثابة الحد الفاصل بين إقليمي مصر والشام (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٦٩؛ ابن الوردي، خريدة العجائب، ص٣٧؛ أبو الفداء تقويم البلدان، ص١٠٩).

السلطنة بالقدس وبلد سيدنا الخليل([1])، وهذا يدل على أن استحداث سلاطين المماليك لهذه النيابة وفصلها عن نيابة دمشق يعود إلى حرصهم على إفراد نيابة تكون مهمتها خدمة الأماكن المقدسة في هذه المنطقة، وكذلك حمايتها من أيّة أخطار خارجية . ولعلّ هذا الأمر هو الذي جعل هذه المنطقة تحوي ثلاث ولايات هامة تحيط ببيت المقدس من كل الجهات وهي ولايات الخليل ونابلس والرملة ([2]).

وختاماً نلحظ من هذه التقسيمات أن سلاطين دولة المماليك حرصوا على تحويل بلاد الشام إلى عدد من النيابات التي تمتع نوابها بحكم ذاتي إلى حد كبير ، الأمر الذي جعل هؤلاء النواب يتنافسون في تطوير مؤسساتهم العسكرية والإدارية،حتى غدت هذه النيابات أشبه بصخور صماء متناثرة في بلاد الشام تحطمت عليها هجمات الأعداء على مدى قرنين ونيف من الزمان تقريباً ، وأن اضمحلال النفوذ المملوكي في بلاد الشام لم يظهر على السطح إلا بعد أن دب الضعف إلى جسم هذه النيابات.

([1]) والمقصود بالحرمين هنا المسجد الأقصى ومسجد الخليل؛و**الأقطاع:** في اللغة، المنح والأباحة ، وفي الاصطلاح، هو أقطاع السلطان رجلاً أرضاً فتصير له رقبتها بحكم الاقطاع، وأغلب الظن بأن نظام الأقطاع عرف في العالم الإسلامي في عهد دولة السلاجقة وبالتحديد زمن السلطان ملك شاه ووزيره نظام الملك، حيث كان يقطع السلطان كل أمير وقائد جند في جيشه إقطاعاً بحيث يتكفل الأمير بإدارة هذا الأقطاع والإشراف عليه مالياً وإدارياً وعسكرياً، ويؤدي من دخل هذا الأقطاع ماعليه من مال السلطان(للمزيد انظرعلى عبد الحليم محمود،الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ص٢٥٢-٢٥٤؛عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر،ج١،ص١٣٩-١٤٣؛ضيف الله يحى الزهراني،النفقات وإدارتها في الدولة العباسية،ص٤٦٠؛ أحمد عبدالله خياط،الأقطاع في الدولة الإسلامية حتى نهاية العصر العباسي الأول،رسالة لنيل درجة الماجستير من جامعة الملك عبد العزيز، غير مطبوعة،ص٥١-وما بعدها).

([2]) انظر الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ الخليل، ج٢، ص٢٧٤-٢٧٥؛ يوسف حسن غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، ص١٩-٢٢؛ **والخليل:** مدينة تقع إلى الجنوب من بيت المقدس في وادي بين جبال ، وسميت بذلك نسبة إلى إبراهيم عليه السلام الذي دفن فيها(أنظر العمري، مسالك الممالك، ج٤، ص٢١١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٠٢؛ يوسف غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، ص٦٣) ؛ **ونابلس:** من مدن فلسطين وتقع بين جبلين ، وهي مستطيلة الشكل وعرفت بمدينة السامرة (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص ٢٤٨؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة ، ص٢٤٣)؛ **والرملة** :بلدة في فلسطين اختطها سليمان بن عبد الملك الأموي على سهلٍ وبمحاذات الجبل والبحر فنوع ذلك من محاصيلها، (انظر المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص١٤٢-١٤٣؛ العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص٢٢١؛أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٣٤٠-٣٤١)

مملكة حماة الأيوبية قبيل خضوعها لسلطنة المماليك:

أحــدث مقــتل تورانشـــاه الأيوبي في عام ٦٤٨هـ/١٢٤٩م، هزة سياسية عنيفة في الدولة الأيوبية بسبب انسلاخ الديار المصرية عن الحكم الأيوبي على يد القــوة العســكرية المســماة بالمماليك ، ورغم أن الممالك الشامية حاولت توحيد جهودهــا السياســية والعســكرية لوأد دولة المماليك الوليدة بمصر في مهدها([1])، بمـــأزت مملكة حماة التي بارك ملكها المنصور الثاني الحملة العسكرية المتوجهة نحــو مصر لضمها إلى أملاك الناصر يوسف صاحب حلب في ربيع الآخر سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠، والتي أخرجت في نهاية العام فرقة من جيش حماة بقيادة شرف الديــن الأنصــاري للمشاركة في الحملة العسكرية الثانية لمهاجمة مصر في سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م، إلا أن جهودهم مُنيت بالفشل الذريع([2]).

([1]) سـبط ابــن الجوزي،مــرآة الــزمان، ج٨،ق٢، ص٧٧٩-٧٨٠؛ أبو شامة،تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعــروف ذيل الروضتين ،ص١٨٦؛ ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص٣٩-٤٠؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والممالــيك، ص٢٠٩؛ **وتورانشــاه** ابن السلطان الصالح نجم الدين الأيوبي كان حاكماً لحصن كيفا عندما توفي والده فأحضره مماليك أبيه من كيفا وأجلسوه على كرسي الدولة الأيوبية، في انتظار رد الجميل، ولكنه كان شديد البأس مع المماليك ممــا دفعهم لقتله في سنة ٦٤٨هـ، وبموته انتهت دولة بني أيوب في مصر(انظر سبط ابن الجوزي، مرآة الــزمان، ج٨، ق٢، ص٧٨١-٧٨٣؛ أبــو شــامة، ذيل الروضتين، ص١٨٥؛ مذكرات جوانفيل،القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ص ١٣٩-١٤٠، ١٦٣-١٦٥؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٢٩٤).

([2]) متعب القثامي ، مملكة حماة في العصر الأيوبي، رسالة لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى غير مطبوعه،ص ٢٣٥-٢٣٦؛ **والناصر يوسف:** هو ابن السلطان العزيز محمد بن محمد الظاهر غازي بن السلطان الناصر يوسف بن نجــم الديــن أيوب، صاحب حلب ثم دمشق ولد بحلب سنة ٦٢٨هـ، وكانت وفاته على يد المغول في سنة ٦٤٩هـ (الذهبــي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٤٨هـ، ص٤٠٠؛ أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢١١-٢١٢؛ اليافعي،مرآة الجنان وعبر اليقظان، ج٤، ص١٥١-١٥٢)؛ **المنصــور الثاني محمد** بن المظفر الثاني محمود بن المنصور محمد بن المظفــر تقــي الدين عمر بن نور الدين شاهنشاه الأيوبي، ولد بحماة سنة ٦٣٢هـ، تقلد الحكم بعد وفاة والده في سنة ٦٤٢هـ، وهو لم يتجاوز العاشرة من العمر، فأدارت أمه وكبار أمراء مماليك أبيه حكم حماة، شهد مولد دولة المماليك فــي مصر وصراعها مع أبناء عمومته في بلاد الشام، إلى أن دخل في حماية السلطنة المملوكية عشية دخول المغول بلاد الشام سنة ٦٥٨هـ، وظل على ذلك إلى أن توفي بحماة سنة ٦٨٣هـ(انظر الذهبي،سير أعلام النبلاء،ج٢٣، ص ٢١٠؛ أبو الفداء،المختصر،ج٤، ص١٨-١٩؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه،ج١، ص٨٨؛ القلقشندي، صــبح الأعشى، ج٤، ص١٧٣)؛ **شرف الدين عبد العزيز الأنصاري:** ولد بحماة سنة ٥٨٦هـ، ثم سافر مع والده إلى بغــداد فتفقه وبرع في العلم والأدب والشعر، ثم عاد إلى حماة، فغدا شيخ الشيوخ بها، تولى وزارة الملك المظفر حتى توفي الملك التقوي، وكانت وفاة شرف الدين في سنة ٦٦٢هـ(انظر ابن تغري بردي، المنهل ،ج٧، ص٢٩٣).

مما حذا بالمملكة التقوية لانتهاج سياسية التفرقة لشق وحدة صف المماليك ، وذلك بقبولها طلب الأمير المملوكي أقطاى لخطبة إحدى بنات المظفر الثاني في سـنة ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م، فأثار ذلك شكوك السلطنة حول ولاء الأمير المملوكي نحوهـا، فعاجلت بتصفيته ومماليكه الذين أثروا اللجوء لأمراء البيت الأيوبي في الشـام(١)، وبذلك حققت المملكة التقوية انتصاراً على السلطنة المملوكية عجزت عن تحقيقه الحملات العسكرية.

وفـي خضم انشغال الملك المنصور بمساندت أبناء عمومته في المطالبة بحقهـم في الأراضي المصرية(٢)،فوجئ الأيوبيون بخطر زحف القوات المغولية علـى بلاد الشام، ووقع أهل حماة فريسة الفزع والخوف بعد أن شاع خبر سقوط حلـب بـيد المغـول سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م. وما ارتكبوه داخلها من قتل ونهب وسـلب، حيـث اضـطر أهل حماة إلى إخلاء المدينة ، في حين سارع من تبقى بداخلهـا إلـى إرسال مفاتيح المدينة إلى قادة القوات المغولية طالبين منهم الأمان علـى أنفسهم ، إلا أن هذا الإجراء لم يثن قادة المغول عن إرسال ثلة من جيشهم لتسليم مفاتيح المدينة واقتحام قلعتها(٣).

---

(١) سـكت أبـو الفداء عن ذكر تفاصيل هذة الخطبة في كتابه المختصر في أخبار البشر رغم كون الحادثة وقعت في البيـت الـتقوي المنتسب إليه (انظر سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان،ج٨،ق٢، ص٧٩٢؛ بيبرس المنصوري، التحفة المملوكـية في الدولة التركية تاريخ دولة المماليك البحريةفي فترة من ٦٤٨-٧١١هـ، ص٣٤)؛ **والأمير أقطاي**: من كبار مماليك الملك الصالح ، قتل على يد مماليك السلطان المعز عز الدين ايبك في شعبان سنة ٦٥٢هـ (انظر الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٥٢هـ، ص١١٨؛ ابن العميد ، أخبار الأيوبيين، ص١٦٤؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٢، ص٥٠٢؛ ابـن الفوطـي، الحوادث الجامعه ، ص٢٣٦)؛ **المملكة التقوية**: نسبة إلى الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ابن أخ صلاح الدين الأيوبي، الذي قُلد حماة في سنة ٥٧٤هـ، وتوفي في سنة ٥٨٧هـ، بعد أن حقق سلسلة من الانتصارات العسكرية في الميادين الجهادية التي خاضها مع عمه صلاح الدين لطرد الصليبيين الغاصبين من الأراضي الشامية، كما تمكن من زيادة حجم مملكته لتضم بالإضافة لحماة كلاً من سلمية وكفر طاب وميافارقين وحران والرها(للمزيد انظر الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٢٠٢-٢٠٣؛ أبو الفداء ، المختصر،ج٣، ص٦١).

(٢) ابن شداد ، الروض الزاهر، ص٦٠؛ ابن العميد ، أخبار الأيوبيين، ص٤٦-٤٧؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٣٤٢؛ أبـو الفداء، المختصر ، ج٣، ص١٩٨؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢،ص١٩٦؛ السيد عبد العزيز سالم ، دراسة في تاريخ الأيوبيين، ص٢٢٠-٢٢١.

(٣) ابـن العبري، تاريخ الزمان، ص٣١٥؛ أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢٠١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٧، ص ٣٨٨-٣٨٩؛ السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٨،ص٢٧٥.

أمّــا الملك المنصور الذي كان قد خرج إلى حلب لمواجهة الهجوم المغولي علــيها فقد توجه بعد سقوط حلب إلى مدينة دمشق، حيث شارك في الاجتماعات التــي عقدت بين أبناء البيت الأيوبي لبحث طلب المساعدة من سلطنة المماليك في مصــر لدفــع خطــر المغول، الذي بدأ بتسارع خطاه نحو دمشق، فخرج عندها الناصر صاحب حماة نحو الحدود الشامية المصرية طالباً النجدة ، وبوصوله قطيا بــدأ الخلاف يدبّ بين الأمراء حول دخول مصر أو انتظار النجدة المملوكية على الحدود، وفي خضم ذلك الاختلاف حسم الملك المنصور رأيه فحمل أهله وأمراءه ودخل مصر ليفاجأ بحفاوة الاستقبال وكرم السلطان المملوكي المظفر قطز، الذي بــادر بقطع وعد لصاحب حماة بإعادته ملكاً على المملكة التقوية إن منَّ الله عليه بالنصر على التتار(١).

---

(١) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٤٩؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٣٥٠؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٢٠٢؛ الــنويري، نهايــة الأرب، ج٢٩، ص٤٧١؛ السيد عبد العزيز سالم، دراسة في تاريخ الأيوبيين، ص٢٢٢؛ **وقطيا:** قرية قرب الفرما على طريق مصر(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان،مج٤، ص٣٧٨)؛ **الملك المظفر قطز:** تسلطن بعد خلع ابن استاذه السلطان المنصور علي، في ذي القعدة سنة ٦٥٧هــ، ولم يزد حكمه على السنة حيث قتل علــى يــد الأمــير بيــبرس البــندقداري في العام التالي، من أهم انجازاته العسكرية انتصاره في عين جالوت على المغول(انظر ، ابن تغري بردي، مواد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، ج٢، ص٣٠-٣٢).

الفصل الأول

قيام نيابة حماة المملوكية

- خضوع مملكة حماة الأيوبية لنفوذ المماليك.
- حكم المماليك المباشر لنيابة حماة سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م.
- حدود نيابة حماة وطبيعتها الجغرافية.
- أعمال نيابة حماة.
- الجهاز الإداري والعسكري في النيابة.

خضوع مملكة حماة الأيوبية لنفوذ المماليك:

كـــان من الطبيعي بعد سقوط الممالك الأيوبية ومنها حماة في يد المغول أن يلجأ ملك حماة المنصور محمد إلى السلطنة المملوكية في مصر بُغية إعادة عرش مملكـــته المســـلوب، وقد لقي ذلك قبولاً من قبل السلطنة المملوكية التي سبق وأن أعطـــت عهداً لـــه بأن تبقيه على عرش حماة، حيث أعاده السلطان المملوكي بعد انتصـــاره علـــى المغول في عين جالوت(رمضان سنة ٦٥٨هـــ/١٢٦٠م) حاكماً علـــى حماة على ما كان عليه الحال قبل الهجوم المغولي على بلاد الشام ، حيث خوّله مهامَّ اعتقال أذناب المغول وأشياعهم من الحمويين الذين لا يؤمن جانبهم إذا ما دارت دوائر الحرب مرة أخرى بين المماليك والمغول(١).

وعلى الرغم مما أصاب السلطنة من توالي حركات العصيان عقب مقتل السلطان قطز وتولي الأمير بيبرس البندقداري لمقاليد الحكم في نهاية العام، حيث حمل لقب السلطان الظاهر وذلك في ٦٥٨هـــ/١٢٦٠م(٢). فقد سعت مملكة حماة الأيوبية لإثبات ولاءها المطلق لسلطنة المماليك في القاهرة، وذلك بصدها للعدوان

---

(١)اليونينـــي، ذيـــل مـــرآة الزمان، ج١، ص٤٤٠؛ ورغم عدم مساس المظفر قطز لصلاحيات الملك التقوي السياسية والإدارية، إلا أن هذه الفسحة السياسية ألجمت بلجام أحقية السلطنة المملوكية لانتزاع الأعمال من يد الملك التقوي، وهذا يظهـــر من أخذ المظفر لـــ(سلمية) من المنصور محمد عشية إعادته لسدة الحكم(انظر أبو الفداء، المختصر،ج٣، ص ٢٠٥؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٠١؛ العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج١، ص٢٤٥).

(٢) كانت أولى الرسائل التي صدرت من ديوان الإنشاء المملوكي في مصر بعد تقلد بيبرس السلطنة و موجهة للنواب المماليـــك والملـــوك مـــن بني أيوب، لم تتطرق للحديث عن عمليات العزل ، وهذا يعني إقراراً للوضع العام في بلاد الشـــام(انظر اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٣٧٣؛ النويري، نهاية الأرب ، ج٣٠، ص١٦؛ ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر ،مج٨، ص٦٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٧،ص١٠٢-١٠٣) .

الذي شنته القوات المغولية على بلاد الشام في سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٠م([1])، وأعقبها فــي العام التالي رفض الملك المنصور محمد الانخراط في حركة عصيان البرلي رغم عرض الأمير العاصي له بتنصيبه ملكاً على دولة بني أيوب([2]).

كمـا برهـن الملـك المنصور صاحب حماة على صدق ولائه لبيبرس بمسـارعته بتنفـيذ أوامر بيبرس لـه بخروج قوات حماة وحمص للإغارة على أنطاكـية، حيث خرج المنصور على رأس قواته وهاجم الصليبيين داخل أنطاكية وألحق بهم خسائر فادحة في العتاد والأروح([3]).

وعـندما نمـا إلى مسامع الملك المنصور محمد خبر استياء بيبرس من بعض تصرفاته داخل حماة، بادر بإرسال سفارة من قبله إلى القاهرة برئاسة الشيخ شـرف الدين عبد العزيز الأنصاري، وعندما استقبل بيبرس هذه السفارة شرح له رئيسها عن استيائه من سوء سيرة الملك المنصور محمد في الحكم ، إلا أن حنكة شرف الدين الأنصاري نجحت في إقناع بيبرس بصدق ولاء المنصور لـه ، وأن ما سمعه بيبرس عن سوء إدارة المنصور لحماة لا يعدو كونه مجرد إشاعة([4]).

([1]) تمكنـت مملكـة حماة من دفع المغول في معركة حمص الأولى ، والتي نشبت على الرستن(انظر أبو شامة، ذيل الروضتين، ص٢١١؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٤٣٥؛ ابن الجزري، المختار من تاريخ ابن الجزري، ص ٢٥٩-٢٦٠؛ ابن ايبك الدوداري، كنز الدرر، مج ٨، ص٦٨؛ الذهبي، دول الإسلام، ج٢،ص١٥٢).

([2]) اليونيـي، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص١٢٠-١٢١؛أبو الفداء، المختصر، ج٣،ص ٢١١؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٠؛ العيني، عقد الجمان، ج١، ص٢٩٢)؛ **والبرلي:** هو أقوش البرلي العزيزي، أحد مماليك الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي الأيوبي، دخل الديار المصرية تحت خدمة المظفر قطز إبان الغزو المغولي على بلاد الشـام، فأكـرمه المظفر ، ولما تملك الظاهر بيبرس البندقداري خرج عن طاعته إلى سنة ٦٦٠هـ، حيث استدرجه بيبرس إلى القاهرة ومنَّ عليه بنيابة البيره للإيقاع به وهذا ماكان حيث قبض عليه في العام التالي(وكان أخر العهد به) سنة ٦٦١هـ(انظر المقريزي، المقفى الكبير، ج٢، ص٢٣٢-٢٣٤).

([3]) ابن عبد الظاهر،الروض الزاهر، ص١٣٢؛ بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٧٦؛ أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢١٤؛المقريزي، السلوك، ج١، ص٥٤٣؛ **وأنطاكية:** مدينة حصينة تُعد قصبة العواصم من الثغور الشامية بينها وبين حلب يوم وليلة(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان،مج١،ص٢٦٦- ٢٦٧؛ شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٧٣).

([4]) ابـن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص١٨٤؛ ابو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢١٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣، ص٩٣-٩٤؛ العيني، عقد الجمان، ج١، ص٣٣٣-٣٣٤؛ الحنبلي، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، ص٤٤٢.

وعـــندما نجحت قوات بيبرس في الإطاحة بحكم الملك المغيث في الكرك ســـنة ٦٦١هـــــ/١٢٦٢م، والـــذي أعقبه وفاة الملك الأشرف صاحب حمص([١]). اســـتغل الســـلطان الظاهر بيبرس هاتين الحادثتين،وبدأ مرحلة التدخل المباشر في الشـــؤون الداخلـــية لمملكـــة حماة، إذ لم يكد يمضي عام واحد على نهاية مملكتي الكـــرك وحمص، حتى استدعي بيبرس الطواشي شجاع الدين مرشد إلى القاهرة للتباحـــث معـــه حـــول ما أُثير من سوء سيرة الملك المنصور محمد، وانتهى هذا الاجـــتماع بتعيين الطواشي مرشد قائداً لعسكر حماة، وبهذا الإجراء ضمن بيبرس خضـــوع الجـــيش الحمـــوي للإشـــراف المباشر من قبل السلطنة المملوكية في القاهرة([٢]).

ولعل إقدام الظاهر بيبرس على التدخل في تقليد المناصب العسكرية داخل المملكـــة الـــتقوية دون المساس بالنظام الملكي داخل حماة، يعود إلى ما حظي به حكام حماة من البيت التقوي على خلاف بقية البيوتات الأخرى بمنزلة خاصة لدى الســـلطان بيبرس الذي أولى الزعامة التقوية عناية خاصة بعد أن أدرك أن بقاءها فـــي سدة الحكم يحقق مصالح هامة تخدم حكم المماليك في بلاد لشام، بشكل يفوق

([١]) بيتر توراو، الظاهر بيبرس، ص١٣١-١٣٦؛ وللتعرف عن كثب الأسباب الحقيقية للقضاء على إمارة الكرك ونهاية الملك المغيث(انظر يوسف حسن غوانمة، إمارة الكرك، ص٣١٧-٣٣٢)؛و **الملك المغيث:** هو عمر بن العادل الثاني بن الكامل، استولى على الكرك بعد مقتل تورانشاه سنة ٦٤٨هـــ، دخل تحت حكم السلطنة المملوكية سنة ٦٥٨هـــ، قبض عليه المغيث الظاهر بيبرس بتهمة الخيانة العظمى لمكاتبته ملوك المغول وتحريضهم على غزو بلاد الشام، ويبدوا أنّ هذا الاتهام من تدبير الظاهر للإطاحة بحكم المغيث ، ولذلك أبدى أمراء المماليك اعتراضهم على قتل المغيث وكان ذلك اخر العهد به(انظر اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص٥٣٢-٥٣٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣٠،ص٨٠-٨١؛ ابن أيـــبك الدواداري، كنز الدرر، مج ٨، ص٩٦؛ اليافعي ، مرآة الجنان، ج٤، ص١٥٩؛ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢٧٨؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٥،ص٣٧٦)؛ **الملك الأشرف:** هو موسى بن الملك المنصور أبو إبراهيم بن الملـــك المجاهد شيركوه بن الأمير ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي بن مروان، توفي سنة ٦٦٢هـــ، ولـــم يخلـــف عقبه وريثاً للعرش، فحول الظاهر بيبرس النظام الملكي في حمص إلى إدارة نيابية تخضع بشكل مباشر لسلطة الأبواب السلطانية بالقاهرة(انظر المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤؛ بيتر توراو، الظاهر بيبرس، ص١٣٦).

([٢]) متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص٢٥٧؛ **والطواشي شجاع الدين مرشد المظفري الحموي:** من الفرســـان الذين عرف عنهم الشجاعة والرأي السديد، كانت له مدرسة في حماة بالقرب منها تربة خاصة به، دفن فيها ســـنة ٦٦٩هـــ(انظر النويري، نهاية الأرب، ج٣٠، ص١٨٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٦٩هـــ، ص٢٩٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٣٠).

مثـيلاتها فيما لو حولت كأخواتها إلى نيابة مملوكية تخضع مباشرة لنائب مملوكي يعين من قبل السلطان في القاهرة، فقيام البيت التقوي باعتباره نظاماً ملكياً منفرداً علـى موقع يمتاز بأهمية خاصة كونه نقطة وصل بين نيابتي دمشق وحلب، يعول علـيه كثـيراً في مواجهة أية حركة عصيان جديدة ،قد تظهر ضد بيبرس في أي نيابة من نيابات الشام.

إلـى جانب رغبة الظاهر بيبرس في تجنيد موقع المملكة التقوية المتاخم للمعـاقل الصـليبية من حصن الأكراد، وإمارة أنطاكية، وإمارة طرابلس، لخدمة حـركة الجهـاد ضـد الصليبيين، والاستفادة من المعلومات العسكرية لدى الملك الـتقوي، والتـي هي عبارة عن مخزون ضخم للمنجزات العسكرية لملوك البيت التقوي في دفع الصليبيين عن أرضهم، واستغلال علاقة الملك المنصور محمد مع زعماء الإسماعيلية للقضاء على الوجود السياسي لهذه الطائفة(١).

---

(١) متعـب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي ، ص٢٥٨؛ **وحصن الأكراد:** قلعة حصينة مقابل حمص تقع في شعاب جبال النصيرية(أنظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٥٨-٢٥٩؛ القلقشندي،صبح الأعشى، ج٤،ص١٤٤؛ فولفغانغ مولر-فنيز، القلاع، ص٧٦)؛ أما **الإسـماعيلية:** فهي فرقة تنتسب إلى مؤسسها إسماعيل بن جعفر الصادق، ولها عدة ألقـاب مـنها الباطنـية لقولهم: (أن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً)، ومن فرقها الحشيشية والفدائية وذلك نسبة لتعاطيهم الحشيش عند تنفيذهم للعمليات الفدائية، وقد أسس قواعد هذه الفرقة الحسن بن محمد الصباح عقب تلقيه أصول الدعوة من الخليفة الفاطمي المستنصر واستيلائه على قلعة الموت سنة ٤٧٣هـ، وتكوينه لخليته الأولى فيها، ووضعه كـتابه المؤلـف من أربعة فصول والمتضمن على أهم مبادئ دعوته، ومن أهم مميزاتها القوة البدنية والطاعة العمياء لـزعماء الفـرقة ،وقد استطاعت خلال النصف الأول من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي السيطرة على العديـد مـن القـلاع الحصـينة في بلاد الشام، وإرهاب حكام المسلمين والصليبيين على حد سواء، واستمر نشاط اغتـيالاتهم ردحاً من الزمن حتى بعد سقوط قلاعهم في يد المماليك ، حيث استعان بهم بعض أمراء المماليك للتخلص مـن سلاطينهم كما حدث للسلطان فرج بن برقوق سنة ٨١٥هـ(انظر الشهرستاني، الملل والنحل، ص١٩٨-٢٠٧؛ القلقشندي،صـبح الأعشى،ج٤، ص١٤٦-١٤٧؛ القرماني،أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ج٢، ص٣٠٤؛ سعيد عـبد الفتاح عاشور، تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، ص٣٤٠-٣٥٠؛على محمد الغامدي، بـلاد الشـام قبيل الغزو المغولي،ص٢٢٧-٢٢٨؛ متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص٨-٩)؛ **وإمارة أنطاكية:** أنشأت في سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م، على يد الأمير بوهمند النورماني، للمزيد حول تاريخ هذه الأمارة (انظر ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٨٥-١٨٨؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج١؛ ص٣٠٦-٣٠٩؛ ؛ ستيفن رنسيمان، تاريخ الحـروب الصليبية، ج٢، ص٢٣-٢٤؛ سيد أحمد برجاوي،الحروب الصليبية في المشرق، ص ١٢٧-١٣٢)؛ **وإمارة طرابلس:** أنشئت سنة ٥٠٩هـ/١١٠٩م، امتدت حتى حصن المرقب شمالاً ونهر الكلب جنوباً، للمزيد من التفصيل عن تـاريخ هذه الإمارة (انظرابن الأثير، الكامل، مج٨، ص٢٥٨-٢٥٩؛ ارنست باركر، الحروب الصليبية، ص٣٥-٣٦؛ على عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ص١٣٣-١٣٥).

وعلى أي حال فقد آتت هذه السياسية التي اتخذها بيبرس تجاه حماة أكلها يانعة، حيث خرج الملك المنصور محمد على رأس قواته سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٤م، لمشـــاركة قوى دولة المماليك لمواجهة خطر التحالف العسكري فيما بين الأرمن والمغــول، الــذي هــدد عينتاب ، حيث أبلى الجيش الحموي بلاء حسناً في تلك المعركة التي دارت بين الطرفين أمام قلعة سرفندكار. كما تمكنت القوات الحموية مــن إفشال حملة ثانية شنها الجيش الأرمني بمفرده على المنطقة ذاتها ، وذلك في العام ذاته(١).

وبعد أن نجح الظاهر بيبرس في صدّ محاولات المغول وحلفائهم عن بلاد الشام، شرع في تصفية بقايا الوجود الصليبي على ساحل بلاد الشام، حيث أصدر أوامــره إلــى القــوات المصرية والشامية بما فيها قوات المملكة التقوية في حماة لمهاجمــة المعــاقل الصليبية في مدينة صفد سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٥م، أبلت القوات الحمويــة بــلاءً حســناً إلى جانب القوات المملوكية التي حاصرت المدينة قرابة شــهرين، وأخــيراً طلب الصليبيون الأمان مقابل تسليم المدينة للظاهر بيبرس في شوال من ذات العام(٢).

---

(١)ابن عبد الظاهر،الروض الزاهر، ص١٩٢، ١٩٦ ؛ بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة،ص٨٨؛ المقريزي،السلوك، ج٢ ، ص٨؛ العيني، عقد الجمان،ج١، ص٣٨٤؛ محمد جمال الدين سرور،دولة الظاهر بيبرس، ص١٠٧؛ أحمد عبد الكريم سليمان،المغول والمماليك، ص٨٧؛ **وعينتاب:** قلعة تقع بين حلب وأنطاكية(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص١٧٦)؛**وسرفندكار:**قلعة حصينة تقع على وادي في شرقي تل حمدون(انظر أبو الفداء، تقويم البلدان،ص٢٥٧)

(٢) ابــن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٢٥٨؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٣؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج٧، ص١٣٨-١٣٩؛ ســعيد بــرجاوي، الحــروب الصليبية في المشرق، ص٦١١؛ عزمي عبد أبو عليان، مسيرة الجهاد الإسلامي، ص٤١.

وبعـــد أن فرغ الظاهر من أمر صفد وجّه طاقاته العسكرية لتأديب مملكة أرمينية الصغرى بسبب تحالفها مع المغول ومشاركتهم في القتال في معركة عين جـــالوت، حيث طلب من الملك المنصور محمد صاحب حماة الخروج على رأس حملة عسكرية لضرب أرمينية في الخامس من ذي القعدة سنة ٦٦٤هـــ/١٢٦٦م، وعلـــى الـــرغم مـــن تشديد الملك الأرمني هيثوم لتحصينات الدروب المؤدية إلى مملكته بحشد قواته في تلك المسالك، إلا أن المنصور تمكّن من النفاذ إلى أراضي قليقـــية، واشتبك مع الأرمن ، حيث دارت بين الطرفين معركة ضروس هُزِمَ فيها الأرمـــن ، وقتل وأسر خلالها عدد كبير من عساكرهم كان من ضمنهم ابن هيثوم نفسه ، وزاد المنصور على ذلك بأن أوكل إلى عدد من السرايا الإغارة على عدد مـــن المدن والقلاع أثناء تراجع الجيش الأرمني نحو عاصمته سيس([1])، ومن بين القلاع التي سيطر عليها المماليك قلعة العمودين التابعة للداوية، كما وزع المنصور قواتـــه علـــى أطـــراف مملكة أرمينية الصغرى حيث أوقع بها أكبر قدر من الخراب والدمـــار ، ثـــم قفـــل عائداً إلى حماة، وبعد ذلك النصر الحاسم جرت المفاوضات بين الأرمـــن والممالـــيك اســـتغل فـــيها الطرف الأخير علاقة خصمه الأرمني مع المغول للحصـــول على تعهد الملك هيثوم في السعي لإطلاق سراح أمراء المماليك من سجون المغول، مما كان لـــه أبعاده السياسية على العلاقات الأرمنية المغولية التي زُجت في دوامة الشك. وأخيراً أسفرت تلك المفاوضات عن تخلي ملك أرمينية الصغرى عن عـــدد مـــن المدن والقلاع منها دربساك وبهنسا ورعبان ومرزبان والدرب وشيخ

([1]) ابـــن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٢٦٩-٢٧١؛ بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص١٠٥؛ النويري، نهاية الأرب،ج٣٠،ص٢٩١؛ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج٥، ص٣٧٨؛ ابن تغري بردي،النجوم،ج٧، ص١٤٠؛ سعيد عبد الفتاح عاشور،العصر المماليكي، ص٦٣؛ **وهيثوم بن قسطنين:** توفي سنة ٦٦٨هـــ، بعد أن انقطع عن الحكم وترهبن (انظـــر بيبرس المنصوري،التجفة المملوكية،ص٧٢؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٩؛ النويري، نهاية الأرب،ج٣٠، ص١٧٣؛ العينـــي، عقد الجمان، ج٢، ص٨٨)؛ **وقليقية:** Cilicae وتعرف أيضاً سلوقيةSeleukeia وهي قلعة وبلدة ريفية في جنوب تركيا تبعد عن مصب نهر غوك سو مسافة عشرة أميال تقريباً (انظر فولفغانغ مولر-فيز، القلاع، ص ١٠٧)؛ **وســـيس:** Sis وتعـــرف بسيســـية وكـــوزان Kozan بلدة حنوبي تركيا تشرف على الطريق النازل من جبال طوروس، و تحميها قلعة حصينة(انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٥٤-٢٥٥؛ فولفغانغ -فينز، القلاع ، ص٧١).

الحديــد، مقــابل إطلاق ليو بن هيثوم من الأسر(١)، مما زاد من امتداد السلطنة المملوكــية لتشــمل مساحتها إقليماً جديداً يُعد مدخلاً لأراضي أرمينية الصغرى ، وحاجــزاً يفصلها عن الأراضي الحلبية ، فضلاً عن أن هذا الإجراء جرّد " قليقية من دفاعاتها وعزلها عن حلفائها من المغول والصليبيين"(٢).

وعــندما استأنف الظاهر بيبرس جهاده ضد الصليبيين بعد توقف دام قرابة عاميــن، خــرج الملــك المنصور محمد على رأس قواته لمشاركة الجيوش التي شرعت في حصار شقيف أرنون سنة ٦٦٦هــ/١٢٦٧م، حيث كان للحمويين دورٌ

---

(١) ابن عبد الظاهر،الروض الزاهر، ص٣٢٨-٣٢٩؛ أبو الفداء،المختصر،ج٤، ص٥؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص٣٧٨؛ أحمد عبد الكريم سليمان، المغول والمماليك، ص٨٩؛ محمد جمال الدين سرور، دولة الظاهر بيبرس، ص١٠٨؛ عزمــي أبو عليان، مسيرة الجهاد الإسلامي، ص٥٤ ؛ **ودربساك:**هي قلعة مرتفعة شمال شرق بغراس، وقد صنفها شيخ الربوة ضمن " الثغور الساحلية الجبلية"(انظر نخبة الدهر، ص٢٧٣؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٦٠-٢٦١)؛ **وبهنسا:** قلعة حصينة تقع شمالي عينتاب بالقرب من مرعش وسميساط(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٥١٦؛ أبــو الفــداء، تقويم البلدان، ص٢٦٤-٢٦٥)؛**والرعبان:** مدينة بين حلب وسمسياط أعاد بناءها سيف الدولة أبو فــراس الحمداني(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص٥١)؛**ومرزبان:** لم أجد لها تعريف فيما توفر لي من مصــادر اطلعــت علــيها؛ **والدرب:** الطريق الذي يسلك ،ويطلق على عدة مواضع منها الطريق الضيق الواصل بين طرسوس وبلاد الروم(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان،مج٢،ص٤٤٧)؛**وشيخ الحديد:** لم أجد له تعريف فيما توفر لي من المصادر اطلعت عليها؛**والداوية:** هم طائفة فرسان الهيكل Templers، نشأت على أساس حربي منذ سنة ٥١٢ هــ/١١١٨م، على يد فارس فرنسي يدعى هيو بايترhugh Payens(١٠٧٠-١١٣٦م)،الذي كان قد قدم إلى فلسطين زمن الحملة الصليبية الأولى ، وبدعم من القديس برنارد، حيث استأذن هيو الملك بلدوين الأول Baldwin I(١١٠٠-١١١٨م) فــي أن يتخذ من ساحة المسجد الأقصى مقراً له ولطائفته، واضطلعت هذه الطائفة في بداية عهدها بحراسة الطــريق بين يافا وبيت المقدس، وتطور أمرها حتى غدت تتبع المقر البابوي في روما مباشرة، كما نجح فرسانها في السيطرة على الكثير من القلاع والحصون في بلاد الشام وقيليقية، وأسهموا بجهد وافر في دعم الحملات الصليبية على أراضي المسلمين، واتخذوا من الصليب الأحمر شعاراً لهم،مما زاد طائفة الداوية هيبة وقوة، نجاح القديس برنارد في الحصول على اعتراف بها من قبل البابوية عام ١١٢٨م، حيث أوقفت لحسابها عدداً من الضياع والممتلكات في غرب أوربــا(على محمد الغامدي، سياسية نور الدين محمود العسكرية إزاء الأرمن في قيلقية، بحث منشور في مجلة بحوث تاريخية، التي تصدر عن الجمعية التاريخية السعودية، اللقاء الثاني، ص٣١٩؛ عبد الله الربيعي، الدوافع الدينية للحركة الصليبية ، بحث منشور ضمن ندوة الإطار التاريخي للحروب الصليبية، التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، في رجب ١٤١٦هــ/نوفمبر١٩٩٥، ص٩٩؛ عبد الله سعيد الغامدي، شقيف أرنون في عصر الحروب الصليبية، بحث منشور في مجلة الإنسانيات، كلية الآداب فرع دمنهور، جامعة الإسكندرية ، ع٧،٢٠٠١م، ص٣٣-٣٤).

(٢) متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي ، ص٣١٤.

فـــاعل في ذلك الحصار الذي انتهى بتسليم الحصن لقوات المماليك في ٢٩ رجب من السنة ذاتها / ١٥ إبريل ١٢٦٨م([1]).

وعندما عزم السلطان بيبرس على قصد أمارة أنطاكية الصليبية لاستردادها مـــن الصـــليبيين،عرج علـــى حماة وأقام بها بعض الوقت لوضع الخطة المناسبة لاقـــتحام أنطاكـــية، فاعـــتمد في خطته على عنصري التمويه والمباغتة، ثم غادر حمـــاة، وقـــد قسم قواته إلى ثلاث فرق سلكت كل واحدة منها طريقاً مستقلاً للقيام بمهـــام التمويه والمباغتة، ونجح من خلال هذه الخطة في حرمان صليبيي أنطاكية عـــن طلـــب الـــنجدة من المعاقل الصليبية الأخرى، حيث فوجئ صليبيو أنطاكية بالجيش الإسلامي يحاصر المدينة من كلّ الجهات. تمكّن السلطان الظاهر بيبرس مـــن اســـترداد أنطاكية وإنهاء الوجود الصليبي بها ، والذي دام قرابة قرنين من الزمان، وذلك في شهر رمضان سنة ٦٦٦هـــ/ ١٢٦٨م([2]). والذي لاشك فيه أنه كان لجيش حماة الذي رافق بيبرس في هذه الحملة دور كبير في اقتحام أنطاكية ، وذلك بحكم قرب حماة من أنطاكية ، وإدراك أهل حماة بأن إنهاء الوجود الصليبي في انطاكية يعد مصدر أمن لهم من تلك الجهة.

ومن المهام العسكرية التي شارك فيها جيش مملكة حماة الأيوبية خلال هذه المـــدة، اســـترداد حصن الأكراد سنة ٦٦٩هـــ/ ١٢٧٠م([3])، فضلاً عن مشاركتها

([1]) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٢٩٨-٢٩٩؛ **وحصن شقيف أرنون:** Beaufort يقع جنوبي لبنان مقابل نهر الليطانـــي، ويطل على بيروت وصيد (انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٤-٢٤٥؛ فولفغانغ مولر- فينز، القلاع ، ص٨٠؛عبد الله سعيد الغامدي،شقيف أرنون في عصر الحروب الصليبية ، ص١٣-١٤؛ انظر أيضاً، ستيفن رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية،ج٣،ص٥٣).

([2]) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٣٠٧، ٣٦٤؛ بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية،ص ٦٢-٦٣؛ ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، ج٢٠، ص٣٦٠؛العيني، عقد الجمان ،ج٢، ص٢١-٢٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٧، ص ١٤٢-١٤٤؛ محمد جمال الدين سرور، دولة الظاهر بيبرس، ص٧٧؛ سعيد برجاوي، الحروب الصليبية، ص٦١٤.

([3]) ابـــن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص٣٧٥-٣٧٦؛ النويري ، نهاية الأرب ج٣٠، ص٣٢٦؛ اليونيني، ذيل مرآة الـــزمان، ج٢، ص٤٥٢؛ ابـــن تغـــري بـــردي، الـــنجوم، ج٧، ص١٥٢؛ جوثان سميث، الأسبتارية، ص١٩٢؛كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص٣٦٦.

العسكرية للقوات المملوكية في صدّ غارة مغوليه مفاجئة على حارم سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م([١]).

وبُعيد تلك الانتصارات أخذ السلطان الظاهر بيبرس يعمل للاستفادة من علاقات حماة مع زعماء قلاع الإسماعيلية، فأوكل إلى الملك المنصور محمد مهمة التفاوض مع زعماء الكهف لإقناعهم تسليم قلاعهم لنواب السلطنة ، ولكنّ مساعيه فشلت، مما اضطر الظاهر بيبرس للضغط عليهم عسكرياً وتوجيه حملة تكسر قوتهم، فنجحت غاراته المتتالية في نهاية المطاف لتسلم مفاتيح قلاع الإسماعيلية([٢]).

ولم يكن ثمن استمرار الحكم الأيوبي في حماة مقتصراً في خدمة سلطنة المماليك على المجال العسكري فقط، بل تعدّاه إلى المجال الاجتماعي حيث حرص الملك المنصور محمد في زياراته المتبادلة مع الظاهر بيبرس على إظهار ولائه المطلق للسلطنة، كما عمل على تقديم التهاني في المناسبات الرسمية ،كمناسبة تقليد ابنه السعيد بركة لولاية عهد السلطنة، ثم خروجه للمشاركة في حفل زفاف السعيد بركة على ابنة سيف الدين قلاوون، حاملاً معه الهدايا في سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م، فكان لهذه المبادرة الوقع الطيب لدى السعيد بركة والأمير قلاوون([٣]).

([١]) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٤٦٧؛ ابن أيبك الدودار، كنز الدرر، ج٨، ص١٦٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٧، ص١٥٦؛ و**حارم**:Harm مدينة حصينة باتجاه أنطاكية تسيطر على الطريق الواصل بينها وبين حلب، وتتمتع بطبيعتها الغناء(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٠٥؛ ابن شحنة، الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص١٧٠؛ فولفغانغ -فينز، القلاع ، ص٨٤).

([٢]) متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص٢٦٤-٢٦٥؛ وانظر أيضاً عثمان عشري ، الأسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية، ص٢٠٧-٢١٣.

([٣]) متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي،ص٢٦٣-٢٦٦؛و**السعيد بركة** ابن السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري الصالحي، قلّده والده نيابة قلعة الجبل، وولاية العهد من بعده، تولى السلطنة بعد وفاة والده سنة ٦٧٩هـ، وظل عليها حتى خلعه والد زوجته الأمير قلاوون وسجنه في قلعة الكرك(انظر ابن دقماق، النفحة المسكية في الدولة التركية، ص٦٩-٧١؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثارالمعروف بالخطط المقريزية، مج٢، ص٢٣٨).

وقد حافظت المملكة التقوية على ولائها للسلطان المملوكي في مصر، بُعيد وفـاة السـلطان بيبرس وخلال تقلُّد ابنيه من بعده تحت وصاية الأتابك قلاوون ، وحـتى بعـد أن آلت السلطنة للأتابك قلاوون في سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م([1]). كما وقـف الملـك المنصـور محمد إلى جانب السلطان قلاوون عندما تفجرت حركة عصيان نائب دمشق الأمير سنقر الأشقر، ولكن بطريقة مختلفة عن المألوف حيث فضـل فيها عدم المجاهرة بإعلان موقف المملكة الرافض لحركة الأمير الأشقر. ويـبدو أنـه تعلّم تلك الطريقة عقب الخراب الذي لحق بحماة أثناء حركة البرلي لوقوفـه فـي صف السلطان المملوكي، ولذا آثر الملك المنصور إظهار موافقته لسـنقر الأشـقر، وإبطان مولاته لسلطان المماليك في مصر حتى حانت الفرصة للقضاء على سنقر الأشقر أثناء اصطدامه مع القوات المصرية في سنة ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م، فانسـحب عندها الملك المنصور بقواته من جيش الأمير العاصي، فكان لذلك الانسحاب سبب في هزيمة الأمير سنقر بسبب اختلال توازن قوة جيشه أمام العساكر المصرية، وبذلك عادت دمشق لنفوذ سلطان المماليك في مصر([2]).

وبعبور سحابة الصيف تلك دخلت مملكة حماة مرحلة استقرار لم تشهد لها مثيل، حيث وصلت درجة الوفاق بين الملك الحموي والسلطان المملوكي بأن تشبه

([1]) محمـد جمـال الدين سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص٢١-٢٢؛ قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك الـتاريخ السياسي والاجتماعي، ص١١٣-١١٥؛ سعيد عبد الفتاح عاشور،الأيوبيون والمماليك، ص٢٤٠-٢٤٤ ؛ أما **الأتـابك:** فهـو لقب يتكون من لفظين، أتا بمعنى أب، وبك بمعنى سيد أو أمير ، ويعد الوزير السلجوقي "نظام الملك" عندما فوض إليه ملكشاة تدبير شؤون دولته، إذ كانت نظرية السلاجقة في الحكم تقوم على أن يتولى أفراد من الأسرة السلجوقية حكم الأقاليم ، على أن يرتبط بكل فرد منهم "قائد تركي يحمل لقب أتابك ، يوكل إليه مهمة تربية ابن الأمير وتلقينه مبادئ الحكم والإدارة ، وقد درج أمراء السلاجقة على تزويج الأتابك بأحد مطلقاتهم أو الزواج من والدة الأمير الابن بعد وفاة والده ، وتزويج الابن بدوره من ابنة الأتابك الأمر الذي أضحى معه للأتابك قدر كبير من النفوذ ، وقد تطور هذا اللفظ حتى أضحى في العصر الزنكي يعني الحاكم ، أما في العصر الأيوبي والمملوكي فقد غدا مدلوله يعني الأمير الكبير أو قائد العسكر(انظر على محمد الغامدي، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي،ص٣٥، حاشية ٤؛ انظر أيضاً حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص١٢٢-١٢٣؛ بطرس البستاني، دائرة المعارف، ج٢، ص٢٤٩؛ محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص١١).

([2]) اليونينـي، ذيـل مرآة الزمان، ج٤، ص٤٠-٤١؛ ابن أيبك الدودار، كنز الدرر، مج٨، ص٢٣٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص١٨؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام، حوادث سنة ٦٧٩،ص٤٥؛ ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، ج٢١، ص١٦٩-١٧٠؛ المقريـزي، السلوك، ج٢، ص١٣١-١٣٢؛ **وسنقر الأشقر الصالحي النجمي:** نائب دمشق كان مقتله على يد الأشرف خليل بن قلاوون سنة ٦٩٢هـ(انظر ابن تغري بردي ، المنهل، ج٦، ص٨٧).

الأخـــير بلقب الأول فأصبح يطلق عليه السلطان المنصور قلاوون، وذلك في سنة ٦٨٢هـــــ/١٢٨٣م، والملك المنصور محمد آثر التخلي عن لقبه إكراماً واحتراماً للســـلطان المملوكي الذي ردّ عليه " باني ما تلقبت بهذا الاسم الا لمحبتي فيك ولو كـــان لقـــبك غـــير ذلـــك كنت تلقبت به فشئ فعلته محبة لاسمك كيف أمكن من تغيـــيره"([١])، وأعقب ذلك تبادل المراسلات الودية فيما بين الطرفين ،وثّقت عرى العلاقات التقوية المملوكية([٢])، ولم تقتصر المودة من جانب السلطان المملوكي بل شـــملت أهـــل بيـــته، حيث أرسل ابنه بصيد للملك المنصور محمد كرمز للتقدير والاحترام الذي يكنه لـــه([٣]).

وفي ظل هذا الولاء السياسي من الملك الحموي لسلطنة المماليك في مصر، عمـــد المنصور محمد لانتهاز الفرصة ليحقق رغبته في استمرارية الحكم التقوي في حماة ، حيث بعث برسالة إلى السلطان المنصور قلاوون يطلب فيها تنصيب ابـــنه المظفـــر الثالث محموداً من بعده على حكم حماة، وذلك في سنة ٦٨٣هـــ/ ١٢٨٤م، وفي أثناء انتظاره للرد، عاجلته المنية في شوال من العام نفسه([٤]). ولم تصل الموافقة على ذلك إلا بعد مضي ستة أيام على وفاة المنصور، عندها أرسل

([١]) أبو الفداء، المختصر،ج٤، ص١٧؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي،ج٢،ص٢٢٣؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص٤٤٣

([٢]) أرسل الملك المنصور محمد في سنة ٦٨٣هـــ، برسالة استفسار عن صحة السلطان المنصور قلاوون إبان مرض ألـــم بـــه ، وفي العام نفسه مرض الملك محمد ، فأرسل المنصور قلاوون برسالة إلى الأمير لاجين يستفسر فيها عن صحة الملك التقوي، كما أرسل رسالة عزاء للمنصور محمد لوفاة شقيقه ناصر الدين(انظر ابن عبد الظاهر، تشريف الأيـــام والعصـــور في سيرة الملك المنصور٦٧٨-٦٨٩هـــ، ص٧٣؛ أبو الفداء، المختصر ، ج٤، ص١٨-١٩؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص٧؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص٤٤٤).

([٣]) أبو الفداء، المختصر،ج٤،ص١٧؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٢٤.

([٤]) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٢٤٦؛ ابن حبيب ،تذكرة النبيه،ج١، ص٨٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٥، ص١١-١٢؛ ابـــن الفـــرات ،تاريخ ابن الفرات، ج٨، ص١٣-١٤؛ المقريزي، المقفى الكبير، ج٧، ص١٤٢-١٤٣؛ اسطفان الدويهي،تاريخ الأزمنة، ص٢٦٢-٢٦٣؛ و**المظفر الثالث محمود:** هو ابن محمد بن محمود بن محمد بن عمر ابن شاهنشاه بن أيوب ، ولد سنة ٦٥٨هـــ، تقلد حكم حماة بعد وفاة والده سنة ٦٨٣هـــ،واستمرت دولته ١٥ سنة إلى أن توفي سنة ٦٩٨هــ(الذهبي ، دول الإسلام ، ج٢، ص٢٠٢؛ ابن تغري بردي، الدليل ،ج٢، ص٧٢٨؛ الحنبلي ، شفاء القلوب، ص٤٥٣-٤٥٨.)

المظفر وعمه الأفضل رسالتي عزاء إلى السلطان المملوكي(١) تهدف في ظاهرها إبــلاغ المنصـــور قلاوون بوفاة الملك التقوي محمد، بينما ترمي في باطنها إلى الـــتأكد مـــن أن علمـــية التنصيب سارية المفعول حتى بعد وفاة المنصور محمد، واختـــير لحمل الرسالة الأمير أبو خرص رسولاً إلى السلطان المنصور قلاوون، فخـــرج مـــن حماة متوجهاً إلى القاهرة ، وفي طريقه التقى رسول السلطان الذي كـــان في طريقة إلى حماة محملاً بالخلع والهدايا، فلبس أبو خرص خلعته ثم أكمل الرســولان طريقهما كلاً إلى وجهته حيث استقبل المنصور قلاوون رسول حماة وبالغ في إكرامه(٢).

ونظراً لمكانة دمشق لكونها كبرى النيابات الشامية، فقد تلقى الأمير لاجين نائـــب دمشق رسالة بهذا الخصوص، حيث أبدى تأييده لهذا الإجراء حيث أرسل إلـــى المظفـــر محمـــود يهنئه بذلك(٣)، وعلى أثر ذلك حضر الملك المظفر ومعه الأفضـــل إلـــى دمشـــق، حيـــث جـــرت مراسم تنصيبه ملكاً على حماة والمعرة وبارين(٤).

والواقـــع أنّ هـــذه الموافقة تأتي تأكيداً للوعد الذي كان قد قطعة السلطان المملوكـــي للمنصور محمد بالعمل على استمرار الحكم الأيوبي لحماة، إمعاناً منه

---

(١) أبـــو الفداء، المختصر، ج٤، ص١٨-١٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٢٤؛ **والملك الأفضل** : هو علاء الدين علي بن الملك المظفر محمود بن محمد بن تقي الدين عمر، توفي بدمشق ودفن بحماة في مستهل ذي الحجة ســنة ٦٩٢هـــ(انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان،مج٣، ص٤١٩-٤٢١؛النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٢٥٧؛ ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج١، ص١٧٣؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٦٩٢، ص١٦٥؛ الصفدي، الوافي، ج٢٢، ص١٨٦؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٨٣-٣٨٤؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٨، ص١٦٢).

(٢) ابـــن عـــبد الظاهـــر، تشـــريف الأيام والعصور، ص٧٤؛ بيبرس المنصوري،زبدة الفكرة، ص٢٤٦؛ أبو الفداء، المختصر،ج٤،ص٢٠؛ ابن أيبك الدودار،كنز الدرر،ج٨، ص٣٦٦؛العيني،عقد الجمان،ج٢، ص٣١٨؛ **وأبو خرص:** هو علم الدين سنجر الحموي، توفي مسجوناً في عام ٦٩١هـــ(انظر ابن أيبك الدودار،كنز الدرر، مج٨، ص٣٤٠).

(٣) اليونينـــي، ذيـــل مـــرآة الزمان، ج٤، ص٢٠٢؛ **والأمير لاجين:** من مماليك السلطان المنصور قلاوون، تقلد نيابة دمشـــق، وعُد من الأمراء القلة الذين نجوا من سلسلة الاعتقالات التي أطلقت زمن الأشرف خليل، تسلطن بعد العادل كتبغا سنة ٦٩٦هـــ، واستمر قائماً على مهامها حتى قتل على يد مماليكه سنة ٦٩٨هـــ(انظر الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج٤، ص١٦٥؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج٢، ص٥٦٦).

(٤) ابو الفداء، المختصر ، ج٤، ص ٢٠.

فـــي الاســـتفادة من جهود هذه المملكة الأيوبية في دعم حركة الجهاد ضد الوجود الصليبي في ساحل بلاد الشام، وذلك لما لمملكة حماة من خبره ودراية كافيتين في التعامل مع القوى الصليبية في المنطقة . يدل على ذلك تلك الرسالة التي بعث بها قـــلاوون إلـــى الملـــك المظفـــر يأمره بالتأهب والخروج على رأس قوات حماة للمشـــاركة فـــي الحملة المملوكية التي كانت في طريقها نحو حصن المرقب سنة ٦٨٤هـــــ/١٢٨٥م، والتـــي جاء فيها " أنت ولدي وأعز من الملك الصالح عندي فتوجه إلى بلادك وتأهب لهذه الغزاة المباركة فأنتم من بيت مبارك ما حضرتم في مكان الا وكان النصر معكم"(١). وبالفعل فقد أبلت القوات الحموية بلاء حسناً في عملـــية الحصـــار التي فرضت على هذا الحصن، حتى تمّ اقتحامه في شهر ربيع الأول مـــن السنة ذاتها(٢)،كما اضطلعت قوات المظفر صاحب حماة بمهمة ترتيب الأوضاع داخل الحصن ، وذلك بتوجيه مباشر من السلطان قلاوون نفسه . وعندما غـــادر قـــلاوون الحصن رافقه المظفر إلى حصن الأكراد ومنه إلى حمص حيث سمح له قلاوون بالعودة إلى حماة قاعدة ملكه(٣).

والجديـــر بالذكر أن محاولات المظفر محمود السير على نهج سياسة أبيه المـــرنة فـــي التعامل مع السلطان المملوكي من حرصٍ على التواجد في الحضرة الســـلطانية عـــند قـــدوم المنصـــور قلاوون إلى البلاد الشامية، ومرافقته في حلّه وتـــرحاله، كمـــا حدث في شوال من سنة ٦٨٥هـــ/ ١٢٨٦م، حينما آثر المظفر محمـــود وأصـــحابه الحضور إلى غزة للسلام على المنصور قلاوون، فضلاً عن ذهابـــه إلـــى الديار المصرية عندما دعاه قلاوون لحضور حفل افتتاح قبة الرحبة

---

(١) أبو الفداء، المصدر السابق، ج٤، ص٢٠-٢١؛ يعود سبب فتح السلطان قلاوون لحصن المرقب إلى استئذان نائب حصن الأكراد الأمير سيف الدين بلبان الطباخي سنة ٦٧٩هـــ، لفتح حصن المرقب لكثرة تعدي الصليبيين على حرمة الأراضي الشامية بعيد غزو المغول المنطقة (انظر عمر عبد السلام تدمري، تاريخ طرابلس، ج١، ص٥٧٧).

(٢) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص٧٧-٨٠؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٤، ص٢٣٩-٢٤١؛ بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص١١٣-١١٤؛ جوناثان سميث، الأسبتارية، ص١٩٣.

(٣) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٢١؛ العيني، عقد الجمان،ج٢، ص٣٣٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص ٢٢٦؛ عن خط سير عملية استرداد السلطان قلاوون لحصن المرقب (انظر عمر عبد السلام تدمري، تاريخ طرابلس ، ج١، ص٥٧٦-٥٧٧).

الحمـــراء، التـــي شيدها في قلعة الجبل([1])، إلا أنها لم تكن لتمنع من حتمية إنهاء المملكة التقوية باعتبار أنها نظام غير متماشٍ مع الكيانات النيابية المجاورة ، وهو ما فطن إليه المنصور قلاوون -على ما يبدو- فأراد تغييره بطريقة تدريجية تكفل لـــه عـــدم الاصـــطدام المباشر مع آخر البيوت الأيوبية التي قدمت الولاء والدعم والمســـاندة العســـكرية لســـلطنة المماليك طيلة فترة تواجدها السابق على الساحة السياسية، فصدرت الأوامر السلطانية في ذي حجة سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٧م، بتعيين أبـــي خـــرص نائـــباً على حماة مع استمرارية تواجد الملكية التقوية في حماة([2]). ورغـــم هذا التحول الواضح في السياسية المملوكية تجاه حماة ، والذي ينم عن أن ســـلطة الأيوبيين بها لم تعد تتعدى كونها سلطة اسمية فقط ، فإنّ ذلك لم يغير من سياســـة المظفر تجاه سلطنة المماليك ، فعندما استأنف المنصور جهاده ضد بقايا الوجـــود الصـــليبي في ساحل الشام سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م، وذلك لمهاجمة إمارة طـــرابلس الصـــليبية([3])، خرجت القوات الحموية لمشاركة القوات المملوكية التي أحكمـــت الحصـــار علـــى المدينة حتى سقطت في ربيع الآخر من ذات العام([4]). وباســـتقرار أمـــر المماليك في طرابلس أُعطي المظفر محمود الأذن بالعودة إلى مملكته([5]).

([1]) ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص١٣٨-١٤٠؛ **وقلعة الجبل:** تقع على الجبل الأحمر، وهو نشز عال من تقاطيع جبل المقطم، يمتاز موقعا بالتوسط بين ظاهر القاهرة والجبل المقطم والفسطاط، بناها قرقوش للملك الناصر صـــلاح الديـــن يوسف بن أيوب، وسكنها أخوه الملك العادل أبوبكر (انظر العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٤٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ص٣٦٨).

([2]) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٨، ص٤٠؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص١٩٤.

([3]) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٢٦٦-٢٦٧؛ التحفة المملوكية، ص١٢٠؛ ابن أيبك الدودار، كنز الدرر، مج٨، ص٢٨٣؛ أبـــو الفداء، المختصر، ج٤، ص٢٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٦١؛ عمر عبد السلام تدمري، تاريخ طرابلس ، ج١، ص٥٨٤.

([4]) للوقـــوف علـــى تفاصيل سقوط طرابلس بيد المماليك (انظر عبد الله سعيد الغامدي ، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين ، ص٢٦٢-٢٦٨؛ عمر عبد السلام تدمري، تاريخ طرابلس،ج١، ص٥٨٤-٥٩٢؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص١١٧٣-١١٧٦؛ محمد مؤنس عوض، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٣٤٦).

([5]) أبو الفداء ، المختصر،ج٤، ص٢٣؛ العيني، عقد الجمان، ج٢، ص٣٨٢؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص٤٥٦.

وعـندما توفـي السلطان المنصور قلاوون في ذي القعدة سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م، وجلـس على كرسي السلطنة ابنه الأشرف خليل ، توجه المظفر محمود إلـى القاهـرة في ذي حجة من ذات العام مهنئاً الأشرف خليل على تسنمه هرم السـلطنة المملوكـية في مصر(١). وعندما شرع الأشرف في إتمام ما بدأه والده المنصـور قلاوون من عمليات عسكرية لتصفية آخر المعاقل الصليبية في ساحل بـلاد الشـام مدينة عكا(٢)، خرج المظفر محمود على رأس عساكره إلى حصن الأكـراد لجلـب المنجنيق(المنصوري) إلى دمشق حيث كانت تتجمع كافة القوات الشـامية(٣). فبدأت القوات المملوكية زحفها صوب عكا ومن ضمنها قوات حماة المكلفـة بحمـل المنجنيق إلى أسوار عكا، فاستغرق سيرهم إلى عكا شهراً تقريباً بسـبب سـوء الأحوال الجوية التي أعاقت تقدم الجيش المملوكي لبعض الوقت، والتـي وصلت إلى مشارف عكا في أوائل جمادى الأولى سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، وعـندما أخذت القوات المملوكية مواقعها على عكا، استقرت القوات الحموية في الجانـب الشـمالي والشـمالي الشرقي لسور عكا بجانب البحر الكائن عن ميمنة

---

(١) بيبرس المنصوري، مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، ص٨٨؛ زبدة الفكرة،ص٢٧٠-٢٧١؛ شافع العسقلاني، الفضل المأثور من سيرة الملك المنصور، ص١٧٥؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث٦٨٩هـ، ص٤٢؛المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٣٨؛ أسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٢٦٦.

(٢) بيـبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص٩١؛ شافع العسقلاني، الفضل المأثور،ص١٧٧؛الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث سنة٦٩٠هـ،ص٤٤؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج٥، ص٣٩٤.

(٣) بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص١٢٦؛ مختار الأخبار، ص٩١؛ ابن أيبك الدودار، كنز الدرر، ج٨، ص ٣٠٧؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٨، ص١١١؛العيني، عقد الجمان، ج٢، ص٥٦؛ **والمنجنيق:** هي أعظم آلات الحصـار فـي العصـور، وجمعها منجنيقات ، وقد وصفه القلقشندي بأنه " آلة من خشب له دفتان قائمتان بينهما سهم طويل، رأسه ثقيل، وذنبه خفيف ، تجعل كفة المنجنيق التي يجعل فيها الحجر يجذب حتى ترفع أسافله الأعلى أعليه، ثم يرسـل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر منه ، فما أصاب شيئا إلا أهلكه(انظر أرنبغا الزردكاش ،الأنيق في المنجانـيق، ص٢٢-٢٦؛ الطرسوسي ، تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الاسواء، ونشر أعلام العلـم فـي العدد والآلات المعنية على لقاء العدو، تحقيق كلود كاهن، مجلة معهد الدراسات الشرقية ، دمشق، ج١٢، ١٩٤٧-١٩٤٨م، ص١٦-١٧؛ عبد الرحمن زكي، السلاح في الإسلام، ص٥٨-٥٩؛عبد الله سعيد الغامدي، شيزر منذ زوال حكم بني منقذ حتى أواخر القرن التاسع الهجري الثالث عشر الميلادي، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية فرع أسيوط،ع١٩، ص٢١٧،حاشي ٢).

الجــيش[١] الأمر الذي ضاعف عليهم المواجهة من البر حيث دفاعات الداوية[٢]، والــبحر من قبل مراكب الصليبيين المرابطة في عرض البحر والمناط بها تأمين الشريط الساحلي للمدينة[٣].

وقد أبلت القوات الحموية بلاء حسناً في مواجهة الصليبيين، حيث تمكّنت من إفشال غارة صليبية خرجت من أسوار عكا لمباغتة القوات الإسلامية، فأوقعت بهــا هــزيمة نكــراء انهارت بعدها قوى الصليبيين، فتمكّن المماليك من اختراق أسوار المدينة ودخولها عنوة[٤]. وقد أعقب استرداد عكا تساقط المراكز الصليبية المتبقية في يافا وصور وعثليث وبيروت وغيرها،والتي سارعت بالتسليم للسلطان المملوكي الأشرف خليل دون قيد أو شرط [٥].

ولم يقف الطموح العسكري للسلطان الشاب عند اقتلاع الوجود الصليبي في ســاحل بلاد الشام من جذوره، بل تعدّاه إلى شنّ حملة تأديبية ضدّ مملكة أرمينية

([١]) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٢٤-٢٥؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٢٨.

([٢]) السيد الباز العريني، المغول، ص٢١٦؛ جوناثان سميث، الأسبتارية، ص١٩٥.

([٣]) بيبرس المنصوري،مختار الأخبار،ص٩١؛ أبو الفداء، المختصر،ج٤، ص٢٥؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي،ج ٢، ص٢٢٨.

([٤]) للمــزيد مــن التفاصيل عن سقوط عكا بيد السلطان الأشرف(انظر ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٣٦٦؛ بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص١٢٦-١٢٧؛ النويري، نهاية الأرب،ج٣١، ص١٩٥-١٩٩؛ ابن الجزري، المختار، ص٣٣٩-٣٤١؛ اليافعي، مرآة الجنان،ج٤، ص٢٠٩؛ المقريزي، المقفى،ج٣، ص٧٩٥-٧٩٦؛ شافع العسقلاني، الفضل المأثور، ص١٧٨؛عبد الله سعيد الغامدي، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين، ص٢٧٩-٢٨٤؛ متعب القثامي، مملكة حمــاة فــي العصــر الأيوبي،ص٣٣١-٣٣٣؛ وفاء محمد على، جهود المماليك الحربية ضد الصليبية، ص٣٧-٤٣؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣،ص ١١٧٦-١١٨٣).

([٥]) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة ، ص٢٨٢-٢٨٣؛ التحفة المملوكية، ص١٢٧-١٢٨؛ ابن الجزري، المختار، ص ٣٣٩-٣٤٠؛ ابن ايبك الدودار، كنز الدرر، مج٨، ص٣١٠؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص١٧٣؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٥، ص٢٧٣؛ اسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٢٦٨-٢٦٩؛ **ويافا:** مدينة ساحليه تقع غربي الرملة (انظر أبــو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٣٨-٢٣٩)؛ **وصور:** ميناء ساحلي حصين يبتعد عن عكا أثنى عشر ميل (انظر ياقوت الحمــوي، معجم البلدان، ج٣، ص٤٣٣؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٢-٢٤٣)؛ **وعثليث:** Chastel Pelerin بلدة تقع جنوبي حيفا على شبه جزيرة صخرية(انظر فولفغانغ مولر-فنيز، القلاع ،ص٩٢)؛ **وبيروت:** ميناء ساحلي ينتصب فوق أواخر أعضاد سلسلة جبال لبنان، ويقع جنوبي جُبيل، وهي من أعمال دمشق(انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١١٠-١١١؛ عبد الرحمن حميده، جغرافية الوطن العربي، ص٢٩٢).

الصغرى، في العام التالي[1]، وكان الأشرف خليل قد توجّه إلى دمشق لإعداد قواته، فوفد إليه المظفر محمود وعمه الأفضل ليضعا نفسيهما تحت الخدمة السلطانية،عندها علما برغبة السلطان المملوكي في زيارة حماة، أعدّ الملك المظفر محمود حماة لاستقبال السلطان المملوكي، وأشرف بنفسه على السماط والخيام وتنظيمات إقامة السلطان الأشرف مع قواته[2].

ويبدو بأن تلك التجهيزات قد نالت رضى السلطان المملوكي ففضل إطالة الإقامة في حماة ، وأمر قواته بأن تسبقه إلى حلب ، وخرج في رحلة صيد مع الملك المظفر وعمه الأفضل[3]، ثم توجّها معاً نحو حلب للحاق بالقوات المملوكية، ومنها سارا إلى قلعة الروم ، فوصلاها في العشر الأخيرة من جمادى الأولى سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م[4]. حيث شرع الأشرف في ترتيب قواته استعداداً للهجوم، وأمر بتركيب المنجنيقات ونشرها حول القلعة، فاستقر صاحب حماة مع قواته في الناحية الشرقية للقلعة على رأس جبل يكشف الدفاعات العسكرية للقلعة. ويبدو أنّ موقع المنجنيق الحموي قد لعب دوراً في تسديد الضربات الموجعة على القلعة الأرمنية، مع تضييق الخناق عليها حتى مُنيت بالهزيمة في نهاية المطاف، وتسلم المسلمون القلعة دون قيدٍ أو شرط ، وغدت حصناً من حصونهم هناك[5]، وبعدها عاد الأشرف إلى حلب ومعه المظفر ، ومنها إلى حماة حيث جرى لهما استقبال حافل ، وأمضى الأشرف بعض الوقت بحماة قبل عودته إلى دمشق ومعه

---

(1) ابن الجزري ، تاريخ ابن الجزري، ج١، ص١٠١؛ أبو الفداء، المختصر،ج٤، ص٢٦؛ ابن الوردي ،تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٣٣٩؛ ذكر العيني بأن سبب هذه الحملة يعود لتحرش الأرمن بالمسلمين أثناء مرورهم بالأراضي الأرمنية ، عقد الجمان، ج٣، ص١١١.

(2) العيني ، المصدر السابق، ج٣، ص١١٢؛ و**السماط** : هي المائدة الممدودة على الأرض والمعدة بزاخر الأطعمة للحضور، ووقت مدها في طرفي النهار والمساء، وهي على أنواع ورتب (انظر محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص١٨٥؛ محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٩٢-٩٣).

(3) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٢٦؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص١١٢.

(4) ابن تغري بردي، المنهل، ج٥، ص٢٧٤؛ **وقلعة الروم:** تقع في البر الغربي الجنوبي من الفرات ، شرقي سيمساط (انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٦٨-٢٦٩).

(5) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص ٢٧؛ ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر، مج٨، ص٣٣٣؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص١٤٩؛ العيني، عقد الجمان ، ج٣، ص١١٣.

أسرى الأرمن([1]). وعلى ما يبدو فأن السلطان المملوكي قد شعر في أثناء زيارته لحماة بمدى ما ينعم به الملك التقوي من حيز وجودي متميز وموقع مرموق داخل الســلطنة الأمــر الذي أثار حفيظة السلطان الأشرف خليل، فآثر وضع حدّ لهالة الإجلال التي أحاطت بالمظفر خوفاً من أن يصيبه ما اعترى آل مهنا التي جاهرت بعصيانها للسلطنة المملوكية، فعمد إلى استدعائه على البريد مع عمه الأفضل إلى القاهرة في جمادى الأولى سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٣م([2]).

فلــم يتوانَ المظفر عن ذلك حيث دخل القاهرة مع عمه بعد مسيرة دامت ثمانــية أيام، وقد ناله ما ناله من التعب ومشقة الطريق، فأقام في القاهرة عدة أيام ثم خرج السلطان نحو الكرك ومعه المظفر محمود وعمه ، فوافتهم الهدايا التقوية والتــي كــان المظفر قد أعدّها قبل انطلاقه إلى القاهرة، ولكن سرعة سيره حالت دون لحاق الهدايا به، فقبلها الأشرف خليل([3]). ثم أكملا سيرهما نحو دمشق حيث اشترك مع السلطان الأشرف في الحملة التأديبية التي شنها ضد قبيلة آل مهنا ([4])، وما أن انتهى حتى قفل عائداً إلى مصر، وعند القصير أُعطي صاحب حماة وعمه الأفضل الأذن بالعودة إلى حماة([5]).

([1]) ابن العبري،تاريخ الزمان، ص٣٦٦؛ بيبرس المنصوري،مختار الأخبار، ص٩٣؛ ابن الجزري، المختار، ص٣٥٣ ؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٢٧؛ابن كثير ، البداية والنهاية، ج١٣، ص٣٧٧؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص٣٩٥؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص٤٥٧.

([2]) تُعــد عملية استدعاء الملك التقوي على البريد –الذي كان مهامه في تلك الفترة يشبه إلى حد كبير ما يعرف اليوم بالبوليس السياسي– فيه من الحدة والرهبة الشئ الكثير بدليل تصوير أبي الفداء لحال خروجهما فقال" فتوجها من حماة وعــندهما الخوف بسبب طلبهما"(انظر، المختصر، ج٤، ص٢٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث سنة ٦٩٢،ص٢٤؛ العينــي، عقد الجمان،ج٣، ص١٥٧؛ **وآل مهنا** : فرع من أفرع عرب الشام ينتسبون إلى مهنا بن عيسى بن آل فضل الذي نال في عهد السلطان قلاوون الأمارة ، فلقب بحسام الدين ، وغدا كبير آل عيسى النازلين في براري سلمية وتدمر وأمير البادية الشامية، كانت وفاته في سنة ٧٣٥هــ(انظر أحمد وصفي زكريا، عشائر الشام، ص٩٤-٩٦).

([3]) أبو الفداء ، المختصر، ج٤، ص٢٨؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص٤٥٨؛

([4]) بيــبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٢٩٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣١،ص٢٥٠-٢٥١؛ ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج١، ص١٥٠؛ ابن أيبك الدودار، مج٨، ص٣٤١؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص١٦٠؛ ابن الفرات، تــاريخ ابن الفرات، ج٨، ص١٥٦؛ و كان سبب القبض على زعيم قبيلة آل مهنا وإخوته يعود إلى اختلافٍ في الرأي بيــن الســلطان ومهنا أمير العرب حول تغيير زي رجال القبيلة، الأمر الذي أدى لتطاول أمير العرب على السلطان الأشرف خليل، مما دفع الأخير للعمل على تأديب أمير العرب (انظر العيني، عقد الجمان، ج٣، ص١٥٨-١٦٤).

([5]) أبــو الفــداء، المختصر، ج٤، ص٢٨؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص١٥٨؛ **والقصير:** قلعة غربي حلب (انظر القلقشندي،صبح الأعشى ج٤، ص١٢٤).

وعندما استنفر الأشرف خليل قواته في بلاد الشام للمرابطة في حلب تحسباً لأيّ هجوم غادر من المغول أو الأرمن، كانت قوات حماة في طليعة من استجاب لهذا الأمر، وظلت مرابطة بحلب حتى أصدر السلطان أوامره في ذي القعدة سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٣م، بإنهاء حالة الاستنفار تلك ، فعاد الحمويون إلى قواعدهم كغيرهم من القوات التي عادت إلى ثكناتها([1]).

وعندما اغتيل السلطان الأشرف سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م. دخلت السلطنة المملوكية على أثر ذلك في دوامة الاضطرابات الداخلية، والتي انتهت بعزل السلطان الناصر محمد، وتغلّب الأمير زين الدين كتبغا سلطاناً على دولة المماليك في المحرم من عام ٦٩٤هـ/١٢٩٤م([2])،وحرص السلطان المملوكي الذي تلقب بالعادل على استمرار الحكم الأيوبي لحماة رغبة منه في كسب تأييد المظفر محمود، حيث بادر بإرسال مبعوثه إلى حماة لأخذ البيعة منه وذلك في المحرم سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م([3]).

وعندما خرج السلطان كتبغا من مصر متوجهاً لدمشق كبرى النيابات الشامية ، وذلك في شوال من العام التالي ، وفد عليه المظفر وحظي الأخير بتكريم بالغ من السلطان العادل لدرجة أنه اصطحبه لأداء صلاة الجمعة في مقصورته السلطانية الخاصة في الجامع الأموي([4]).

([1]) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٢٨.

([2]) بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص١٤٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٢٨٢؛ الذهبي، دول الإسلام، ج ٢، ص١٩٦، المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٣٩؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٥، ص٣٩٧؛ **وزين الدين كتبغا:** تسلطن بعد الناصر ثم خلعه لاجين من السلطنة في العام التالي، وقلد بعدها نيابة صرخد ثم نيابة حماة، ومات وهو قائمٌ على مهامهاسنة ٧٠٢هـ(انظر الصفدي، أعيان النصر، ج٤، ص١٤٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣ ، ص٣٤٨؛ ابن تغري بردي ، الدليل، ج٢، ص٥٥٣)؛ للتعرف على الأحداث التي أعقبت مقتل الأشرف خليل(انظر ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج١، ص١٩١-١٩٢؛ أسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٢٧٤).

([3]) انظر ابن الجزري، المختار، ص٣٦٩؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٢٧٢.

([4]) الذهبي،دول الإسلام،ج٢،ص١٩٨؛ابن كثير،البداية والنهاية،ج١٣،ص٣٩٥؛العيني،عقد الجمان،ج٣،ص٣١٠-٣١١.

وعندما نجح الأمير حسام الدين لاجين في الإطاحة بحكم العادل كتبغا سنة ٦٩٦هـــ/١٢٩٦م، وتســلطن من بعده(١)، بادر الملك المظفر صاحب حماة إلى مبايعة السلطان لاجين في ربيع الأول سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م(٢).

وفـــي العام التالي اشترك المظفر الثالث مع جيشه في الحملة الموجهة ضدّ مملكـــة أرمينـــية الصغرى، عندما خرجت القوات المملوكية بعد تكاملها من حلب متوجهةً نحو الدربند تحت قيادة الأمير بدر الدين بكتاش الفخري حيث عبر بقواته الممـــرات المؤدية إلى مملكة أرمينية الصغرى، وتجمعت القوات عند نهر جيحان ثـــم بـــدأت في شن غاراتها المتفرقة على سيس وما جاورها، ثم قفلت عائده إلى الأراضي الشامية، بعد أن دبّ الخلاف بين قادة الجند حول استمرار الهجوم على المدن الأرمينية للاستيلاء عليها أو الاكتفاء بالهجمات الخاطفة، الأمر الذي أغضب الســـلطان المملوكي في مصر، فأصدر أوامره برجوع القوات المملوكية لمهاجمة تـــل حمدون ،وعاد الجيش الحموي للانضمام إلى القوات المملوكية بعد أن انفصل عنها بمرج أنطاكية(٣).

---

(١) ابـــن يوسف المقدسي، نزهة الناظر فيمن ولي مصر من الخلفاء والسلاطين،حوادث سنة ٦٩٤-٦٩٦هـ؛ بيبرس المنصـــوري، مختار الأخبار،ص١٠١-١٠٢؛ التحفة المملوكية، ص١٤٧-١٤٨؛ ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر،ج٨، ص٣٦٥-٣٦٦؛ الذهبـــي، العبر،ج٣، ص٣٨٦؛ اليافعي،مرآة الجنان،ج٤، ص٢٢٨؛ ابن تغري بردي، موارد اللطافة فيمن ولى السطنة والخلافة،ج٢، ص٤٨-٤٩.

(٢) ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج١، ص٣٣٦.

(٣) أبـــو الفداء، المختصر، ج٤، ص٣٥؛ ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج١، ص٣٩٠-٣٩٢؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص٢٠٣؛ النويري، نهاية الأرب،ج٣١، ص٣٤٠؛ **والدربند** : لفظ فارسي من معانيه الطرقات والمضايق والمعابـــر الضـــيقة، وهو باب بشروان في أقصى بلاد أرمينية، تعاقب على حكمها عدة دول مغمورة متباينة في القوة والضعف (انظر ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص٣٢؛ محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص١٣٤؛ محمـــد الراجحي، الدولة الدربندية في بلاد القوقاز، مجلة التاريخ العربي،ع١٢،خريف ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص٦٥-١٠٣)؛ **وتل حمدون**:Toparakkale قلعة حصينة تقع شرقي سهل أضنة في جنوبي تركية (أنظر أبو الفداء، تقويـــم البلدان، ص٢٥٠-٢٥١؛ فولفغانغ مولر-فينز، القلاع، ص٩٩)؛ **ونهر جيحان**: تسميه العامة نهر جهان، ويسير مـــن الشمال إلى الجنوب بين جبال في حدود بلاد الروم وهو يمر ببلاد سيس والمصيصة ويصب في البحر المتوسط (انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٥٠)؛ **وبدر الدين بكتاش الفخري**:كان أمير سلاح الملك الصالح، توفي سنة ٧٠٦ هـ (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص١٤؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص٣٨٥؛ النجوم، ج٨، ص٢٢٤).

وبعـد أن احتشـدت القـوات المملوكـية فـي حلب اتجهت نحو بوابة الإسـكندرونة، ومنها إلى أراضي مملكة أرمينية الصغرى، حيث ضرب المظفر الثالـث والأمير فخر الدين بكتاش الحصار حول مدينة حموص، واتخذا من خيمة المظفـر مقـراً للمشـاورات العسكرية، خاصة بعد أن لاحظا بأن حصار المدينة سـيطول نظراً لسوء الأحوال الجوية، والذي أدّى إلى تفشي الأمراض في أوساط الجيش والذي لم يسلم منه حتى المظفر صاحب حماة (١). إلا أن ذلك لم يحل دون استمرار حصار المدينة، إذ أدرك في نهاية المطاف أنْ لا خيار لهم سوى التسليم، فأخرجوا ألفاً ومائتين من نسائهم وأطفالهم بعد أن شارفوا على الهلاك ، وتم تسليم المديـنة دون قـيد أو شـرط(٢)، ومن حموص توجهت القوات المملوكية ومعها عسـكر حمـاة للسـيطرة علـى قلعـة نجـيمة الغربية،التي تحصن بها الجيش الأرمني(٣). وفي الوقت ذاته واصل المسلمون حصارهم المحكم لها، وانتهى الأمر بإذعـان مـن بداخلها على شروط الجيش المملوكي، الذي نصّ على جعل نهر جـيحان حـدّاً بين الدولتين المملوكية والأرمينية، وبالتالي كان على الأرمن تسليم أحـدى عشرة مدينةً وحصناً للمسلمين بعد إخلائها ومنها سرفندكار ومرعش وتل حمـدون ، فـي حين يستوجب على القوات المملوكية التراجع خلف نهر جيحان، وبذلـك حققـت الحملة أهدافها. وبعد التأكد من عملية التسليم في ذي القعدة سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م، عـادت القوات المملوكية ومعها العساكر الحموية إلى حلب لانتظار الإذن السلطاني برجوعهم إلى قاعدتهم(٤).

---

(١) أبـو الفداء، المختصر، ج٤، ص٣٥-٣٦؛ و **الإسكندرونة:** مدينة ساحلية تقع بالقرب من أنطاكية ،وتُعد من درب بلاد سيس(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص١٨٢؛أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٥٤-٢٥٥)؛ **وحموص:** حصن في بلاد الأرمن شرقي تل حمدون(انظر أبو الفداء، المصدر السابق، ص٢٥٠-٢٥١).

(٢) أبو الفداء، المختصر،ج٤، ص٣٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٣٤٢؛ المقريزي، السلوك،ج٢، ص٢٨٧-٢٨٩.

(٣) ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج١، ص٣٩٢؛ المقريزي، السلوك، ج٢،ص٢٨٨؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٣٨٧؛)؛ **ونجيمة** : جاءت تسميتها عند القلقشندي بـ(نجمة)، وهي قلعة مرتفعة تقع بالقرب من نهر الفرات ولا تبعد عن جسر منبج أكثر من ٢٥ ميل(انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٣٧).

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٣٥؛ ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج١، ص٣٩٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٣١، ص٣٣٧-٣٣٩؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٣٨٦-٣٨٧؛ **مرعش:** مدينة تقع بين الشام وبلاد الروم بينها وبين انطاكية ثمانية وسبعون ميلاً(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص١٠٧؛ أبو الفداء، تقويم البلدان،ص٣٦٣).

وبذلـــك ختمــت المملكة التقوية آخر العمليات الموجهه ضد مملكة أرمينية الصـــغرى، خلال فترة حكم الملك المظفر الثالث تحت مظلة السلطان لاجين الذي لقي حتفه في ربيع الأخر سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م، بُعيد انقلاب دبره المماليك ضده، وبمقتله أُعيد السلطان المخلوع الناصر محمد بن قلاوون –للحكم مرة ثانية– وعمد على إبقاء الملك المظفر الثالث على رأس مملكته بحماة([1]).

وعندما صدرت الأوامر السلطانية في رمضان سنة٦٩٨هـ/يونية ١٢٩٩م، بالمـــرابطة فـــي حلـــب لصد هجوم مغولي مرتقب على الأراضي الشامية،جرد المظفـــر جيشه إلى حلب، ولكن سرعان ما عادت القوات الحموية من المعرة إلى قاعدتهـــا بعـــد وصـــول أنـــباء سكون التحركات المغولية، ولم يكد يستقر الجيش الحموي في حماة حتى ورد أمر السلطان بتحرك الجيش مرة أخرى للمرابطة في حلب لمجابهة الخطر المغولي، فخرج الجند الحموي إلى حلب دون الملك المظفر الـــذي ظـــلّ فـــي حمـــاة. حيـــث بعـــث إلـــى نائـــب دمشق يطلب منه إرسال ابـــن عمـــه أبـــي الفداء إلى حماة، فخرج مع عمه المظفر في رحلة صيد لإحدى الطـــيور الجارحة، فأصيب أبو الفداء ومملوكه بمرض بعد رجوعهما إلى حماة ، فعاده المظفر، وكان قد أصيب هو الآخر بمرض لم يمهله طويلاً حيث قضى نحبه في يوم الخميس ٢٢ من ذي القعدة سنة ٦٩٨هـ/١٢٩٩م([2]).

وبوفاة المظفر نشب نزاع بين أبناء البيت التقوي حول الظفر بعرش مملكة حمـــاة([3])، وهنا أدرك السلطان المملوكي الناصر محمد أن ذلك النزاع ربما أدخل

([1]) بيـــبرس المنصـــوري، زبـــدة الفكرة، ص٣٢٣-٣٢٤؛ ابن أيبك الدوادار، كنز الدرر، مج٨، ص٣٧٦-٣٧٢؛ ابن الجـــزري، تـــاريخ ابن الجزري، ج١، ص٤٢٨-٤٣٠؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة ، ص٥٤٠؛ أسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة ،ص٢٧٧-٢٧٨.

([2]) أبـــو الفـــداء، المختصر، ج٤، ص٤٠؛ **أبو الفداء إسماعيل** بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي، ولد يوم السبت سابع أو ثامن جمادى الأولى سنة ٦٧٢هـ بدار الزنجبلي بدمشق، التي قطنها أهله بعد فرارهم من حماة بسبب الغزو المغولي على بلاد الشام، جمع بين الملك والعلم(للمزيد انظر ابن ايبك، كنز الدرر، مج٩، ص٣٦٤-٣٦٥؛ الحنبلي، شفاء القلوب ، ص٤٥٨-٤٥٩؛ الزبيدي، ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب،ص٤٧).

([3]) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٤١.

حمـــاة في نفق مظلم، فاغتنم الفرصة بأن عيَّن الأمير قراسنقر نائباً على حماة([1])، وبذلـــك أســـدل الســـتار عن المملكة التقوية بعد أن قدمت خدمات عسكرية جليلة لســـلطنة المماليك في أكثر من ميدان. والذي يجدر ذكره هنا أن المؤرخ المعاصر أبا الفداء أشار إلى أن السلطان الناصر محمداً ممن تعرض بعد عودته إلى عرش الســـلطنة المملوكية للمرة الثانية لضغوط من قبل الأمير قراسنقر، للحصول على منصـــب مـــرموق في دولته، ولهذا فقد رأى الناصر محمد أنه من المناسب تعينه نائباً بحماة عشية وفاة الملك المظفر، لحسم تنافس عدد من الأمراء الأيوبيين على عـــرش حمـــاة([2])، والواقع أن الدراسة لا يمكن أن تسلم بهذا الرأي، خاصة وقد اتضـــح من خلال سير الحوادث أن عوامل عدة تمثلت في وفاة المظفر، ومن قبله الأفضل الذي كان العقل المدبر لـــه، فضلاً عن إدراك الناصر عدم أهلية من تبقى من الأمراء الأيوبيين في حماة في إدارة دفة الحكم بها ومدى ولائهم له.

حكم المماليك المباشر لنيابة حماة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م

توجّه الأمير قراسنقر إلى حماة بعد أن أعطاه السلطان تقليداً بها سنة ٦٩٨هـــ/ ١٢٩٩م، حيـــث دخـــل المدينة، وتسلم من بهادر الدين آص زمام الحكم المباشر لنـــيابة حمـــاة([3])، وبدأ بممارسة صلاحياته النيابية، ثم شنّ حملة مصادرات عامة لأمـــلاك الأسرة التقوية، مما أثار حفيظتها وانزعاج أمرائها، و يبدو أن هذا العمل

([1]) ابن حبيب، درة الأسلاك في دولة الأتراك، ج١، ورقة١٢٠ ب؛ الذهبي ،دول الإسلام، ج٢، ص٢٠٢،٢٠٠؛ تاريخ الإســـلام، حـــوادث سنة ٦٩٨هـــ،ص٦٨؛ ابن كثير ،البداية والنهاية، ج١٤، ص٤١٠؛ **والأمير قراسنقر:** من الأمراء المقدمين تقلد عدة نيابات شامية منها حماة وحلب ودمشق، فرّ في زمن الناصر محمد إلى التتار سنة ٧١١هـــ، وكانت وفاتـــه سنة ٧٢٨هـــ(انظر الذهبي ، ذيل تاريخ الإسلام، ص٣١٥؛ الصفدي،أعيان النصر، ج٤، ص٨٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج٣، ص٣٣٠؛ ابن تغر بردي، الدليل، ج٢، ص٥٣٩).

([2]) أنظر ابو الفداء، المختصر، ج٤، ص٤٢.

([3]) ابن أيبك الدودار ، كنز الدرر، مج٩، ص١٤؛ **وبهادر الدين آص :** من مماليك المنصور قلاوون تقلد نيابة صفد، ثم عزل وعاد لدمشق، ثم سجن عامين على أثر وشاية الأمير تنكز نائب دمشق،وأطلق بعدها. كانت وفاته سنة ٧٣٠هـــ (انظر الصفدي ، الوافي، ج١٠،ص٢٩٥؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج٢، ص٣٠؛ ابن تغري بردي ، المنهل ، ج ٣ ،ص٤٢٨؛ الدليل، ج١، ص٢٠٠).

تصــرفاً فردياً من قبل الأمير قراسنقر، يدل على ذلك ردة فعل السلطان الناصر الــذي أصــدر أوامره بإيقاف عملية المصادرات العينية واستمرار الأسرة التقوية والجهاز العسكري على إقطاعاتهم دون التعرض لها([١])، الأمر الذي جعل السلطان يحظى بولاء الأسرية التقوية في حماة حتى بعد إنهاء حكمهم فيها، فقد عبروا عن ولائهم التام لسلطنة المماليك بإرسالهم هدية قيمة إلى السلطان الناصر محمد تتألف من أقمشة وخيول كانت للملك الراحل المنصور محمد ، حملها إليه الأمير صارم الدين أزبك الحموي والمؤرخ أبو الفداء إسماعيل ([٢]).

ولــم يدم مقام الأمير ســيف الدين قراســنقر في نيابة حماة طويلاً ؛ حيث نُقِلَ إلى نيابة حلب سنة ٦٩٩هــ /١٢٩٩م ([٣])، وآلت نيابة حماة إلى العادل كتبغا، وذلــك فــي الرابع والعشرين من شــعبان من السنة نفسها ، فسبقه الأمير صارم الدين أزبك الحموي بالمســير إلى حماة لضبط أمورها إلى حين وصوله إليها([٤])، ثــم دخــل العــادل كتبغا حماة ، وظل نائباً عليها حتى وفاته ســنة ٧٠٢هــ / ١٣٠٤م([٥])، وتقلــد نــيــابة حماة من بعده الأمير سيف الدين قبجق، الذي استمر

([١])أبو الفداء ، المختصر ، ج٤،ص٤٢.

([٢])أبــو الفــداء، المصدر السابق،ج٤، ص٤٢؛**وصارم الدين ازبك الحموي**:من مماليك الملك المنصور صاحب حماة، عــرف بالشــجاعة والجود وعمل الخير، تدرج في المناصب حتى أصبح من أمراء حماة، وقد أثبت جدارته العسكرية حتى توفي في احد الحملات العسكرية المتوجهه نحو سيس سنة ٧٣٧هــ، ثم حمل ودفن في حماة، وأُختلف في تاريخ وفاتــه بين ٢٥ ذو القعدة أو ٤ من ذي الحجة والأقرب للصواب الأخير مقارنة مع تاريخ التجريد(انظر ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٤٠٢؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه،ج٢، ص٢٨٤ ؛ ابن حجر، الدرر الكامنة ،ج١،ص٣٧٧؛ ابن تغري بردي ، المنهل،ج٢، ص٤٣١).

([٣]) تقلد الأمير قراسنقر نيابة الحلب بعد عزل نائبها الأمير سيف الدين بلبان الطباخي(انظر أبو الفداء ، المختصر ، ج ٤ ،ص٤٤؛ ابــن حجر ، الدرر الكامنة ، ج٣، ص٣٣١؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج٩؛ ص٢٧٣؛ الدليل، ج٢، ص ٥٣٩).

([٤]) بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة ، ص٣٤٦؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج٤، ص٤٤؛ ابن أيبك الدودار ،كنز الدرر، مج٩، ص١٤؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه، ج١، ص٢١١.

([٥]) أبــو الفداء، المختصر ، ج٤، ص٤٩؛ ابن أبيك الدودار ، كنز الدرر، مج٩، ص١٠٩؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، وفــيات سنة ٦٩٨هــ، ص ٣٦٨؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، ج٤، ص٢٣٨؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج١، ص٢٥٤؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج٨، ص٢٠٦؛ الدليل، ج٢، ص٥٤٤؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٦،ص ١٣٨.

متربّعاً على نيابة حماة تحت مظلة السلطان الناصر محمد(١) حتى سنة ٧٠٨هـ/ ١٣٠٦م، حيث أعتزل السلطان المملوكي الحكم ،وتولى من بعده السلطان المظفر بيبرس الجاشنكير(٧٠٨-٧٠٩هـ/١٣٠٨-١٣٠٩م)، الذي أوفد إلى حماة أحد رجاله لأخذ البيعة له من نائبها سيف الدين قبجق(٢) ، ولم تطل سلطنة الجاشنكير، حيث عُزل في العام التالي على يد السلطان السابق الناصر محمد بن قلاوون (٣)، والذي ما أن تسلم مقاليد السلطنة حتى أصدر أوامره بنقل الأمير سيف الدين قبجق إلى نيابة حلب وذلك سنة ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م (٤) ، وأسند نيابة حماة من بعده إلى الأمير الحاج بهادر الظاهري ، وبعد مدة وجيزة بدا للناصر نقله نائباً على طرابلس(٥)، وليفتح بذلك المجال لبعض أفراد البيت التقوي لمنافسة أمراء المماليك على حكم حماة ، حيث تطلع- على ما بيدو- بعض أمرائهم لإحياء ملك بني أيوب في حماة من جديد، ولعل الذي شجعهم على هذا هو الوعد الذي قطعه الملك الناصر لأبي الفداء إسماعيل بإعادة الحكم الملكي في حماة وتنصيبه شخصياً ملكاً

---

(١) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٣٧٦؛ أبو الفداء، المختصر،ج٤ ،ص٥٠؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص ٦٠؛ العيني، عقد الجمان، ج٤ ،ص٢٥٩؛ **والأمير سيف الدين قبجق:** هرب إلى المغول زمن اعتقالات الأشرف خليل سنة٦٩٩هـ، ثم عاد بعد مقتل السلطان لاجين، وتقلد عدة وظائف نيابية إلى أن توفي سنة ٧١٠هـ (انظر الصفدي ، أعيان العصر،ج٤،ص٦١؛ ابن حجر،الدرر الكامنة ،ج٣، ص٣٢٥؛ ابن تغري بردي،الدليل،ج٢، ص٥٣٣).

(٢) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة ،ص٤٠٦؛و **السلطان الملك بيبرس الجاشنكير** : دام حكمه عشرة أشهر وأربعة عشر يوماً قتله السلطان محمد في شوال سنة ٧٠٩هـ(انظر ابن أبيك الدودار ، كنز الدرر، مج٩،ص١٥٦؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج٢،ص١٧؛ ابن دقماق ، الجوهر الثمين في سيرة الأمم والملوك ، ص٣٣٦؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار،ج٢،ص٢٣٩؛ السلوك ،ج٢،ص٤٤٩).

(٣) بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية في الدولة التركية، ص٢٠١-٢٠٤؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج٣٢،ص١٤٦-١٤٨؛ الذهبي ، العبر ،ج٤، ص٢٠-٢٢؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج٢، ص١٩؛المقريزي ، السلوك ، ج٢،ص٤٤٢-٤٤٨؛ محمد جمال الدين سرور ، دولة بني قلاوون، ص٤٨-٤٩؛ على إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية ، ص ١٠٣-١٠٤؛ وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر ،ص٨٧

(٤) ابن حبيب ، درة الأسلاك ، ج١، ورقة ١٥٣ب؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج٤ ، ص٥٨؛ النويري ، نهاية الأرب، ج٣٢ ، ص١٥٧؛ ابن حبيب ؛ تذكرة النبيه ، ج٢، ص٢٠؛ الذهبي ، دول الإسلام ، ج٢، ص٢١٥؛ المقريزي ، السلوك ،ج٢، ص٤٤٠؛ محمد جمال الدين سرور ، دولة بني قلاوون، ص٥٠.

(٥) أبو الفداء، المختصر ، ج٤، ص٥٨؛ **والحاج بهادر الظاهري** السلاح دار، أسر في وقعة عين جالوت ، ثم صار من مماليك الظاهر بيبرس، فتنقل في الخدم إلى أن غدا من جملة الأمراء قبض عليه في سنة ٦٩٦هـ، ثم أطلق سنة ٧٠٥هـ، تدرج في المناصب العسكرية حتى نال أمرة مائة بدمشق، انضم لنصرة السلطان الناصر محمد بن قلاوون عندما أراد استرداد حكم السلطنة من المظفر بيبرس، كافأه الناصر محمد بتقليده نيابة طرابلس سنة ٧٠٩هـ، فظل عليها إلى أن توفي في العام التالي(انظر المقريزي، المقفى، ج٢، ص٥٠٤-٥٠٦).

علـيها وذلـك في سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، بعد أن لمس منه مدى إخلاصه له في حـالات السـلم ومشاركته قوى دولة المماليك في الحملة التأديبية التي شنتها ضدّ مديـنة سيس عاصمة مملكة أرمينية الصغرى سنة ٧٠١هـ/١٣٠٢م، فضلاً عن مشاركته في صدّ هجوم المغول على بلاد الشام سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م([1]) ، إلا أن السـلطان المملوكـي ما لبث أن أخذ يماطل في تنفيذ هذا الوعد، ولعل ذلك كان بسـبب الأوضـاع السياسية التي حذت بالناصر محمد لمراعات توازن القوى في البلاد الشامية والمصرية، وما أسفرت عنه تلك الأوضاع من تنحيه عن الحكم في سـنة ٧٠٨هـ/١٣٠٩م، والتي مكنته فيما بعد من تمحيص ولاءت أمرائه وأتباعه بمـا فيهم أبي الفداء إسماعيل، وعندما تأكدّ للسلطان ما أراد وعاد إلى سدة الحكم نفذّ وعده لأبي الفداء وذلك في سنة ٧٠٩ هـ/١٣١٠م([2]). ولم يقابل هذا الإجراء بالرضا من قبل الأمير سيف الدين أسندمر الكرجي صاحب حلب الذي بادر بتقديم طلب للسلطان المملوكي بتقليده نيابة حماة . ويبدو أن اعتراض الكرجي كان على شخص عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ، يؤكد هذا قوله في كتابه المختصر" وكان قد حصلت بيني وبين أسندمر عداوة مستحكمة بسبب ميله إلى أخيه فقصد أن يعدل بحمـاة عني إليه فلم يوافقه السلطان إلى ذلك فلما رأى أن السلطان يتصدق بحماة علـيّ طلبها أسندمر لنفسه"([3])، وظل أسندمر نائباً على حماة حتى صدر أمر نقله إلـى نـيابة حلب في جماد الأولى سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م، وعين الأمير أبو الفداء إسماعيل نائباً على حماة([4]).

خـرج النائـب الحمـوي عماد الدين أبو الفداء إسماعيل من بلاد الشام يوم الاثنين ٢٨ربيع الأول ٧١٢هـ/١٣١٢م، قاصداً القاهرة فدخلها يوم الاثنين العاشر

([1])أبـو الفـداء ، المختصر ، ج٤، ص٤٦- ٥٠؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب ، ج١، ص٥٠٤؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج١، ص٣٩٦.

([2]) أبو الفداء، المختصر، ج٤ ، ص٥١، ٥٨.

([3]) أبـو الفداء ، المصدر السابق ، ج٤، ص٥٨؛ و **سيف الدين أسندمر الكرجي**: من أمراء الديار المصرية تنقل في النـيابات الشـامية فكانت أولها نيابة طرابلس ثم حماة وأخيراً حلب ، قبض عليه وسجن بالكرك حتى توفي ٧١١هـ (انظر الذهبي، ذيول العبر،ج٤، ص٤٠؛الصفدي، الوافي،ج٩، ص٢٤٨؛ المقريزي ،المقفى،ج٢ ،ص١٨٦؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٤١٤؛ ابن حبيب، تذكرةالنبيه ،ج٢،ص ٣٨؛ ابن تغري بردي ، المنهل ، ج١، ص٤٤٣).

([4]) أبو الفداء ، المختصر، ج٤، ص٦٠-٦٢.

من ربيع الآخر، وخلعت عليه التشاريف ،ثم أُنزل بالكبش وفق الأوامر السلطانية، ووصـلت مـن بعـده التقدمة التي عرضها على السلطان الناصر محمد في يوم الجمعـة ١٥ ربيع الأول([١]). وفي يوم الأحد ٢٣ ربيع الأخر أصدر السلطان أمراً بتنصـيبه ملكـاً على المملكة الحموية ، وكتب لـه تقليداً بحماة والمعرة وبارين "تملكـاً "([٢])، و أُعطي صلاحيات مطلقة من " أمر ونهي وإقطاع " مقابل أن يُلزم عسـكرياً بإخـراج جيشـه للمشاركة في الحملات العسكرية . وبذلك أعيد إحياء الملكية التقوية مرة أخرى بعد انقطاع دام أربعة عشر عاماً. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو لماذا أقدم الناصر على إحياء الحكم الأيوبي في حماة، في وقت كانت النـيابات الشـامية قد تناسقت فيما بينها، وأن لا ضير من استمرارية عماد الدين إسماعيل نائباً في ظل الحكم الناصري ؟!

والواقـع أنه يمكن إرجاع ذلك إلى الوعد الذي قطعه السلطان الناصر محمدٌ لأبـي الفداء إسماعيل بتقليده ملكاً على حماة ، إضافة إلى العامل الخفي الذي لعب دوراً فـاعلاً فـي دفـع السلطان الناصر لإحياء الملكية في حماة ،ألا وهو إقرار الأمـير تنكز نائباً على دمشق ، وما ترتب على ذلك من حصول نائب دمشق من صـلاحيات أكـبر داخل الدولة المملوكية ، والتي كانت كفيلة على ما يبدو بإثارة الريـبة في نفس السلطان الناصر الذي سبق وأن عانى الأمرين من حكام دمشق خـلال مدة حكمه السابقة([٣])، مما دفعه للبحث عمن يمثل الولاء والتبعية المطلقة

([١])أبو الفداء، المختصر،ج٤،ص٦٦؛ المقريزي، المقفى،ج٢،ص١٠١؛ و**الكبش:** مناظر الكبش عبارة عن قصور أنشأها الملـك الصالح نجم الدين أيوب على جبل يشكر بجوار الجامع الطولوني تشرف على بركة قارون وبركة الفيل والنيل وجزيرة الروضة وقلعتها والبساتين المحيطة بها، واستمرت منازل الملكية إلى أن هدمت سنة ٧٦٨هـ،على يد السلطان الأشرف شعبان بن حسين(انظر المقريزي، المواعظ والاعتبار،ج٢، ص١٣٣).

([٢]) ابن تغري بردي ، المنهل ، ج٢، ص٤٠٠.

([٣]) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة ،ص٤٠٣؛ أبو الفداء، المختصر ،ج٤، ص٥٥؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص ٢٨٦؛ المقريـزي، السلوك،ج٢،ص٤٣٢؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص٤٦٩-٤٧١؛و **الأمير سيف الدين تنكز:** الحسامي أُنعم عليه بإمرة عشرة ثم نيابة دمشق سنة ٧١٢هـ، وقد نال من المكانة والنفوذ ما شهد له مؤرخو عصره ، إلا أن نهايته كانت الاعتقال والقتل سنة ٧٤٠هـ(انظر الصفدي، أعيان العصر،ج٢،ص١١٦؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الـوردي،ج٢،ص٣١٨؛ الكتبي،فوات الوفيات،ج١،ص٢٥١؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٤، ص٦٠٩؛ الذهبي ،ذيول العبر، ج٤، ص١٢١؛ المقريزي، المقفى، ج٢، ص٦٠٧؛ ابن تغري بردي، المنهل ، ج٤، ص١٥٦).

لدولـــة المماليك عامة وللأسرة القلاوونية خاصة ، فكانت الأسرة التقوية بتاريخها الحافل الشاهد على ولائها هي الخيار الأمثل لذلك ، ولحلّ مشكلة الملك عماد الدين إســماعيل مـــع المماليك الذين استقر بهم المقام في حماة بُعيد وفاة الملك المظفر، أصدر الناصر مرسوماً ينصّ على نقلهم مع أسرهم وأتباعهم إلى حلب سنة ٧١٢ هـــ/١٣١٢م، لمـــنع تدخلهم المباشر في مملكة حماة بحجة إقطاعاتهم التي كانوا يملكونها في حماة وبارين والمعرة، ثم أضيفت الأخيرة لأعمال حلب سنة ٧١٣هــ/ ١٣١٣م، وفـــي المقـــابل أعطـــى الناصر للملك التقوي صلاحيات كاملة بعزل وتعيين وإقطاع من يشاء داخل مملكة حماة و ما يتبعها من أعمال، مع تحديد لعدد القـــوات العســـكرية الحموية بخمسمائة فارس للجهتين من بارين وحماة([1])، وزاد على ذلك فأصدر مرسوماً سلطانياً آخر يلزم النواب في بلاد الشام بما فيهم الأمير تنكز، بأن يكتبوا لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل عبارة " يقبل الأرض"([2])، ويبدو بـــأن الناصــــر أراد بهذه الإجراءات أن يجعل من ملك حماة الأيوبي منافساً قوياً للأمراء المماليك في بلاد الشام وعلى رأسهم نائب دمشق الأمير تنكز.

وقد أثبت الملك عماد الدين أبو الفداء ولاءه المطلق في شتى المحافل ،فعندما أراد أداء فريضــــة الحـــج سنة ٧١٣هــ/ ١٣١٤م، تقدّم بطلب الإذن من السلطان الناصر محمد، كما عمل على إرسال التقادم السنوية له وكان أولها سنة ٧١٣هــ/ ١٣١٤م، عندما سمع بقدومه من الحجاز إلى دمشق حيث خرج أبو الفداء من حماة قاصــــداً دمشـــق لتهنـــئة السلطان بسلامة الوصول، فقدّم لــــه الخيول و المصاغ والقماش، وكان ذلك في يوم الخميس ١٣من المحرم سنة ٧١٤هــ/١٣١٤م، وفي سنة ٧١٥هــ/١٣١٥م، أرسل الملك عماد الدين إسماعيل أحد مماليكه بالتقادم إلى السلطان الناصر، وقد ردّ السلطان بخلعة سلطانية وخيل برقي بسرجه ولجامه([3])، وفي العام التالي بعث الملك التقوي بتقدمة أخرى إلى القاهرة ، ثم أرسل في طلب

([1]) أبو الفداء ، المختصر، ج٤، ص٦٩-٧٢.

([2]) المقريزي ، المقفى ، ج٢،ص٥٠٤-٥٠٥؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج٩،ص٢٩٣.

([3])المقريزي، المقفى،ج٢، ص١٠١؛ابن دقماق، الجوهر الثمين،ص٣٥١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة،ج١،ص٣٩٦-٣٩٧

الإذن مــن الســلطان المملوكي للحضور إلى الأبواب السلطانية فأذن لــه، حيث دخل القاهرة يوم الأحد ١٨ جمادي الأولى، وأُسكن بالكبش ،و أنعم السلطان عليه بالخلع والصدقات السلطانية ،وكان من ضمنها إرجاع المعرة إليه([1]).

وعندما خرج السلطان الناصر محمد من مصر قاصداً دمشق سنة ٧١٧هـ/ ١٣١٧م، حــرص علــى أن تســبقه مجموعة من الصدقات السلطانية إلى الملك الأيوبي أبي الفداء حملها إليه أحد أمراء الأخورية، وهنا بادر الملك التقوي بطلب الإذن من السلطان الناصر بالخروج إلى دمشق ومعه التقادم لاستقباله هناك، فوافق السلطان على إرسال التقدمة وألزم الملك التقوي بعدم الحضور إلى دمشق([2]).

وفــي سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م، خرج الملك عماد الدين على رأس وفد يحمل تقادماً إلى القاهرة ، فدخلها يوم الخميس ١٢ جمادى الأخر من السنة ذاتها، ونزل كعادتــه بالكبش، وأُغدقت عليه الصدقات السلطانية، ثم طلب من السلطان زيارة الإســكندرية، فوافــق علــى طلبه، وكان خروجه من القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ جمادى الآخر حيث أبحر في النيل على حراقتين، فدخل الإسكندرية يوم الأربعاء، وأقــام بها يومين ،ثم قفل عائداً على ظهر الخيل إلى القاهرة ،ووجد أمامه مكافأة أخرى إذ أمر السلطان بأن يزاد لــه عدد من قرى المعرة ، ثم عاد إلى حماة يوم السبت ١٢ شعبان من السنة نفسها([3]).

وعــندما خــرج السلطان الناصر محمد لأداء فريضة الحج سنة ٧١٩هـ/ ١٣١٩م، وصــلت إلــيه تقدمة الملك عماد الدين إسماعيل أرسل الناصر يستدعيه

([1]) أبو الفداء، المختصر ، ج٤،ص٧٨-٧٩؛ ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، ص٣٥١؛ النفحة المسكية، ص١٢٤.

([2]) أبــو الفداء ، المختصر ، ج٤، ص٨٣؛و **أمراء الأخورية:** مفردها أمير أخور وهو المشرف على خيول السلطان وتكــون إقامته بحكم وظيفته في الإسطبل السلطاني (انظر القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٤، ص١٨-١٩؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٢٤-٢٢٥؛ محمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص٢٠).

([3]) أبــو الفداء، المختصر،ج٤، ص٨٣؛**والحراقتين :** وجمعها حراقات أو حراريق وهي نوع من السفن الحربية التي ترمى منها النيران، ومنها نوع كان يستخدم لحمل الأسلحة النارية وكان بها مرام تلقى منها النيران على العدو للوقوف على المزيد من التفصيلات (انظر درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم ، ص٣٢-٣٧؛ إبراهيم حسن سعيد، البحرية في عصر سلاطين المماليك، ص١٠٧) .

علـــى الـــبريد، فدخل القاهرة يوم السبت ٢٤من شوال، ونزل بدار القاضي كريم الديـــن، ثم خرج صحبة السلطان إلى الدهليز الذي نصب خارج القاهرة وذلك يوم السبت ثاني ذي القعدة، وفي اليوم التالي سار السلطان والملك التقوي على طريق الحـــاج المصري، قاصداً الأراضي المقدسة فدخلا مكة المكرمة على ما يبدو في أواخـــر ذي القعدة، وبعد أدائهما لفريضة الحج أغدق السلطان المملوكي الصدقات علـــى أهل مكة، ثم قفل عائداً إلى مصر؛ حيث رافقه الملك عماد الدين حتى دخل القلعـــة بالقاهرة، ثم ودّعه وغادر القاهرة متوجّهاً إلى حماة وذلك يوم الخميس ١٧ محـــرم ٧٢٠هـــــ/١٣٢٠م([1]). وهذا يؤكد مدى إخلاص الملك التقوي عماد الدين للســـلطان الناصر، وفي الوقت ذاته يدل على مدى تخوفه من بقية نواب الممالك الشـــامية بحكم أنه الشخص الذي يحمل لقب ملك، وينحدر من أسرة مرموقة هي الأسرة الأيوبية.

ولـــم يطـــل غياب الملك عماد الدين عن الأبواب السلطانية حيث عاد إلى القاهرة في المحرم من ذات العام لتشهد حاضرة دولة المماليك مراسيم تلقيب الملك عماد الدين إسماعيل ملك المملكة التقوية بـــ(الملك المؤيد)، فركب بشعار السلطنة مـــن المدرســـة المنصـــورية ،وسار محاطاً بأمراء المماليك على مختلف رتبهم العسكرية حاملين من ورائه السلاح والدواة، والغاشية ،والعصائب إلى أن وصلوا إلـــى قلعـــة الجبل، ووزعت الخلع والتشاريف على الحضور، وبعدها عاد الملك المؤيـــد إلـــى حماة ، فأستقبله الأمراء والأعيان على مشارفها يوم السبت ٢٦ من

([1]) ابـــن حبيب، درة الأسلاك، ج١، ورقة ١٨٤أ؛ أحمد الرشيدي، حسن الصفاء والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج، ورقة٣٦أ؛ الذهبي، ذيول العبر ، ج٤، ص٥٥؛أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٨٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص ٣٠٢-٣٠٤؛ابـــن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص٩٩-١٠٠؛المقريزي، السلوك، ج٣، ص١٧-١٩؛ الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، ص١٣١؛ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٩٧؛ و**القاضي كريم الدين** عبد الكريم ابن هبة الله بن السديد، وكيل الناصر محمد وناظر خواصه ومدبر الدولة الناصرية، توفي سنة ٧٢٤هـــ(انظر الكتبي، فـــوات الوفـــيات، ج٢،ص٣٧٧؛ الصفدي، أعيان النصر، ج٣، ص١٤٢؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢،ص١٣٣؛ ابن حجر، الدررالكامنة، ج٣، ص١٥) ؛و **الدهليز: هي الخيمة السلطانية تنصب للسلطان عند إعلان الاستنفار للحرب أو** قيامه برحلات التنزه أو الصيد(انظر محمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية، ص٧٧).

المحــرم السنة نفسها([1]).ولم تتوقف الهبات السلطانية على الملك التقوي بل تعدته إلى أسرته حيث أرسل السلطان الناصر سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، تشريفاً إلى الأمير محمد ابن الملك المؤيد إسماعيل، فلبس المذكور هذا التشريف يوم الاثنين الخامس من رجب، وركب سائراً به في حماة ([2]).

ولم تنقطع زيارات الملك المؤيد عن القاهرة، فقد خرج بصحبة أفراد أسرته فــي ذي الحجــة إلى القاهرة سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م، فأنعم عليه السلطان بالخلع والتشــريفات، وظل المؤيد مقيماً في القاهرة حتى شهد عيد الأضحى([3])، ثم خرج مــنها إلـــى حماة في ١٢ من صفر سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م([4]). ولعل هذه الزيارة التي قام بها الملك الأيوبي للقاهرة كانت ردة فعل لما أقدم عليه الناصر من اعتقال لــناظر دولته كريم الدين ، والتي يبدو أنها أثارت مخاوف عماد الدين فخرج إلى القاهرة هذه السنة إرضاء للناصر ، كما لا يستبعد أن يكون الهدف من اصطحابه لأهله وولده تأكيد ولائه وأسرته للسلطنة المملوكية. وبعد عودة الملك المؤيد عماد الدين إلى حماة، فوجئ بهدية أرسلها إليه السلطان الناصر وذلك في سنة ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م، كانت عبارة عن فرسين من خيل برقة أحد هما بسرج من ذهب والآخر

([1]) أبو الفداء ، المختصر، ج٤، ص٨٨؛ ابن أبيك الدودار، كنز الدرر، مج٩،ص٢٩٧-٢٩٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣٢،ص٣١٧؛ الذهبي، دول الإسلام،ج٢،ص٢٢٧؛ الصفدي، أعيان النصر، ج١،ص٥٠٤؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٢، ص١٠٦؛ المقريزي، المقفى، ج٢، ص١٠١؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج٢، ص٣٩٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٩،ص٦١-٦٢؛ **والمدرسة المنصورية:**أنشأها السلطان المنصور قلاوون فيما بين القصرين من داخل باب المارستان الكبــير المنصوري(انظر المقريزي، المواعظ والاعتبار،ج٢،ص٣٧٩-٣٨٠؛ أنظر أيضاً ،زبيدة محمد عطا، مكتبات المدارس في العصرين الأيوبي والمملوكي ، منشور ضمن ندوة تاريخ المدارس في العصر الأسلامي، ص٢١٢-٢١٣) ؛**والدواة:** لم تتوفر عنها معلومات توضح ما هي والأرجح بأنها كانت ثمينة (انظر عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، ج٢، ص٩٠)؛ **والغاشية:** قبة تُحمل بين يدي السلطان عند الركوب في المواكب، وهي مصــنوعة مــن أديــم مخروز بالذهب يخالطها يظن الناظر أن جميعها مصنوعة من الذهب (انظر القلقشندي، صبح الأعشــى ، ج٤،ص٧؛ محمدقــنديل البقلــي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٢٥٤) ؛**والعصائب:** وهي راية عظيمة من حرير صفر مطرز بالذهب عليها ألقاب السلطان وأسمه (انظر القلقشندي، صبح الأعشى،ج٤،ص٨).

([2]) أبو الفداء، المختصر ،ج٤،ص ٨٩.

([3]) أبو الفداء ، المصدر السابق، ج٤، ص٩٣.

([4]) ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج٢، ص٥٩.

بسرج من فضة، فركبهما في يوم الخميس ١٣من رجب([1]). ويبدو أن هذه الهدية كانت رمزاً لمدى رضى السلطان عنه.

ثـم كان صدور أول مرسوم سلطاني يُطلب فيه حضور الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل لخدمة السلطان الناصر محمد في رحلة صيد سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧ م ، فخرج الملك المؤيد في يوم الاثنين رابع ذو القعدة مع ابنه محمد الذي مرض بعد دخوله الديار المصرية([2])، فنقلته الخيول السلطانية إلى مقر إقامة السلطان في سـرياقوس، ثـم أرسـل رئيس أطبائه جمال الدين إبراهيم بن أبي ربيع المغربي لعلاج ابن الملك المؤيد ، و رحل السلطان ومن معه إلى القلعة وأرسل حراقة إلى الملـك المؤيـد وابنه المريض لنقلهما إلى دار طقزدمر، وعلى الرغم من انشغال المؤيـد بـتمريض ابـنه إلا أنه لم يهمل التواجد في الحضرة السلطانية ، وخدمة السـلطان الناصـر، وبعـد ٣٥ يوماً خرج الملك المؤيد والسلطان المملوكي مرة أخـرى إلى سرياقوس في يوم الخميس من صفر،وفي اليوم التالي خلع التشريف على الملك المؤيد وابنه،وأذن لهما بالعودة إلى حماة، فودعهما السلطان يوم السبت ثانـي ربيع الأول، ودخلا دمشق في ١٨ من ذات الشهر،ولم يقيما فيها بل توجها إلى حماة،حيث وصلا إليها يوم الجمعة ٢٢ ربيع الأول سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م([3]).

([1]) أبو الفداء، المختصر ،ج٤، ص٩٣.

([2]) ذكـر ابن الجزري بأن خروج المؤيد كان في الثامن من ذي القعدة وأن الذي مرض هي زوج المؤيد لا ابنه ، في حين أن أبا الفداء حدد تاريخ خروجه في الرابع من ذي القعدة وأن من مرض هو ابنه، والأصح ما ذكره صاحب الشأن الملـك المؤيـد عماد الدين في كتابه المختصر(انظر، المختصر،ج٤، ص٩٧؛ وانظر أيضاً ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري ، ج٢، ص١٩٥).

([3]) ابـن الجـزري ، تاريخ ابن الجزري ، ج٢،ص٢٥٧؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج٤، ص٩٦-٩٩؛ و **جمال الدين إبراهـيم بن أبي الربيع أحمد المغربي:** رئيس الأطباء بالديار المصرية ، رافق الملك الناصر محمد إلى الكرك زمن اعـتزاله ،ونـال المكانـة والمـنزلة الرفيعة ،توفي في أواخر ذي القعدة بدمشق سنة ٧٥٦هـ(انظر الصفدي، أعيان النصر،ج١، ص٥٤؛ الوافي،ج٥، ص٣١٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة،ج١، ص١٦؛ ابن تغري بردي، المنهل،ج١،ص ٢٥)؛ و **دار طقزدمـر** مطلة على بركة الفيل بالقاهرة سكنها الأمير **طقزدمر الحموي الناصري** الذي قُدم إلى السلطان الناصـر محمد من قبل الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة، فترقى في الرتب العسكرية حتى صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم نقل إلى البلاد الشامية ليقلد وظائف إدارية منها نيابة حماة -كما سيأتي- أصيب بالمرض قبل وفاته سنة ٧٤٦هـ(انظر أبو الفداء،المختصر،ج٤،ص٦٩-٩٧؛ الصفدي،الوافي،ج١٦،ص٤٦٥،ابن حبيب، تذكرة النبيه ،ج٣، ص٨٠ ؛المقريزي، المقفى،ج٤،ص٢٩؛ ابن حجر،الدرر الكامنة،ج٢،ص٣٢٦؛ ابن تغري بردي،المنهل ،ج٦،ص ٤٢٠)؛ **وسرياقوس:**بليدة في نواحي القاهرة(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان،مج٣،ص٢١٨).

ولـــم يكن الملك المؤيد سباقاً للمشاركة في المحافل السلمية فقط ، بل كان يحاول أيضاً إثبات جدارته الحربية في المضمار العسكري بتنفيذ الأوامر السلطانية الموجهة لصدّ الغارات المغولية أو للقيام بحركات تأديبية ضد القوى الصليبية في الساحل، والتي سيتم إلقاء الضوء عليها في الفصل الثاني إن شاء الله.

اســـتمر الملـــك الأيوبي المؤيد عماد الدين إسماعيل حاكماً على حماة حتى وفاته سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م، فنصب من بعده ابنه المنصور محمداً بتوصية الأمير تـــنكز الذي راسل السلطان الناصر محمداً يطلب منه إقامة المنصور محمد مكان أبـــيه ، فأجيـــب إلى سؤله وطلب منه تجهيز المنصور إلى الأبواب السلطانية في القاهرة. حيث دخلها في ربيع الأول وقيل في يوم الأربعاء العاشر من ربيع الآخر مـــن السنة ذاتها([1])، حيث نُعِتَ بالملك "الأفضل"([2]) ،وقلده السلطان الناصر محمد حمـــاة في يوم الخميس ٢٥ربيع الآخر([3])، وركب الأفضل بشعار السلطنة على فرســـه، وســـار بين يديه الغاشية و الحجاب وبعض الأمراء والخلعة على رأسه ونشرت العصائب السلطانية حتى صعد إلى القلعة، وبانقضاء مراسم التنصيب عاد الأفضـــل إلى مقر مملكته حماة ،ولم يكن هذا الأمر آخر العهد بالملك الأفضل في القاهـــرة، حيث وفد إلى الأبواب السلطانية في ١٥ رمضان من العام نفسه، وكان ســـبب قدومـــه هو رغبته في الخروج مع السلطان المملوكي الناصر محمد لأداء فريضة الحج ([4]).

([1]) انظر ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج٢، ص٥١٨؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين ، ص١٦٤؛ المقريزي، السلوك ، ج٢، ص١٥٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٩،ص١٠٠.

([2]) ابن الجزري ، تاريخ ابن الجزري ، ج٢، ص٥١٩؛ الصفدي ، أعيان النصر ، ج٤، ص٣٢٣؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج٢، ص٢٢٥؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج٤،ص٨.

([3]) ابن تغري بردي ، النجوم ، ج٩، ص١٠٠.

([4]) ابن الجزري، الأنس الجليل، ص٢٥٣، ٣٤٨؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج٤،ص١٠٥؛ ابن أيبك الدودار، كنز الدرر، مـــج ٩، ص٣٦٤-٣٦٥؛ ابـــن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج٢، ص٥١٩، ٥٢٨-٥٢٩؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الـــوردي ، ج٢، ص٢٨٨؛ الذهبي، ذيول العبر ، ج٤، ص٩١؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج٤، ص٨؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين ، ص٣٥٩؛ المقريزي، السلوك ، ج٢، ص١٥٣-١٥٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٩،ص١٠٠-١٠٢.

والــذي يجــدر ذكره أنه على الرغم من أن بعض المؤرخين أرجع سعي الأمير تنكز إلى تنصيب الملك الأفضل مكان أبيه على رشوة قدمتها زوجة المؤيد لــه ([1]) فإنّ الذي يبدو أن هذا ليس مبرراً كافياً لهذا العمل ، بل يمكن إرجاع ذلك إلــى إدراك الأمــير تنكز بأن بقاء حماة بيد البيت التقوي كفيل باستقرار الوضع داخل حماة، ناهيك عن أنّ الملك التقوي لم يكن ليقطع أمراً إلا بالعودة إلى تنكز.

وسرعان ما ساءت أوضاع الملك الأفضل وعلاقته بالسلطنة المملوكية التي وصــفها الصــفدي بقولــه:"ومــازال في حَماة مُرَوَّعاً مُدَّة حياته تارة من جهة الســلطان،وتارة من جهة تنكز،وتارة من جهة العربان،يأخذون إقطاعاته"([2])، مما يعطي الانطباع عن وهن الملك الجديد ، ويحدد مكانة المملكة التقوية في السلطنة المملوكية ،وأنها هانت حتى تجرّأ العربان بالاعتداء على إقطاعات الملك التقوي، وعلى الرغم من إيراد الصفدي لاسم الأمير تنكز ضمن مُروعات صاحب حماة ، إلا أن المــؤرخ نفســه أشاد في حديثه بجهود النائب الدمشقي تنكز لتثبيت حكم الأفضــل عندما بلغه رغبة الناصر محمد لإسقاط الحكم الأيوبي في حماة ، حيث توسّــط الأمــير تنكز لدى السلطان الناصر محمد ورجاه الموافقة على استمرار الأفضل حاكماً على حماة .

إلا أن آمــال الملك الأفضل ما لبثت أن تبددت ،إذ كان القبض على الأمير تــنكز المفاجئ في عام ٧٤٠هــ/١٣٣٩م([3])، ومن ثم وفاة السلطان الناصر محمد في العام التالي، بمثابة المسمار الأخير الذي دقّ في نعش الحكم التقوي في حماة، حيــث عمد السلطان المملوكي الجديد أبو بكر بن الناصر محمد(٧٤١-٧٤٢هــ / ١٣٤٠-١٣٤١م) بتدبــير أتابكه الأمير قوصون إلى عزل الملك الأفضل عن حكم

([1]) المقريزي ، السلوك ،ج٣، ص١٥٣؛ ابن تغري بردي، النجوم ، ج٩، ص١٠٠.

([2]) الصفدي، أعيان النصر، ج٤، ص٣٢٤.

([3]) ابــن الــوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج٢، ص٣١٨؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤،ص ٦٠٩؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج٢، ص٣٢١؛ ابن دقماق، النفحة المسكية، ص١٣٦؛ ابن تغري بردي ، المنهل ، ج٢، ص١٥٩.

حماة وذلك سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م[1]،و لقطع أيّ أمل للبيت الأيوبي في استمراره فـــي حكـــم حماة نُقِلَ الأفضل إلى دمشق ، وعوض عن إقطاعاته في حماة براتب يدفع له من ريعها [2].

كان إنهاء الحكم التقوي في حماة سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م، إيذاناً بعودتها إلى حظـــيرة التنظيم النيابي في السلطنة المملوكية ، وكأيّ بداية لنظام من هذا القبيل ، فقـــد عانت النيابة الحموية من الاضطرابات والأزمات المتلاحقة حتى تمكنت من الاســـتقرار الكـــامل ضمن منظومة الحكم النيابي لبلاد الشام، خاصة وأن الدولة المملوكية قد عانت هي الأخرى من انعدام الاستقرار الداخلي على دست السلطنة بالقاهـــرة بُعـــيد وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، مما كان له الأثر السيئ على النيابة الحموية التي تعاقب عليها خلال سنتين خمسة نواب أولهم الأمير سيف الديـــن طقزدمـــر،الذي تولى مقاليد النيابة بعد عزل الملك الأيوبي الأفضل محمد، والملاحـــظ هنا أن أول نائب عين على حماة بعد إنهاء الحكم التقوي كان مملوكاً لصاحب حماة الملك المؤيد ، ولعل الهدف من ذلك هو تفادي الأخطاء التي حدثت عشـــية حادثـــة الإنهـــاء الســـابقة–من قبل الأمير قراسنقر – والتي صاحبها تعد ومصـــادرة لممتلكات أفراد البيت التقوي، إضافة إلى أن النائب الجديد لم يكن أقلّ شـــأناً مـــن الملك التقوي في المرتبة الوظيفية ،ويعدّ هذا تصرفاً حكيماً من إدارة الســـلطنة المملوكـــية، تمكنوا خلالها من التخلص من نائب السلطنة بمصر وإنهاء الحكـــم الأيوبي لحماة ،وتسليم نيابة حماة إلى رجل يتمتع بخبرة كبيرة في ميادين

---

(1) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢،ص٣٢٢؛ الصفدي، أعيان النصر، ج٤، ص٣٣٤؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه، ج٣، ص٢٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٤،ص٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٧٥-٧٦؛ و**الأمير قوصون** بن عبد الله الساقي:من مماليك الناصر محمد بن قلاوون وأحد خواصه، عظم شأنه في الدولة الناصرية بعد زواجه من بنت أســـتاذه الناصر محمد، قتل في محبسه بالإسكندرية سنة ٧٤٢هـ(انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٣٤٢؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج٢، ص٥٥١)؛و **السلطان أبو بكر بن محمد بن قلاوون** تسلطن في يوم الخميس ٢٠ ذو الحجة سنة ٧٤١هـ، بعد أبيه الناصر محمد وهو أصغر من أخيه أحمد، اغتيل في قوص بعد عزله بتدبير من قوصون الساقي ســـنة ٧٤٢هـ(انظر ابن حبيب، تذكرة النبيه ،ج٣،ص٢٤-٢٥؛ الذهبي،ذيول العبر، ج٤،ص١٢٥؛ المقريزي، السلوك ،ج٣،ص٣٧١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة،ج١،ص٤٩٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠،ص٣-٢١).

(2) نقل الأفضل برتبة أمير مائه رأس ميسرة ومقدار ما حدد من راتب بلغ ألف ألف درهم،ومأتي ألف في كل سنة، ابن الوردي،تاريخ ابن الوردي،ج٢،ص٣٢٢؛الذهبي،دول الإسلام،ج٢،ص٢٤٧؛ الصفدي،أعيان النصر،ج٤،ص٣٢٣-٣٢٤

الإدارة والسياســة والحرب، وهذا ما أثبته حسن تدبير طقزدمر عشية تقلده نيابة حمــاة، حيــث عمل على امتصاص غضب أهل حماة بتعليله أن سبب قبوله لهذه الوظــيفة يعــود لــرجائه " أن يردها الى الأفضل مكافاة لاحسان أبيه"([١])، إلا أنه ســرعان ما أقدم السلطان أبو بكر ابن الناصر محمد على نقل طقزدمر إلى حلب وإســناد نيابة حماة للأمير سيف الدين الحاج آل ملك مكانه([٢])، وعلى ما يبدو فإن عملية النقل هذه قد أوقفت بعض الوقت([٣]) لانشغال السلطنة بحادثة عزل السلطان الناصــر أحمــد في أواخر سنة ٧٤٢هـ/١٣٤٢م، وتولي أخيه السلطان الصالح إســماعيل(٧٤٣-٧٤٦هـ/١٣٤٢-١٣٤٥م)، فاستمر الأمير سيف الدين طقزدمر نائباً على حماة حتى هدأت الأمور، حيث نقل بعدها إلى نيابة حلب سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٣م([٤]) وأقيم الأمير علم الدين سنجر الجاولي مقامه في نيابة حماة . ويبدو أنه أبدى مهارة فائقة في إدارته لشؤون هذه النيابة، الأمر الذي أثار إعجاب السلطان، فاستدعاه للعمل بجواره في الأراضي المصرية([٥]) ، وآلت نيابة حماة من بعده إلى الأمير سيف الدين المارداني ،في ٢٣ ربيع الأول من سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٣م، ولم يطل مقامه هو الآخر في حماة حيث نقل في ٤ جمادى الآخرة من العام ذاته، إلى

([١])ابــن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢،ص٣٢٢؛ سيتم التعرف على ما صاب دولة المماليك من فتن وقلاقل عشية موت الناصر محمد في الفصل الثالث ، المبحث الثاني.

([٢])الصفدي ، تحفة ذو الألباب ، ج٢، ص٢٥٥؛ المقريزي، السلوك ، ج٣، ص٣٦٤؛ ابن تغري بردي، الدليل،ج١،ص ١٥٣؛و **الحــاج آل ملــك** :نائــب الســلطنة بالديار المصرية له عدة مآثر من مساجد وأربطه في مكة والقاهرة، قتل بالإســكندرية ســنة ٧٤٧هـ(انظر الصفدي، الوافي ، ج٩، ص٣٧٢؛ المقريزي، المقفى، ج١،ص٢٩٤؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج١، ص٤٣٩).

([٣]) ابن حجر ، المصدر السابق ،ج١،ص٤٣٩؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج١٠،ص٨٠.

([٤]) ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج٣، ص٤٠؛ المقريزي ، السلوك ، ج٣؛ ص٣٧٧؛ ابن تغري بردي، المنهل ، ج٦،ص ٢٤٠؛و **الســلطان الناصــر أحمــد بن الناصر محمد بن قلاوون** :جلس على تخت الحكم سنة ٧٤٢هـ، ثم خرج من القاهرة إلى الكرك اعتزالاً عن الحكم ،قتل ٧٤٥هـ(انظر الذهبي، دول الإسلام ، ج٢، ص٢٤٨؛ ابن دقماق، الجوهر الثميــن، ص٣٧٢؛ الــنفحة المســكية، ص١٧٨؛ الملطي، نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، ص٩٧)؛ **والسلطان الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون:** تسلطن في المحرم سنة ٧٤٣هـ، وكان مشكور السيرة . توفي في ربــيع الأول مــن ســنة ٧٤٦هـ(انظر الصفدي، الوافي، ج٩،ص٢١٩؛ ابن دقماق،الجوهر الثمين، ص٣٧٥-٣٧٦؛ السيوطي، حسن المحاضر، ج٢، ص١١٧؛ الملطي، نزهة الأساطين،ص٩٨).

([٥]) المقريــزي، الســلوك، ج٣، ص٣٧٧؛ ابــن تغــري بردي، النجوم،ج١٠،ص٨٠؛ **وعلم الدين سنجر الجاولي:** الأســتاذدار تقلــد نيابتــي غزة و حماة،توفي يوم الجمعة بالقاهرة ١٩رمضان سنة ٧٤٥هـ (انظر ابن حبيب، تذكرة النبيه،ج٣، ص٧٥؛ المقريزي، السلوك،ج٣،ص٤٢٢؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٢٦).

نــيابة حلب عوضاً عن نائبها طقزدمر الذي نقل بدوره إلى نيابة دمشق([1])، وفي رجب تسلم نيابة حماة الأمير سيف الدين يلبغا اليحياوي حتى ربيع الأول من سنة ٧٤٤هـــــ/١٣٤٤م، والـــذي أبـــدى هو الآخر نجاحاً باهراً في نيابة حماة فكافأه السلطان بنقله إلى نيابة حلب ([2]) ،ثم تولى حماة من بعده الأمير طقتمر الأحمدي، ودام حكمـــه فــيها حــتى خلع السلطان الصالح سنة ٧٤٦هــ/١٣٤٥م([3])، وتقلد الســلطنة السلطان الكامل شعبان، والذي يبدو أنه استهل حكمه بتغيير شامل لحكام النــيابات وشــمل ذلــك نيابة حماة حيث أسندت مهامها للأمير أرسلان بصل في المحـــرم من سنة ٧٤٧هــ/١٣٤٦م، ويبدو بأنه عُزل وعُين مكانه الأمير أسندمر العمري في منتصف السنة([4]).

([1])الصفدي ، تحفة ذوي الألباب، ق٢، ص٢٦١؛ ابن تغري بردي، النجوم،ج١٠، ص٨١-٨٢؛ المنهل،ج٣،ص٧٠؛ و **الطنــبغا الماردانــي** الســاقي الناصري : نال مراتب الشرف والرفعة زمن أستاذه الناصر محمد ،تقلد نيابة حلب بعد طقزدمر سنة ٧٤٤هـــ، وتوفي بها سنة ٧٤٤هــ(انظر الصفدي، الوافي، ج٩،ص٣٦٤؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٣٧؛ ابن تغري بردي ، المنهل ،ج٣، ص٦٧).

([2]) ابن حبيب، درة الأسلاك،ج٢،ورقة ٢٨٢أ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٣٢٥-٣٢٦؛ذكر ابن تغري بــردي أن نقــل يلبغا لحلب تم في١٢ محرم سنة ٧٤٤هــ(النجوم،ج١٠،ص٨٢-٨٧)؛و **يلبغا اليحياوي(أو التجباوي)** الناصري من مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون،تقلد نيابة حماة ثم حلب ثم دمشق ،قتل سنة ٧٤٨هــ(انظر ابن حجر،الدرر الكامنة،ج٥،ص٢١٢؛ ابن تغري بردي،الدليل، ج٢،ص٧٩٣).

([3])ابــن الوردي،تــاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٣٦، ٣٣٢؛ الصفدي، تحفة ذوي الألباب،ج٢، ص٢٦١-٢٦٢؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه،ج٢،ص١٠٤؛ ابن تغري بردي،النجوم،ج١٠،ص ٨٧؛ **وطقتمر(أو طقزدمر) الأحمدي:** من مماليك السلطان الناصر محمد تولى الاستادارية في عهد الناصر أبي بكر ثم تقلد نيابة صفد ثم حماة ثم حلب وأخيراً تقلد إمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية،توفي سنة ٧٤٧هــ(انظر الصفدي، الوافي،ج١٦، ص٤٦٤؛المقريزي، المقفى، ج٤، ص٢٧؛ ابن حجر،الدرر الكامنة،ج٢، ص٣٢٥؛ ابن تغري بردي، المنهل،ج٦،ص ٤١٧)

([4]) ابــن تغري بردي، النجوم،ج١٠،ص١٢٦ ،١٣٤؛ **السلطان الكامل شعبان بن محمد بن قلاوون** تولى مقاليد الحكم بعد أخيه الملك الصالح سنة ٧٤٦هـــ، وظل في الحكم سنة ونيف، ثم خلع وقتل سنة ٧٤٧هــ(انظر ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢،ص٧٩؛ الدليل، ج١،ص٣٤٤-٣٤٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان،ج١، ص ٤٣)؛ **وأرســلان بصل** تولى وظيفة حاجب ثاني أيام دولة الكامل شعبان، ثم نائب حماة . لم أقف على ترجمة له فيما توفــر لــي من المصادر اطلعت عليها تبين تاريخ وفاته ذكر عند المقريزي باسم " رسلان بصل " (انظر المقريزي، السلوك، ج٤، ص١٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ص١٠،ص١٢٦)؛ و **اسندمر العمري:** تنقل بين نيابة حماة وطرابلس إلى أن سجن بالإسكندرية، وتوفي بها سنة ٧٦١هــ(انظر الصفدي ، الوافي ، ج٩، ص٢٤٩؛ المقريزي، المقفى، ج٢ ،ص١٩١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج١، ص٤١٣؛ ابن تغري بردي ، المنهل ، ج٢، ص٤٤٥).

والــذي يمكــن استنتاجه من هذه الحوادث المتسارعة ، أن سلاطين دولة المماليــك فــي القاهرة جعلوا من نيابات الشام ميداناً للتنافس بين من يعينونهم من أمــراء عليها، بحيث يتم تنصيب الأمير في البداية نائباً على حماة ، وعندما يبدي هــذا الأمير ولاءه التام لأسياده في القاهرة ، فضلاً عما يحققه من نجاح في إدارة دفــة الحكم في هذه النيابة، يكافأ في البداية بالنقل إلى نيابة حلب التي كانت –على مــا يــبدو– تحــتل الدرجة الثانية بين النيابات الشامية . وعندما يستمر في ولائه للسلطنة في القاهرة ونجاح إدارته في حلب يتسلم كبرى النيابات الشامية دمشق.

وعــندما وصل السلطان المظفر حاجي ابن الناصر محمد(٧٤٧–٧٤٨هـ/ ١٣٤٦–١٣٤٧م)، إلــى ســدة الحكــم في الدولة المملوكية قلد الأمير سيف الدين أســندمر العمري نيابة حماة ،ولكنه سرعان ما نقل إلى نيابة طرابلس([1])، فأعقبه الأمــير ســيف الديــن طيبغا المحمدي الذي استقر استاداراً في القاهرة([2])، فآلت النيابة الحموية إلى سيف الدين قطيلجا في شوال من سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٧م، حتى نقــل إلى حلب نائباً بها أواخر سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م([3])، وأعيد الأمير أسندمر العمــري إلــى نــيابة حماة([4])، وظل قائماً على تدبير أمورها حتى خُلِعَ السلطان

([1])ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي،ج٢،ص٣٣٢؛ الصفدي، تحفة ذو الألباب،ج٤، ص٢٦٧؛ ابن تغري بردي،النجوم،ج ١٠،ص١٥١؛**والســلطان حاجي بن محمد بن قلاوون:** ولد في سنة ٧٣٢هـ، أثناء خروج الناصر محمد للحج فسمي حاجــي، بويع بالسلطنة سنة ٧٤٧هـ، ثم خلع وقتل سنة ٧٤٨هـ(انظرابن الوردي، تاريخ ابن الوردي،ج٢،ص٤٩٦؛ ابن تغري بردي،موارد اللطافه ،ج٢، ص٨٢؛ المللطي،نزهة الأساطين،ص١٠٠).

([2]) المقريــزي، السلوك، ج٤، ص٤٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٥٥؛**وطيبغا المحمدي:**من أمراء الألوف بالديــار المصرية توفي ٧٧١هـ(أنظر ابن حجر،الدرر الكامنة،ج٢،ص٣٣٣؛ ابن تغري بردي، الدليل،ج١،ص٣٧٦)؛ **والإستادار:** وهو يطلق على من يتولى مهمة قبض الأموال السلطانية وصرفها وفق الأوامر السلطانية(انظر العمري، مسالك الأبصار،ج٤، ص١١٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى،ج٤،ص٢٠؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٢٢).

([3]) ابن حبيب، تذكرة النبيه،ج٣، ص٩٣؛ المقريزي، السلوك،ج٤، ص٤٠؛ ابن تغري بردي، النجوم،ج١٠،ص١٥٥، ٢١٦؛و **قطليجا الحموي:**أصله من مماليك صاحب حماة الملك المؤيد قدمه للناصر محمد، ترقى بعد وفاة أستاذة في عدة وظــائف عسكرية حتى تقلدَ نيابة حماة ثم نيابة حلب، وكان سيئ السيرة ذكر المقريزي بأن وفاته كانت سنة ٧٤٥هـ، في حين أن الأقرب للصواب بأنه توفي سنة ٧٥٠هـ(انظرابن حبيب، تذكرة النبيه،ج٣، ص١٣٤؛ المقريزي، السلوك، ج٣،ص٤٣١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة،ج٣،ص٣٤٠؛ السخاوي،وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام،ج١،ص٥٠).

([4]) ابن حبيب، تذكرة النبيه،ج٣، ص١٣٤؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٢ ،ص٤٤٦؛ النجوم ، ج١٠، ٢٢٥.

المظفـــر حاجي وتولى من بعده السلطان حسن بن الناصر محمد(٧٤٨-٧٥٢هـــ/ ١٣٤٧-١٣٥١م) فصــــدر مرســـوم سلطاني بتعيين الأمير طنبرق في نيابة حماة عوضاً عن الأمير أسندمر العمري ، واستمر عليها حتى نقل إلى حلب على وظيفة طـــبلخاناة في ٢٧ ذي القعدة من سنة ٧٥١هـــ/١٣٥٠م([1]) ، وفي عهد السلطان الصالح صالح(٧٥٢-٧٥٥هـــ/١٣٥١-١٣٥٤م) تولى نيابة حماة الأمير أصلان الناصـــري وذلك في سنة ٧٥٢هـــ/١٣٥١م ،بعد نقل نائبها السابق إلى حلب([2])، فباشـــر مهامهـــا بعض الوقت حتى استقر الأمير أحمد الساقي في نيابة حماة بدلاً عنه،إلا إنه لم يطل به المقام نائباً بها لعصيانه على السلطنة وذلك في شهر رجب من سنة ٧٥٣هـــ/١٣٥٢م([3])، بل أعيدت إلى الأمير طنبرق من ذات العام ([4]).

وعـــندما ولـــي الســـلطنة المملوكية ، السلطان المنصور محمد بن المظفر حاجـــي٧٥٥- ٧٦٢هـــــ/١٣٥٤-١٣٦١م ، أنعـــم على الأمير عز الدين أيدمر

([1]) الذهبـــي، ذيول العبر،ج٤، ص١٩١؛ المقريزي، السلوك،ج٤، ص١٤٥؛ ابن تغري بردي، النجوم،ج١٠،ص٢٢٥؛ **والسلطان حسن بن محمد بن قلاوون:** مات مقتولاً في يوم الأربعاء سنة ٧٦٢هـــ(انظر ابن كثير،البداية والنهاية،ج١٤، ص١٠٢؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين،ج٢، ص٢١٧؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار،ج٢، ص٢٤٠)؛ والأمير **طنبرق :** لــم أقـــف علـــى ترجمة له فيما توفر لي من المصادر اطلعت عليها)؛ **طبلخاناة:** كلمة فارسية معناها فرقة الموسيقى الســلطانية أو بيـــت الطبل، ويشتمل على الطبول والأبواق وكانت العادة أن تدق نوبة في كل ليلة بالقلعة، وأصل هذا النظام يعود إلى السلطان علاء الدين خوارزم شاه(محمد قنديل البقلي،التعريف بمصطلحات صبح الأعشى،ص٢٢٨).

([2])ابن حبيب ، تذكرة النبيه، ج٣، ص١٤٤؛وا **لسلطان الصالح صالح بن محمد بن قلاوون:**ولد في ربيع الأول بقلعة الجبل سنة ٧٣٨هـــ، أمه قطلو ملك ابنة الأمير تنكز نائب دمشق، تسلطن بعد أخيه حسن ، ودبر دولته الأمير طاز، ثم خلـــع الصالح بأخيه حسن ،وكانت وفاته بالقاهرة سنة ٧٦١هـــ(انظر ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج٢؛ ص٣٠٢؛ ابن تغري بردي ، موارد اللطافة ، ج٢، ص٨٦؛ الدليل، ج١، ص٣٥١)؛ **وأصلان الناصري:** تقلد نيابة حماة بعد تنقله في الخدم، ثم غزا سنجار سنة ٧٥١هـــ، لم يذكر تأريخ وفاته (انظر ابن حبيب ، تذكرة النبيه، ج٣،ص١٤٤؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج١، ص٤١٧).

([3]) الصفدي، تحفة ذو الألباب، ج٢، ص٢٨٧؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٣، ص١٥٩؛ المقريزي، السلوك،ج٤، ص ١٤٥-١٤٦؛ ابن تغري بردي، النجوم،ج١٠، ص٢٧٠؛ السخاوي،الذيل التام على دول الإسلام للذهبي،ج١، ص١٤٢-١٤٥؛ **وأحمـــد** بن بدليك **الساقي التركماني:** تولى أمر شاد الشراب خاناه بمصر و عين نائباً لصفد مرتين وفي الثانية عصـــى فـــيها فقبض عليه وسجن بالإسكندرية مدة ثم أطلق وعين نائباً لحماة وشق عصى الطاعة على السلطنة وهو عليها، فقبض عليه وقتل بدمشق في المحرم سنة ٧٥٤هـــ(انظر ابن حجر ، الدرر الكامنة ،ج١، ص١٢٢).

([4]) المقريزي، السلوك،ج٤،ص١٦٥؛ ابن تغري بردي، النجوم،ج١٠،ص٢٧٧.

الشـيخي بنيابة حماة ، واستمر بها حتى خُلع السلطان من منصبه سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م([١]).

ثـم تـربّع على عرش السلطنة في القاهرة السلطان الأشرف شعبان سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م، فولـي حاجب الحجاب بدمشق الأمير عمر شاه نيابة حماة ، فتقلد مهامها حتى سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٧م([٢])، ثم أوكلت من بعده للأمير سيف الدين طيبغا الطويل الناصري، فباشر حكمها، لكنه سرعان ما عُزِلَ عنها في ذات العام وطُلِـبَ إلـى القاهرة([٣])، وأعيد الأمير سيف الدين عمر شاه الركني نائباً لحماة، فباشـر حكمها وتدبير شؤونها وعلى الرغم من حسن سيرته([٤]) إلا أنها لم تشفع، في عزله عنها في العام التالي سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م([٥])، ليعاد الأمير سيف الدين

([١]) ابن تغري بردي، النجوم ، ج١١، ص٦، ٢٥؛ و **السلطان المنصور محمد بن حاجي:** من أحفاد السلطان الناصر محمـد اسـتقر في السلطنه قرابة عامين ثم خلع ، توفي سنة ٨٠١هـ، ابن تغري بردي،الدليل،ج٢،ص٦١١؛ موارد اللطافة ،ج٢،ص٩٥؛ السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع،ج٧،ص٢١٦؛ و **أيدمر الشيخي:** التركي من مماليك الناصر محمد ، تدرج في الوظائف حتى تولى إمرة تقدمة ثم ولي نيابة حماة مرتين ، توفي بحلب سنة ٧٧٣هـ(انظر المقريزي، المقفى، ج٢،ص٣٦٩؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٥٧؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج١، ص١٦٨).

([٢]) ابن تغري بردي، النجوم، ج١١، ص٢٥، ٤٦؛ الدليل ، ج١، ص٥٠٧-٥٠٨؛و **الأشرف شعبان بن حسين** :تملك مصر وهو في العاشرة من عمره ، بعد عمه المنصور محمد ، وتولى تدبير دولته الأمير يلبغا العمري إلى أن قتل سنة ٧٦٨هـ، فتفرّد الأشرف بأمور السلطنة من بعده حتى قتل هو الآخر سنة ٧٧٨هـ(انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٤، ص٧٣٥؛ابـن دقمـاق، الجوهـر الثميـن ، ص٤٠٩؛ ابن حجر ، إنباء الغمر في أبناء العمر، ج١،ص١٤٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١،ص٤٣؛ العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالى، ج٤،ص٢٧) ؛و **عمر شـاه الركني:** قبض عليه زمن الناصر محمد ثم أطلق وأُمِّر تقدمة وعمل حاجب الحجاب في دمشق ، توفي في صفر سنة ٧٧١هـ(انظر ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج٣، ص٢٧٦؛ ابن تغري بردي، الدليل ، ج ٢، ص ١٦٨)؛ **وحاجب الحجـاب:** رتـبه عسكرية تسمى الحجوبية الكبرى، كان صاحبها يقوم مقام النائب في الولايات، كما يقوم بالنظر في مخاصمات الاجناد واختلافاتهم في أمور الاقطاعات(انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص٤٢٩؛ محمد دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص٥٩).

([٣]) ابـن حبيب، تذكرة النبيه،ج٣، ص٣٠٠؛ المقريزي، السلوك ، ج٤، ص٣٠٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور،ج١، ق٢، ص٤٣ ،٦٠؛و **طيبغا الطويل الناصري** حسن، توفي سنة ٧٦٩هـ(انظر ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج٢، ٣٣٢؛ ابن تغري بردي ، المنهل، ج٧، ص٣٦، الدليل، ج١، ص٣٧٥؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص١٦٨).

([٤]) ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج٣، ص٢٧٦.

([٥]) المقريزي ، السلوك ، ج٤، ص٣٠٧، ٣١٨؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج١١، ص٤٦، ٥١؛ الدليل ، ج١، ص ٥٠٧؛ ابن إياس ، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٥٩.

إيدمر الشيخي لمنصب نيابة حماة فظل قائماً عليها حتى نقل إلى حلب عام ٧٧٣ هـ/١٣٧٠م([١])، وولي من بعده الأمير كنجكلي([٢]).

ثم آثر السلطان الأشرف تقليد نيابة حماة للأمير سيف الدين ألجاي اليوسيفي في المحرم من سنة ٧٧٥هـ/١٣٧٣م، ولكنه أبى إلا بشرط أن يأخذ معه جميع ما تحت يده من مماليك وأملاك فرفض السلطان الأشرف شرطه ([٣]).

وعندما خُلِعَ السلطان الأشرف شعبان ،تقلّد السلطنة من بعده السلطان المنصور علي في سنة(٧٧٨-٧٨٣هـ/١٣٧٧-١٣٨١م).تعاقب على حماة عدد من النواب ،كان أولهم الأمير سيف الدين تمراز الطازي الذي تسلّم مقاليد النيابة الحموية ، في المحرم من عام ٧٧٩هـ/١٣٧٧م ([٤])،ولكنّه سرعان ما نقل لنيابة طرابلس في ربيع الآخر من السنة نفسها، وخلفه في نيابة حماة الأمير سيف الدين منكلي بغا الأحمدي، فباشر أعمالها([٥])، ويبدو بأن الأمير الحموي قد أثبت جدارته في إدارة شؤون النيابة مما دعا السلطان المنصور إلى إجراء مناقله بينه وبين

([١]) المقريزي، السلوك ، ج٤، ص٣١٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١١، ص٥١، ٥٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٧٦، ص٩٥.

([٢]) المقريزي، السلوك، ج٤،ص٣٣٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٩٥؛**وكنجكلي:** لم أقف على ترجمة له فيما توفر لي من المصادر اطلعت عليها.

([٣]) ابن تغري بردي، النجوم ، ج١١، ص١٢٩؛و **ألجاي اليوسفي:** من مماليك الملك الناصر حسن تدرج في الرتب العسكرية من أمير مائة إلى أمير جاندار ثم سجن بالإسكندرية وأطلق بعدها وولى إمرة مائة ثم الأتابكية ، توفي غرقاً في مياه النيل سنة ٧٧٥هـ(انظر ابن حجر،الدرر الكامنة، ج١،ص٤٣٣؛ ابن تغري بردي، الدليل،ج١،ص١٤٨).

([٤]) المقريزي، السلوك، ج٥، ص٢٨؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج١١، ص١٥٣؛ و **السلطان المنصور على بن شعبان:** تقلد السلطنة وعمره سبع سنوات واستمر في الحكم مدة خمس سنين وأشهر إلى أن مات سنة ٧٨٣هـ(انظر ابن دقماق، الجوهر الثمين ، ص٤٠٩؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢،ص ٢٣٩؛ابن تغري بردي ، موارد اللطافة، ج٢، ص١٠٤؛ الصيرفي ، نزهة النفوس ، ج٢، ص٢٩٥؛ ابن خلدون،تاريخ ابن خلدون ،ج٥،ص٤٦٠؛ العصامي،سمط النجوم العوالي،ج٤،ص٢٨)؛ و **تمراز الطازي:** تقلد إمرة طلبخاناه ثم قبض عليه سنة ٧٦٤هـ،وبعدما أطلق سراحه ،ولي حماة ومن بعدها طرابلس (انظر المقريزي، السلوك، ج٤، ص٣٠٦، ج٥، ص٣٥).

([٥]) المقريزي، السلوك، ج٥،ص٣٥؛ا بن إياس، بدائع الزهور، ج١،ق٢،ص٢١١؛و **منكلي بغا الأحمدي البلدي** :من أعيان الأمراء تولى نيابة حلب مرتين وتوفي سنة ٧٨٢هـ(انظر ابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص٤١؛ الدرر الكامنة، ج ٥، ص١٣٧؛ ابن تغري بردي، النجوم،ج١١، ص٢٠٥؛ الدليل،ج٢،ص٧٤٤؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٥٣).

نائب طرابلس الأمير أرغون الأسعردي، وذلك في شهر شعبان من ذات العام([1])، وقد اختلفت بعض المصادر في استمرار الأسعردي على شغل منصب النائب في حمـــاة أو عزلـــه عنها، وتعاقبت حركة النقل على النيابة الحموية من بعده. فيذكر الــبعض أنـــه عُزل عنها بالأمير كمشبغا الحموي الذي كان يشغل وظيفة الحاجب بدمشق في عام ٧٨٠هـــ / ١٣٧٨م، ويبدوا أن ما أظهره الأمير كمشبغا من حسن إدارتـــه لنـــيابة حماة والتي تزامنت مع اعتقال نائب دمشق كانت سبباً في اختيار السلطان المنصور للأمير كمشبغا لشغل منصب نيابة دمشق في ١٣ شهر جمادى الآخرة من السنة نفسها ، وأما نيابة حماة فإنها أُسندت للأمير سيف الدين تمرباي الدمرداشـــي، ولكنه لم يكد يستقر في النيابة حتى أمر السلطان بنقله لمباشرة نيابة حلـــب فـــي ذات العام ٧٨٠هـــ/١٣٧٨م، فتولّى مقاليد نيابة حماة الأمير جنتمر،و لأســـباب خفـــية لـــم تفصح عنها المصادر عزل عنها – ولعل السبب يعود لكون الأمير جنتمر كان بطّالاً في دمشق قبل توليته حماة، وأن السلطان أراد تجريبه في نـــيابة حمـــاة لإعادة تأهيله في الوظائف العسكرية، وعندما وجد عدم نفعه بحماة عـــزل – واســـتبدل بالأمير حطط اليلبغاوي في ٢٣ جمادى الأولى من سنة ٧٨١ هـــــ/١٣٧٩م، ولكن القدر لم يمهله في هذه النيابة فتوفي وهو قائم عليها في ذات العام، أما البعض الآخر فذكر بأن الأمير الأسعردي ظل قائماً على حكم حماة حتى عـــزل عنها بالأمير حطط اليلبغاوي، وذلك في شعبان سنة ٧٨١هـــ/١٣٧٩م([2])،

([1]) ابن تغري بردي ،النجوم،ج١١، ص١٦٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور،ج١،ق٢،ص٢٢١؛و **أرغون الأسعردي:** تقلد في عهـــد السلطان المنصور محمد منصب الدوادر ،ثم سجن بالإسكندرية سنة ٧٦٧هـــ، ولم يدم سجنه طويلاً حيث أطلق بعدهـــا مباشرة ورحل إلى بلاد الشام ، وتقلد نيابة حماة ثم طرابلس(انظر المقريزي، السلوك، ج٤،ص٢٥٥، ٢٩٠، ٢٩٣، ج٥،ص٢٨، ٨٦).

([2])المقريـــزي، السلوك، ج٥، ص٥١-٥٢ ،٦٧؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج١١، ص١٦٩، ٢٠١؛ الدليل، ج٢،ص ٢٨٧؛ ابـــن إيـــاس، بدائع الزهور،ج١،ق٢،ص٢٣١، ٢٤٤؛**ونائب دمشق**هو الأمير بيدمر الذي سجن بالأسكندرية؛و **كمشبغا الحموي اليلبغاوي**:من مماليك صاحب حماة الأفضل قدمه للسلطان حسن بن محمد، سجن عدة مرات، وترقى في الوظائف النيابية الكبرى في الأراضي الشامية من حماة إلى طرابلس وصفد ودمشق، توفي بالقاهرة سنة ٨٠١هـــ (انظر المقريزي،المقفى،ج٥، ص١٠؛ ابن حجر، ذيل الدرر الكامنة،ص٧٥-٧٦؛ السخاوي، وجيز الكلام،ج١،ص٣٤١) ؛**والأمـــير تمرباي الدمرداشي:** من أمراء الديار المصرية، ولي حماة، وكانت له موجهات عسكرية مع مملكة أرمينية الصـــغرى، توفـــي ســـنة ٧٨٥هـــ(انظر ابن تغري بردي،المنهل،ج٤،ص٨٨؛ الصيرفي،نزهة النفوس،ج١، ص٨٩) ؛**والأمـــير جنـــتمر:** ويعرف بجنتمر أخي طاز شارك في الحركة العصيانية التي تزعمها منطاش سنة ٧٩٢هـــ، في=

فتولى من بعده الأمير سيف الدين طشتمر خازندار يلبغا حتى توفي سنة ٧٨٣هـ/ ١٣٨١م([1]).

وعـندما تقلّد منصب السلطنة المملوكية في القاهرة السلطان الصالح أمير حاج في صفر من سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م، أصدر تقليداً سلطانياً في٣ ربيع الأخر مـن السنة نفسها يقضي بتعيين الأمير مأمور القلمطاوي نائباً على حماة، واستمر بهـا سنة كاملة حيث رقي إلى نيابة طرابلس في صفر من سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م([2]) ، فـتولى مقالـيد نيابة حماة بعده الأمير سيف الدين طشتمر العلائي([3])، و عندما تربّع السلطان الظاهر برقوق على دست السلطنة في سنة(٧٨٤-٧٩١هـ/ ١٣٨٢-١٣٨٨م)([4])، أسـندت مهام نيابة حماة للأمير صنجق الحسيني اليلبغاوي

=سـلطنة الظاهـر بـرقوق الثانية (انظر ابن تغري بردي، النجوم،ج١٢، ص٨)؛و **حطط اليلبغاوي**:من أمراء الديار المصرية، تولى نيابة إيلستين ثم حماة ، توفي سنة٧٨١هـ(انظر ابن تغري بردي، المنهل،ج٧،ص١٧٧؛ النجوم، ج١١ ، ص٢٠١)؛ **وبطّالاً**: كلمة تطلق على الأمراء والجنود الذين يتم استبعادهم عن وظائف الدولة وأعمالها نتيجة لكبر السن ،أو غضب السلطان فيكونون بموجبها عاطلين عن العمل(انظر زين العابدين شمس الدين نجم الدين، الوظائف العسكرية والتشكلات القتالية في العهد المملوكي والعثماني، مجلة كلية الملك خالد العسكرية، ع ٣٩، سنة ١٤١٣هـ، ص٢٨).

([1])ابـن تغري بردي ، النجوم،ج١١، ص٢٠١، ٢٠٩؛و **طشتمر الشعباني اليلبغاوي**:من مماليك يلبغا الذي عمل على تعينه خازندار لـه، توفي بعيد خروجه مع العسكر الحموي المتوجه إلى عين تاب في شهر رجب سنة ٧٨٣هـ، (انظر المقريزي، السلوك،ج٥، ص١٣٣).

([2]) ابن تغري بردي ، النجوم ، ج١١، ص٢٠٩، ٢١٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١،ق٢،ص٢٩٠-٢٩١؛و **السلطان الصـالح أمير حاج**:آخر سلاطين أسرة قلاوون، تولى الحكم بعد وفاة أخيه السلطان المنصور علي، وكان مدبر دولته الأتـابك برقوق العثماني، تقلد السلطنة مرتين وفي كل مرة يخلع على يد برقوق، فكان خلعه الأول سنة ٧٨٤هـ، ثم أعيد إلى الحكم مرة أخرى سنة ٧٩١هـ لكنه لم يلبث أن خلع سنة ٧٩٢هـ، توفي ٨١٤هـ(انظر ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٤٥٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج١،ص٢٣٢، ابن تغري بردي، موارد اللطافة، ج٢، ص١٠٧؛ الصيرفي ، نزهة النفوس ، ج١، ص٢١٤)؛ و **مأمور القلمطاوي**: تقلد حجوبية الحجاب بمصر ، ثم ناب بالكرك ، ثم حماة ، قتل في وقعة منطاش بحماة سنة ٧٩٢هـ(انظر ابن تغري بردي، النجوم ، ج١٢، ص١٢٢؛الدليل ، ج٢،ص٥٧٠).

([3])ابـن تغري بردي،النجوم،ج١١،ص٢١٢؛**وطشتمر العلائي الأتابكي**: اختلف في تاريخ وفاته فقيل أنه مات سنة٧٨٤ هـ، وقيل بالقدس بطالاً سنة ٧٨٦هـ(انظر ابن حجر،الدرر الكامنة،ج٢، ص٣٢١؛ إنباء الغمر، ج٢، ص١٧٠؛ ابن تغري بردي،النجوم،ج١١،ص٣٠٤؛ السخاوي،وجيز الكلام، ج١،ص٢٧١).

([4]) للـتعرف على أحداث انتقال السلطنة من أسرة بني قلاوون إلى برقوق انظر محمد جمال الدين سرور، دولة بني قـلاوون، ص٦٤-٦٦؛إبراهـيم طرخان ، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص١-٢٥؛و **برقوق ابن الأمير انـص العثمانـي**: اليـبغاوي الجاركسـي مؤسس القسم الثاني من دولة المماليك والمطلق عليها باسم دولة المماليك الجركسـيه،كانت سـلطنته ١٦سنه ونيف تخللها خلع دام ثمانية اشهر ونيف ، توفي سنة ٨٠١هـ(انظر ابن دقماق ، الجوهـر الثمين ،ص٤٥٧؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٤٠؛ ابن تغري بردي ، المنهل، ج٣، ص٢٨٥؛ السيوطي، حسن المحاضر،ج٢، ص١٢٠؛ العصامي، سمط النجوم العوالي،ج٤، ص٣٠، ٣٢).

وذلك في جمادى الأخر من سنة ٧٨٥هـ /١٣٨٣م، عوضاً عن الأمير يلو الذي اعتذر للسلطان عن قبول ولايتها، واستمر سنجق نائباً بحماة حتى نقل منها في المحرم سنة ٧٨٧هـ/١٣٨٥م، إلى نيابة طرابلس([1])، وولي نيابة حماة من بعده الأمير سودون المظفري، ولكنه لم يستقر بها طويلاً حيث رقي في شهر رجب من ذات العام إلى نيابة حلب ([2]) ، وأقيم بدلاً منه في نيابة حماة الأمير سيف الدين سودون العلائى ،فباشر حكمها حتى قتل سنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م، وآلت نيابة حماة للأمير سيف الدين سودون العثماني، ويبدو أنه باشر مهامها في مطلع العام التالي ٧٨٩هـ/١٣٨٧م، ثم أُصدر أمر سلطاني يقضي بتبادل الأمير سودون العثماني والأمير علاء الدين على ابن مبارك المهندار المواقع، حيث أقيم سودن العثماني على أقطاع ابن المهمندار في حين عين ابن المهندار نائباً على حماة في السادس من جمادى الآخر من ذات العام([3]) ، ولم يطل مقام ابن المهمندار في حماة حيث عزل عنها بالأمير كشلي القلمطاوي، وذلك في سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م ،ولم يكن النائب القلمطاوي بأوفر حظاً من صاحبه، فنقل هو الآخر في شهر ذي الحجة من السنة ذاتها إلى ملطية ،أما نيابة حماة فتقلدّها نائبها السابق الأمير سودون العثماني

([1])المقريزي، السلوك ،ج٥، ص١٥١؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١١، ص٢٣٣-٢٤١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص٦٦؛و **صنجق(أو سنجق) الحسيني اليلبغاوي**: تقلد نيابة طرابلس،ثم حماة ، قتل في وقعة الناصري ومنطاش مع السلطان برقوق سنة ٧٩٣هـ(انظر ابن تغري بردي، المنهل ، ج٦، ص٣٥١)؛ والأمير **يلو**: ذكر ابن إياس بأنه تولى نيابة حماة بعد مأمور القلمطاوي، وبسب وفاته عين صنجق نائب لحماة ، وعند البحث عن صحة هذه المقولة أو عن ترجمة تؤيد وفاة المذكور في تلك السنة لم أجد (انظر ابن إياس ، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٠٨، ٣٣١).

([2]) المقريزي، السلوك ، ج٥، ص١٧٢؛ ابن تغري بردي، النجوم،ج١١،ص٢٤١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص ١٠٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١،ق٢، ص٣٥٦؛و **سودون المظفري**: أصله من مماليك نائب حلب قطلو بغا المظفري، تقلد نيابة حماة ثم حلب ثم الأتابكية بحلب ،قتل سنة ٧٩١هـ(انظر ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات ، ج٩،ق١ ،ص١٧٤؛ ابن حجر ،إنباء الغمر،ج ١، ص٣٦٨- ٣٦٩؛ابن تغري بردي ، النجوم،ج١١،ص٣٨٥- ٣٨٦؛ السخاوي ، وجيز الكلام، ج١، ص٢٩٣)

([3]) المقريزي، السلوك، ج٥،ص ٢٨٧؛**وسودون العلائي: لا توجد** له ترجمه سوى أنه تم قتله في معركة ابلستين التي دار رحاها مع التركمان سنة٧٨٨هـ(انظر ابن حجر ، أنباء الغمر، ج٢، ص٢٣٦؛ ابن تغري بردي ، المنهل ، ج٦ ،ص١٦١؛ الصيرفي ، نزهة النفوس ،ج١؛ص١٤٧؛**وسودون العثماني**: تولى إمرة مائه وتقدمة ألف زمن الظاهر برقوق،توفي زمن فتنة منطاش سنة ٧٩٢هـ(انظر ابن تغري بردي، المنهل ، ج٦، ص١٦١؛ الدليل، ج١، ص٣٣٣)؛ **وعلي بن مبارك بن** محمد بن مبارك شاه المهمندار (انظر ابن الفرات ،تاريخ ابن الفرات، ج٩، ص٨-٩، حاشية ١).

الذي باشر مهامها أواخر سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م([1])، وظل قائماً عليها إلا أن عزل السلطان برقوق عن السلطنة ونصب الملك المنصور حاجي سلطاناً على دولة المماليك سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م([2])، فخلع الأمير سيف الدين سودون العثماني من نيابة حماة([3])، وقلد الأمير شهاب الدين أحمد المهمندار منصب نائب حماة في جمادى الآخر من سنة ٧٩١هـ /١٣٨٩م([4])، ثم عزل في نفس السنة واستقر نائباً على حماة من بعده الأمير سيف الدين طغتمر القبلادي، إلا أنه خلع في شوال من ذات العام([5])، وحلّ محلّه الأمير سيف الدين تنكز الأعور نائباً على حماة سنة ٧٩١هـ/١٣٨٨م([6]) ، فباشر مهامها حتى صدر أمر بعزله عنها واستبدل بالأمير مأمور القلمطاوي،وذلك في شهر ربيع الأخر سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٠م([7])،الذي باشر مهام نيابة حماة إلى أن قتل إبان عودة السلطان المخلوع برقوق إلى حكم السلطنة سنة ٧٩٢هـ/١٣٩٢م([8])، ليشمل حركة التغيير التي أعقبت عودة السلطان إلى سدة الحكم نيابة حماة، فأمر السلطان بنقل الأمير دمرداش المحمدي من أتابكية

([1]) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات،ج٩،ص٣٧؛ابن إياس، بدائع الزهور، ج١،ق٢، ص٣٩١؛**وكشلي بن عبد الله القلمطاوي:** قتله السلطان الظاهر برقوق في حلب سنة ٧٩٣هـ(انظر ابن تغري بردي، الدليل،ج٢، ص٥٥٩)؛ **وملطية:** تعدّ من قواعد بلاد الثغور الشامية، ومدخل آسيا الصغرى، وملتقى شبكة كبيرة من الطرق الهامة،وهي تقع في الجنوب عن سيواس، وفي غربي كختا(انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٣١؛ صابر محمد دياب، المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري، ص٢٨-٢٩؛ عليه عبد السميع الخبزوري، الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية،ص١٠٣ وما بعدها).

([2]) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٣٩-٢٤٠ ؛ ابن تغري بردي، موارد اللطافة، ج٢، ص١١٤-١١٧؛ السيوطي، حسن المحاضر، ج٢، ص١٢٠؛ إبراهيم طرخان، مصر في عصر مماليك الجراكسة، ص١٧-٢٠

([3]) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات، ج٩،ص٥٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس ، ج١، ص ١٨٧؛

([4]) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ،ج٩، ص١٠٦؛ ابن تغري بردي، النجوم ، ج١٤،ص١٣٨-١٣٩؛و **أحمد المهمندار:** تولى عدة وظائف قيل: أنه قتل في ذي القعدة و قيل في ذي الحجة من ٧٩٣هـ(انظر ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات ، ج٩،ص٢٤٧، ٢٧٧؛ ابن تغري بردي،المنهل، ج٢، ص١٣٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٣٧).

([5]) الصيرفي،نزهة النفوس،ج١،ص٢٥٥؛**وطغتمر القبلادي:**تنقل في الخدمة إلى أن أصبح من الأمراء ومقدمي الألوف، تولى نيابة سيس وأساء السيرة بها، فقبض عليه سنة ٧٩٤هـ(انظر ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات ،ج٩ ،ص٣٢٠).

([6]) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج٩،ص١٤٦؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج١، ص٢٥٥؛ **تنكز الأعور الأشرفي:** كان أخر العهد به سنة ٧٩١هـ، عندما أوقع به الملك الظاهر برقوق ،ويبدو بأنه قتل فيها (انظر ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج٩، ص ١٤٦، ١٥٨؛ ابن الصيرفي ، نزهة النفوس ، ج١، ص٢٦٤-٢٦٥).

([7]) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات ، ج٩، ص٢٠٥؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج١٢، ص٨.

([8]) المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٠٠؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٢،ص ١٦.

دمشـــق، إلى حماة ليشغل منصب النائب فيها وذلك في ذي الحجة سنة ٧٩٣هـــ/ ١٣٩٠م([1])، فاســـتقر بهـــا حـــتى نقل إلى طرابلس، وتولّى من بعده الأمير أقبغا السلطاني في المحرم سنة ٧٩٥هـــ/١٣٩٢م([2]).

وعـــندما جلـــس السلطان الناصر فرج على كرسي السلطنة المملوكية في القاهرة سنة ٨٠١هـــ/١٣٩٩م، أصدر أمراً سلطانياً في شوال قضى بإعادة الأمير دمـــرداش المحمدي إلى نيابة حماة ،وكان يشغل منصب أتابك العساكر بحلب([3])، ولكـــنه مـــا لبث أن رقي لمباشرة نيابة حلب في شعبان من سنة ٨٠٢هـــ/١٤٠٠ م([4])، وتولـــى نيابة حماة من بعده نائب ملطية الأمير سيف الدين دقماق المحمدي الـــذي وقع في أسر صاحب بغداد ، وذلك في شهر ذي القعدة من سنة ٨٠٢هـــ/ ١٤٠٠م([5])، مما دعا السلطان لاستبداله بالأمير عمر الهذباني الذي استقر به المقام نائـــباً علـــى حمـــاة فـــي سنة ٨٠٣هـــ/١٤٠١م، إلى أن خُلِعَ في شوال من ذات السنة([6]) وعُيّن بدلاً عنه الأمير يونس الحافظي، ثم عزل عنها في سنة ٨٠٤هـــ/

([1]) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ج٩،ص٢٧١؛المقريزي، السلوك، ج٦، ص٣١٤؛ الصيرفي نزهة النفوس، ج١ ،ص٣٣٧؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٢، ص٣٤،ج١٤،ص ١٣٨؛ **ودمرداش المحمدي** : تنقل في النيابات الشامية مـــن حماة وحلب و دمشق ، اتهم بالتواطؤ مع تيمورلنك لتسليمه قلعة حلب، سجن بالإسكندرية ،ثم قتل سنة ٨١٨هـــ، (انظر ابن تغري بردي، الدليل،ج٢،ص٥٥٩؛ السخاوي، الضوء اللامع،ج٣، ص٢١٩)

([2]) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٩،ص٣٣١؛ ابن تغري بردي،النجوم،ج١٢،ص٣٩؛**وآقبغا السلطاني الصغير**: كان متولياً طبلخاناة سنة ٧٨٩هـــ، وممن أسهم في عودة الملك الظاهر برقوق إلى الحكم سنة٧٩١هـــ، وبعد عودة السلطان المذكور قلدة نيابة غزة سنة ٧٩٢هـــ(انظر ابن الفرات ،تاريخ ابن الفرات، ج٩، ص١١، ١٠٥، ١٨٨).

([3]) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص١٧١؛ الصيرفي، نزهة النفوس،ج٢، ص٩؛ **وفرج ابن برقوق** : تقلد السلطنة صبيحة وفاة أبيه، وتولى الأتابك ايتمش تدبير دولته، دخلت البلاد في عهده موجة من الصراع الدامي بين كبار أمراء المماليك تمخّض عنها إضعاف الجبهة الداخلية وتمكين القوات التيمورية من دخول بلاد الشام ، قتل في ١٦ صفر سنة ٨٠٩هـــ(انظر المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٤٠؛ ابن تغري بردي، موارد اللطافة ،ج٢، ص١٢١ ،١٢٧).

([4]) المقريـــزي، السلوك ، ج٦،ص١٩؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٢، ص٩٦، ج١٤،ص١٣٨؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٢، ص ٥٤-٥٥؛ ابن إياس ،بدائع الزهور، ج١، ق٣،ص٥٥٥.

([5]) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٢٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢،ص ٢١٠-٢١١؛ الصيرفي،نزهة النفوس، ج٢، ٥٤-٥٥؛ **ودقمـــاق المحمدي**: الظاهري برقوق تقلد عدة نيابات شامية أولاها حلب ثم نيابة ملطية ثم حماة ثم وقع في الأســـر زمـــن غـــزو تيمور لنك لبلاد الشام، ولما أطلق تولى نيابة صفد ثم حلب فحماة، قتل بظاهر حماة سنة ٨٠٨ هـــ(انظرابـــن حجـــر، ذيل الدرر الكامنة،ص١٧٠؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٥، ص٣١٠؛ الدليل،ج١،ص٢٩٧؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢١٨).

([6]) ابـــن تغري بردي ، النجوم ، ج١٢، ص٢٧٧؛ ابن إياس ، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ٦٢٩؛ **وعمر الهذباني**: زين الدين تقلد حجوبية حلب سنة ٨١٦هـــ(انظر ابن تغري بردي ، النجوم ، ج١٤،ص١٤).

١٤٠٢م، واستعيض عنه بالأمير سيف الدين قانباي الحسيني([1]). ويبدو أن الأمير يونس الحافظي أُعيد إلى نيابة حماة وظل عليها حتى عزل هو الآخر عنها في ذي الحجـــة من ذات العام ([2]) وحلّ محلّه الأمير سيف الدين علان جلق المؤيدي الذي تسـلّم مقالــيد الأمور في نيابة حماة في المحرم سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م([3])، ولقد حظي هذا النائب بدعم ملحوظ من نائب حلب الأمير جكم بعد أن تغلب عليها سنة ٨٠٧هـــ/١٤٠٦م،والــذي وافــق علـــى استمرار الأمير علان جلق على نيابة حماة([4]).

ممـــا أغضـــب إدارة السلطان فرج في مصر فدفعها -على ما يبدو- لخلع النائـــب المذكـــور وإعادة الأمير دقماق المحمدي لنيابة حماة، إلا أنه لم يستقر بها طويـــلاً حيـــث قُتِلَ في العام التالي على يد الأمير جكم([5])، فتقلّد الأمير دمرداش المحمدي نيابة حماة، ولكنه لم يتمكّن من مباشرة أعمالها لما كان من أمر التركمان في حماة وذلك في رمضان سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م([6]).

وفي خضم هذه الحوادث الحرجة التي مرت بها البلاد الشامية من حركات عصيان وغيرها، عمد السلطان فرج إلى الاختفاء فأجمع كبار أمراء المماليك على

([1]) ابـن حجـر ، إنباء الغمر ، ج٥، ص١٠؛ ابن تغري بردي، النجوم ، ج١٢، ص٢٧٧-٢٨٤؛ و **قانباي الحسيني المؤيـدي شـيخ** :تقلد إمرة عشرة في القاهرة ، ثم أتابك حماة ، ثم نائب طرابلس ، توفي في تجريدة سوار في ربيع الأول سنة ٨٧٢هـ، ابن تغري بردي، الدليل، ج٢، ص٥٣١؛ السخاوي ،الضوء اللامع ، ج٦، ص١٩٦.

([2]) ابن حجر،إنباء الغمر،ج٥،ص٢٣؛ابن تغري بردي،النجوم، ج١٢، ص٢٩٠؛الصيرفي، نزهة النفوس،ج٢، ص١٣٣

([3]) ابن تغري بردي، النجوم ، ج١٢، ص٢٩٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص١٥٣؛ و**علان جلق المؤيدي شيخ:** تقلد عدة وظائف في دولة الظاهر جقمق توفي بالطاعون سنة ٨٦٤هـ أما السخاوي ذكر أن وفاته كانت سنة ٨٩٤هـ، ويبدو أن هذا تصحيفٌ من الناسخ (ابن تغري بردي،الدليل،ج٢، ص٤٤٤؛ السخاوي، الضوء اللامع ج٥، ص١٥٠).

([4]) ابن تغري بردي، النجوم ، ج١٢، ص٣١٠-٣٢٢.

([5]) المقريـزي، السلوك، ج٦، ص١٣٤؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج٢، ص٢٩٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس،ج٢، ص ١٨٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٧٢٤.

([6]) ويبدو أن سبب هذه الترقية يعود لنكاية بالأمير العاصي جكم نائب حلب مما أثار حفيظة الأخير فبادر بتدبير مؤامرة أدت لاغتيال نائب حلب الجديد في العام التالي(انظر المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٥٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٥، ص٢٩٨)؛ أمـا أمر التركمان فقد استغل ابن صاحب الباز اضطراب الأوضاع الداخلية على الأراضي الشامية بسبب ثورة نائب حلب الأمير جكم وتسلطنه بها ، فأغاروا على حماة وألحقوا بها أضراراً بالغة (انظر المقريزي، السلوك، ج ٦، ص١١٨، ١٥٧؛ ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٥، ص ٢٩٧- ٢٩٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٧٠٣، ٧٤٨-٧٤٩).

سلطنة أخيه المنصور عبد العزيز مكانه سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م، ثم تمكّن السلطان الناصر فرج من العودة إلى الساحة السياسية سريعاً حيث خلع أخاه المنصور عبد العزيز في العام التالي، ليتقلد هو أمور السلطنة المملوكية سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٠م(١)، وبعودته إلى سدة الحكم أراد على ما يبدو أن يجري تغييرات في مناصب نواب الولايات الشامية ،حيث قلد الأمير سيف الدين يونس الحافظي نيابة حماة ، إلا أنّ الأمور لم تكن قد استقرت بشكل ملحوظ، ولهذا ذهب هذا النائب ضحية ذلك الفراغ الإداري؛ فعيّن السلطان نائباً جديداً بحماة هو الأمير زين الدين عمر الهدباني، وذلك في شهر صفر من سنة ٨١٠هـ /١٤٠٧م، إلا أن هذا النائب لم يستطع أن يضبط الأمور داخل حماة ، فعزله السلطان عنها في ربيع الآخر من ذات العام، وعين الأمير سيف الدين يشبك أزدمر بدلاً عنه (٢)، حيث أدار الأمور مدة من الزمن ثم عزل عنها، واستبدل بالأمير سيف الدين جانم حسن وذلك في مطلع سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م(٣)، إلا أن مقامه لم يطل في نيابة حماة حيث عزل عنها في شهر صفر من السنة ذاتها ، وعين في نيابة حماة بدلاً عنه الأمير بردبك الجكمي(٤).

---

(١) المقريزي، السلوك ، ج٦، ص١٤٨-١٤٩؛ المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٤١؛ ابن تغري بردي، موارد اللطافة ، ج٢، ص١٢٦-١٢٧؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٢، ص٢١٣-٢١٤؛ و**السلطان المنصور عبد العزيز بن برقوق :** أجمع كبار أمراء الدولة المملوكية على سلطنته بعد إختفاء أخيه في شهر ربيع الأول سنة٨٠٨هـ، ثم خلع ورحل إلى الإسكندرية ومات بها سنة ٨٠٩هـ، واتهم السلطان فرج بقتله(انظر المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٢٤١؛ ابن تغري بردي ، موارد اللطافة ، ج٢، ص١٢٤).

(٢)المقريزي، السلوك،ج٦، ص١٧٣، ١٨٥، ١٩٣ ،١٩٥؛ ابن حجر، أنباء الغمر،ج٦، ص٦٢؛ابن تغري بردي، النجوم،ج١٣، ص٥٤، ٦٤، ٧٠؛ الدليل،ج١، ص٥٠٧؛ الصيرفي،نزهة النفوس،ج٢، ص٢٢٤؛ ابن إياس ، بدائع الزهور،ج١، ق٣، ص٧٧٣، ٧٨٧ ؛و **يشبك أزدمر:** تولى تقدمة ألف ثم رأس نوبة النوب، ثم نقل إلى الشام، فتولى نيابتي حماة ثم حلب ، قتل على يد السلطان المؤيد شيخ سنة ٨١٧هـ(انظر ابن حجر، إنباء الغمر، ج٧، ص١٦٤؛ ابن تغري بردي، الدليل،ج٢، ص٧٨٦؛ الصيرفي،نزهة النفوس ، ج٢،ص٣٢٢؛ السخاوي ، وجيز الكلام، ج٢، ص٤٣٦).

(٣) المقريزي، السلوك،ج٦، ص٢٢٥؛ ابن تغري بردي، النجوم،ج١٣، ص٨٠؛و **جانم من حسن الظاهري**:تقلد نيابتي حماة وطرابلس فظلم أهلها، قتله الأمير طوغان الحسني الدودار سنة ٨١٤هـ(الصيرفي،نزهة النفوس، ج٢،ص٢٩٧).

(٤) المقريزي، السلوك،ج٦،ص٢٣٠؛ ابن تغري بردي، النجوم،ج١٣، ص٧٩-٨٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس،ج٢، ص ٢٥٦؛و **بردبك الجمكي العجمي:** المعروف بالأعور أصله من مماليك جكم من عوض ، تقلد عدة وظائف من حماة وتقدمة في دمشق، توفي سنة ٨٥٥هـ(انظر ابن تغري بردي، النجوم،ج١٥، ص٤٣٥؛ المنهل، ج٣، ص٢٥٣؛ حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، ج٢، ص٣٤٩؛ السخاوي، التبر المسبوك في ذيل السلوك، ص٣٥٧؛ وجيز الكلام، ج ٢، ص٦٦٤؛ الضوء اللامع ، ج٣، ص٧؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران،ج١، ص١٠٥).

وعـــندما دخلـــت الدولة المملوكية موجة أخرى من الفتن الداخلية من سنة ٨١٣-٨١٥هـ/١٤١٠- ١٤١٢م، والتي انتهت بتربّع السلطان المؤيد شيخ(٨١٥-٨٢٤هــــ/ ١٤١٢-١٤٢١م) على سدة الحكم وذلك في شهر شـــعبان ٨١٥هـــ/ ١٣١٢م، أبقـــى الأمير ســـيف الدين قمش نائباً على حماة، إلا أنه ما لبث أن أُمر بـــنقله إلـــى نيابة طرابلس وذلك في صفر من ســـنة ٨١٦هـــ/ ١٤١٣م([١])، فقلّد الســـلطان المؤيـــد شيخ نيابة حماة في جمادى الأولى للأمير تنبك البجاسي الذي استقر فيها سنة ٨١٦هـــ/١٤١٣م، واستمر مقامه عليها قرابة العامين قبل أن يأمر السلطان بنقله إلى حلب ومنها إلى دمشق([٢]).

فتولّى نيابة حماة من بعده في شهر رجب من سنة ٨١٨هـــ/١٤١٥م الأمير جـــارقطلو ،واستمر يدبرها لمدة عامين ثم رقي لمباشرة نيابة حلب في رجب من ســـنة ٨٢٠هـــ/١٤١٧م([٣]) ، فتولّى نيابة حماة من بعده الأمير سيف الدين نكباي حتى جمادى الأولى سنة ٨٢١هـــ/١٤١٨م ([٤])،حيث عزل عنها ، واستبدل بالأمير ســـيف الدين شاهين الزردكاش الذي كان يشغل من قبل منصب حجوبية دمشق ،

([١]) ابـــن تغـــري بردي، النجوم،ج١٤،ص١٢؛ وعن الفتن التي مرت بها دولة المماليك انظر الفصل الثالث، المبحث الأول؛ و**المؤيد شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري** يعرف بالخاصكي أصله من مماليك الظاهر برقوق، تولى نيابة طرابلس ثم نيابة دمشق، أسره تيمورلنك على حلب، ولكنه نجا، تقلد السلطنة قرابة ٩ سنوات ومات سلطاناً على دولة المماليك سنة ٨٢٤هـــ(انظر المقريزي، المواعظ والاعتبار،ج٢،ص٢٤٢؛ العيني، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي؛ الحنبلي، شـــذارات الذهب، ج٧، ص١٦٤-١٦٥)؛ و**قمش الظاهري:** قتل في ربيع الآخر سنة ٨١٧ هـــ(انظر ابن تغري بردي، النجوم ،ج١٤، ص١، حاشية ٣).

([٢]) المقريزي، السلوك،ج٦،ص٣٦٣؛ ابن تغري بردي،النجوم،ج١٣،ص٢٢ ،٣٦؛ ابن حجر، إنباء الغمر،ج٧،ص١٥٥؛ العيني، عقد الجمان، حوادث ٨١٧هـــ، ص٢٠٣؛و **تنبك البجاسي:**تدرج في تقلد نيابات شامية من حماة وحلب ودمشق ثـــم عصـــى علـــى الســـلطان الأشرف برسباي فقتله سنة ٨٢٧هـــ(انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١٢٠؛ السخاوي، الضوء اللامع ، ج٣، ص٢٦).

([٣]) المقريـــزي ، الســـلوك ، ج٦، ص٤٣٨-٤٤٦؛ ابن حجر ، إنباء الغمر ، ج٧، ص٢٥٥؛ العيني ، عقد الجمان ، حوادث ٨١٨هـــ،ص٢٣٩؛ ابن تغري بردي، النجوم ، ج١٣، ص٣٨ ،٥٦؛ المنهل، ج١، ص٢١٢-٢١٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٣٩٠؛ و **جارقطلو الأتابكي الظاهري برقوق:**تنقل في عدة وظائف إدارية ، قتل في دمشق ١٩ شهر رجب من سنة ٨٣٧هـــ(انظر ابن تغري بردي، المنهل،ج٤، ص٢١٢؛السخاوي،وجيز الكلام، ج٢، ص٥٣٤).

([٤]) المقريزي، السلوك ،ج٦،ص٤٤٦؛ العيني،عقد الجمان،حوادث ٨٢٠هـــ،ص٢٩٤ ،٣١٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٥٦-٦٦؛و **نكباي الأزدمر :** تقلد عدة وظائف عسكرية في كلٍ من طرسوس وحماة وحجوبية بدمشق ، توفي سنة ٨٢٣هـــ(انظر العيني، عقد الجمان ، حوادث سنة ٨٢٣هـــ؛ الصيرفي ، نزهة النفوس ، ج٢، ص٤٨٤؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١٠، ص٢٠٤).

فــأدار شؤون نيابة حماة مدة من الزمن إلى أن صدر مرسوم سلطاني قضى بنقله إلى نيابة طرابلس([1]) ،وحلّ محلّه في نيابة حماة الأمير سيف الدين إينال الأرغزي الــذي كان يشغل منصب نائب غزة ، وذلك في شهر المحرم من سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م([2])،إذ استمر نائباً على حماة حتى سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م، حيث خلفه على سدة الحكم في هذه النيابة الأمير أق بلاط التمرداشي ([3]).

و عندما آلت السلطنة المملوكية إلى السلطان الظاهر ططر سنة ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م، أصــدر تقلــيداً سلطانياً يقضي بإعادة الأمير جارقطلو لنيابة حماة، فظل فــيها حــتى شهر شعبان من عام ٨٢٦هـ/١٤٣٣م، حيث رقّاه السلطان الأشرف برسباي(٨٢٥-٨٤٢هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م) إلى نيابة حلب([4])، وتقلّد نيابة حماة من

([1]) المقريــزي، السلوك، ج٦، ص٤٨٩؛ج٧،ص٣-٥؛ العيني، عقد الجمان، حوادث ٨٢٢هـ، ص٣٤٢، ٣٧١ ؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج١، ص٣٤٢؛ النجوم، ج١٤، ص٦٦ ،٩٢؛ شاهين الظاهري، نيل الأمل في ذيل الدول،ج١، ق٤ ، ص٥٥؛ و **شــاهين الــزردكاش:** من مقدمي الألوف بالقاهرة ،تقلد عدة وظائف عسكرية، توفي سنة ٨٤٠هـ(انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٩٥)

([2]) المقريزي، السلوك، ج٧،ص٥؛ العيني، عقد الجمان ، حوادث ٨٢٣هـ، ص٣٧١، ٣٨٥؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج١، ص١٧٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور ، ج٢، ص٥١؛و **اينال الاغزي النورزي**:من مماليك نوروز الحافظي ، عمل بعــد أستاذة عند السلطان المؤيد شيخ ، فتولى عدة نيابات شامية ، ثم أمسك في دولة الأشرف برسباي ، وأطلق بعدها ليتولى نيابة طرابلس ثم إمرة مائة وتقدمة ألف بالقاهرة ، توفى بالقاهرة سنة ٨٢٩هـ(انظر ابن تغري بردي، المنهل ، ج٢، ص٢٠٠؛ السخاوي ، الضوء اللامع، ج٢، ص٣٢٩).

([3]) المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٤٨٥-٤٨٦؛وآق **بلاط التمرداشي** : دمرداش المحمدي ،ترقى بعد أستاذة فولى حماة ثم أتابكية ثم نيابة ملطية(انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٣١٨).

([4]) المقريــزي، الســلوك،ج٧،ص٥١ ،٨١؛ ابن تغري بردي، النجوم ،ج١٤، ص٢٠٢ ،٢٥٤؛ الدليل، ج١،ص٢٣٤؛ الصــيرفي، نزهة النفوس ،ج٢، ص٥٠٩؛ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج١، ق٤، ص١٣٦؛ و**الظاهر ططر**: من عتقاء الظاهر برقوق، كان من الموالين لحركات العصيان التي نشبت في البلاد الشامية بعد موت الظاهر برقوق ،تدرج في المناصب العسكرية في دولة المؤيد حتى توفي، فأصبح مدبر دولة المظفر إلى أن خلعه وتسلطن مكانه بقلعة دمشق، ومــا أن دخل القاهرة حتى تمكن المرض منه فلم يمهله القدر ليكمل العام على السلطنة فتوفي في ذي الحجة من سنة ٨٢٤هـ(انظر ابن حجر، إنباء الغمر،ج٣،ص٢٥٧؛ العيني، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر؛ابن تغري بردي ،موارد اللطافة ،ج٢،ص١٤٤)؛و **الأشرف برسباي:** الدقماقي الظاهري تنقل في الخدمة بعد وفاة أستاذه الظاهر بــرقوق حــتى جلس السلطان ططر على دست السلطنة فقلده تقدمة ألف في القاهرة ولما مات ططر خلفه على دست الســلطنة ابنه الصالح فأصبح برسباي هذا مدبر مملكته إلى أن خلعه وتسلطن مكانه ، فتحت في عهده جزيرة قبرص وتوفــي سنة ٨٤٢هـ (انظر المقريزي، المواعظ والاعتبار،ج٢،ص٢٤٣؛ ابن تغري بردي، موارد اللطافة، ج٢، ص ١٥١؛ السيوطي، حسن المحاضر،ج٢، ص١٢١).

بعــده الأمير جلبان المؤيدي حتى شهر شعبان من سنة ٨٣٨هـ/ ١٤٣٥م([1])، ثم خلفــه فــيها الأمير قانباي الحمزاوي الذي استمر في إدارة شؤونها إلى أن صدر قرار يقضي بنقله إلى نيابة طرابلس سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٩م([2])، ويمكننا اعتبار هذه المدة التي شغل فيها الأميرجلبان المؤيدي ومن بعده الأمير قانباي الحمزاوي نيابة حمــاة قد جاءت مخالفة للمألوف،حيث نعمت خلالها بنوع من الاستقرار، وامتداد زمني دام حوالي ستة عشر عاماً.

ثــم أسند السلطان الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٩-١٤٥٣م)، مهام نــيابة حماة إلى الأمير سيف الدين بردبك الجكمي في ذي القعدة سنة ٨٤٢هـ / ١٤٣٩م، فظــل بهــا حتى أعلن العصيان، فتركها إلى الضواحي سنة ٨٤٧هـ/ ١٤٤٤م([3])، فعُين الأمير قاقبردي بدلاً عنه في سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م([4]) ،ولكنه لم يمكن من دخولها من قبل نائب حماة السابق الأمير بردبك الجكمي([5])، وفي رجب

([1]) المقريزي، السلوك ،ج٧، ص١٨١؛ ابن تغري بردي، النجوم،ج١٤، ص٢٥٤،ج١٥، ص٥٩؛ حوادث الدهور،ج٢، ص٥٥٢؛الصيرفي، نزهة النفوس،ج٤، ص٦٧؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج١، ق٤، ص١٣٦؛ ابن إياس، بدائع الــزهور،ج٢، ص٨٧؛و **جلبان المؤيدي** : من أمراء السلطان المؤيد شيخ، وممن ترقى في عهده إلى درجات عليا من الوظائف العسكرية، و كان موت السلطان شيخ نذير شؤم عليه حيث قبض عليه بعدها وسجن،ثم أطلق في عهد السلطان ططر ،وفي عهد السلطان برسباي تقلد عدة نيابات شامية، توفي سنة ٨٥٩هـ(انظر ابن تغري بردي، المنهل،ج٤، ص ٢١٣؛ الســخاوي ، الضــوء اللامع، ج٢، ص٧٧؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان،ج١، ص١٣٢؛ ابن طولون، أعلام الورى بمن ولى نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى،ص٧٣).

([2]) المقريــزي، السلوك ،ج٧ ،ص٣٩٧؛ ابن تغري بردي،النجوم،ج١٥،ص٥٩؛ الصيرفي،نزهة النفوس،ج٤،ص٦٦-٦٧؛ ابــن شــاهين الظاهــري، نيل الأمل،ج١، ق٤، ص٣٧٦؛ابن إياس،بدائع الزهور،ج٢،ص١٦١؛٣٥١؛ و **قانباي الحمزاوي:** تنقل في النيابات الشامية من حلب وحماة ودمشق، توفي سنة ٨٦٢هـ(انظر ابن تغري بردي، الدليل، ج٢، ص٥٢٩؛ الســخاوي ،الضــوء اللامع،ج٦،ص١٩٥؛ ابن الحمصي،حوادث الزمان ،ج١،ص١٤٤؛ ابن طولون،إعلام الورى، ص٥٣-٥٤).

([3]) المقريزي،الســلوك،ج٧،ص٣٩٧؛ ابن تغري بردي، النجوم،ج١٥، ص٣٢٢ ،٣٦٣؛ المنهل،ج٣،ص٢٤٤-٢٤٥؛ السخاوي، التبر المسبوك ،ص٧-٦؛ الصيرفي، نزهة النفوس ،ج٤، ص٦٦؛و**السلطان الظاهر جقمق:** جلس على دست السلطنة بعد خلعه لسلطان العزيز يوسف ابن برسباي سنة ٨٤٢هـ،لم تخلو فترة حكمه من حركات الأنشقاق والعصيان إلا أنــه تمكــن مــن قمعها، توفي سنة ٨٥٧هـ(انظر المقريزي،المواعظ والاعتبار،ج٢، ص٢٤٣؛ ابن تغري بردي، موارد الطافة،ج٢،ص١٥٨؛ السيوطي،حسن المحاضر،ج٢،ص١٢١؛ العصامي،سمط النجوم العوالي،ج٤، ص٣٩).

([4]) السخاوي ، التبر المسبوك،ص٦١؛ و **قاقبردي:** لم أجد له ترجمة فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

([5]) ابن تغري بردي،النجوم، ج١٥،ص٣٦٣؛ حوادث الدهور، ج١، ص١٠٧؛ الدليل، ج١،ص١٨٥؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٤،ص٣٠٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور،ج٢، ص٢٤٣؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج١،ص١٠٥.

مـــن ذات العام قلّد الأمير قانباي الأبوبكر البهلوان النيابة الحموية، إلا أنه سرعان ما رقي إلى نيابة حلب[١]. ثم أسندت نيابة حماة في سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م للأمير شـــادبك الجكمي، ولم يقم مدة طويلة بها حيث عزل عنها في جمادى الآخرة سنة ٨٥٠هـــ/ ١٤٤٦م[٢]، وآلـــت نـــيابة حماة من بعده للأمير يشبك الصوفي أحد الأمراء المقدمين في حلب، ولم يلبث أن عزل هو الآخر في شهر رجب من العام التالـــي ٨٥١هـ/١٤٤٧م[٣]،فتقلد نيابة حماة الأمير تنم من عبد الرزاق في ذات العام[٤]، ثم أعقبه عليها الأمير بيغوت الأعرج– نائب صفد السابق – واستمر بها من سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م، حتى ربيع الأول من سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م[٥]، فتولى إدارة شؤون نيابة حماة من بعده الأمير سودون الأبوبكر المؤيدي أتابك حلب حتى

([١]) ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٥، ص٣٦٣-٣٦٤؛و **قانباي الأبوبكر البهلوان:** الناصري فرج ، تولى نيابة حلب بعد أن تنقل في عدة وظائف، وكانت وفاته سنة ٨٥٠هـ(انظر ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١،ص١٥٩-١٦٠؛ الـنجوم،ج١٥،ص٤٦٣ ،٥٢٠-٥٢١؛الســخاوي، الضـــوء اللامع،ج٦، ص١٩٤؛ التبر المسبوك، ١٩٥-١٩٦؛ وجيز الكلام،ج٢، ص٦٢٠؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج١، ق٥، ص٢٣١؛ابن الحمصي،حوادث الزمان،ج١،ص٨١).

([٢]) ابن تغري بردي، حوادث الدهور،ج٢،ص١٠٨؛ النجوم،ج١٥،ص٤٦٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٤، ص٣٠٤؛ السخاوي،التبر المسبوك، ص١١٨؛ ابن شاهين الظاهري،نيل الأمل،ج٢،ق٥، ص٢٠٦، ٢٢٢؛ ابن إياس،بدائع الزهور، ج٢،ص٢٥٠؛ **وشـــادبك الجكمي:** أصله من مماليك جكم نائب حماة خدم بعد السلطان ططر، ثم السلطان برسباي، ثم الظاهـــر جقمـــق، تقلد عدة وظائف منها أمير طبلخاناة وثاني رأس نوبة ثم نائب الرها وأمر إمرة مائة وتقدمة ألف ثم نائب حماة توفي سنة ٨٥٤هـ(انظر ابن تغري بردي، الدليل، ج٢، ص٣٣٩؛ السخاوي،الضوء اللامع، ج٣،ص٢٨٩).

([٣]) ابن تغري بردي ،النجوم، ج١٥،ص٤٦٣،٣٧٨؛ حوادث الدهور،ج١، ص١٣٤ ،١٥٣؛ السخاوي، التبر المسبوك ، ص١٤٥ ،١٧٦؛ابـــن شـــاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٥، ص٢٣٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٥٨؛ **ويشبك جانبك المؤيدي شيخ :** يعرف بالصوفي ، قضى معظم حياته في المنفي ، ثم تقلّد الوظائف العسكرية من أمير عشرة ثم رأس النواب ثم تقدمة في حلب ،ثم شغل المنصب النيابي في حماة وأخيراً طرابلس ،ونفي بعدها إلى دمياط ، ثم أعيد ليلي أتابكية دمشق،توفي سنة ٨٦٣هـ(انظر السخاوي ، الضوء اللامع ، ج١٠،ص٢٧٠).

([٤])ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥،ص٣٧٨،٤٦٣؛ الدليل،ج١، ص٢٢٩؛حوادث الدهور،ج١،ص١٥٣؛ السخاوي،التبر المسبوك،ص١٧٦ ،١٨٢؛**وتنم من عبد الرازق المؤيدي شيخ:** تقلد عدة وظائف إدارية ونيابات شامية، توفي سنة ٨٦٨ هـ(انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج٣،ص١٧٥؛ السخاوي، الضوءاللامع،ج٣،ص٤٤؛ وجيز الكلام،ج٢، ص٧٦٤).

([٥]) ابن تغري بردي،النجوم ، ج١٥،ص٣٧٨ ،٤٣٤، ٤٦٣؛ الدليل،ج١،ص٢١٠،ج٢،ص٧٨٩؛ البقاعي، إظهار العصر لأسرار أهل العصر، ق١،ص١٤٩؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص١٨٢؛**وبيغوت بن عبد الله من صفر خجا المؤيدي:** يعرف بالأعرج، من مماليك المؤيد شيخ عمل زمن برسباي في صعيد مصر ثم نفي إلى دمشق. ولي عدة نيابات شامية زمن جقمق، ثم عصى وعزم على ترك البلاد إلا أن الأمراء تدخلوا وأصلحوا فيما بينه وبين السلطان ،وقدم إلى القاهرة وظل بها إلى أن توفي سنة ٨٥٧هـ(انظر ابن تغري بردي، المنهل،ج٣،ص٥٠٦؛ حوادث الدهور،ج٢،ص٤٧٣، ٤٧٥ ؛ النجوم،ج١٦،ص١٦٨؛ السخاوي،وجيز الكلام،ج٢،ص٦٨٢؛ ابن الحمصي،حوادث الزمان،ج١،ص١٢٣).

شهر رجب من سنة ٨٥٦هـ/١٤٥٢م(١)، حيث أسندت نيابة حماة إلى الأمير حاج إيــنال اليشبكي، الذي استمر نائباً بها حتى بعد نهاية دولة السلطان الظاهر جقمق (٢).

وقــد عمد السلطان الأشرف إينال(٨٥٧-٨٦٥هـ/١٤٥٣-١٤٦١م) إلى إبقــاء الأمير حاج إينال اليشبكي على نيابة حماة حتى شهر شعبان من سنة ٨٥٩ هــــ/١٤٥٥م(٣)، حيــث عزله وعين مكانه الأمير إياس المحمدي الطويل الذي استمر نائباً عليها حتى نقل إلى نيابة طرابلس في شهر ربيع الأخر من سنة ٨٦٣ هـ/١٤٥٩م(٤)، و استقر بدلاً عنه في نيابة حماة الأمير جانبك التاجي وذلك حتى شهر رمضان من سنة ٨٦٦هـ/١٤٦٢م ، حيث نقل بأمرٍ من الســلطان خشقدم (٨٦٥- ٨٧٢هـــــ/١٤٦١- ١٤٦٧م) إلـــى نيابة حلب(٥)، وباشر نيابة حماة بدلاً

(١) ابــن تغــري بردي، الدليل،ج١،ص٣٣٥؛المنهل ،ج٣،ص٥٠٨؛ البقاعي، إظهار العصر، ق١،ص٢٢، حاشية ٣؛ الســخاوي، التبر المسبوك، ص٣٤٤؛و **سودون الأبو بكر المويدي شيخ:** ترقى بعد موت أستاذة شيخ فتقلد إمرة بحلب في دولة الظاهر جقمق ثم ناب في حماة، توفي سنة ٨٧٠هـ (انظر السخاوي ، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٧٦).

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥،ص٤٦٣،٤٥١؛ و**إينال اليشبكي** يشبك الجكمي ويعرف بحاج إينال ، تقلد الوظائف العسكرية العليا بعد القبض على أستاذة فولي إمرة في دمشق ثم ناب في الكرك وماة وطرابلس وأخيراً حلب توفي سنة ٨٦٦هـ(السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٢،ص٣٣٠؛ وجيز الكلام ،ج٢، ص٧٥٠).

(٣) ابن تغري بردي ، النجوم،ج١٥، ص٤٥١ ،٤٦٣،ج١٦،ص٩٢؛ حوادث الدهور ،ج١، ص١٦٠؛ السخاوي، التبر المســبوك، ص٤٢٣؛ و **الســلطان الأشرف إينال** :من مماليك الناصر فرج تأمر زمن المظفر أحمد بن شيخ ثم أخنفي الترقـــي في الوظائف العسكرية حتى تسلّم مقاليد نيابة غزة، ثم الرها، ثم إمرة مائة وتقدمة ألف، ثم نيابة صفد إلى أن باشر الأتابكية في عهد السلطان جقمق، ثم تسلطن بعد خلعه السلطان المنصور عثمان بن جقمق في شهر ربيع الأول ، تــم على دست السلطنة إلى أن خلَع نفسه سنة ٨٦٥هـ(انظر المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢،ص٢٤٣؛ ابن تغري بردي ، موارد اللطافة،ج٢، ص١٦٨؛ السيوطي ، حسن المحاضر، ج٢، ص١٢١).

(٤) ابــن تغري بردي ، النجوم، ج١٦،ص٩٢، ١٢٨؛ البقاعي، إظهار العصر،ق٣،ص٢٤؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٦، ص٥٤؛ابن إياس، بدائع الزهور،ج٢،ص٣٣٠، ٣٥٢ ؛و **إياس المحمدي الطويل:** تقلد اتابكية طرابلس ثــم تــنقل في النيابات الشامية صفد ثم حماة ثم طرابلس قبض عليه في محرم سنة ٨٦٦هـ، لتركه قبرص دون أذن السلطان(انظر ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٦، ص٦٩، ٩٢، ١٢٨، ٢٦٤).

(٥) ابــن تغــري بردي،الــنجوم،ج١٦،ص١٢٨، ٢٦٩؛ البقاعي،إظهار العصر،ق٣،ص٢٤، ٣٠٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور،ج٢،ص٣٥٢ ،٣٩٣؛و **جانبك الجكمي التاجي المؤيدي:**تقلد نيابة صفد ثم حماة وأخيراً حلب إلى أن عزل سنة ٨٦٦هـ، ثم مات بعدها(انظر السخاوي، الضوء اللامع،ج٣،ص٥٦؛وجيز الكلام،ج٢،ص٧٦٤)؛و**السلطان خشقدم** تدرج في تقلد الوظائف العسكرية إلى أن أصبح في رتبة تقدمة ألف في عهد الظاهر جقمق ،ثم نقله الأشرف إينال إلى إمرة ســلاح وفي عهد إبنه المؤيد أحمد تولى أتابكية العسكر،وأخيراً تسلطن في رمضان ٨٦٥هـ،وأقام على السلطنة حتى مرض ثم توفي سنة ٨٧٢هـ(المقريزي،المواعظ والاعتبار،ج٢،ص٢٤٣؛السيوطي، حسن المحاضر،ج٢، ص١٢٢).

عـــنه الأمير سيف الدين جانبك الناصري الذي ناب بها إلى أن نقل لنيابة طرابلس في شهر جمادى الآخرة من سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٤م([1])، فتولى نيابة حماة من بعده الأمـــير بـــلاط، والذي كان يشغل نيابة صفد([2])، ثم تقلد نيابة حماة في ذات العام الأمـــير ســـودون الأفرم ، فظل قائماً عليها حتى نقل إلى نيابة طرابلس في شهر شعبان من سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٥م([3])، فعين من بعده الأمير يشبك البجاسي إلى أن انـــتقل إلى نيابة طرابلس في شهر صفر من سنة ٨٧١هـ/١٤٦٦م([4])، فتقلّد نيابة حماة الأمير تنم الحسيني الذي كان يشغل منصب رأس نوبة ثاني([5]).

وعندما استقر الظاهر أبو نصر يلباي سلطاناً على دولة المماليك (٨٧٢-٨٧٣هـ/١٤٦٧-١٤٦٨م)، عـــزل الأمير تنم الحسيني وعين بدلاً عنه الأمير محمـــد المبارك الذي كان يشغل منصب نيابة طرابلس ،وذلك في نفس السنة التي ولـــي فـــيها عرش السلطنة المملوكية ([6])، قبل أن يخرج ابن المبارك من القاهرة

([1]) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٦،ص٢٨٥؛ البقاعي ، إظهار العصر،ق٣،ص٣٠٠؛ السخاوي ، الضوء اللامع، ج٣، ص٦١؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٦، ص١٨٦؛ابن إياس، بدائع الزهور ،ج٢، ص٣٩٣ ،٤١٨؛و **جانبك الناصـــري فرج:** تنقل في الخدمة بعد إستاذة ، ثم قلده السلطان جقمق إمرة طبلخاناة بدمشق وحاجباً ثاني ثم ناب بصفد وحماة وطرابلس بالرشوة ، توفي سنة ٨٦٩هـ (انظر السخاوي ، الضوء اللامع، ج٣، ص٦١).

([2]) ابن تغري بردي، النجوم،ج١٦،ص٢٨٥؛ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٦،ص١٨٦؛ وآق **بلاط:** لم أقف على ترجمة له فيما توفر لي من المصادر اطلعت عليها.

([3]) ابـــن تغري بردي ، النجوم، ج١٦،ص٢٨٨؛و **سودون الظاهري جقمق** يعرف بالأفرم تولى أمرة عشرة في عهد ابن أستاذة المنصور عثمان بن جقمق ، وظل على هذه المرتبة حتى بعدما أطلق من سجنه ، ثم ترقى في عهد السلطان الظاهر خشقدم إلى مرتبة خازندار ثم طبلخاناة ، لم يذكر تاريخ لوفاته(انظر السخاوي، الضوء اللامع،ج٣، ص٢٨٣).

([4]) ابن تغري بردي، النجوم،ج١٦، ص٢٨٩ ،٢٩٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور،ج٢،ص٤١٨، ٤٢٩؛ **ويشبك البجاسي:** قلـــده الأشرف إينال إمرة ركب الحاج الحلبي، ثم تقدمة في عهد المؤيد وإمرة السلطان خشقدم إمرة بحلب ثم ناب في ملطية وتولى أتابكية حلب ثم نيابة حماة ، توفي سنة ٧٨١هـ(انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠؛ ص٢٧٥).

([5]) ابـــن تغـــري بردي ، النجوم، ج١٦، ص٢٩٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور ، ج٢، ص٤٢٩، ٤٤٣؛و **تنم الحسيني الأشـــرفي برسباي:** امتحن بالحبس بعد وفاة أستاذه ، ثم أطلق وتقلد عدة وظائف من إمرة عشرة ثم رؤوس النوب ثم رأس نوبة ثاني ثم ناب في حماة ،،توفي سنة ٨٧٣هـ(انظر السخاوي ، الضوء اللامع ، ج٣، ص٤٥؛ وجيز الكلام ، ج١،ص٣٤٩)؛**ورأس نوبه:**تعني وظيفة رئيس الحرس(انظر أ.جي.بريل، دائرة المعارف الإسلامية،ج٢٦،ص٨٠٦٤).

([6]) الصـــيرفي ، إنـــباء الهصـــر بأبـــناء العصر، ص٦، ٤١؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل،ج٢، ق٦، ص٢٨٨؛ **والسلطان يلباي:** تقلد الخاصكية بعد موت أستاذة المؤيد شيخ، ثم أصبح ساقياً وأخذ في التدرج بعدها في رتب الإمارة من أمير عشرة إلى أمير طبلخاناة، ثم مقدم ألف وحاجب الحجاب وأمير أخور وأخيراً أمير كبير، ثم تسلطن بعد موت السلطان خشقدم سنة ٨٧٢هـــ، وخلع في العام التالي وكانت وفاته في سجنه بالإسكندرية سنة ٨٧٣هـ(انظر المقريزي، المواعظ والاعتبار،ج٢، ص٢٤٣؛ ابن تغري بردي، موارد اللطافة، ج٢، ص١٧٧؛ العصامي، سمط النجوم العوالي،=

لمباشـــرة حكمه لحماة، وكان قرار عزله عنها قد صدر في شهر ربيع الأول من نفس العام عين بدلاً عنه الأمير إينال الأشقر الظاهري نائب غزة ، إلا أنه سرعان ما رقي إلى نيابة طرابلس في شهر ربيع الآخر([1]).

أمـــا الأمير محمد بن المبارك فرشح لتقلد نيابة غزة ولكنه رفض ولايتها، ولعـــل رفضه كان سبباً لإعادة تقليده نيابة حماة بعد الأمير انيال الأشقر([2])، غير أنه لم يطل حكمه لها حيث عزل في الشهر ذاته ليعاد الأمير يشبك البجاسي لنيابة حمـــاة([3])، وفي ربيع الآخر من سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م، نقل السلطان سيف الدين قايتـــباي (٨٧٣-٩٠١هـــــ/١٤٦٨-١٤٩٥م)، النائب الحموي المذكور إلى نيابة طرابلس([4])، وقلد نيابة حماة للأمير بلاط اليشبكي، الذي طلب إعفاءه من مباشرة مهامهـــا في جمادى الأولى من العام التالي ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م ([5])، ونصب مكانه

=ج٤، ص٤٢)؛و **محمد بن مبارك شاه الناصري الدمشقي التركماني** : ويعرف بابن مبارك، تولى نيابة البيرة وحماة وطرابلس ،ثم توفي سنة ٨٧٩هـ(السخاوي،الضوء اللامع، ج٨، ص٢٩٦؛ابن شاهين الظاهري،نيل الأمل، ج٢،ق٧، ص١١٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٠١).

([1]) ابن تغري بردي ، النجوم ، ج١٦، ص٣٦٢-٣٦٤؛ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٦، ص٢٨٨؛و **أينال الأشـــقر الظاهـــري جقمق** :توفي في رمضان سنة ٨٧٩هـ(انظر السخاوي ، الضوء اللامع ،ج٢، ص٣٣٠؛ وجيز الكلام، ج٢، ص٨٦١)

([2]) ابـــن تغـــري بردي ، النجوم ، ج١٦، ص٣٦٢-٣٦٤؛ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٦، ص٢٩٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور ، ج٣، ص٢٤-٢٥

([3]) الصيرفي، إنباء الهصر ، ص٤١؛ ابن إياس، بدائع الزهور ، ج٣، ص٢٥.

([4]) الصيرفي، إنباءالهصر، ص١٤٦؛ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٦، ص٤٠٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٠؛و **السـلطان قايتـباي المحمـودي الظاهري**: من مماليك السلطان الأشرف برسباي تدرج في الوظائف العسـكرية حـتى تولى أتابكية دولة الظاهر تمربغا ،الذي خلعه وتسلطن من بعده، واستقر على دست السلطنة إلى أن توفي سنة ٩٠١هـ(انظر ابن تغري بردي، موارد اللطافة، ج٢، ص١٨٥؛ السخاوي ، الضوء اللامع، ج٣، ص٣٢٤؛ السيوطي، حسن المحاضر، ج٢، ص١٢٢؛ الملطي،نزهة الأساطين، ص١٤٣-١٤٦؛ ابن طولون ، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان تاريخ مصر والشام،ق١، ص٣؛ ابن الغزي،الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ، ج١، ص٢٩٨).

([5]) ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٦، ص٤٠٢ ،٤٣١؛ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٣، ص٤٠، ٤٥؛ و **بلاط اليشبكي**: تمكّن من تقلد نيابة صفد مقابل مبلغاً من المال في سنة ٨٦٧هـ(انظر ابن إياس، بدائع الزهور،ج٢،ص٤٠٣؛ طه ثلجي الطروانه، مملكة صفد، ص٢٩٨) .

علـــى نـــيابة حماة الأمير خير بك القروي، ولكنه توفي قبل أن يباشر مهامها([1])، فكـــان لوفـــاة النائـــب الـــبديل وتفاقم خطر التركمان على الحدود الحلبية ما حفز الســـلطان قايتـــباي علـــى رفض طلب الأمير بلاط فأعيد نائباً على حماة واستمر متولـــياً حكمها حتى شهر رجب سنة ٨٧٨هـــ/١٤٧٣م، حيث عزل بالأمير قراجا الطويـــل الأنيالـــي([2])، الذي طال حكمه على نيابة حماة حتى عزل عنها في سنة ٨٨٤هـــــ/ ١٤٧٩م، وأقر الأمير أزدمر بن أزبك قريب السلطان في نيابة حماة وذلـــك في شهر رجب من نفس العام([3])، وباشر أعمالها حتى قتل في صفر سنة ٨٨٥هـــــ/١٤٨٠م([4])، ثـــم خلفه الأمير سيف الدين حمزة بن سفلسيس نائباً على حمـــاة فباشرها([5])، حتى ربيع الآخر حيث عزل عنها وعين بدلاً عنه الأمير جانم الأعرج السيفي الجداوي، واستمر قائماً على حماة حتى ذي الحجة من سنة ٨٨٦ هـــــ/١٤٨٢م، حيث نقل إلى أتابكية دمشق([6])، وعين مكانه الأمير يشبك العلائي الـــذي كـــان يشغل منصب حاجب حجاب دمشق([7])، فظل يباشر الأمور بها حتى

([1]) الصيرفي ، أنباء الهصر، ص٢٢٥-٢٢٦، ٢٣٤؛ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٦، ص٤٣١؛ **وخير بك القـــروي أو القصـــروي** : تولى ولاية القاهرة ثم نيابة القلعة ثم نيابة صفد ثم إمرة بطرابلس (انظر السخاوي، الضوء اللامع، مج٢،ص٢٠٩؛ الصيرفي ، إنباء الهصر،ص٢٣٤، ٣٠٥؛ ابن إياس ، بدائع الزهور، ج٣، ص٥٤).

([2])ابـــن شـــاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٦، ص٤٣١،ق٧، ص٨٢؛ابن إياس،بدائع الزهور،ج٣،ص٩٣، ١٣٢ ؛**وقـــراجا الطويـــل الأنيالي**:سجن ثم نفاه الدودار الكبير إلى القدس نتيجة ظلمه لأهل حماة، فظل بها إلى أن توفي سنة ٨٨٥هـــ(السخاوي،الضوء اللامع،ج٦، ص٢١٤؛وجيز الكلام،ج٣، ص٩١٥؛ابن إياس،بدائع الزهور،ج٣،ص١٦٤،١٥٨

([3]) ابـــن إيـــاس ، بدائع الزهور ، ج٣، ص١٥٨؛و **أزدمر من أزبك** : تولى نيابة طرسوس، ثم سيس ،ثم حماة، ظلم وعسف أهلها فقتلته الأعراب بظاهر حماة مع أتابك حماة(انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٢٧٤).

([4]) محمد دهمان ، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك مع رحلة الأمير يشبك من مهدي الدودار لمحمد بن محمود الحلبي الملقب بابن أجا ، ص١٧١؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان،ق١، ص١٥٨.

([5]) السخاوي،الضوء اللامع،ج٢،ص٢٧٤؛**وحمزة سفلسيس**:لم أجد له ذكر سوى توليه لحماة،(السخاوي،الضوء اللامع، ج٢، ص١٦٤).

([6]) السخاوي ، المصدر السابق ،ج٢، ص٢٧٤؛ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص٢٥٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور ، ج٣، ص١٦٧؛و **جانم السيفي** : أستاذة جانبك الجداوي -نسبة لتوليه نيابة جدة- عرف بكتابة الخط المنسوب و الفروســـية، تقلـــد نيابة حماة بتوصية من الأمير يشبك البجاسي، توفي على منصب أمير كبير في دمشق سنة ٨٨٨ هـــــ(انظر السخاوي، وجيز الكلام، ج٣، ص٩٤٧ ؛ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص٢٥٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٠٠).

([7]) ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٣،ص١٩١؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق١، ص٥٢،و **يشبك العلائي(العلاي)**: تقلد الحجوبـــية الكبرى في عهد السلطان قايتباي سنة ٨٨٥هـــ، واستمر على ذلك المنصب حتى نقل نائب على نيابة حماة فأقام بها إلى أن توفي(انظر ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ق١، ص٥، ٥٢).

توفـــي في المحرم سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م([1])، فخلفه في نيابتها منه الأمير سيباى الطــيوري حاجب دمشق، وباشرها هو الآخر حتى توفي في رمضان سنة ٨٩٣ هـــ/١٤٨٨م([2])، وأعقــبه عليها الأمير إينال الخسيف الأشرفي الذي استمر نائباً علـــى حماة([3])، إلى أن عُزِل عنها واستبدل بالأمير يشبك من حيدر وذلك في سنة ٨٩٦هـــ /١٤٩١م([4])، فظـــل الأمير يشبك قائماً عليها حتى توفي في شهر ذي القعـــدة ســـنة ٨٩٩هـ/١٤٩٤م([5])، وتولى من بعده الأمير آقباي الطويل مباشرة نـــيابة حمـــاة بعض الوقت([6])، حيث استبدل بالأمير سيف الدين قانصوه الشامي، الذي تســـلّم مقاليد النيابة الحموية في ذي الحجة من ســـنة ٩٠٠هـ/١٤٩٥م([7])، وظـــل يباشـــر الأمور بها حتى أمر السلطان محمد ابن قايتباي(٩٠١-٩٠٤هـ/ ١٤٩٥-١٤٩٨م) بعزـــله عن نيابة حماة، وأقام عليها الأمير سيف الدين أركماس سنة ٩٠٢هـ/١٤٩٥م، فباشر أعمالها حتى طلب للمثول أمام الدودار في المحرم

([1]) ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل ، ج٢، ق٧، ص٤٠٨؛ ابن إياس ، بدائع الزهور، ج٣، ص٢١٤.

([2]) ابـــن شـــاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص٤٠٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢١٥؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق١، ص٦٦؛و **ســـيباي الظاهري جقمق الطيوري:** تولى نيابة غزة ثم حجوبية دمشق، ثم نيابة حماة ، توفي في شوال سنة ٨٩٣هـ(انظر السخاوي ، وجيز الكلام، ج٣،ص١٠٦٥).

([3]) الســـخاوي،وجيز الكلام، ج٣، ص١٠٦٥؛ الضوء اللامع،ج٢، ص٣٢٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور،ج٣،ص٢٨٤؛ و**إيـــنال الخســـيف الأشرفي قايتباي:** اعتقل في قلعة دمشق زمن أستاذة، ثم أطلق وتولى إمرة ميسرة بحلب، ثم أتابكية حلـــب، ثـــم نيابة صفد، ثم نيابة حماة، توفي في سنة ٨٩٨هـ (انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٣٢٧؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص٣٩٥).

([4]) السخاوي ، الذيل التام، ج٣، ص١٩٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٣٠٤؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق١، ص١٤١؛و **يشبك من حيدر الأشرفي إينال:** تقلد عدة وظائف عسكرية من ولاية القاهرة إلى أمرة آخور ثاني، ثم مقدم ألـــف، وأخـــيراً أصبح نائباً على حماة ، توفي سنة ٨٩٩هـ(انظر السخاوي ، الذيل التام ، ج٣، ص١٩٦؛ ابن إياس بدائع الزهور، ج٣، ص٣٠٤؛ ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ق١، ص١٥٩).

([5]) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٣٠٤.

([6]) السخاوي،الذيل التام،ج٣،ص١٧٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور،ج٣،ص٣٠٤-٣٠٥؛و**آقباي الظاهري خشقدم** يعرف بســـنجق و بـــالطويل أيضاً ، تقلّد أمرة عشرة في عهد الأشرف قايتباي،ثم خرج في التجريدة العسكرية سنة ٨٩٥هـ، توفي سنة ٨٩٧هـ(انظر السخاوي الضوء اللامع،ج٢،ص٣١٤؛وجيز الكلام،ج٣، ص١٢٩٠).

([7]) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٣١٣؛ و **قانصوه الشامي:** فرّ هارباً بعد اشتعال فتنة الأمير آ قبردي سنة ٩٠٠ هـ، فأطلق السلطان المملوكي خلفه من يقبض عليه (انظر ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج٢، ص٣٠٤، ٣٩١).

من سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٧م([1])، عندها استبدل بالأمير دولتباي الذي تسلم نيابة حماة سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م، واستمر عليها حتى رقي إلى نيابة حلب في المحرم من سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩م([2])، وحلّ مكانه الأمير يخشباي ، الذي استمر نائباً على حماة حتى عصى على السلطنة فأمر السلطان بخروج الجيش المملوكي وفي معية نائب حماة الجديد الأمير قانصوه المشهور بابن سلطان جركس وذلك للقبض على الأمير الخارج على طاعته يخشباى، فوصل الأمير قانصوه دمشق في الثالث من جمادى الأولى سنة ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م([3])، ولكن نيابة قانصوه المشهور بابن جركس لم تدم طويلاً على حماة، حيث سرعان ما استبدل بالأمير قانصوه اليحياوي في السابع من ذات الشهر، وذلك على أثر الاضطراب الذي أصاب السلطنة بعد خلع جان بلاط تنصيب السلطان طومان باي([4]).

([1]) البصروي،تاريخ ابن البصروي،ص١٩٣-١٩٤؛ النعيمي،الدارس،ج١،ص٦٤٥؛ ابن طولون،مفاكهة الخلان، ق١، ص١٨٤؛ أعلام الورى،ص١٣٨؛و **السلطان محمد ابن قايتباي**:تقلّد السلطنة قبل وفاة أبيه بيوم واحد ٢٧ ذي القعدة ٩٠١هـ، فظل على السلطنة حتى عزل وقتل سنة ٩٠٤هـ، وقد شهد عليه بكثرة سفكه لدماء(انظر البصروي، تاريخ ابن البصروي،ص٢٣٤؛ ابن طولون،مفاكهة الخلان،ق١،ص٢٠٥؛ ابن إياس،بدائع الزهور،ج٣،ص٤٠١؛ الحمصي، حوادث الزمان،ج٢، ص٥٨؛ الدويهي،تاريخ الأزمنة،ص ٣٧٤)؛و**أركماس**:ناب في حماة ،ثم حلب، ثم دمشق،وأخيراً تقلّد إمرة سلاح في الديار المصرية، قتل في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ(انظر الملطي، نزهة الأساطين، ص١٤٧-١٤٩؛ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٧١؛ ابن طولون ، أعلام الورى، ص٢٩٧).

([2]) ابن طولون ، مفاكهة الخلان ، ق١، ص٢٠٤، ٢٢٣؛و **دولتباي** : أخو السلطان العادل طومان باي ، تقلّد نيابة البيرة، ثم تشرّف بإمرة الحاج الشامي، ثم تقلد نيابة حماة، ثم طرابلس، ثم حلب، ثم أعيد لنيابة طرابلس، توفي سنة ٩١٧هـ (انظر ابن طولون ، مفاكهة الخلان، ق١، ص١٨٣، ١٩٦، ٢٠٤، ٢١٨، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٥٠، ٣٥٥).

([3]) ابن إياس، بدائع الزهور ، ج٣،ص٤٦٩؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج٢، ص١١٤؛ ابن طولون ، مفاكهة الخلان، ق١، ص٢٢٩ ،٢٣١؛ ابن طولون ، أعلام الورى، ص١٣٩؛و **يخشباي**: لم يستمر طويلاً في تقلد نيابة حماة، حيث أصدر ترسيم بنفية، ثم قُلّد بعدها الحجوبية الكبرى في دمشق (انظر ابن الحمصي ، حوادث الزمان، ج٢، ص ١١٤؛ ابن طولون ،أعلام الورى ،ص٢١١) ؛و **قانصوه المشهور بابن سلطان جركس** ويعرف باللوقة تقلد الحجوبية في دمشق سنة ٩٠٤هـ، ثم نيابة حماة كان آخر العهد به عند استقباله للسلطان الغوري في بلاد الشام الخارج لملاقات ابن عثمان على مرج دابق سنة ٩٢٢هـ(انظر ابن طولون ، أعلام الورى ، ص١١١، ٢٨٥).

([4]) ابن طولون،المصدر السابق،ص١٤١-١٤٢؛و**قانصوه اليحياوي**:تقلّد الحجوبية في دمشق، ثم نيابة صفد، ثم حماة، وهنالك من هو على هذا المسمى وهو الأمير قانصوه اليحياوي الظاهري،وتوفي سنة ٩٠٢هـ،وعليه يسترعى الأنتباه، ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق١، ص١٨١، ٢٠١، ٢٠٣ ،٢٦٦)؛**السلطان طومان باي**: تسلطن بعد ابن أخته محمد ابن قايتباي سنة ٩٠٥هـ، ولكنه لم يدم طويلاً حيث عزل بالأمير قانصوه خمسمائة، ثم أعيد تنصيبه للسلطنة بعد مقتل السلطان الغوري سنة ٩٢٢هـ، إلا أنه قتل في العام التالي في معركة الريدانية على يد الأتراك العثمانين=

ثـم بدا للسلطان الجديد طومان باي بُعَيد القبض على الأمير يخشباى تعيين الأمير سيباي الذي كان نائباً لسيس مكان الأمير قانصوه اليحياوي في نيابة حماة، وعـزل الأمـير قانصوه اليحياوي بطّالاً، وكان ذلك في رجب من ذات العام[1]. وعلـى مـا يبدو أن هذا الأمر لم ينفذ لدخول السلطنة المملوكية في خضم ثورة جديـدة تمخّض عنها إسقاط سلطنة طومان باي وجلوس السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠٠-١٥١٦م)،على كرسي السلطنة، وعندما هدأت الأوضاع الداخلـية لدولة المماليك نفذ السلطان قانصوه الأمر السابق، فاستقر الأمير سيف الدين سيباي في نيابة حماة وذلك ١٨ من صفر من العام التالي[2]، ولكنه نقل إلى نـيابة حلـب في شهر محرم من سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م، وأعيد الأمير اليحياوي نائـباً لحمـاة ، ولكنه لم يلبث أن نقل هو الآخر إلى أتابكية غزة وعين نائباً على حماة من بعده الأمير جانم وذلك في سنة ٩٠٨هـ/١٥٠٢م[3].

=(الملطـي،نزهة الاساطين،ص١٥٤؛ابن طولون،متعة الأذهان من التمتع بالأقران بين تراجم الشيوخ والأقران،مج١، ض٣٧٩،٣٨٨؛عبد المنعم ماجد، طومان باي آخر سلاطين المماليك في مصر).

(1) ابن إياس ، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٦٩-٤٧٠؛ ابن الحمصي ، حوادث الزمان،مج ٢، ص١١٤؛ ابن طولون ، أعلام الورى، ص١٤٨؛ و **سيباي باش مماليك** : تقلّد نيابة حماة، ثم حلب، ثم دمشق، ثم نقل إلى مصر أميراً لسلاح ، وبعدها عين ملكاً للأمراء في دمشق، حرص السلطان قايتباي على مصاهرته سنة ٩٢٠هـ ، قتل في معركة مرج دابق (انظـر ابن إياس، بدائع الزهور،ج٤، ص٤٠٦، ج٥، ص٧١؛ ابن زنبل، آخرة المماليك أو وقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، ص١٠١؛ ابن طولون، أعلام الورى، ص ١٩٢ ،٢٢٢؛ مفاكهة الخلان، ق٢، ص٢٥؛ متعة الأذهان، ج ١، ص٣٥٤؛ الدويهي؛ تاريخ الأزمنه، ص٣٩١).

(2) ابن الحمصي،حوادث الزمان،مج٢،ص١٣٦؛لتعرف على ملابسات إطاحة السلطان قانصوه الغوري بالسلطان الدولة السابق طومان باي(انظر ابن الحمصي،المصدر السابق،ج٢، ص١٢٦؛ابن إياس،بدائع الزهور،ج٣،ص٤٧٥-٤٧٧)؛ و **قانصـوه الغـوري**:ولد سنة ٨٥٠هـ،تدرج في المناصب العسكرية حتى تسلطن سنة ٩٠٦هـ،وظل على دست الحكم حـتى قتل على يد الأتراك العثمانين في معركةمرج دابق سنة٩٢٢هـ(ابن الغزي،الكواكب السائرة،ج١،ص٢٩٥؛ابن زنبل،آخرة المماليك،ص١٠٣)

(3)عن تاريخ نقل الأمير قانصوه اليحياوي لإتابكية غزة لم أتمكن من تحديدها(انظرابن الحمصي،حوادث الزمان،مج٢، ص١٣٦؛ابن إياس، بدائع الزهور،ج٤، ص٣٤ ،٥٠)؛**وجانم بن قجماس**:شارك في حركة عصيان الأمير آقبردي سنة ٩٠٣هـ، فقرر نفية إلى القدس بطالا، ثم تقلد نيابة طرابلس وبعدها حماة (انظر ابن الحمصي، حوادث الزمان،ج٢، ص٨٩، ١١٦)

ثـــم أعيد قانصوه إليها في شوال من ذات العام /١٥٠٣م(1)، فأقام بها حتى عيـــن مكانه الأمير جانم نائباً على حماة وذلك في شهر ربيع الآخر من سنة ٩٠٩ هـــــ/١٥٠٣م(2)، فظل مباشراً لنيابة حماة ، إلى أن عصى الأمير دولتباى نائب طرابلس فتمكن من دخول حماة بالقوة العسكرية بعد أن فر نائبها الأمير جانم إلى دمشـــق وذلك في سادس جمادى الآخرة من سنة ٩١٠هــ/١٥٠٤م(3)، ولم يطل مقـــام الأمـــير دولتباي في حماة حيث خرج منها ليتركها دون نائب، فما كان من السلطنة المملوكية إلا أن أصدرت مرسوماً يقضي بتعيين الأمير سودون الدوداري نائـــباً على حماة في ذات العام(4)، وعلى ما يبدوا بأن النيابة الحموية قد استمرت فـــي يـــد الأمـــير سودون حتى سنة ٩١٦هـــ/١٥١٠م، حيث قُلدت للأمير يوسف الناصـــري،ولكنه ســـرعان مـــا عزل عنها في ٢١ من ذي القعدة من نفس العام، وأعيد الأمير جانم لنيابة حماة ، حيث قضى بها عامين ثم عزل في ذي القعدة من سنة ٩١٨هـــ/١٥١٣م(5)، وتولى من بعده الأمير جان بردي الغزالي في المحرم مـــن سنة ٩١٩هـــ/١٥١٣م، فظل قائماً على مهامها حتى سقطت الدولة المملوكية في البلاد الشامية سنة ٩٢٢هـــ/١٥١٦م(6).

---

(1) ابن إياس، بدائع الزهور،ج٤،ص٥٠؛ ابن الحمصي،حوادث الزمان،ج٣،ص١٧٢؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق١ ،ص٢٨٢، ٢٨٦

(2) ابن إياس ، بدائع الزهور ،ج٤، ص٥٠، ٥٩؛ ابن طولون، أعلام الوري، ص١٨٣.

(3) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٥٠، ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق١، ص٢٨٣؛ أعلام الورى،ص١٨٣، ٢٠١

(4) ابـــن طولـــون ، مفاكهة الخلان ، ق١، ص٢٨٦؛ أعلام الورى ، ص١٨٦، ٢٠١؛ **وسودون الدوداري:** تقلد نيابة صـــفد ثم حماة ثم تنقل في المناصب العسكرية العليا، قتل في معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هــ(أ نظر ابن إياس،بدائع الزهور،ج٣، ص٢٣٠، ابن طولون، أعلام الورى، ص١٥٦، ٢٩٧).

(5) ابـــن الحمصي، حوادث الزمان، ج٢، ص١٩١، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢٣٠؛ و **يوسف الناصري:** لم أقف على ترجمة له فيما توفّر لي من المصادر اطلعت عليها.

(6)يرد أحياناً بأسم أقبردي الغزالي،ابن إياس، بدائع الزهور،ج٥، ص٤؛ابن الحمصي،حوادث الزمان،ج٣،ص٢٤٢؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق٢، ص٢٠، ٦٩؛ ابن زنبل،آخرة المماليك،ص٧٩؛**وجان بردي الغزالي:**تقلّد منصب الحجوبية الكبرى بدمشق،ثم تدرج في تولي النيابات الشامية من صفد،ثم حماة،ثم القدس والكرك والشوبك،ثم دمشق إلى أن سقطت دولة المماليك على يد العثمانين،فانتقل في الخدمة تحت كنف السلطان العثماني سليم الأول،حيث أعطاه نيابة الشام مكافأة لـــه على تمكينه من كسر المماليك في كلٍ من مرج دابق والريدانية، وبعد وفاة السلطان سليم الأول وتقلد أبنه سليمان السـلطنة ثار عليه وأعلن استقلاله بالشام،قتل في سنة ٩٢٧هــ(انظر ابن الحنبلي،تاريخ أعيان حلب،ورقة ٧٧ب/٧٨أ؛ ابن طولون،مفاكهة الخلان،ق٢،ص ١٧٧؛ابن الحنبلي،شذرات الذهب،مج٨، ص١٩١؛ خلف الوذيناني،ولاية جان بردي الغزالي على الشام(٩٢٣-٩٢٧هــ/١٥١٧-١٥٢٠م، مجلة المؤرخ العربي،ع٦، مج١،مارس ١٩٩٨، ص٤٨٣-٤٩١).

نلحـــظ ممـــا ســـبق أن النيابة الحموية افتقدت للاستقرار الوظيفي المنشود لنائبها الذي عُدّ امتداد فترة تكليفه بمهام النيابة إلى الأكثر من العامين من الحالات الاستثنائية التي مرت بها حماة،مثل نيابة الأمير ايدمر الشيخي الأولى والتي أمتدت قـرابة ٩ســنوات(٧٥٥-٧٦٢هـ/١٣٥٤-١٣٦١م)، ونيابته الثانية والتي امتدت قـرابة ٥ ســنوات(٧٦٩-٧٧٣هـ/١٣٦٧-١٣٧٠م)، وكذلك نيابة الأمير جلبان المؤيـدي التـي حكـم فيها حماة قرابة ١٢سنة(٨٢٦-٨٣٨هـ/١٤٣٣-١٤٣٥م) ،ونـيابة الأمير قانباي الحمزاوي والتي امتدت قرابة ٤ سنوات(٨٣٨-٨٤٢هـ/ ١٤٣٥-١٤٣٩م) ،وأيضـاً نـيابة الأمـير قرجا الطويل الأنيالي الممتدة قرابة ٦ سنوات(٨٧٨-٨٨٤هـ /١٤٧٣-١٤٧٩م)، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الخوف العـام الذي اعترى سلاطين المماليك إزاء حركات العصيان التي شهدتها النيابات الشـامية المستقرة وظيفياً، وخشيتهم من احتمالية تحوّل النائب الحموي إلى حجرٍ يصـعب تحـريكه إذا مـا طالت مدة تكليفه عليها، وقد أفضت تلك السياسية إلى تـراجع موقع نيابة حماة بين النيابات الشامية، وهذا ما أكده ابن تغري بردي الذي سـجل أول حالة نقل لنائبٍ حموي إلى نيابة طرابلس سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٨م، وهو مخـالف لمـا جـرت عليه العادة من ترقية النائب الحموي إلى نيابة حلب أقرب النـيابات الداخلـية لحمـاة وأكثرها تأثر وتأثير عليها في جميع جوانبها السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية،ولم يشأ المؤرخ المملوكي حجب تفسيره لهذا التغيير الذي أرجعه إلى ما شهدته نيابة طرابلس من اتساع رقعتها، فقال: " وكانت قديماً حماة أكبر من طرابلس، فلما اتّسع أعمالها صارت أكبّر من حماة " ([1])، وقد أيـد القلقشـندي ابن تغري بردي تراجع موقع ممثل النيابة الحموية في السلطنة الملوكية بقولـه: " ونائبها من أكابر الأمراء المقدّمين، ولكنه في الرتبة دون نائب

([1]) ابن تغري بردي ، النجوم ، ج١٠، ص١٥١.

طــرابلس وإن كان مساوياً لــه في المكاتبات من الأبواب السلطانية؛ ويظهر ذلك في كتابة المطلقات الكبار حيث يذكر نائب طرابلس قبله" ([1]).

وعــند مراجعة ترتيب النيابات الشامية عند بعض مؤرخي القرنين التاسع والعاشر الهجريين نجد دليلاً آخر يوضح ما آلت إليه النيابة الحموية من تراجع في حين كانت تتقدم على نيابة طرابلس في بعض مصنفات القرن الثامن الهجري([2])، غــير أن هــذا الــتراجع لم يحجب الضوء عن دور نيابة حماة الريادي في انتاج النواب الجديرين لتسير دفة النيابة الحلبية والنيابة الطرابلسية فيما بعد.

وكمــا وجدت الاستثناءات في الفترات الزمنية التي شغلها النائب الحموي لحكــم حمــاة، كذلــك وجدت الاستثناءات في حركة النقل حيث لم تقتصر عملية الترقــية الوظيفية لنائب الحموي لشغل نيابتي حلب أوطرابلس بل تعدتها إلى شغل مناصب عليا في السلطنة إما في الديار المصرية مثل الأمير سنجر الجاولي ٧٤٣ هــ/١٣٤٣م، إو في نيابة دمشق مثل الأمير كمشبغا الحموي الذي نقل لتقلد نيابتها ســنة ٧٨٠هــ/١٣٧٨م، ويبدوا أن هذه الترقيات لايكتسبها النائب الحموي إلا إذا أثبــت جدارته في إدارة حماة، أما إذا أخفق النائب الحموي في تنفيذ المهام الملقاة علــى عاتقــه فأنــه ينقل إلى مرتبة وظيفية أقل شأناً، مثلما حدث للأمير اسندمر العمــري الــذي نقل لشغل طبلخاناة في نيابة حلب سنة ٧٤٨هــ/١٣٤٧م، وكذلك

([1]) القلقشندي،صــبح الأعشــى،ج٤،ص٢٣٨؛ انظر أيضاً ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف،ص١١٣-١١٤؛ وقد زاد غرس الدين الظاهري فقال:" والخامسة المملكة الحماوية وكان كافلها قديماً في النظام قريباً من كافل طرابلس واما الآن فدون ذلك بشيء لا يقاس"(انظر، زبدة كشف الممالك،ص١٣٣)؛**والمطلقات الكبرى**:وهي مايكتب إلى النواب السبعة ما عــدا ســيس وتكون مرتبة حسب رفعة النيابة(انظر ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف،ص١١٣)؛**والمقدمين**:يراد بهم مقدمــي الألف،وهي أعلا الرتب العسكرية في السلم الوظيفي لدولة المماليك، وكانت تسند إلى أصحابها مهام النيابات وأهم الوظائف في الدولة، وهم مقدمون على ألف فارس ممن دونهم من الأمراء(القلقشندي، صبح الأعشى،ج٤،ص١٤).

([2]) ابــن فضــل الله العمــري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٩٥؛ ابن ناظر الجيش، التثقيف بالتعريف ، ص٩٣-٩٤؛ القلقشندي ، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٧؛ ابن شحنة ، الدر المنتخب، ص٢٥٨؛ وقد أرجع ابن كنان سبب تقدم نيابة حماة على نيابة طرابلس، بأنه من باب أولويتها في دخولها الإسلام وليس من باب موقعها بين نيابات الدولة المملوكية(انظر ، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١٠٧).

الأمـــير كشلي القلمطاوي الذي نقل لشغل منصب نائب نيابة ملطية في سنة ٧٩٠ هـ/١٣٨٨م ، والأمير قانصوة اليحياوي الذي نقل لشغل منصب أتابكية غزة في سنة ٩٠٩هـ/١٥٠٣م.

أمـــا عـــن الوظائف التي كان يخول لصاحبها الترفع لشغل نيابة حماة فهي أتـــابك دمشق مثل الأمير دمرداش المحمدي الذي نقل لنيابة حماة سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م، وحاجـــب دمشق مثل الأمير شاهين الزدكاش ٨٢١هـ/١٤١٨م، وأتابك حلب مثل الأمير دمرداش المحمدي ٨٠١هـ/١٣٩٩م، والأمير سودون الأبو بكر المؤيدي ٨٥٥هـ/١٤٥١م، ونائب نيابة غزة مثل الأمير انيال الارغزي ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م، والأمير انيال الأشقر ٨٧٢هـ/١٤٦٧م.

حدود نيابة حماة وطبيعتها الجغرافية:

ذكـــر شيخ الربوة أن نيابة حماة تعد النيابة الرابعة ضمن منظومة النيابات الشـــامية الثمان، ولم يذكر من أعمالها بعرين وسلمية([1])، وهو بهذا قد جعلها في المرتـــبة الرابعة بعد دمشق وحلب وطرابلس، أما العمري فقد ذكرها في التعريف علـــى أنهـــا النـــيابة الثالـــثة إذ جعلها بعد دمشق وحلب([2])، أما في كتابه مسالك الأبصار فقد عدها بعد دمشق مباشرة([3])، وقد قسم القلقشندي حديثه عن نيابة حماة إلـــى قســـمين، ضمَّن القسم الأول وصفاً شاملاً لمدينة حماة حاضرة النيابة حيث

([1]) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٧٤؛وانظر أيضاً ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٥٨؛ وسلمية: هي بلده في ناحية البرية قيل بأن سبب تسميتها يعود إلى سكنى مائة ممن نجوا من أهل المؤتفكة من عذاب الله ﷻفيها، فسميت سلم مائة، ثـــم حرف الناس اسمها فقالوا سلمية(انظر ياقوت الحموي،معجم البلدان، ج٣، ص٢٤٠؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص ٢٦٤-٢٦٥).

([2]) العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص٢٣٥.

([3]) العمري، مسالك الأبصار،ج٤، ص١٩٥.

وصــفها بأنها "مدينة أزلية قديمة"([1])، تقع في الإقليم الرابع بين حمص وقنسرين، طولها إحدى وستون درجةً وخمس وأربعون دقيقةً، وعرضها أربع وثلاثون درجةً وأربعــون دقيقةً، أما القسم الثاني فقد تناول فيه حدود نيابة حماة وأعمالها([2])، وقد ذكــر العمري "حدُّها من القِبلة مدينة الرستن وما سامتّها آخذاً ما بين سَلَمية وقبَّة ملاعــب إلى حيث مجرى النهر([3]) والآثار القديمة؛ وحدَّها من الشرق البُّر آخذاً على سَلَمية إلى ما استقلَّ عن قبة الملاعب؛ وحدَّها من الشمال آخر حد المعرة من انقــراتا([4])؛ وحدهــا من الغرب مضافات مصياف وقلاع الدعوة"، وقد ذكر من أعمالهــا عمل برها- ولعل المقصود به ظاهرها وما حولها من البراري- وعمل بارين وعمل المعرة([5]).

وشــملت هــذه المدينة قرى تابعة لها منها سوبين([6])، ومعر كبة ، ومعر زبــود فــي لحف قرن حماة الشمالي([7]). وعليه فإنه يمكن تحديد موقع نيابة حماة وفق خطوط العرض والطول على الوجه التقريبي فيما بين خطي عرض١٠, ٣٤ْ

([1]) القلقشندي ، صبح الأعشى، ج٤، ص١٣٩؛ تعتبر حماة من المدن الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، وقيل بأن الــذي بناها هو حمث بن كنعان بن حام بن نوح الذي سكنت ذريته بلاد الشام بعد أن نزحوا من العراق لتهديد ملوك بــابل لهم، فانقسموا بدخولهم إليها لأربع فرق عرفت أكبرها باسم"الحثيين "، الذين نزلوا على وادي نهر العاصي، وقد امتازوا بقوتهم وكثرة رجالهم، لذلك ورد ذكرها في التوراة بــ"حمث الكبرى"، كما عرفت في اللغة الأرامية بــ"حمات"، والسريانية" حمث وحما"، وقيل بأن حمث تعني الحصن، وفي العبرية" حم"، كما عرفت عند السلوقيين بــ" أبيفانيا" نسبة إلى الملك السلوقي أنطيوخوس أبيفانيوس(انظر أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٥؛ أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص٢٣-٢٤؛ متعب القثامي،مملكة حماة في العصر الأيوبي،ص٢؛ محمد أبو المحاسن عصفور، معالم تاريخ الشــرق الأدنــى القديم، ص٣١٤؛ يحيى شامي، موسوعة المدن العربية الإسلامية، ص٥٥؛مصطفى أطلاس، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ج٣، ص١٢٧؛ أ.هــ.م جونز، بحوث في تاريخ بلاد الشام مدن بلاد الشام حين كانت ولاية رومانية، ص١٢؛ السير٠١هامرن ، تاريخ العام، مج٢، ص٢٤؛ موريس كروزيه، تاريخ الحضارات العام، ج١، ص٢٠٣-٢٠٤؛ ممــدوح الزوابي، نواعير حماة أوابد تشهد على ازدهار هذه المدينة، مجلة القافلة صفر ١٤١٥هــ، يولية/ أغسطس١٩٩٤م، ص٢٤؛ رفاه محمد كامل، حماة مدينة الآثار، مجلة الفيصل، ع٢١٨، شعبان ١٤١٥هــ-يناير ١٩٩٥، ص٨).

([2]) القلقشندي ، صبح الأعشى، ج٤، ص١٣٩-١٤١.

([3]) نهــر العاصــي، العمــري، التعريف، ص٢٣٥، حاشية ٤؛ والرستن: بليدة قديمة على نهر العاصي(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٣، ص٤٣.

([4]) ذكرت عند القلقشندي بــ" العرابا" (انظر صبح الأعشى، ج٤، ص١٤١).

([5]) العمري، التعريف، ص٢٣٥؛ انظر أيضاً القلقشندي، صبح الأعشى ، ج، ص١٤١.

([6]) البقاعي، إظهار العصر، ق١، ص١٤٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٢٠٩.

([7])ياقوت الحموي، المشترك وضعاً ، ص٤٠١.

– ٥٠ ,٣٥ْ شــمالاً، و بيــن خطي طول١٠ ,٣٦ْ – ٢٠ ,٣٨ْ شرقاً([1])، وقد صنف بعــض الجغرافيين الإسلاميين موقع حماة ضمن الإقليم الرابع الذي يتوسط أقاليم الأرض الســبعة، ويتمــيز بنقاء هوائه، وعذوبة مائه([2])، والواقع أن هذا التميز ، يعود إلى الموقع الجغرافي الهام الذي تمتعت به نيابة حماة، والذي تمثّل في تباين الطبــيعة الجغرافية التي حوتها هذه النيابة ما بين مرتفعات جبلية، وهضاب وتلال وسهول زراعية، حيث وصف الجغرافي المعاصر شيخ الربوة حماة بأنها " مدينة حسنة خصبة كثيرة الخير والأرزاق، يحوطها النهر العاصي ويأتيها جارياً من بين جانبَيْها، ويجمع بين الجانبين قنطرة، وعلى العاصي النواعير الكبار الّتي لم يُرَ في الآفــاق مثلهــن، يحملــن مــن العاصــي أنهــاراً من الماء يسقون به البساتين والأماكن"([3]).

ومــن أبــرز الجبال التي عرفت بها نيابة حماة في المصادر التاريخية، ما كان يعرف بقرون حماة، وهو عبارة عن جبلين متقابلين يشرفان على حماة ونهر العاصي، وقد سميت بذلك لاستدلال من رآهما من الجهة الشمالية أو الجنوبية بأنه قــد دنــا مــن حمــاة([4])، ويطلق القرن الشمالي من قرون حماة على جبل زين العابدين([5])، الذي يصل ارتفاعه إلى ٦٧٢م، وهذا الجبل يدخل ضمن سلسة جبلية تعــرف باســم جــبال العلا التي تبعد عن حماة باتجاه الشمال بحوالي ٧كم، ويلي الجــبل الســابق إلــى الشرق جبل كفر راع، وارتفاعه ٦٤٨م، وفي شرقها جبل كاســون، وارتفاعــه ٥٨٧م، وهو إلى الشمال من عين قصارين بحوالي ٥كم([6])، وأما القرن الجنوبي فيطلق على جبل الأربعين، ويبعد عن حماة من جهة الجنوب ٣ أمــيال([7])، ويــبلغ ارتفاعه ٦٩٥م، وتحيط بنيابة حماة بعض الهضاب والتلال

([1]) على موسى و آخرون، محافظة حماة دراسة طبيعة تاريخية بشرية اقتصادية، ص٥.

([2]) متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي،ص٢.

([3]) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٧٤.

([4]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٠.

([5]) أحمد الصابوني، تاريخ حماة ، ص٢٣، حاشية١، ص٥٩.

([6]) على موسى وآخرون، محافظة حماة ، ص٢١-٢٢.

([7]) أحمد الصابوني، تاريخ حماة ، ص٢٣، حاشية١، ص٥٩.

المـتفرقة التـي قد يخترق أراضيها بعضاً منها، ومنها هضبة العلايا، التي يصل متوسط ارتفاعها بين ٣٧٥-٤٢٥م، وإضافةً إلى تلك التلال توجد مجموعات من الـتلال علـى يسار وادي نهر العاصي قبيل دخوله حماة، وأخيراً السهل الداخلي الـذي يمـتد على طول نهر العاصي، ويعرف بسهل وادي العاصي، ويأخذ شكل شـريط ضيق في بعض الأماكن، ويتسع في بعضها الآخر، ويبلغ متوسط اتساع سهول وادي العاصي في بعض القطاعات ما بين ١٠٠٠-١٥٠٠م، ثم يتقلص في بعضها الآخر حتى لا يكاد يكون عرضه سوى بضعة أمتار([1]).

وأمـا مصـادر المـياه في نيابة حماة، فأهمها نهر العاصي، وقد ذكر ابن الشحنة بأن " له أسماء بحسب الأماكن التي يمر عليها، فيقال له في الأول من جهة بعلـبك الميماس. فإذا وصل إلى حماة قيل لهُ العاصي، فإذا صار إلى انطاكية قيل لـه الأُرنـد"([2])، وعلـل بعضـهم سـبب تسميته بالعاصي عند مروره بحماة لاستعصـاء أخـذ مائه بغير النواعير([3])، وقيل أيضاً لجريانه باتجاه الشمال على خـلاف أنهار بلاد الشام الجارية نحو الجنوب([4])، وقد اكتسب بهذه الصفة تسمية أخرى فعرف بالنهر المقلوب([5])، وينبع نهر العاصي من قرية تسمى اللبوة ، وهي مـن ضمن قرى بعلبك،و يأخذ في الجريان نحو الشمال مخترقاً بعض أعمال نيابة دمشق إلى أن يصب في بحيرة قدس، ثم يخرج منها مواصلاً سيره فيجتاز حمص والرستن، إلى أن يخترق أراضي نيابة حماة، فيمر بقاعدة النيابة ويقسمها شطرين، ثـم يكمل سيره إلى أن يصل شيزر ومنها يصب في بحيرة أفامية، ويجري بعدها

([1]) على موسى وآخرون، محافظة حماة، ص٢٢ ،٢٧-٢٨ ، ٣٠-٣١.

([2]) ابن شحنة ، الدر المنتخب، ص١٧٥-١٧٦؛ انظر أيضاً ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٦٧-٦٨؛ والأرند: تعريباً للاسم الذي كان يطلق على النهر في العهد الروماني " أورانش"(انظر ممدوح الزوابي، نواعير حماة أوابد تشهد على ازدهار هذه المدينة ، ص٢٥).

([3]) القلقشندي،صبح الأعشى،ج٤،ص٨٠؛ أحمد الصابوني،تاريخ حماة،ص٦١؛ حماد السالمي،أوراق الأوراق عجائب وغرائب من تراثنا حلب وحمص وحماة، مجلة المنهل،ع٥٠١،مج٥٤،رجب ١٤١٣- يناير ١٩٩٣م، ص٢٦.

([4]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٦٧-٦٨؛ ابن الوردي، خريدة العصر، ص١٣٩.

([5]) احمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٦١؛ متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي ، ص٢؛ انظر أيضاً ممدوح الزوابي، نواعير حماة أوابد تشهد على ازدهار هذه المدينة، ص٢٥.

إلـــى الشـــمال حتى يصل جسر الحديد، فيستدير مجراه إلى جهة الجنوب الغربي، فيمر بانطاكية، ثم يكمل سيره إلى أن يصب في بحر الشام([1]).

ولـــم تكـــن نـــيابة حماة بمعزل عن ما مرت به البلاد الشامية من كوارث طبيعـــية، تصـــدرت قائمـــتها الأمطار التي كانت تهطل مصحوبة بزخات البرد المتـــنوعة الحجم، وما أعقبها من سيول و فيضانات([2])، كان لها آثارها المتفاوتة على هذه النيابة([3]).

أعمال نيابة حماة:

١-عمل معرة النعمان:

ســـبقت الإشارة إلى أن العمري عد في كتابه التعريف معرة النعمان عملاً من أعمال حماة، في حين أهمل ذكرها شيخ الربوة، ويبدو أن عدم ذكرها من هذا الأخير يعود إلى أنها خرجت عن نطاق نيابة حماة في سنة ٧١٣هـــ/١٣١٣م([4])، ثم أعيدت إليها في سنة ٧١٦هـــ /١٣١٦م([5])، والمعرة مدينة جليلة عامرة([6])، يقع

([1]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٨٠؛ انظر أيضاً أحمد الصابوني،تاريخ حماة، ص٦٠-٦١؛ **وشيزر: Sheizar** مديـــنة حصـــينة شـــمالي حماة بينهما تسعة أميال، وتسمى قلعتها بعرف الديك، ويمر شمالها نهر العاصي(انظر شيخ الـــربوة، نخـــبة الدهر، ص٢٧٢؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٦٢-٢٦٣؛(انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٢٩؛ فولفغـــانغ مولـــر- فـــيز، القلاع، ص٦٩)؛ **وبحـــيرة قدس:** تقع غربي حمص وهي بحيرة على أرض مستوية(انظر القلقشـــندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٨٤) ؛ **وأفامية:** مدينة حصينة على سواحل الشام،على بعد ٥٦كم، شمالي حماة ، بنيـــت فـــي العهد السلوقي، وبحيرتها حلوة المذاق يصب فيها نهر العاصي "المقلوب"من جهة الجنوب، وتشتهر بكثرة أسماكها مما جعلها مصدر من مصادر الثروة السمكية في البلاد الشامية (انظر البغدادي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ج١،ص٩٩؛شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٢٧٣؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٦٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٨٤؛ رفاه محمد كامل، حماة مدينة الآثار، ص٨-٩)؛ **وجسر الحديد:** يقع بالقرب من بحيرة أنطاكية (انظر أبو الفداء ،تقويم البلدان، ص٤٣).

([2]) الـــنويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص١٣، ٢٣١؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص٢٣٩؛ للوقوف على المزيد من التفصيلات عن أثر هذه الزلازل على بلاد الشام (انظر محمد مؤنس عوض، الزلازل في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ص١٣١، وما بعدها).

([3]) ابن الوردي، تاريخ بن الوردي، ج٢، ص٢٤٤؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٠٥.

([4]) أبو الفداء ، المختصر، ج٤، ص٦٩-٧١.

([5]) أبو الفداء، المصدر السابق ، ج٤،ص٧٨-٧٩؛ ابن دقماق ، الجوهر الثمين ، ص٣٥١؛ النفحة المسكية، ص١٢٤.

([6]) يـــاقوت الحمـــوي، معجـــم البلدان، مج٥، ص١٥٦؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٦٤-٢٦٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٤٢؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١١٠.

خلفهـــا جـــبل لبنان([1])، وهي تبعد عن حلب ٨٣ كم جنوباً، وعن دمشق ٢٧٢ كم شـــمالاً([2])، وكـــان لهـــا عدة مسميات أهمها ما اشتهرت به وهو معرة النعمان ، وأورد بعـــض المؤرخين بأن سبب هذه التسمية يعود لوجود قبر الصحابي الجليل النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه على أراضيها([3])، في حين زاد ياقوت الحموي "أنها مسمّاة بالنعمان وهو الملقب بالساطع ابن عدي"([4])، كما عرفت بأسماء أخرى منها ما ذكره شيخ الربوة بأنها تعرف أيضاً "بذات القصرين"([5])، أما غرس الدين الظاهري فقال عنها" كان اسمها ذات القصور وهي الآن لطيفة ولها معاملة وقرىً عديدة وهي من معاملة حماة وبها قبر محمّد بن عبد الله الصحابيّ وبدير مّران قبر عمر بن عبد العزيز الأمويّ رضي الله عنه"([6]).

ومـــن أعمالهـــا قـــرية قانا([7])، ودير سمعان، ويقع في ظاهر المعرة([8])، ويعـــرف أيضاً بدير النقيرة لأنها بجانب قرية النقيرة، وكذلك من أعمالها الحديثة

([1]) الحميري، الروض المعطار، ص٥٥٥.

([2]) ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص٧٥، حاشية٢.

([3]) يـــاقوت الحمـــوي، معجم البلدان، مج٥، ص١٥٦؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٦٤-٢٦٥؛ الحميري، الروض المعطـــار، ص٥٥٥؛ القلقشـــندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٤٢؛ زكريا القزويني، آثار البلاد، ص٢٧٢؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١١٠؛ **والنعمان بن بشير الأنصاري:** الخزرجي ، ولد قبل وفاة الرسول ﷺ ، تولى حمص ومـــن بعدها الكوفة في عهد الخليفة الأموية، ثم انخرط في حركة عبد الله بن الزبير بن العوام، وأخذ يدعو أهل الشام لمناصـــرة ابن الزبير، فخالفه أهل حمص وقتلوه سنة ٦٥هـــ(انظر ابن الأثير ، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ص ٣٢٦-٣٢٨؛ ابن حجر، الأصابة في تميز الصحابة، ج٣، ص٥٥٩).

([4]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص١٥٦؛ **النعمان بن عدي** بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمة بن تيم الله وهـــو تنوخ بن أسد بن وبر بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة(انظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج٥، ص١٥٦).

([5]) شيخ الربوة الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٧٢.

([6]) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص٤٩؛ انظر أيضاً البغدادي، مراصد الاطلاع، ج٢، ص٥٦٤-٥٦٥؛ **وعمـــر بن عبد العزيز:** خامس الخلفاء الراشدين وثامن خلفاء بني أميه، توفي سنة ١٠١هـــ(انظر البكجري الجنفي، مختصر تاريخ الخلفاء، ص٩٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص١٨٣).

([7]) ابن شحنة، الدر المنتخب، ص٢٣٥.

([8]) الحمـــيري، الروض المعطار، ص٥٥٥؛ **ودير سمعان:** ينسب إلى القديس سمعان الذي ولد سنة ٣٩٠م، وأنشأ له عمـــوداً ليكون مقراً له مدى الحياة، ولما توفي دفن في ذلك العمود ثم نقل رفاته إلى أنطاكية، وكانت وفاته سنة ٤٥٩م (انظر هورست كلينكل، آثار سورية القديمة آثار من قبل الإسلام في الجمهورية العربية السورية، ص١٣١).

وســرجة([1]). ومــن ضــياع المعــرة، معــراثا البريدية، ومعر شمارين، ومعر شمسى([2]).

٢- عمل بارين:

بلدة صغيرة تقع في الجنوب الغربي من حماة([3])،وهي أقرب إلى مصياف مــنها إلــى حماة حيث تبعد عن الأولى ١٧كم([4])، في حين تبعد عن حماة مسيرة نصف يوم([5])، وتقدر المسافة بينهما ٤٢كم([6])، وعرفت هذه البلدة عند العامة باسم بعريــن([7])، وتشــتهر بكثرة الآثار التاريخية فيها وعلى وجه الخصوص ما كان موجود في الرفنية([8]).

٣- عمل برها:

وهي عبارة عن بر فسيح ومروج ممتدة حول حماة وصفها العمري بقوله: "وليس بعد دمشقَ في الشام شبيهٌ، ولا يُدانيها في لُطْف ذاتها مِنْ مجاوراتها قريبٌ، ولا بعــيدٌ"([9])، وعلــى تلك المنزلة لم يكن لها قاعدة تشرف عليها([10]). ولعل ذلك كــان ســبباً فــي عدم اعتبار بعض المؤرخين لها ولاية أو عمل قائماً بحدّ ذاته، وبتالي عدم إدراجهم لها ضمن أعمال نيابة حماة([11]).

([1]) ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص١٢٣، ١٨٩، ٣٤٤؛ ابن شحنة، الدر المنتخب، ص٩٩.

([2]) ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص٤٠٠-٤٠١.

([3]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٣٢٠-٣٢١؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٥٨-٢٥٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٤١.

([4])ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١١٠، حاشية٣.

([5]) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٢٥، حاشية ١.

([6]) ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١١٠، حاشية٣.

([7]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٣٢٠-٣٢١؛ انظر أيضاً شيخ الربوة الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٧٤؛ أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٢٥، حاشية١.

([8]) أبــو الفــداء، تقويم البلدان، ص٢٥٨-٢٥٩؛ **الرفنية:** وهي أثار عمارة قديمة في بارين (انظر أبوالفداء، المصدر السابق، ص٢٥٩).

([9]) العمــري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٩٧؛ وممن عد بر حماة من ضمن الأعمال التابعة لنيابة (انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٩؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١١٠).

([10]) العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص٢٣٥.

([11]) شيخ الربوة الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٧٤؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٩٧؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص٤٩؛ أكرم العلبي، دمشق، ص٣٣.

وقد زاد شيخ الربوة وغرس الدين الظاهري على تلك الأعمال الثلاثة مدينة سلمية([1])،في حين انفرد غرس الدين بذكر مصياف ضمن الأعمال التابعة لنيابة حماة([2])، ويبدو أن هذا مخالفٌ للواقع، فالمعروف أن سلمية كانت تابعة فعلاً لحماة طوال الحكم الأيوبي لها ثم انسلخت عنها قبل أن ينشأ النظام النيابي فيها([3])، وأما مصياف وجمع قلاع الدعوة فقد أجمعت المصادر المملوكية على أنها سُلمت لنيابة طرابلس عشية تسليمها للسلطان قلاوون، وذلك سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م([4]).

الجهاز العسكري والإداري في النيابة([5]).

رغم أن الطابع العسكري كان السمة البارزة في التنظيم الوظيفي في دولة المماليك ، بحكم أنه قد أنيط بها مهمة الجهاد ضد قوى متعددة ناصبت الأمة الإسلامية العداء في أكثر من جبهة.

إلا أن هذه الدولة شهدت إلى جانب ذلك تنظيماً إدارياً دقيقاً شمل جميع مناحي الحياة ، والواقع أن التنظيمات العسكرية والإدارية داخل السلطنة كانت موحدة إلى حد كبير سواء على مستوى الأراضي المصرية المقر الإداري للسلطنة، أو كافة نياباتها. والتي منها بطبيعة الحال نيابة حماة -موضع دراستنا- والتي يتربع على قمة الهرم السياسي والإداري **نائب السلطنة** بها([6]): وهؤلاء يتم تعينهم مباشرة من قبل السلطان بموجب تقليد يصدر بهذا الشأن، مصحوباً بسيف

([1]) شيخ الربوة الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٧٤؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص٤٩.

([2]) غرس الدين الظاهري، المصدر السابق ، ص٤٩.

([3])أبو الفداء، المختصر، ج٣، ص٢٠٥؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٠١؛ العيني، عقد الجمان، ج١، ص٢٤٥.

([4]) حياة الحجي، الوضع الإداري لطرابلس في العصر المملوكي، ص١١٨-١٢٠.

([5]) عن بعض الوظائف العسكرية والادارية(انظر الملحق رقم ٢).

([6]) للتعرف على من تم تقليده هذه الوظيفة(انظر الملحق رقم ١).

محلـــى بالذهب وتشريف مكون من أربع قطع منقوش عليها ألقاب السلطان إضافة إلى فرس مسروج([1]).

وقد تُسند إلى أحد أمراء المماليك مهمة تسفير النائب الجديد إلى مقر نيابته في حماة بأمرٍ من السلطان المملوكي كما حدث في سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٢م، حينما نفذ الأمـــير طوخ الأبو بكري المؤيدي الزردكاش أمر تسفير النائب الصفدي إلى مقر وظيفـــته الجديـــدة نـــيابة حمــــاة([2])، وإذا ما وافق السلطان المملوكي الجديد على استمرارية النائب الحموي في مقر نيابته، فإنه يرسل عندها الخلعة إلى نائب حماة مـــع أمـــير من أمراء المماليك. فقد حمل الأمير آقبردي الأشرفي الساقي الخلعة لنائب حماة الأمير جانبك التاجي في جمادى الأولى سنة ٨٦٥هـ/١٤٦١م([3]).

ويكـــون للنائب الحموي عناصر من الجند يقدر عددهم ٦٠٠ جندي([4]) ، تـــوزع عليهم الوظائف المتبقية حسبما يرى النائب مثل الأستادار الذي تلقى على عاتقـــه مسؤولية الإشراف على بيوت النائب والمطابخ والحاشية والغلمان، ويكون لـــــه مطلق الحرية في التصرف في النفقات والكساوي([5])، وتنظيم إقطاع النائب مـــع الدواويـــن و الفلاحيـــن ([6])، وقد ثبت وجود هذه الوظيفة في سنة ٨٧٦هـــ/ ١٤٧١م، حيـــث تقـــدم مـــن أهل حماة من اشتكى أستادار النائب الحموي، لكثرة المظالم التي لحقت بهم([7]).

([1]) العمري، مسالك الأبصار ، ج٤، ص١١٤؛ القلقشندي ، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٣٧- ٢٣٨؛ ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف، ص١٣٣؛ للتعرف على صيغة تقليد نائب حماة (انظر الملحق رقم ٢).

([2]) ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٦، ص٢٨٥ ؛ **والأمير طوخ الأبوبكري** : لم أقف على ترجمة له فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

([3]) ابـــن تغـــري بردي ، النجوم،ج١٦، ص٢٢٣ ؛ و **وآقبردي الأشرفي الساقي** : تأمر إمرة عشرة ثم نقل إلى إمرة أخوريه سنة ٨٧٢هـــ(انظر ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج١٦، ص٣٧٧).

([4]) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٣٣-١٣٤.

([5]) ذكر القلقشندي وجود وظائف يكون لنائب صلاحية تعين أصحابها ولكنه سكت عن تسميتها، انظر، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠، ١٨٨، ٢٣٨.

([6]) السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، ص٢٨.

([7]) محمد دهمان، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك ، ص١٣٦.

ومــن الوظائف التي يختار النائب من يتولاها " أمير سلاح " وهو الحامل لسلاح النائب أثناء خروجه للمواكب ([1])، وأيضاً " أمير آخورية " ومهمته مراقبة الاصــطبلات ورواتب الموظفين والمستخدمين ومتابعة الخيول والجمال والبغال والــدواب وكيفــية تربيتها وتدريبها ونوعية الأعلاف وكميتها وما يختص بها من مشتريات ومبيعات واستعمالات([2]).

أمــا عن مهام كافل النيابة فهو تدبير جميع أمورها السياسية والعسكرية ، ويكــون لــه مطلق الصلاحيات الإدارية في إسناد الوظائف في داخل نيابته لمن يرى أنه جدير بها عدا من يتم تعيينه عن طريق السلطنة، ويخضع لتصرفه جميع موظفــي النــيابة الإداريــن والعسكريين([3])، كما يقع على عاتقه مسؤولية الحكم بشريعة الله ﷻ والنظر في مصالح الرعية وقضائها([4]).

وكــان النائب يجلس في يومي الاثنين والخميس للنظر في مصالح الرعية وذلــك بمشاركة القضاة الأربعة ، وعادة ما يسبق هذا المجلس قيام النائب بجولة تفقدية لإعمال نيابته ليستقر المقام إلى ضيعة قريبة منها تسمي بقرين، وفي معيته عدد من الأمراء وأجناد الحلقة، وبعد أن يقضي بها بعد الوقت يستقبل على ما يبدو خلاله الناس للنظر في مصالحهم يعود إلى "الموقف " بسوق الخيل في حماة ليتفقد الخــيل و العقارات،حيــث يدخــل العســكر أولاً من باب المعرة،ويترجل بعدها الحضور ويبقى النائب راكباً حتى يصل إلى مقعده،فيجلس فيه ومن حوله الأمراء وكــبار الموظفين الإداريين، بينما يظل الموظفون والعسكريون خارج الشباك دار النــيابة للعمل على تنظيم دخول أصحاب المظالم على النائب، و بعد الانتهاء من

([1]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ١٨، ١٨٨

([2]) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٢٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٢؛ وانظر أيضاً ، نبيل عبد العزيز ، الخيل ورياضتها في عصر سلاطين المماليك، ص١٢٧-١٣٢.

([3]) القلقشندي، صبح الأعشى ، ص٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق٢، ص١٠٧.

([4]) ابن تيمية ، السياسية الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص١٧-١٨؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١١٦؛ السبكي، معيد النعم ، ص٢٤-٢٦.

النظر في أمور الرعية ينصرف القضاة، ثم يعقد النائب مجلساً آخر تحت قبة مخصصة ينظر خلالها في أمور " الجهاز العسكري" يحضره الأمراء والموظفون الإداريون فقط([1]).

ورغم هذه الصلاحيات الواسعة التي منحها السلطان المملوكي للنائب الحموي في تعيين الموظفين المدنين والعسكريين، والنظر في مصالح الناس، إلا أن ذلك لم يشمل إحلال أمير مكان آخر في حالة وفاته؛ إذ كان عليه أن يخبر السلطان بذلك ، وينتظر أوامره التي تصدر بذلك([2]) ، وأما في حالات الاستنفار التي يصدرها السلطان المملوكي في القاهرة عندما يتعرض أي جزء من السلطنة لاعتداء خارجي فإن النائب الحموي يخرج على رأس جيش النيابة مع مراعاة خضوعه المباشر للأوامر التي يصدرها النائب الدمشقي، الذي (هو الآخر) يتلقى التعليمات من السلطان المملوكي([3])، وفيما يتعلق بعلاقة النائب الحموي مع النيابات الشامية الأخرى، فإنه ملزم بأن يكون على اطلاع مستمر لمستجدات الأحداث داخل النيابات الشامية الأخرى على الصعيدين الداخلي والخارجي مع مراعاة التنسيق وتبادل المشورة مع بقية النواب، فضلاً عن أنه ليس له حرية التصرف في توزيع الإقطاعات ونقل ملكيتها من أمير لآخر، إما لموت الأمير أو لنقله، بل عليه إخبار السلطان المملوكي بالقاهرة في أمر الإقطاع ليرى حكمه([4]).

أما الوظيفة الثانية في الجهاز العسكري فهي" **الأتابكية** " ويكون في العادة على رتبة طبلخاناة لأنه لا توجد رتبة أعلا منها إلا لنائب([5])، ويلقب متوليها بالأمير الكبير أو قائد العسكر، ويبدو أن هذه الوظيفة لم تظهر في نيابة حماة إلا

([1]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٩؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١٠٩؛ وباب **المعرة** :ذكر اسمه عند ابن كنان، وعند السخاوي "باب العنزة" وعند القلقشندي "باب العسرة"،وفي اعتقادي أن باب المعرة أقرب لوقوعه على طريق المعرة(انظر القلقشندي، صبح الأعشى،ج٤،ص٢٣٨-٢٣٩؛ ابن كنان،المواكب الإسلامية ،ق٢،ص١٠٨-١٠٩، حاشية٣).

([2]) القلقشندي، صبح الأعشى ، ج٤، ص٥٠-٥١.

([3]) ابن تغري بردي ، النجوم ، ج٩، ص٣٨.

([4]) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٠٩-١١٠ .

([5])غرس الدين الظاهري ، زبدة كشف الممالك، ١٣٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٨.

في وقت متأخر، إذ إن المصادر – التي تيسر لي الاطلاع عليها– لم تشر إلى من باشر هذه الوظيفة من الأمراء إلا منذ مطلع القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، حيث نجد ممن تولى هذه الوظيفة في نيابة حماة الأمير جارقطلو الذي استبدل بالأمير قانباي الحسيني سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م[١]، وممن تولى هذه الوظيفة أيضاً الأمير شاد بك فرفور الأشرفي الذي قتل سنة ٨٧٢هـ/١٤٦٧م[٢]،وكذلك دولات باي سكسان المتوفى سنة ٨٨٣هـ/١٤٧٨م[٣]، كما تقلد ابن طرغل أتابكية حماة ، ثم نقل إلى نيابة طرابلس، وعين مكانه الأمير عبد الرزاق أخو دويلات، وذلك في ربيع الأخر سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٩م[٤].

الوظيفة الثالثة " **نائب للقلعة** " وهي من أجل الرتب العسكرية ويتقلدها عادة مقدمي الألوف أو الطبلخاناة، ويتمتع نائب القلعة باستقلالية تامة عن نائب حماة، وخاصة في حالة الحرب؛ إذ إن تسليم مفاتيح القلعة لا يتم إلا للسلطان ذاته إذ هو المسؤول عن تعيينه وعزله، كما تقع على عاتق نائب القلعة صيانتها وحفظ ذخيرتها من التبديد والعبث[٥]، وقد حجبت هذه الوظيفة عن نيابة حماة بعد أن دمرت قلعتها على يد تيمور لنك[٦].

---

(١) السخاوي ، الضوء اللامع، ج٦، ص١٩٦؛ التبر المسبوك، ص٣١٨؛ **قانباي الحسيني**:تولى أتابكية حماة ثم طبلخاناه بمصر ، توفي سنة ٨٧٢هـ(انظر ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٦، ص٢٨٢).

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٨٩؛ ابن إياس ، بدائع الزهور، ج٢، ص٤٦٠؛و **شاد بك أو شاذ بك الأشرفي برسباي** : ويعرف بفرفور خرج مع عساكر حماة في الحملة التأديبية ضد الأمير التركماني شاة سوار، فقتل فيها سنة ٨٧٢هـ(انظر السخاوي ، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٨٩).

(٣) ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص٢١٧؛ابن إياس ، بدائع الزهور، ج٣، ص١٤٨؛ **ودولات باي سكسان:** من الأمراء الذين تقلدوا عدة وظائف منها امرة عشرة، و ورأس نوبة ثم أتابكية حماة إلى أن بلغه الأجل(ابن شاهين ،نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص٢١٧).

(٤)محمد دهمان، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك ، ص١٩٢؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٨، ص ١٥١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٦٥؛ **وابن طرغل و عبد الرازق أخي دويلات** لم أقف على ترجمة لهما أو ذكر سوى عملية مباشرتهم لأتابكية حماة.

(٥) لا تختلف مهام نائب القلعة الدمشقي عن باقي نواب القلاع ومن ذلك اقتبس المتن، القلقشندي ، صبح الأعشى، ج٤، ص١٨٥–١٨٥؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك ، ص١٣١؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ،ق٢، ص١٠؛ محمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٤٩.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٨؛ غرس الدين الظاهري ، زبدة كشف الممالك، ص٤٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق٢، ص١٠٦.

الوظـيفة الــرابعة " **الحجوبية** " وكانت تسمى القيادة ويسمى متوليها قائد الجـيش لتوقف عمله على عرض الجيش([1])، وتعددتها في عهد دولة المماليك إلى عــدة مهام تتلخص في جلوس الحاجب في دار النيابة لينصف الأمراء والجند إما بنفســه أو بأمــر من النائب، وتولى نيابة الغيبة عند خروج النائب الحموي ، كما توكل إليه مهمة قتل النائب الحموي بأمر من السلطان([2])، ويتم تقلده بموجب توقيع كــريم مــن قــبل النائــب الحمــوي([3])، وهــي تقابل وظيفة الأمن في عصرنا الحاضر([4])، و كان يعرف متقلدها باسم أمير الحجاب([5]) أو حاجب الحجاب([6]) أو كبــير الحجــاب، ويكون على مرتبة طبلخاناة، ويلي النائب في الرتبة ثم يأتي من بعده حاجب آخر على مرتبة أمير عشرة، وهما يحضران مجلس النائب([7])، وممن تولــي حجوبــية حماة الأمير بيرم سنة ٧٩١هـ/١٣٨٩م([8])، وبعد عودة السلطان بــرقوق للسلطنة أعطي الأمير محمد بن أحمد التنوخي منصب الحجوبية في حماة

([1]) السبكي ، معيد النعم ، ص٣٨.

([2]) قياساً على مهام حاجب الحجاب في دمشق ، العمري ، مسالك الأبصار ، ج٤، ص١١٧؛ ابن ناظر الجيش، التثقيف التعريف، ص١٠٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى ، ج٤، ص١٨٥-١٨٦؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق٢، ص١٣-١٤، محمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية، ص٥٩؛ حسن الباشا ، الألقاب الإسلامية ، ص٢٥١، حاشية٢.

([3]) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٤، ص٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق٢، ص١٠٧؛و **التوقيع:** وهي على أنــواع أجلها يسمى المبكرة وتكتب لموظفي الجهاز العسكري والإداري ، وتليها قطع النصف بقلم الثلث ويكتب لناظر الجيش والموظفين الإداريين (انظر ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف، ص١٤٥).

([4]) إبراهيم زكي خورشيدو أحمد الشنتاوي وعبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، مج١٣،ص١٧٣.

([5]) ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف، ص١٠٧.

([6]) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٣٣.

([7]) القلقشندي ، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٩؛و **أمير عشرة** : وهو يقود من الأجناد عشرة فرسان ، ويعتبر من الرتب العســكرية المدرجــة ضــمن الجيش المملوكي (انظر القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٤،ص٢٣٧-٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق٢،ص١٠٧؛ محمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية، ص٢٢)

([8]) الصيرفي ، نزهة النفوس، ج١، ص١٨٧.

تكـــريما لأبيه(1)، وكذلك تولى الأمير تغري برمش الجندي حجوبية حماة في عهد المؤيد شيخ(2)، وممن تولى هذه الوظيفة الأمير ناصر الدين ابن العطاء محمد بن أحمد بن عمر المتوفى سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٤م(3)، وممن تولى حجوبية حماة الأمير سيف الدين سودون المؤيدي الذي عزل عنها في سنة ٨٤٣هـ/ ١٤٢٩م (4) .

الوظـــيفة الخامســـة " **نقابة الجيش أو العسكر**" يقوم متوليها مقام الحجاب الصغار ،ولهم مراتب أعلاها نقيب النقباء، ويكون مسؤولاً عن النقباء ولا يسيرون إلا معـــه، وأمـــا واجباته الوظيفية كما ذكرها القلقشـــندي فهي " لتحلية الجند في عرضـــهم"(5). وهـــو بالتالـــي يكون المسؤول عن تحضير موكب النائب يومي الخمـــيس والاثنيـــن، كمـــا يعمل على خدمة النائب أو الحاجب، ورتبته العسكرية جـــندي، ويعاونـــه جندي آخر أقل منه رتبة، ويعينان بموجب توقيع كريم من قبل النائب(6).

---

(1) الســـخاوي، الضوء اللامع ، ج٧، ص ٣١؛و **محمد بن أحمد بن عمر بن يوسف بن عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهـــيم بـــن محمد بن أبي بكر التنوخي الحموي الحنفي** ولد بحماة سنة ٧٧٤هـــ، تنقل بين الوظائف العسكرية في النيابات الشامية والمصرية ، توفي ستة ٨٢٨هـــ(انظر السخاوي ،الضوء اللامع ، ج٧، ص٣١-٣٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور ، ج٢، ص١٠١).

(2) السخاوي،الضوء اللأمع، ج٧، ص٢٠٧؛**وتغري برمش ناصر الدين الجندي** : لم أقف على ترجمة له فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

(3) المقريزي، السلوك، ج٧، ص١٢٥؛ ابن تغري بردي ، الدليل ، ج١، ص٥٩٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص ٣١-٣٢؛**ومحمد بن أحمد بن عمر** بن يوسف بن عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر، ولد بحماة فـــي عـــام ٧٧٤هـــ(انظر المقريزي، السلوك، ج٧، ص١٢٥؛ ابن تغري بردي ، الدليل ، ج١، ص٥٩٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٣١-٣٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور ، ج٢، ص١٠١).

(4) الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٤، ص١٦١-١٦٢.

(5) ولعلـــه يقصـــد من تحلية الجيش ترتيبه والباسه زياً موحداً (انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢١-٢٢)؛ **ونقيـــب النقباء:** النقيب في اللغة العريف الذي هو ضمين القوم، والنقباء جمع نقيب، وكل عمل صاحب تلك الوظيفة عـــند السلطان أو الأمير ، القيام بتأدية الخدمات الصغيرة لسيده(انظر محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٣٥٢).

(6) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤،ص٢٣٨؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك ، ص١٣٤؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ص١٠٧.

الوظيفة السادسة " **الولاية** " وصاحبها يكون مسؤولاً عن الشرطة التي تقع على عاتقهم مهمة ضبط الأمن الداخلي لسكان النيابة: بمنع الجرائم و القبض على اللصـــوص، والخمارين، والخارجين عن حدود الله، والتحري عن الحقائق وإقامة الحـــدود([١]) بشرط عدم التجسس والأخذ بالظن فعليه اتقاء الله ﷻ بما يسمع"من قـــال والقيل"([٢])، ويتولاها جندي بموجب توقيع شريف من نائب حماة([٣])، ويطلق عليه " والي الشرطة " ، ومن مهامه كتابة مطالعة تحوي ما جمعه نوابه من أخبار عن ولاياته يقدمها للنائب الحموي في صبيحة كل يوم ([٤]).

الوظـــيفة الســـابعة " **المهمـــندارية** " وهي كلمة فارسية الأصل تتكون من شـــقيين الأول " مهمـــن " وتعنـــي المسافر أو الضيف ،و الشق الثاني " دارنده " بمعـــنى صاحب ولكنها خففت إلى " دار" ([٥]) .ومتولي هذه الوظيفة يكون مسؤولاً عـــن استقبال الرسل الواردين وأمراء العربان والشخصيات السياسية البارزة([٦])، وتقديـــم واجب الضيافة لهم، كما يوكل إليه مهمة رسم الهيبة السياسية والعسكرية لنـــيابة المملوكية([٧])، ويتولاها جنديان متفاوتان في الرتبة([٨])، بموجب توقيع كريم

([١]) الســـبكي ، معيد النعم، ص٤٠؛ حسن الباشا، دراسات في الحضارة الإسلامية ، ص٧٠؛ **والشرطة:** كلمة عربية المعنى والمبنى مشتقة من "شرط"، وهي من الوظائف التي ابتكرها المسلمون لضبط الأوضاع الداخلية في المدن، والتي ترجع نواتها الأولى إلى عهد الرسول ﷺ فكان يعرف بنظام العسس، ثم تطور عبر العصور الإسلامية واتسعت دائرة مهامـــه حتى عرف بنظام الشرطة(انظر محمد الشريف الرحموني، نظام الشرطة في الإسلام إلى أواخر القرن الرابع الهجـــري، ص٥٣؛ فتحية النبراوي، تاريخ النظم الإسلامية والحضارة الإسلامية،ص١٣٣-١٣٤؛ أنور الرفاعي،النظم الإسلامية، ص٩٨-٩٩).

([٢]) السبكي، معيد النعم، ص ٤٠.

([٣]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٨٧ ،٢٣٨؛غرس الدين الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص١٣٤؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ،ق٢، ص١٠٧.

([٤]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤،ص٦٠

([٥]) محمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية ، ص١٤٧.

([٦]) القلقشندي، صبح الأعشى ، ج٤، ص ١٨٧؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١٦، حاشية ١.

([٧]) السبكي ، معيد النعم ، ص٣٢.

([٨]) القلقشـــندي ، صبح الأعشى ، ج٤، ص٢٣٨؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٣٤؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١٠٧.

مـــن قبل النائب الحموي، ويكون وقوفهما أثناء مجلس عرض القصص على نائب حماة خارج شباك دار النيابة([1]).

أمـــا الجيش في نيابة حماة فكانت أعلى رتبة فيه كما ذكرنا سابقاً بعد رتبة النائـــب هـــي الطـــبلخاناة ،وكان ممن خرج إلى حماة بهذه الرتبة الأمير طشتمر الساقي في سنة ٧٤٩هـــ/ ١٣٤٨م([2])، وكذلك الأمير بلبان الإبراهيمي([3])، ويقدر عـــدد عناصره بين ٣٠٠٠- ٤٠٠٠ ، يكون تحت خدمة النائب ٦٠٠ جندي([4]). وإضـــافةً إلى الجيش النظامي كان هنالك ما يعرف بأجناد الحلقة وهم عبارة عن فـــرق عسكرية تصرف مرتباتهم من ديوان الجيش، ويتكون أفرادها من محترفي الجندية من مماليك السلاطين السابقين وأولادهم، والمتعممين من أهل حماة، والذين كان تنظيمهم يتم على هيئة وحدات يشرف على كلّ ألف منهم "أمير المئين"، وعلى كـــل مائة منهم " نقيب" ، ولكلّ أربعين "مقدم" ([5])، ومن المهام المناط بهم الخروج في الموكب الذي يسير كلّ اثنين وخميس،كي يتسنى للنائب الحموي الوقوف على إجمالي وضعهم([6]).

([1]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١٠٧؛ و**القصص:** مفردها قصة اسم الورق الكاغد الذي يقدم إلى الحكام ، وجاءت تسميتها على سبيل المجاز، وهي الطلب أو الالتماس الذي يرفعها صاحب الحاجة أو الشكوى إلى الحضرة السلطانية –أو نائبه(انظر محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص ١٢٤، محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٢٧٤)؛ و**الشباك:** النافذة المشبكة بالخشب والحديد(انظر محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية ، ص٩٦).

([2]) السخاوي، وجيز الكلام ، ج١، ص٤٣.

([3]) ابـــن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٥؛و**بلبان الإبراهيمي:** توفي بحماة على ترتبة طبلخاناة سنة ٧٥٦هـــ(انظر ابن حجر، المصدر السابق، ج٢، ص٢٥).

([4]) غرس الدين ، زبدة كشف الممالك، ص١٣٣.

([5]) علـــى إبراهـــيم حســـن، تـــاريخ المماليك البحرية، ص٣٤٦؛ عبد الله سعيد الغامدي، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين، ص٣١٣-٣١٤؛ وذ كر سعيد عبد الفتاح عاشور أن عدد الأجناد الاجمالي في حماة من جند حلقه ومماليك الكافل بلغ (١٠٠٠ر١) والصحيح عند مراجعة المصدر الذي أخذ منه المؤرخ بأن عدد الأجناد كان لنيابة غزة(انظر ا لعمـــري، مســـالك الأبصار، ج٤، ص٩٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٦؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص٢١١)؛ و**المتعممون:** ويقصد بهم العلماء والقضاة، ويعرفون أيضاً بذوي العمائم، وذلك نسبة إلى العمائم الخاصـــة بهـــم، والتي تمتاز بكبر حجم شاشاتها، ولا يلبسها سواهم(انظر العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١١٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤١-٤٢).

([6]) القلقشندي ، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١٠٨- ١٠٩.

أمّـــا بالنســبة للجهـــاز الإداري فـــي نيابة حماة، فتندرج تحته الوظائف الديوانيـــن، و يطلـــق على أصحابها (أرباب الأقلام) ويضم ديوانين الأول ديوان الإنشاء ويحوي عدة وظائف أعلاها " **كاتب السرّ** "، وهي تسمية أحدثها السلطان قـــلاوون ، وذلك لكونه يكتم سرّ السلطان([١])، ولعل هذه الصفة كانت سبباً لتسميته بــــ"كاتم السر" ([٢])، ويطلق على كاتب سرّ حماة بـــ"صاحب ديوان المكاتبات"([٣]) وهو ينفرد بهذه التسمية عن غيره من كتاب السر في النيابات الشامية([٤])- ويمكن تشبيهه بمن يشغل منصب الأمين العام في الوقت الحالي- ويكلّف من قبل السلطان المملوكـــي بموجب توقيع شريف([٥])، و ينعت في المكاتبات السلطانية بالسامي([٦])، ويـــتولاها شـــخص من خاصة الناس تتوفر فيه شروط الكفاءة من إسلام وحرية وحســـن خلق، وإلمام بأحكام الولايات، والعلم بموارد الأحكام الشرعية في القرآن الكـــريم والســـنة النـــبوية المطهرة، والمعرفة بعلوم اللغة العربية بجميع فروعها الـــنحوية والبلاغية والأدبية مع جودةٍ في الخط ، واطلاع على التاريخ والثقافات العامـــة ([٧]). ومن صلاحياته حضور مجلسي النيابة أثناء انعقادهما يومي الاثنين والخمـــيس لعـــرض القصص وشرحها لذوي الأمر بشكلٍ سهلٍ وواضح، ثم أخذ التوقـــيع علـــيها ([٨])، واطلاعه على المكاتبات الواردة إلى النيابة والصادرة عنها والتدقـــيق فـــي صيغتها ، وتوسُّطه فيما بين الأمراء والنائب للتقريب في وجهات

([١]) علي إبراهيم حسن ، تاريخ المماليك البحرية ، ص٣٠٩؛ **كاتـــب السرّ**: يعد المسؤول الأول في ديوان الإنشاء ومن مهامه توقيع القصص وقراءة الرسائل على السلطان -أو نائبه- ويتلقى أخبار الممالك ويعرضها على السلطان ويتولى الإجابة عنها، وتعريف النواب في الوصايا، وعليه النظر في تجهيز البريد والنجابة وما يبعث فيه من المصالح(انظر محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٢٨٢).

([٢]) ابن كنان ، المواكب الإسلامية، ق٢، ص١٠٨؛ محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٢٨٢.

([٣]) غرس الدين الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص١٣١.

([٤]) علي إبراهيم حسن ، تاريخ المماليك البحرية ، ص٣١٢.

([٥]) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٤، ص٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق٢، ص١٠٨.

([٦]) ابن ناظر الجيش، تعريف التثقيف، ص١٤٥-١٤٦، ٢٠١.

([٧]) النابلسي، لمع القوانيين المضيئة ، ص٢٤-٢٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى،ج١، ص١٠٤-١٠٥؛ ابن حسن الكاتب، البرد الموشى في صناعة الإنشا، ص٢٧-٣٧؛ علي إبراهيم حسن ، تاريخ المماليك البحرية، ،ص٣١٢.

([٨]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٨-٢٣٩؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ق٢،ص١٠٨-١٠٩.

النظر عند حدوث خلاف ، وصدق المشورة للنائب إذا ما استشير([١])، وبحكم قربه مـن النائـب والأمراء و الموظفين والرعية فإنه قد يُعدّ عيناً للسلطان في النيابة يطلعهُ على كل ما يستجد فيها من أمورٍ ظاهرةٍ وخفية([٢])، إلى جانب إشرافه على موظفـي ديـوان المكاتبات في نيابة حماة([٣]) منهم كاتب الدست، والذين تتلخص مهمـتهم فـي إعادة قراءة المكاتبات والقصص بعد كاتب السر، ثم يوقعون على القصص بعد توقيع كاتب السر، ولذلك أُطلق عليهم اسم الموقعين([٤]).

وكانـت أعمال ديوان المكاتبات موزعة عليهم فمنهم من يوكل إليه تحرير العقود والمبيعات وآخرون اختصوا في كتابة الكتب المرسلة إلى الأبواب السلطانية والنواب الشاميين ، وكان عليهم الإلمام بجميع الألقاب والصفات والنعوت الخاصة بهـم ([٥])، كمـا كان عليهم التخفيف من حدّة مكاتبات الاستدعاء ([٦])، وقد يخضع الموقعون للتدريب المسبق على هذه المهنة ، وبعد إتقانهم لها تتم ترقيتهم بموجب توقـيع شريف من الأبواب السلطانية ليتولوا كتابة السـرّ في النيابة. وممن رقي ليلـي هذه الوظيفة بحماة ابن سـابق صلاح الدين خليل بن محمد الشافعي ([٧]) ،

([١]) ا لسبكي ، معيد النعم ، ص٣٠-٣١؛ ابن حسن الكاتب ، البرد الموشى، ص١٨-١٩؛ علي إبراهيم حسن ، تاريخ المماليك البحرية ، ص٣١٠-٣١١.

([٢]) القلقشندي ، صبح الأعشى، ج٤، ص١٨٩.

([٣]) ابـن حسـن الكاتـب ، البرد الموشى، ص١٩؛ القلقشندي ، صبح الأعشى، ج٤، ص ٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق٢، ص١٠٨.

([٤]) القلقشندي، صبح الأعشى،ج١، ص١٣٧؛ ج٤، ص ٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ،ق٢،ص١٠٨؛و **الدست:** كرسـي يتسع لأربعة أشخاص للجلوس يكون فيه لكل واحد منهم كرسيه ويقال لها كراسي الدست، ودست السلطان ، ويكون كتاب الدست في جلوسهم بين يدي السلطان(انظر القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١، ص١٣٧؛ محمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية، ص٧٥)؛ أما **وظيفة الدست:** فهي من أجلّ الوظائف وأنفسها وأعلاها مكانه ، والقائم بها يكون بمثابة سفير الرعية إلى الحاكم في حاجتهم(انظر محمد قنديل البلقي، التعريف بمصطلحات الأعشى، ص١٣٦).

([٥]) علي إبراهيم حسن ، تاريخ المماليك البحرية ، ص٣١٤-٣١٥.

([٦]) السبكي ، معيد النعم ، ص٣١.

([٧]) **صلاح الدين خليل بن ناصر الدين محمد بن شمس الدين محمد بن نور الدين محمود الشافعي** ولد بعد سنة ٧٨٠ هـ، ونشأ بالمعرة ، تدرب على توقيع الإنشاء والحساب فبرع فيهما، كانت وفاته سنة ٨٥٩هـ(انظر ابن تغري بردي، النجوم ،ج١٦، ص١٧٨؛ حوادث الدهور، ج٢،ص٥٥٩؛ السخاوي ، الذيل التام ،مج٢،ص١٠٦؛ وجيز الكلام ،ج٢،ص ٦٩٣).

وكذلــك الزين فرج ابن السابق الحموي، الذي أستمر كاتباً للسر لمدة ثلاثة عشر عامــاً ([١]). ويشــرف كذلــك كاتب السر على كتاب الدست و كتاب الدرج الذين يعملــون على كتابة المكاتبات والولايات([٢]) ويعين الجميع بموجب توقيع كريم من نائب حماة ([٣]) .

ويســتعمل كــتاب الديــوان أنواعاً من الورق وهو على درجات الأول ما يعــرف بـــ"القطــع الشامي الكامل" وهو الذي يكتب عليه النائب ويحمل تواقيعه لأعلــى الطــبقات، والثانــي يستخدم لكتابة النائب التواقيع والمراسيم لمن هم أقل درجــة مــن ســابقيهم، ويعــرف بـــ"قطع النصف الحموي"، والثالث تكتب عليه المراسلات الموجهة للأبواب السلطانية ، كما يكتب فيه التواقيع والمراسيم للطبقة الثالــثة ويعرف بـــ"قطع العادة الشامي" ([٤]). ولعلّ العلّة في مساواة الكتابة فيه بين الطبقة الثالثة والأبواب السلطانية يعود إلى خفته.

وقــد كان لعظم هالة المهابة والإجلال التي أُحيط بها كتاب السرّ من جهة الأبواب السلطانية ،إضافة إلى المهام الملقاة على عاتقه ، فإن اصطدامه مع النائب الحموي من الأمور المحتمل حدوثها، كما حدث في سنة ٨١١هـــ/١٤٠٨م، حينما

([١]) السخاوي ، الضوء اللامع، ج٦، ص١٦٩؛و **الزين فرج بن الأمير ناصر الدين محمد بن محمد بن محمد الحموي** ولد بحماة في شوال سنة ٨١٣هـــ، وتعلم بها العلوم الدينية واللغوية ، له مصنفات عدة منها بلوغ الطالب مناه، ومنها أخبار حماة ،و كما عمل نيلاً لتاريخ المؤيد صاحب حماة ، توفي سنة ٨٩٦هـــ(انظر السخاوي ، التبر المسبوك، ص ٣٠٨، الضوء اللامع ، ج٦، ص١٦٩؛ الذيل التام ، مج٢، ص٦٢٠).

([٢]) القلقشــندي، صــبح الأعشــى،ج٤، ص٣٠، ٢٣٨؛ **كتاب الدست:** وهم الطبقة الأولى من موظفي الديوان ويكون مجلســهم مع كاتب السرّ بمجلس السلطان- أو نائبه- وترتب منازلهم على القدمه، ويعملون على قراءة القصص على الســلطان بعد قراءة كاتب السر على ترتيب جلوسهم ، ويوقعون على القصص كما يوقع عليها كاتب السر،وقد سُموا بكــتاب الدســت إضــافة إلى دست السلطان، وهو مرتبة جلوسه لجلوسهم للكتابة بين يديه(انظر محمد قنديل البقلي، الــتعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٢٨١)؛ **كتاب الدرج:**هم الطبقة الثانية من موظفي ديوان الإنشاء، ومهمتهم كتابة ما يوقع به كاتب السر أو كتاب الدست من مكاتبات وتقاليد ومراسيم ومناشير الأيمان والأمانات وغيرها ، وسموا بكــتاب الدرج لكتابتهم هذه المكتوبات ونحوها في دروج الورق(انظر محمد قنديل البقلي، المرجع السابق، ص٢٨٠-٢٨١).

([٣]) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٤، ص٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية، ق٢،ص١٠٨.

([٤]) القلقشــندي ، صبح الأعشى، ج٦، ص١٩٢؛ **وقطع الشامي الكامل:**عرضه عرض الطومار الشامي في طوله؛ و **قطــع نصــف حموي** :طوله بطول الطومار، وعرضه عرض نصف الطومار الحموي ؛و **قطع العادة من الشامي :** وطوله طوامار وقد يقل عن ذلك، وعرضه سدس ذراع بذراع القماش المصري(انظر المصدر السابق، ج٦، ص١٨٩ ،١٩٢).

فرّ كاتب السرّ وصاحب ديوان المكاتبات ناصر الدين محمد ابن البارزي من نائب حماة ([1]).

وذكــر الســخاوي أن بعض كتاب السر بحماة أخذوا بظاهرة الجمع بين وظيفتــي كاتب السر ووظيفة أخرى كالقضاء مثلاً، من ذلك ما فعله صدر الدين محمــد بــن هــبة الله بــن عمر البارزي([2])، فضلاً عن تطبيق مبدأ توارث هذه الوظيفة، كما حدث عندما خلف سراج الدين عمر أبيه صدر الدين محمد البارزي في كتابة السرّ بحماة فباشرها –على ما يبدو– بعد خروج والده للحج إلى مكة سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م([3]).

وممــن تقلد وظائف ديوان المكاتبات بحماة كاتب السر علي بن يوسف بن إبراهــيم المالكــي ولاه الخليفة المستعين بالله سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م ،ثم نقل إلى طرابلس ليلي كتابة سرّها وعرف بالناسخ ([4])، وبعد سنة ٨٢٨هـ/ ١٤١٩م، عين

([1]) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٦،ص٩٤؛ المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص١٦١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٤١؛ **وناصر الدين محمد بن محمد بن عثمان بن البارزي** الشافعي ولد بحماة في شـوال سنة ٧٦٩هـ، حفظ الحاوي وأجاد الشعر والأدب ، تولى القضاء بحماة سنة ٧٩٦هـ، ثم كتابة السر فيها، نال فــي كـنف الأمــير شيخ نائب دمشق الكرم والجود بعدما ولاه الخطابة في دمشق، واستمر شيخ في إكرامه حتى تقلد السـلطنة فـولاه كتابة السر في ديوان الإنشاء بالقاهرة سنة ٨١٥هـ، توفي سنة ٨٢٣هـ(انظرابن حجر، ذيل الدرر الكامنة، ص٢٧٨-٢٧٩؛ ابن حسن الكاتب، البرد الموشى،ص٢١٥-٢١٦).

([2]) الســخاوي، الضــوء اللامع،ج١٠، ص٢٤؛ وجيز الكلام،ج٢،ص٨٢٦؛، **محمد بن محمد بن هبة الله بن عمر بن إبراهيم بن الشرف هبة الله الجهني الحموي الشافعي** يعرف بابن البارزي ولد بحماة سنة ٨٠٧هـ، وحرص أبوه على تلقيــنه العلــوم الشــرعية ببلده وبالقاهرة وحمص ودمشق، ولى قضاء بلده سنة ٨٤٢هـ، ثم كتابة السر وانفصل عن القضاء وظل على كتابة السر إلى أن نقل إلى حلب ليتقلد كتابة السر بها، توفي سنة ٨٧٥هـ(انظر ابن حسن الكاتب، البرد الموشى،ص٢٧٧-٢٧٨؛ البقاعي،إظهار العصر،ق١،ص٢٢١-٢٢٢؛ ابن الحمصي،حوادث الزمان،مج١،ص١٩٥

([3]) السخاوي ، المصدر السابق ، ج٦، ص١٣١، ج١٠، ص٢٤؛ و **سراج الدين عمر بن صدر الدين محمد** ويعرف بابن البارزي، ولد بحماة سنة ٨٤٤هـ، ونشأ بها ودرس العلوم الشرعية واللغة العربية ، ثم جاور في أخر أيامه بمكة المكرمة (انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٣١)

([4])الســخاوي ، الضــوء اللامع، ج٦، ص٥١؛و **علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله عبد القادر بن أحمد الحلبي المالكــي** ولد بالقاهرة سنة ٧٨١هـ، وأخذ العلوم الشرعية في حلب بعد انتقال أبيه إليها ، وقد تنقل في وظائف عدة مــنها كــتابة السر والقضاء ونظر الجيش، توفي ببلاد الروم في حدود سنة ٨٤٥هـ(انظر ابن حسن الكاتب ، البرد الموشى، ص٢٧٦؛ السخاوي ، الضوء اللامع، ج٦، ص٥١).

في كتابة الإنشاء بنيابة حماة محمد بن صلاح الحموي الشافعي تحت رياسة كاتب السـر البدر حسين([١])، وأخيراً باشر كتابة السـر بحماة ابن السابق صلاح الدين خليل بن محمد الشافعي لمدة خمسة وعشرين عاماً، ثم نقل منها إلى حلب ([٢]).

ومـن ضمن الوظائف التابعة لديوان المكاتبات في نيابة حماة جهاز البريد الذي كان يُعدّ همزة وصل بين نيابة حماة وبين مقر السلطنة المملوكية في مصر، وقد أوكلت مهامها إلى أفراد من الجهاز العسكري، وذلك لضمان وصول الرسائل التـي تحمـل أوامـر السلطنة إلى النيابات وسلامتها أيضاً من العبث بمحتوياتها، إضـافة إلـى كونهم العين التي ترصد تحركات العسكر عند تواطئهم مع مدبري حـركات العصـيان أو الحملات العسكرية المعادية للدولة سواء أكانوا مغولاً أو إمـارات تركمانية ([٣]) ، ويتكوّن الجهاز الإداري للبريد من قسمين "إمرة أخورية البريد" ، وتسند مهامه في الغالب لجندي يكوّن مسؤولاً عن خيول البريد في جميع أنحـاء النيابة، وثانيها " شد مراكز البريد " ومهمته تفقد محطات البريد ، والتي كانـت لا تـزيد فـي مسافتها عن ١٨ ميلاً([٤])، كما يعمل على النظر في مطالب أصحاب البريد وتوفير ما يحتاجونه من الزاد والماء([٥]).

ويجـري مجـرى الـبريد ما يمكن تسميته بالبريد الجوي المناط به تربية الحمام الزاجل وتدريبه وصيانة الأبراج الخاصة به ، والتي كانت تخضع مباشرة لإشـراف النائب نفسه ، وذلك لأهميته في سرعة تبادل الرسائل الهامة بين النيابة

([١])السـخاوي، الضوء اللامع،ج٧، ص٢٧٣؛**ومحمد بن صلاح بن يوسف الحموي**ولد بحماة في سنة ٨٠٨ هـ، حفظ القـرآن والحاوي، وتعلّم الفقه والنحو في بلده ثم رحل إلى دمشق ٨٢٨هـ، لإكمال أخذ علوم اللغة العربية، توفي سنة ٨٥٣هـ(انظرابن حسن الكاتب،البرد الموشى،ص٣٠٦؛ السخاوي،التبر المسبوك،ص٢٨٧)

([٢]) ابـن تغـري بـردي ،حوادث الدهور،ج٢،ص٥٥٩؛ **وصلاح الدين خليل بن محمد الشافعي:** توفي سنة ٨٥٩هـ (للمزيد انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٠٤-٢٠٥).

([٣]) على إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص٣٢٢، ٣٢٦.

([٤]) القلقشندي ، صبح الأعشى، ج١٤،ص٣٧٢؛ علي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص٣٢٤.

([٥]) القلقشـندي ،صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٨؛ غرس الدين الظاهري ، زبدة كشف الممالك ، ص١٣٤؛و **البريدية :** وهم المكلفون بإيصال الرسائل و الكتب من النيابة إلى جميع المناطق التابعه للسلطنة(انظر السبكي، معيد النعم، ص٣٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى ، ج٤، ص١٨٧).

ومقر السلطنة في القاهرة، وتمتاز رسائل هذا النوع ببعدها عن الإطناب والشرح بـــدون البســـملة والديباجة المطولة ، ويستخدم في هذا ورق رقيق ليسهل حمله ، (وتشد الرسالة تحت جناح الحمام أو إلى ذيلها) ([١]).

ومـــن الوظـــائف الديوانـــية في نيابة حماة " **ناظر المملكة** " ويتم تنصيبه بموجـــب توقيع من السلطان المملوكي نفسه، و يقوم بدور الوزير ومهامه([٢])، إلا أنـــه لا ينعـــت بهـــذا فـــي المكاتـــبات التـــي تصله من ديوان الإنشاء بالأبواب الســـلطانية([٣])، ويـــبدو أن هذا الإجراء تم بعد تحويل حماة إلى نيابة مملوكية سنة ٦٩٨هـــ/١٢٩٩م،إذ إن منصب وزير يوازي إلى حد كبير منصب نائب،ورغم ان هـــذا المسمى قد ظهر لبعض الوقت في حماة،وذلك في عهد المؤيد إسماعيل الذي كـــان من أبرز وزرائه شهاب الدين البارزي([٤]). إلا أن هذا المنصب أصابه نوع من التهميش الوظيفي، حاله في ذلك حال الوزارة في القاهرة ودمشق([٥])، ويترأس ناظر المملكة عدداً من الموظفين كتاباً وشهوداً يتم تعينهم من قبل نائب حماة ([٦]).

وأيضاً من الوظائف الديوانية وظيفة " **نظر الجيش** " وهي من أرفع دواوين الأموال ومهمتها الإشراف على نظام الإقطاعات من جرد وضبط ([٧])، وموظفوها على مراتب أعلاها وظيفة "مستوفي الصحبة " ويتكفل بجميع أحوال النيابة وعليه

([١]) للمـــزيد من التفصيل عن هذا النظام (انظر حسان سعداوي ، نظام البريد في الدولة الإسلامية ، ص١٤١-١٤٢؛ على إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية ، ص٣٢٧).

([٢]) أوضح غرس الدين الظاهري أن أرباب الوظائف في حماة قريب مما ذكر في طرابلس ، وبناءً عليه فإن من ضمن موظفي طرابلس الوزير(انظر زبدة كشف الممالك ، ص١٣٣-١٣٤؛القلقشندي ، صبح الأعشى ،ج٤، ص٢٣٨؛ ابن كـــنان ، المواكـــب الإســـلامية ، ق٢، ص١٠٨)؛و **ناظر المملكة:** يقوم مقام الوزير بالديار المصرية وبعض النيابات الشامية(انظر محمد دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص١٥٠).

([٣]) القلقشندي ، صبح الأعشى،ج٤، ص١٨٨.

([٤]) **أحمـــد بن عبد الله بن أحمد** بن إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حيلن بن محمد بن منصور بن أحمد بن الجهني الحموي الشافعي ، ولد بحماة في شهر شوال سنة ٦٧٤هـــ، و توفي في سنة ٧٥٥هـــ(انظر ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج١، ص٣٥٧-٣٥٨، السخاوي ، وجيز الكلام، ج١، ص٧٩).

([٥]) العمري،مسالك الأبصار،ج٤، ص١١٩-١٢٠؛السبكي،معيد النعم، ص٢٨؛ القلقشندي، ج٤،ص٢٨، ١٨٨.

([٦]) القلقشندي ، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق٢، ص١٠٦.

([٧]) العمري،مسالك الأبصار،ج٤، ص١٢٠؛السبكي،معيد النعم،ص٣٣؛ لقلقشندي،صبح الأعشى،ج٤،ص١٩٠

إطلاع السلطان بمستجدات الأمور داخلها، ويليه "مستوفين الأقطار" ومن مهامهم حصـــر الإقطاعات بعد وفاة أصحابها، والتي يتم حصرها من قبل النائب الحموي لترســـل إلـــى الأبـــواب الســـلطانية وتدون في ديوان الجيش بمصر، إضافة إلى الإشراف المباشر لناظر الجيش على ديوانه بما فيه من كتاب وشهود والفصل في المحاكمات الديوانية (١) ،ويخاطب من الأبواب السلطانية بناظر الجيش المنصور السامي، يكتب لـــه في قطع الثلث بقلم التوقيعات(٢)، إلى جانب حضوره لمجلسي النائـــب الحمـــوي عـــند انعقادهما في يومي الاثنين والخميس(٣)، وممن تسلم هذا المنصب بحماة بهاء الدين الحسن بن سليمان بن الريان (٤).

وكذلك من الوظائف الديوانية وظيفة " نظر بيت المال " ومهمتها تتلخّص فـــي جمـــع مقدرات النيابة المادية والعينية وحفظها في بيت المال، إمّا عن طريق تدويـــن العيـــنات ضمن سجلات الديوانين، أو تحويلها إلى مخصصات مالية عن طريق بيعها أو تأجيرها وحفظ أثمانها في بيت المال(٥).

وإلـــى جانب ماذكرنا فهنالك من **الوظائف ماعرف بأصحاب العمائم**، و يشـــمل الهيئات التشريعية القضائية المدنية على المذاهب الأربعة التي تعمل على الفصل في المنازعات،وتوزيع التركات بين الناس،ويتصدّر القاضي الشافعي قائمة القضـــاء المدنـــي في حماة"وهو المتحدّث على الموزع الحكمية والأوقاف وأكثر

---

(١) العمـــري ، مســـالك الأبصار ، ج٤، ص١٢٠-١٢١؛ القلقشندي ، صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٠؛ وللوقوف على المزيد عن وظيفة المستوفي(انظر ابن مماتي ، قوانين الدواوين، ص٣٠١).

(٢) ابن ناظر الجيش ، تعريف التثقيف، ص١٤٦، ٢٠١.

(٣) لـــم يذكر القلقشندي إن كان تعيينه يتم عن طريق الأبواب السلطانية أو النائب(انظر، صبح الأعشى، ج٤، ٢٣٩؛ وأنظر أيضاً ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق٢، ص١٠٩).

(٤) **بهاء الدين أبو محمد الحسن بن سليمان بن أبي الحسن بن سليمان بن ريان** ولد سنة ٧٠١هـــ، تقلّد نظر الجيش بحلب وحماة وكتابة الإنشاء بحلب وتوفي بها سنة ٧٦٩هـــ(انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج٥، ص٧٧-٧٨).

(٥) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٢٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٣١، ٢٣٨.

الوظـــائف"([1])،ولعلّ ذلك يعود إلى سيادة المذهب الشافعي،وقدم قاضيه في البلاد الشامية.

ويعين القضاة من قبل السلطان بتوقيع شريف([2]) يكتب في قطع الثلث بقلم التوقـيعات، ويخاطـبون فـي المكاتبات السلطانية بـالمجلس العالي السامي([3])، ويخصص للقضاة مرتبات من خزينة الدولة المملوكية، ولا يلزمون باستلامها مثل ما فعل قاضي الشافعية شرف الدين أبو القاسم هبة الله ابن البارزي الذي عمل في القضاء مدة ٤٠ سنة دون أن يتقاضى أجراً على وظيفته ([4]).

ويعمل في خدمة القضاة عدد من الكتاب ممن لديهم إلمام بالألفاظ العرفية واللغوية، وذلك ليتسنى لهم التنبيه إلى الأخطاء التي يقع فيها العوام، والتي توقعهم فـي مآخذ شرعية ، إضافةً إلى الحجاب ومهمتهم تنظيم الدخول على القضاة بعد أخذ إذنهم، ثم النقيب ومهمته تنظيم إدخال الشهود، فالأمناء المسؤولين عن أموال

([1]) القلقشندي،صـبح الأعشى،ج٤،ص١٩٢، ٢٣٨؛**والقضاء:في اللغة**له عدة معان منها الحكم والأمر والأداء والفراغ والصـنيع والتقدير والإبلاغ والإنهاء والبيان والحسم واللزوم والعمل والقتل،وأما في الاصطلاح فقد اختلفت عبارات فقهـاء الإسـلام فـي تعريفه،ولكن إجماله يدور حول فكرة واحدة وهي كون القضاء فصلاً للخصومات،وتبين الحكم الشـرعي والإلـزام به،وهو يكشف عن حكم الله ولا ينشئه،للمزيد من التفصيل حول تعريف القضاء(انظرعبد الكريم زيدان، نظام القضاء في الشريعة الإسلامية،ص١١-١٢؛ محمود محمد هاشم، القضاء ونظام الإثبات في الفقه الإسلامي والأنظمة الوضعية، ص٩-١٠؛ فاروق عبد العليم مرسي،القضاء في الشريعة الإسلامية،دراسة مقارنة حكمه وشروطه وآدابه، ص١٧-١٨).

([2]) القلقشندي ، صبح الأعشى،ج٤، ص٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق٢، ص١٠٨.

([3]) ابن ناظر الجيش ،تثقيف التعريف، ص١٩٥،١٤٦.

([4]) ابن حبيب ، درة الأسلاك، ج٢، ورقة ٢٥٦أ/ب-٢٥٧أ؛ ابن حجر ، إنباء الغمر ، ج٥، ص١٧٥؛و **شرف الدين أبو القاسم هبة الله بن عبد الرحمن** بن إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حسان بن منصور بن أحمد البارزي ، ولد بحماة فـي رمضان سنة ٦٤٥هـ، من أسرة علمية عريقة بحماة ،أخذ العلوم الشرعية عن أبيه وجده وحج عدة مرات، عين قاضياً لبلده، ثم عمي في آخر عمره، وتوفي سنة ٧٣٨هـ(انظر ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢،ورقة ٢٥٦أ/ب- ٢٥٧أ؛ أبـو الفداء ، المختصر،ج٤،ص١٢٤؛ الذهبي ، دول الإسلام، ج٢، ص٢٤٤؛ذيل تاريخ الإسلام، ص٤٣٢-٤٣٣؛ ابن الصـفدي، نكت الهيمان في نكت العميان، ص٣٠٢؛ أعيان النصر، ج٥، ص٥٣٢؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه،ج٢، ص ٢٩٣-٢٩٤؛ ابـن حجر ، الدرر الكامنة ، ج٥، ص١٧٤؛ ابن تغري بردي،النجوم،ج٩، ص٣١٥؛ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج٦، ص٢٩١).

الأيـــتام والغائبين([1])، كما يكون للقاضي نواب عنه في أعمال حماة ومنهم أبو بكر ابن نصر الهاشمي قاضي بارين في سنة ٧٠٦هـــ/١٣٠٦م([2]).

و قــد توارثـــت عـــدد من الأسر الحموية منصب القضاء من ذلك أسرة الـــبارزي الحموية، فقد ناب القاضي نجم الدين عبد الرحمن بن إبراهيم البارزي عـــن جده شرف الدين في القضاء وهو على قيد الحياة ، ثم تولى القضاء بها بعد وفاتـــه، واستمر في ذلك حتى وفاته ســـنة ٧٦٥هـــ/١٣٦٤م([3])، وممن ناب عن أبـــيه وخلفه في قضاء حماة ناصر الدين هبة الله بن عمر بن إبراهيم بن هبة الله الـــبارزي ([4])، وكذلـــك ممن عين في قضاء الشافعية صدر الدين محمد بن محمد الـــبارزي، وتولى قضاءها سنة ٨٤٢هـــ/١٤٣٨م، ودام قاضياً ١٥ سنة ثم انفصل عـــنها([5]) ،وبمناسبة الحديث عن القضاة الشافعية في نيابة حماة نذكر من أبرزهم شمس الدين محمد بن عباس الصلتي([6])، وكذلك تولى قضاء حماة مرتين القاضي

([1]) السبكي، معيد النعم ، ص٥٢-٥٣

([2]) النويري، نهاية الأرب،ج٣٢،ص١٢٣؛ **وأبو بكر بن نصر الهاشمي**:لم أقف علىترجمة له فيما توفرلي من مصادر

([3])انظر ابن حبيب ، تذكرة النبيه، ج٣، ص٢٧٨؛ ابن العراقي ، ذيل العبر في أخبار من عبر، ج١، ص١١٧-١١٨؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص٢٧٥؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٦٢؛ ابن تغري بردي، المنهل،ج٧، ص٢٤١؛ الـــنجوم، ج١١، ص٨٤؛ الدلـــيل، ج١، ص٤٠٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢،ص١٣-١٤؛و **عبد الرحيم بن إبراهـــيم بن هبة الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن هبة الله بي المسلم البارزي** ولد سنة ٧٠٨هـــ، نشأ يتيماً ، أخذ العلـــوم علـــى يد جده، تباينت آراء بعض المؤرخين حول مدة قضائه بين ٢٠-٢٦-٣٠ سنة(انظر ابن حبيب ، تذكرة النبيه، ج٣، ص٢٧٨؛ ابن العراقي ، ذيل العبر في أخبار من عبر، ج١، ص١١٧-١١٨؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص ٢٧٥؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٦٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١١، ص٨٤؛ الدليل، ج١، ص٤٠٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢،ص١٣-١٤).

([4]) الســـخاوي، الضوء اللآمع، ج١٠، ص٦٩؛ **وهبة الله بن عمر بن إبراهيم بن هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم البارزي**، كانت وفاته على الأرجح سنة ٧٧٥هـــ(انظر السخاوي ،المصدر السابق، ج١٠، ص٦٩).

([5]) السخاوي ، الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٤؛ وجيز الكلام، ج٢، ص٨٢٦.

([6]) انظر المقريزي، السلوك،ج٦، ص١٣٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٥، ص٢٦٥-٢٦٦؛السخاوي، الضوء اللامع، ج ٧، ص٢٧٧؛ ابن طولون، قضاة دمشق أو الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام ، ص١٢٨-١٤٤؛**وشمس الدين محمـــد بـــن عباس بن محمد بن حسين بن محمد بن عباس الصلتي** ثم الغزي ، ولد سنة ٧٤٥هـــ، تولى نيابة حماة مـــرات عدة ، توفي معزولا عنها سنة ٨٠٧هـــ(انظر المقريزي، السلوك،ج٦، ص١٣٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٥، ص٢٦٥-٢٦٦؛ ابـــن تغـــري بردي، النجوم، ج١٣، ص٣٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٢٧٧؛ ابن طولون، قضاة دمشق أو الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام ، ص١٢٨-١٤٤).

نجـم الدين عمر بن حجي بن موسى الحسباني([1])، و ابن الخرزي عمر بن أحمد المبارك الزين الحموي([2])، محمود بن محمد الفيومي الهمذاني الذي تولى القضاء بحماة في بداية عهد السلطان المؤيد شيخ([3]).

وإذا أردنـا ترتيب زمن تواجد القضاة الأربعة على الساحة الوظيفية في النيابة الحموية ، فإننا نجد بأنّ القاضيين الشافعي والحنفي أقدم استقراراً في هيكل الجهـاز الديني ، وعلى الرغم من تأكيد ابن العراقي بأن استقرار القاضي الحنفي فـي نـيابة حماة تمت في عام ٧٦٣هـ /١٣٦١م ([4])، إلا أن هذا القول تدحضه النصوص التاريخية التي أثبتت وجود قضاة على المذهب الحنفي مثل القاضي ابن العديـم عز الدين عبد العزيز بن أبي جرادة العقيلي الذي تولى القضاء بحماة لمدة ٤٠ سنة ، وتوفي سنة ٧١١هـ/١٣١١م([5]).

([1]) ابن حجر، إنباء الغمر،ج٨،ص١٣٠؛ السخاوي، الضوء اللامع،ج٦،ص٧٨؛ و **نجم الدين عمر بن أبو الفتوح حجي بـن أحمـد بن سعد السعدي الحسباني** الأصل الدمشقي، ولد سنة ٧٦٧هـ، نشأ يتيماً أخذ العلوم الشرعية من بعض علماء الشام ومصر، توفي سنة ٨٣٠هـ(انظر ابن حجر، إنباء الغمر،ج٨، ص١٣٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١٤٤؛ الدليل، ج١، ص٤٩٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٧٨؛ ابن طولون، قضاة دمشق،ص١٤٣-١٤٤).

([2]) السخاوي، الذيل التام، ج٢، ص١٢٧-١٢٨؛ الضوء اللامع، ج٦، ص٧١؛ **وعمر بن أحمد المبارك الزين الحموي** ويعـرف بابـن الخرزي ، ولد بحماة ، وتلقى فيها العلوم الشرعية ثم عين في قضائها ونقل بعدها لقضاء حلب ، زار القاهرة ٨٣١هـ، وكانت وفاته بحماة سنة ٨٦٢هـ(انظر السخاوي ، الضوء اللامع، ج٦، ص٧١).

([3]) ابن حجر ، إنباء الغمر ، ج٨ ، ص٢٤٩؛و السخاوي، الضوء اللامع ، ج١٠ ، ص١٢٩-١٣٠؛و **محمود بن محمد ابن القاضي نور الدين أبو الثناء الفيومي** ولد بحماة سنة ٧٥٠هـ، ونشأ بها ، واستقى من علمائها العلوم الشرعية ، وكانـت له مصـنفات عده منها المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، توفي سنة ٨٣٤هـ(أنظر ابن حجر ، إنباء الغمر ، ج٨ ، ص٢٤٩؛ تغري بردي ، الدليل،ج٢،ص٧٢١؛ السخاوي، الضوء اللامع ، ج١٠ ، ص١٢٩-١٣١؛ الذيل التام ، ج١، ص٥٧٠).

([4]) ابن العراقي ، ذيل العبر ، ج١، ص٨٢.

([5]) الذهبـي، ذيل تاريخ الإسلام، ص١٢٨-١٢٩؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه ج٢، ص٤١؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامـنة ،ج٢، ص٤٩٢؛و **عـز الديـن أبو بركات عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي الحلبـي** ويعرف بابن العديم ، ولد في سنة ٦٣٣هـ، عرف بكثرة مشاركته في العلوم حتى أثنى عليه ابن الزملكاني ، توفي في ربيع الآخر سنة ٧١١هـ(انظر ابن حبيب ، درة الأسلاك ، ج١، ورقة ١٨٠؛ الذهبي ، ذيل تاريخ الإسلام ، ص١٢٨-١٢٩؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه، ج٢، ص٤١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج٢، ص٤٩٢).

ولـم ينقطع تواجد القاضي الحنفي إبان عودة النظام الملكي لحماة، حيث تولـى القاضي ناصر الدين محمد بن أبي جرادة العقيلي- حفيد القاضي السابق- قضـاء حماة، ثم نقل إلى قضاء حلب سنة٧٢١هـ/١٣٢١م([1])، وتولى من بعده نجم الديـن عمر بن محمد بن أبي جرادة العقيلي حتى وفاته سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٤م([2])، كمـا تولـى القضاء بحماة مرتين القاضي تقي الدين محمود بن بدر الدين محمود الحمـوي الشـهير بابن الحكيم، وظل يقضي بين الناس حتى وفاته سنة ٧٦٠هـ / ١٣٥٩م([3]).

وعلى ما يبدو فإن النظام النيابي اسـتقر في حماة وابن الحكيم قائم على القضـاء الحنفـي بها، وولي من بعده القاضي أمين الدين عبد الوهاب بن وهبان الدمشـقي، فـي سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٩م، ثم عزل في سـنة ٧٦٢هـ/١٣٦١م، وأعـيد للقضاء في العام التالي ، وظل قائماً عليه حتى توفى في ذي الحجة سـنة ٧٦٨هـ/١٣٦٧م([4])، واسـتقر عقبه القاضي جمال الدين عبد الله بن عمر ابن

([1]) ابـن حبيب،درة الأسلاك،ج٢،ورقة ١٩٠ب ؛ تذكرة النبيه ، ج٢، ص١١٥ ، ج٣ ، ص١٥١-١٥٢؛و **ناصر الدين أبـي عـبد الله محمد بن عمر بن عمر بن أبي جرادة العقيلي** ولد سنة ٦٨٩هـ،سمع من جده وعم أبيه والأبرقوهي والحجار، طالت مدة توليه لقضاء حلب حتى بلغت بضعاً وثلاثين سنة ، توفي في شوال سنة ٧٥٢هـ(انظر ابن حبيب، درة الأسـلاك ، ج٢، ورقة ١٩٠ب؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج٢، ص٥،ج٣، ص١٥١-١٥٢؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٢٤؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٠، ص٢٥١؛ الدليل ، ج٢، ص٦٦٧).

([2])الصـفدي، أعـوان النصر ، ج٣، ص٦٥٣-٦٥٤؛ ابن حجر الدرر الكامنة ، ج٣، ص٢٦٥؛و **نجم الدين عمر بن جمال الدين محمد بن كمال الدين عمر بن نجم الدين أحمد ابن أبي جرادة العقيلي** ولد سنة ٦٨٩هـ، تولى التدريس ، وقـد أثنى عليه المؤيد إسماعيل(انظر ابن حبيب، درة الأسلاك ، ج٢، ورقة ١٩٠ب؛ الصفدي، أعوان النصر ، ج٣، ص٦٥٣-٦٥٤؛ ابن حجر الدرر الكامنة ، ج٣، ص٢٦٥؛ابن حبيب ،تذكرة النبيه ، ج٢، ص١١٥، ٢٥٤-٢٥٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠،ص٣٠٢).

([3]) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٣، ص٢٢٨؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٠، ص٣٣٢؛ **وتقي الدين محمود ابن بدر الديـن محمد بن عبد السلام بن عثمان القيسي**، باشر الأوقاف بحلب ثم قضاء حماة ، وكان حسن السيرة (انظر ابن حبيب ، درة الأسلاك، ج٢،ورقة ٢٤٨أ؛ تذكرة النبيه ، ج٣، ص٢٢٨-٢٢٩؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٥، ص١٠٥؛ النجوم، ج١٠، ص٣٣٢).

([4]) ابن حبيب، تذكرة النبيه،ج٣،ص٢٢٩؛ ابن تغري بردي،المنهل،ج٧،ص٣٧٨؛و**أمين الدين عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقي** ولد سنة ٧٣٠هـ،له عدة مصنفات منها" نظم درر البحر "،توفي سنة ٧٦٨هـ(انظر ابن حبيب، تذكرة النبـيه، ج٣، ص٣٠٣؛ ابـن العراقـي،ذيل العبر،ج١،ص٢٣٢؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص٣٠٨؛ ابن حجر،الدرر الكامنة ، ج٣، ص٣٧؛ ابن تغري بردي، النجوم،ج١١،ص٩٢؛ الدليل،ج١،ص٤٣١؛السخاوي، الذيل التام ، ج١، ص ٢٢٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور ، ج١، ق٢، ص٦٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٤٠٩).

العديم (١). كما عين في قضاء الحنفية بحماة القاضي علاء الدين علي بن إبراهيم ابـن القضـاعي(٢)، وفـيما بين سنتي ٨١٤-٨١٥هـ/١٤١١-١٤١٢م، وتولى القضـاء بهـا عماد الدين بن القصاص(٣)، وكذلك القاضي الزين فرج بن الأمير ناصـر الديـن محمد الحموي (٤)، إضافةً إلى أبي بكر بن محمود الحموي، الذي استمر في منصب القضاء حتى وفاته، فعين من بعده ابنه إبراهيم(٥).

وهـنالك مـن قضـاة الحنفـية من تولى قضاء المالكية بحماة قبل الفتنه التيموريه، ثم ناب عن قاضي المالكية ،وشغل بعدها قضاء المالكية إلى وفاته وهو القاضي محبّ الدين أبو الفضل محمد ابن الشحنه (٦).

ويعـد القاضي سري الدين أبو الوليد إسماعيل بن محمد اللخمي أول قضاة المالكية بحماة، وقد استمر في منصبه حتى سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م، حيث نقل إلى قضـاء دمشـق في السنة ذاتها(٧). ثم أعيد لقضاء حماة مرة أخرا، وذلك في عام

---

(١)ابـن حبيب، تذكرة النبيه، ج٣، ص٣٠٢-٣٠٣؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص٢٩٧؛ ابن تغري بردي، المنهل،ج٧، ص ١١٠؛و **جمال الدين عبد الله بن نجم الدين عمر بن الجمال محمد بن الكمال عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد ابن هبة الله بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن العديم** ، توفي بمكة المكرمة سنة ٧٨٣ هـ (انظر ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج٣، ص٣٠٢-٣٠٣؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص٢٩٧؛ ابن تغري بردي ، المنهل ،ج٧، ص١١٠؛ الدليل، ج١، ص٣٨٨).

(٢)ابـن حجر ، إنباء الغمر، ج٥،ص٢٥٠-٢٥١؛ ؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص١٥٥؛ **وعلاء الدين علي بن إبراهيم بن القضاعي الحموي الحنفي** اختلف المؤرخون حول تاريخ وفاته، فمنهم من ذكر أنها سنة ٨٠٧هـ، وآخرون سنة ٨٠٩هـ(انظر ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٥،ص٢٥٠-٢٥١؛ ابن تغري بردي، الدليل ،ج١، ص٤٤٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص١٩٥-٢١٠).

(٣) ابن حجر، إنباء الغمر،ج٧، ص٤٧؛ ابن طولون، قضاة دمشق، ص٢٠٦.

(٤) السخاوي ، الضوء اللامع،ج٦، ص١٦٩؛ **والزين فرج ابن الأمير محمد بن محمد بن محمد الحموي** ولد سنة ٨١٣ هـ، وأخذ من علمائها العلوم الشرعية جمع بين القضاء وكتابة السر، كانت وفاته سنة ٨٩٦هـ(انظر السخاوي ، الذيل التام ، مج٢، ص٦٢٠؛ التبر المسبوك، ص٣٠٨).

(٥) تقي الدين عبد القادر الداري، الطبقات السنيه، ج١، ص١٧٨؛ السخاوي،الضوء اللامع، ج١، ص٣٦.

(٦)السخاوي، ذيل رفع الأصر أو بغية العلماء والرواة، ص٣٥٧؛ **محب الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن الشهاب غازي بن الختلو** ، يعرف بابن الشحنة ، توفي سنة ٨٩٠هـ (انظر السخاوي، المصدر السابق ، ص٣٥٧).

(٧)ابـن كثير، البداية والنهاية ،ج١٤،ص٧٥١؛ ابن حجر،الدرر الكامنة، ج١،ص٤٠٦؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه ،ج٣، ص٣٣٠ ؛**وسـري الديـن أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن هانئ الخمي الغرناطي الأندلسي** ولد سنة ٧٠٨هـ، عين قاضياً في عدد من النيابات منها حماة وحلب وطرابلس،توفي بالقاهرة سنة ٧٧١هـ(انظر المقريزي،السلوك،ج٤، ص ٣٣٧؛ ابن اياس، بدائع الزهور،ج١، ق٢، ص٩٨؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،ج٦ص٤١٩).

٧٦٩هـ/١٣٦٧م([1])، ونـاب عنه في القضاء ابنه ناصر الدين محمد، ثم تولى القضاء بعد وفاة أبيه سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م، وظلّ في منصبه حتى صدر أمر بنقله إلى قضاء حلب سنة ٧٧٦هـ/١٣٦٤م، ثم أعيد إلى قضاء حماة ([2]).

ومـن الملاحـظ بأن معظم من تولى قضاء المالكية بحماة من غير أهل حمـاة، بل إن بعضهم ينحدر من أصول أندلسية، وممن تولى القضاء بحماة على المذهب المالكي أحمد بن يعقوب الغماري([3])، وعلم الدين محمد بن محمد الدمشـقي، الذي تسلّم هذا المنصب عدة مرات ([4])، و ممن تولى قضاء حماة من الأندلسـين القاضي سري الدين ، وكذلك شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد الحكمي([5]).

ويـبدو أن القاضي الحنبلي قد غُيبَ مكانه بعد استقرار النظام النيابي في حماة ٧٤٢هـ/١٣٤١م، وهذا ما يظهر من عدم ورود أي اسم لقاضي حنبلي عُين في نيابة حماة حتى بداية القرن التاسـع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، حيث عيـن القاضي ابن المغلي على بن محمود السلمي قاضياً على حماة، ثم انتقل إلى قضـاء حلب سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م، ودام عليها حتى العام التالي ،فعاد بعدها إلى

([1])ذكر ابن العراقي أن عودته كانت سنة٧٦٩هـ(انظر ذيل العبر،ج١،ص٢٣٥؛ ابن حجر،الدرر الكامنة،ج١،ص٤٠٦)

([2])ابـن العراقي،ذيل العبر،ج٢،ص٢٩١-٢٩٢؛ ابن حجر، إنباء الغمر،ج٨،ص٩١؛ السخاوي،الضوء اللامع،ج٧،ص ١٤٢؛ الذيل التام،ج٢، ص٤٨٥-٤٨٦؛ ابن طولون، قضاة دمشق،ص٥٣؛ **ناصر الدين محمد بن إسماعيل اللخمي**، ولد بغـرناطة سـنة ٧٠٨هـ، تولى قضاء حماة فأساء السيرة بها، فنقله المؤيد شيخ إلى قضاء طرابلس فظل بها إلى أن وتوفي سنة ٨٢٨هـ(انظر النعيمي،الدارس في تاريخ المدارس،ج٢،ص١٦؛ابن طولون، قضاة دمشق، ص٥٣).

([3])ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج١، ص٣٥٩؛ إنباء الغمر، ج٣، ص٢٢٤؛ و **أحمد بن يعقوب الغماري** توفي وقد ناهز الستين من عمره، وذلك في ذي القعدة سنة ٧٩٦هـ(انظر ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج١، ص٣٥٩؛ إنباء الغمر، ج ٣، ص٢٢٤؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٩٧).

([4])ابـن طولـون، قضاة دمشق، ص٢٤٩-٢٥٠؛و **علم الدين محمد بن محمد ناصر الدين محمد بن محمد الدمشقي** توفي سنة ٨٠٥هـ(انظر ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٥، ص١٢٢-١٢٣؛ ابن طولون، قضاة دمشق، ص٢٤٩-٢٥٠).

([5]) ابن حجر ، إنباء الغمر ، مج٨، ص٤٤٧؛ **ومحمد بن محمد بن يحيى بن محمد بن عيسى بن عيسى بن محمد بن أحمد بن عيسى الحكمي** نسبة إلى إحدى القبائل التي دخلت الأندلس فاتحه فاستوطنتها ، تولى قضاء حماة ثم خرج إلى بلاد الروم فتوفي بها سنة ٨٤٠هـ(انظر ابن حجر ، إنباء الغمر ، مج٨، ص٤٤٧؛السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص ٥٤٩؛ الذيل التام ، ج١، ص٦٠٣).

قضاء حماة سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م، ونال من المكانة والرفعة مما خوله الجمع بين قضـــاء حمـــاة وقضاء الديار المصرية في سنة ٨١٧هـ/١٤١٤م([1])، ويبدوا بأن القاضـــي علاء لدين على بن محمود ابن جماعة، كان ينوب عنه في القضاء أثناء غـــيابه([2])، وممن تولى القضاء الحنبلي القاضي عبد الرحمن بن الكازروني، الذي اســـتمر مـــدة طويلـــة في قضاء حماة انتهت بوفاته سنة ٨٩٥هـ/١٤٩٠م، تخللها مرحلة عزل وإعادة ([3]).

ومـــن الوظائف العامة **قضاء العسكر**: وهي محكمة عسكرية تعمل على الفصل في قضايا الجند من قتل وسرقة وتعدي الرتب وعصيان الأوامر وتدبير للـــثورات الداخلـــية، أو تأيـــيدها وغـــيرها، وكذلك ما يتبعه من أحكام تصل إلى المصـــادرات المالية أو عقوبة الإعدام، ويكون متوليها على المذهب الحنفي و يتم تعينه بموجب توقيع شريف من قبل الأبواب السلطانية ([4]).

وأيضاً من الوظائف العامة **الحسبة**: وهي ذات تاريخ عريق، وضع أُسسها الرسول محمدﷺ واتبعه الخلفاء الراشدون([5]) قال تعالى ﴿ وَلْتكُن منّكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ

([1]) المقريـــزي، السلوك، ج٧، ص١٢٤؛ ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٨، ص٨٦؛ ابن تغري بردي ، الدليل، ج١، ص ٤٨١-٤٨٢؛ السخاوي، ذيل الأصر، ص١٩٠-١٩١؛ و **علاء الدين أبو الحسن على بن محمود بن أبي بكر بن مغلي** ولد سنة ٧٧١هـ، واختلف في مسقط رأسه بين حماة أو سلمية، نشأ بحماة، فأخذ العلم من علمائها، واشتهر بين أقرانه بســـرعة حفظـــه ، ثـــم لحق بالجهاز الديني، توفي سنة ٨٢٨هـ(انظر المقريزي،السلوك، ج٧، ص١٢٤؛ درر العقود الفريدة في تراجم لأعيان المفيدة، ق١،ص٣٧٦؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٨٦؛ ذيل الدرر الكامنة، ص٣٠٢؛ ابن تغـــري بردي، الدليل، ج١، ص٤٨١-٤٨٢؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦،ص٣٤-٣٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧،ص٣١٦).

([2])ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق،ج٧، ص١٤١؛**وعلاء الدين علي بن محمود بن أبي بكر بن إسحاق بن أبي بكر ابن سعد الدين بن جماعه الكناني الحموي** توفي سنة ٨٠٢هـ، ابن العماد الحنبلي،المصدر السابق، ج٧، ص١٤١.

([3]) ابن العماد الحنبلي، المصدر السابق ، ج٨، ص١٩.

([4]) ابـــن ناظـــر الجيش، تثقيف التعريف، ص١٩٥؛ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج٤،ص٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق٢،ص١٠٨.

([5]) فتحـــية النـــبراوي ، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ،ص١٣٢-١٣٣ ؛ **والحســـبة:** بكسر الحاء يكون اسماً من الاحتساب بمعنى ادخار الأجر، ويكون بمعنى الاعتداد بالشيء، وأيضاً يأتي بمعنى حسن التدبير والنظر فيه، للمزيد من التفصيل (انظر ابن الأخوة ، ، معالم القربة في أحكام الحسبة، ص٢٣؛ عمر السنامي، نصاب الاحتساب ، ص٨٣).

إِلَــىَ الْخَــيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١)، وبلغــت أوج قوتهــا زمــن الفاطمييــن فأصبح صاحبها يملي أوامره على رجال الشــرطة(٢)، ولم يتغير نظام الحسبة عما كان عليه زمن الفاطميين والأيوبيين من الأمــر بالمعــروف والنهــي عــن المنكر،وحفظ الآداب العامة،والإشراف على الأسواق، وتنبيه أولي الأمر على المساجد التي تستدعي الترميم(٣)، ومراقبة النقود المضــروبة والتثبت من سكتها من ذهب وفضة، إلى جانب مراقبة المياه المباعة والتأكد من جودتها وصفائها،وكذلك مراقبة جودة الطعام والشراب ومشروعيته(٤)، وأنيطــت مسؤولية توليتها في نيابة حماة للنائب نفسه(٥)، فهو المسؤول عن تعيين المحتسبين، وتوزيعهم بين أعمال حماة (٦).

---

(١) آل عمران ، آية ١٠٤.

(٢) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج١، ص٤٦٣-٤٦٤.

(٣) المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص٤٦٤؛ وانظر الشيزري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص١١٠-١١١؛ علي إبراهيم حسن ، تاريخ المماليك البحرية، ص٣٩٧.

(٤) السبكي ، معيد النعم ، ص٥٦؛ للمزيد من التفصيل عن مهام المحتسب (انظر ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، ص ١٦ وما بعدها؛ عمر السنامي، نصاب الاحتساب، ص٨٤-٩٢).

(٥) العمري، مسالك الأبصار ،ص١٢٢؛ ابن ناظر الجيش، تثقيف التعريف، ص١٩٤؛ القلقشندي ، صبح الأعشى، ج٤ ،ص١٩٣.

(٦) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤ ،ص٢٣٨؛ ابن كنان ، المواكب الإسلامية ، ق٢،ص١٠٨

الفصل الثاني

علاقة نيابة حماة بالقوى المجاورة

- جهود نيابة حماة في صد غزوات المغول عن بلاد الشام.
- إسهام نيابة حماة في اضمحلال مملكة إرمينية الصغرى.
- دور نيابة حماة في حركة الجهاد ضد الصليبين في جزر البحر المتوسط (قبرص - أرواد - رودس).
- دور نيابة حماة في الحملات التأديبية ضد الإمارات التركمانية
- حملة تيمورلنك على بلاد الشام سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، وموقف نيابة حماة منها.

جهود نيابة حماة في صد غزوات المغول عن بلاد الشام:

علـــى الرغم من اعتناق المغول الإسلام ، إلا أن ذلك الحدث الهام لم يمنع الخان المغولي غازان من معاودة تهديد ممتلكات المماليك غرب نهر الفرات ، ففي ســـنة ٦٩٨هـــــ/١٢٩٩م، نما إلى أسماع الناس في حلب وحماة نبأ عبور المغول نهر الفرات لغزو بلاد الشام، ففر أهل حلب وحماة إلى دمشق " وبلغ كرى الخيل مـــن حمـــاة إلى دمشق نحو مائتي درهم"([١]). فبادر السلطان الناصر بالخروج من مصـــر علـــى رأس قواته ، وذلك في المحرم من سنة ٦٩٩هـــ/١٢٩٩م، وعندما وصـــل غـــزة أثـــار المغول الأويراتية الشغب في أوساط الجيش أملاً في إعادة الســلطان العـــادل كتبغا -الذي كان قد استضافهم- إلى منصبه، فانشغل السلطان الناصر بعض الوقت بإخماد هذه الفتنه حيث بقيت قواته في معسكرها بغزة قرابة شـــهرين.تحركت بعدها إلى دمشق فدخلها في يوم الجمعة ٨ ربيع الأول من السنة نفســـها، فوجد المدينة قد تزينت لدخوله رغم حالة الذعر التي سادت أوساط الناس فـــي ظـــل الـــتهديد المغولي المتجدد([٢])، ويبدو أن هذا كان من باب رفع الروح المعـــنوية للجـــيوش المملوكية سواء المصرية أو الشامية، وذلك للوقوف في وجه المغول.

([١]) ابـــن كثير ، البداية والنهاية، ج١٤، ص٤١٣؛ وانظر أيضاً ، بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص١٥٦؛ ابن أيـــبك، كـــنز الدرر، ج٩، ص٢١٢؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٨؛ مريم بن لادن، دور ابن تيمية في الجهاد ضد المغول الأيلخانية ٦٦١ إلى ٧٢٨هـــ، رسالة علمية لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى غير مطبوعة، ص١٥٥؛ **والخـــان** : لقـــب يطلـــق على الملوك الذين يتولون جزأ من الامبرطورية المغولية(انظر محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ٢٦٧)؛ **وغازان** بن ارغون ، تقلد حكم إيلخانات فارس والعراق عقب بايدوخان أواخر سنة ٦٩٤هـــ، اشتهر بإنجازاته العمرانية المدنية والعسكرية إلى جانب رصيد حافل من الهزائم العسكرية على يد دولة المماليـــك كانـــت وفاتـــه ســـنة ٧٠٣هـــــ(انظر الديار البكري،تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج٢،ص٣٨١؛ الغياثي،تاريخ الغياثي، ص٤٩-٥٣).

([٢]) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٣٣٠؛ ابن ايبك، كنز الدرر، مج٩، ص١٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٤١٣-٤١٤؛ المقريزي، السلوك ، ج٢، ص٣١٧؛ **والأويراتية** : هم جنس من المغول يتألفون من عدة قبائل سكنت الجزء الأعلى من نهر ينسي بأواسط آسيا ، وقد فرت من القان غازان نحو الأراضي المملوكية طالبة اللجوء السياسي من السلطان كتبغا فوافق على استضافتهم سنة ٦٩٥هـــ (انظر بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية ، ص١٤٦؛ زبدة الفكـــرة، ص٣٠٩-٣١٠؛ النويري، نهاية الأرب ، ج٢٧، ص٤٠٩؛ ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات،ج٨، ص٢٠٣-٢٠٤؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص٧٠٨، هامش٣؛ العيني، عقد الجمان، ج٣، ص٤٠٣، هامش١).

وأمر الناصر بعد ذلك ببث سراياه للتعرّف على مدى تقدم القوات المغولية والتحقّق من إمكاناتهم العسكرية، فعاد البريد يؤكد عبورهم الفرات، ووصولهم إلى الحدود الشمالية الشرقية لنيابة حلب([١])، ورغم أن الناصر أعدّ العدة لملاقاتهم([٢])، إلا أن القوات تمكنت في مدة وجيزة من اجتياز خط الدفاع الأول حلب،ومن بعدها حماة – لم يحتاج غازان إلى الخطة التي رسمها في البدء لدخول حلب، وهذا على مـا يـبدو يعود لوضوح صورة الأوضاع السياسية والعسكرية وما أصابها من ثغـرات وضعف للقان المغولي بعد أن لجأ إليه أمراء المماليك العاصيين- ونزلت علـى وادي المروج بظاهر حمص ، فتقدم السلطان الناصر محمد ومعه بيبرس الجاشنكير وسيف الدين سلار ومعهم القوات المملوكية إلى وادي الخازندار، وأخذ بتقصـي أخبار العدو من العرب المقيمين في هذه المنطقة([٣])، حين قرر السلطان فـي الـبداية مواجهـة المغول بأسلوب الكرّ والفرّ، فأوعز إلى عسكره استخدام الأسلحة الخفيفة ، حيث نودي في العسكر" أن ارموا الرماح واعتمدوا على ضرب السيف والدبوس" ([٤]).

ثم قُسمت القوات المملوكية إلى عدة كراديس مقدمة وميمنة وميسرة وقلب، وجعـل في المقدمة خمسمائة مملوك من الزراقين، أما الميمنة فكان بها نائبا حلب

([١]) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣١٨-٣١٩.

([٢]) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٤٣.

([٣]) العينـي، عقـد الجمان، ج٤، ص٩؛ و **وادي خزاندار:** تبعد مسيرة يوم أو أقل عن تربة خالد بن الوليد وهي بين حمـص وحماة ويطلق عليها أيضاً مجمع المروج(انظر النويري، نهاية الأرب،ج٣١، ص٣٨٤، حاشية ٤؛العيني،عقد الجمـان،ج٤،ص٢٧)؛ **والأمير سلار** المنصوري ، تقلد نيابة السلطنة المملوكية ورشح إلى السلطنة بعد عزل السلطان محمـد بـن قـلاوون لنفسه ولكنه رفض، فسلطن بيبرس الجاشنكير، قبض عليه الناصر محمد ثم قتله في سنة ٧١٠ هـ(انظر ابن تغري بردي، الدليل، ج١، ص٣١٤-٣١٥).

([٤]) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣١٩، **والدبوس** :هي كلمة فارسية تطلق على العصا المصنوعة من الخشب أو الحديد وفي رأسها شيء كالكرة (انظر محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٧٣)؛ **والرماح:** جمع رمح وهي آلة تستخدم للطعن، وهي على ضربين أحدهما يتخذ من القنا وهو عبارة عن قصب مسدود من الداخل ، وثانيها يصنع من الخشب ونحـوه، عـن صـناعة الـرماح وفنون القتال به(انظر خزانة السلاح لمؤلف مجهول، ص٣٣؛ الأحدب، الفروسية والمناصب الحربية).

بلـــبان الطباخـــي، ونائـــب حماة الأمير قراسنقر بعساكرهما وأمير العرب وتحت إمـــرته آل مـــرة وآل كلب وآل على وغيرهم من العربان([1])، وفي الميسرة نائب طـــرابلس والأســـتادار لاجين والأمير طغريل الأيغاني والأمير أقوش، وعدد من أمراء الطلبخاناة و الظاهريه، وجعلت قيادة القلب للسلطان الناصر، وكان معه عدد مـــن الأمراء منهم سلار و بيبرس الجاشنكير و برلغي و قطلوبك الحاجب و أيبك الخزندار، إضافةً إلى المماليك السلطانية ([2]).

([1]) مـــن المرجح بأن أمير العرب هو حسام الدين مهنا على خلاف ما ذكره المقريزي بأنه عيسى ابن مهنا، وذلك لأن الأخير توفي قبل غزو غازان بأعوام تحديداً في سنة ٦٨٣هـــ، وذلك بشهادة المؤرخ ذاته والذهبي، ولقد زاد ابن تغري بردي عند رصده لوفاة أمير العرب عيسى بأن ابنه مهنا قد تولى إمرة العرب من بعده(انظر الذهبي، دول الإسلام،ج٢، ص١٨٦؛ المقريـــزي، السلوك، ج٢، ص١٨٦-٣١٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٧، ص٣٦٣)؛ **وبلبان الطباخي**:من مماليـــك الســـلطان قلاوون تقلد عدة وظائف عسكرية منها نيابة طرابلس ثم حلب، توفي سنة٧٠٠هـــ(انظر ابن تغري بردي،المـــنهل، ج٣، ص٤٢٢)؛**والزراقون**:هم حملة القوارير التي تحوي مواداً مشتعلة تلقى في وجه الأعداء ويطلق عليهم النفاطون(انظر محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٨٥)؛**آل مرة وآل كلب وآل على** ينتسبون إلى ربيعة بن حازم بن على بن مفرج بن دغفل بن جراح الذي ينتهي نسبه إلى طيئ من بني سلسلة بن عنين بن سلامان ، نشأ جدهم الأكـــبر طيـــئ في عهد الأتابك زنكي ووفد على ابنه نور الدين، فأكرمه وسكن بلاد الشام، ومنه تفرعت عرب الشام، وكـــان له من الأبناء أربعة فضل ومرة وثابت ودغفل، ويتفرع من "آل فضل" آل عيسى وجعلت فيهم الإمرة لعرب الشام قاطبة زمن المماليك، و آل على وينتسبون على ضئضئ آل فضل، ومن أفرع آل فضل بنو كلب وآل مرة(انظر العمـــري، مســـالك الأبصـــار، ج٢-٣، ص١١٤-١٣٧)؛ **وكراديس**:مفردها كردوس أو كردوسة،وهي الفرقة الحربية الراكبة والقطعة العظيمة من الخيل(انظر سعيد عبدالفتاح عاشور، العصر المماليكي،ص٤٦٥).

([2]) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣١٩؛ العيني ، عقد الجمان ، ج٤، ص١١-١٣؛**والأمير حسام الدين لاجين الرومي**: استشـــهد سنة ٧٠٢هـــ(انظر ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج٣، ص٣٥٧؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج٨، ص٢٠٦)؛ **والأمير طغريل الايغاني**: من مماليك الأمير أيغان بن عبد الله الركني بيبرس، كان يعرف "بسم الموت"، وقد ذكر اسمه محرفاً عند ابن حجر فقال طغريل الأتقاني(انظر ابن حجر الدرر الكامنة، ج٢، ص٣٢)؛**وجمال لدين أقوش** المنصوري ويعـــرف **بقـــتال الســـبع** توفـــي ســـنة ٧١٠هـــ(انظر ابن تغري بردي، المنهل،ج٣، ص٢٦)؛ **والأمير سيف الدين برلغي**:الأشرفي كان من المقربين للسلطان المظفر بيبرس الجاشنكير ومقدم عساكره، وبعد عود السلطان الناصر محمد للحكم قبض عليه ثم قتله سنة ٧١٠هـــ(انظر المقريزي، المقفى، ج٢، ص٤٠٧)؛ **والأمير قطلو بك المنصوري الكبير** تولـــى الشد في نيابة دمشق ورقي بعدها لحجوبية مصر سنة ٦٩٨هـــ، ثم قلد نيابة طرابلس ولم يقم عليها فطلب نقله، فعين في إمرة مائة بدمشق ثم تقلد نيابة صفد سنة ٧٠٩هـــ،وظل قائماً عليها حتى قبض عليه الناصر محمد سنة ٧١١ هـــ (انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٣٣٨)؛ **والأمير عز الدين أيبك الخازندار**:تنقل في الخدمة حتى غدا من أمـــراء الديـــار المصـــرية استنابه السلطان الأشرف خليل على الديار المصرية مدة غيبته لحصار عكا، ثم تولى نيابة طـــرابلس سنة ٦٩٢هـــ، قبض عليه السلطان كتبغا، ثم أطلقه الناصر محمد عند عودته للحكم وقلده نيابة طرابلس حج سنة ٧٠٤هـــ، وتوفي سنة ٧٠٩هـــ(انظر المقريزي، المقفى،ج١،ص٣٢٧-٣٢٨).

ثم وقع المصاف في ٢٧ من ربيع الأول من السنة ذاتها، و هجم الزراقون وبـأيديهم قواريـر النفط المشتعلة على غازان وجنده الذي لم يستطيع أن يحرك سـاكناً حتى خمدت نيران النفاطة، فهجم وجنده على مقدمة المماليك ([١])، ورغم أن قلـب الجيش المملوكي وميسرته صمد رجالها أمام ذلك الهجوم المغولي حتى كُسرت ميمنة المغول، وعادت ميسرة الجيش المملوكي إلى حمص محملة بالغنائم، إلا أن غـازان مـا لبث أن عاود هجومه الكاسح على الجيش المملوكي بدعم من الأمـير قبجق نائب دمشق السابق ، والذي كان قد قاد ثورة داخليه ضد السلطان الناصـر ، حيـث نجحت ميسرة المغول في هزيمة القوات المملوكية ، كما وهن العـرب من كثرة تعرضهم لسهام العدو"فكانوا سبب كسرة الميمنة"([٢])، ولم يتمكّن عسكر حلب وحماة من الصمود طويلاً([٣])، وخاصة بعد تراجع السلطان بخواصه فحلـت الهزيمة بالجيش المملوكي، وتفرّق عسكره في الشعاب والأودية([٤]). ومن رحمـة الله ﷻ بـأن المغول لم يتتبعوا الفارين لاعتقادهم بأنها مكيدة من مكائد المماليك لاستدراجهم([٥])، وكانت هزيمة ساحقة للقوات المملوكية أمام المغول قتل فيها عدد كبير من الطرفين([٦])، كان منهم الأمير نجم الدين أبو البقا نوح ابن المقدم

([١]) المقريزي ، السلوك، ج٢، ص٣٢٠؛ العيني، عقد الجمان ، ج٤، ص١٣-١٤.

([٢])العينـي، عقـد الجمان، ج٤، ص١٤-١٥؛ انظر أيضاً بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٣٣١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٧، ص٤١١-٤١٢؛ابن أيبك، كنز الدرر، مج٩، ص١٥-١٨؛ الذهبي ، دول الإسلام، ج٢، ص٢٠٢-٢٠٣؛ ابـن كثير، البداية والنهاية ، ج١٤، ص ٤١٤؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص٢٢٠؛ المقريزي، السلوك،ج٢، ص ٣٢٠؛ ابن تغري بردي ، النجوم،ج٨، ص١٢١-١٢٣؛ **والأمير سيف الدين قبجق:** تقلد عدة نيابات منها دمشق وحماة و حلب وتوفي وهو قائم عليها سنة ٧١٠هـ،ودفن بتربته في حماة(انظر الصفدي ، أعيان النصر، ج٤، ص٦١؛ تحفة ذوي الألباب،ج٢، ص١٩٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٢٤١؛ ابن طولون، أعلام الورى، ص١٠).

([٣]) العيني ، عقد الجمان ، ج٤، ص١٤-١٥.

([٤])عن وقعة الخزندار (انظر البرازلي، المقتفى لتاريخ أبي شامة، ق١، ج٢، ص٤٨؛ بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٣٣١؛ الـنويري، نهايـة الأرب، ج٢٧، ص٤١١-٤١٢؛ابن أيبك، كنز الدرر، مج٩، ص١٥-١٨؛ الذهبي ، دول الإسـلام، ج٢، ص٢٠٢-٢٠٣؛ الصـفدي، الوافي، ج٤، ص٣٥٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص ٤١٤؛ ابن حبيـب، تذكـرة النبيه، ج١، ص٢٢٠؛ابن دقماق، النفحة المسكية، ص١٠٦؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٢٥؛ ابن تغري بردي، النجوم،ج٨، ص١٢٢؛ القرماني،أخبار الدول،مج٢، ص٢٨٠؛ اسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٢٧٩)

([٥])ابن أيبك، كنز الدرر،مج٩، ص١٧-١٨؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٢٠؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٢٦-٢٧

([٦]) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٣٣٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٣٠٥؛ الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص٢٠٢-٢٠٣؛ ابن كثير،البداية والنهاية،ج١٤، ص ٤١٤-٤١٥؛ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص٢٢٠.

فحمل إلى حماة ليدفن فيها([1]). وقد أرجع أبو الفداء مسبباتها إلى كون "سلار والجاشنكير هما المتغلبان على المملكة فداخل الأمراء الطمع ولم يكملوا عدة جندهم، فنقص العسكر كثيراً مع سوء التدبير ونحو ذلك من الأمور الفاسدة التي أوجبت هزيمة العسكر"([2])، وأضاف الذهبي سبباً آخر للهزيمة هو كثرة عدد قوات المغول أمام المماليك فقال :" وجاءهم ما لا قِبَل لهم به لأنّ الجيش لم يتكامل يومئذ ، وكانوا بضعةً وعشرين ألفاً ، وكان العدوّ ثلاثة أمثالهم "([3]).

أما غازان فأكمل مسيره حتى وقفت قواته أمام أسوار دمشق، ثم تمكن من دخولها وفرض سيطرته عليها([4])، ثم أصدر أوامر بتقسيم المهام في بلاد الشام بين الأمير سيف الدين قبجق والأمير فارس الدين البكي الساقي والأمير بكتمر السلحدار، فاستقر الأول في نيابة دمشق، والثاني أوكلت له ممالك الساحل من طرابلس وصفد وغيرها،أما الثالث فتولى الممالك الداخلية وهي حلب وحماة وحمص تسانده حامية مغولية عدد فرسانها"عشرين ألف راكب"([5])، وبعدها عاد

([1]) البرازلي، المقتفى،ق١، ج٢، ص٤٩؛ **والأمير نجم الدين أبوالبقا نوح بن عبد الملك** ابن الأمير الكبير شمس الدين محمد بن عبد الملك ابن المقدم ، ولد في العشر الأواخر من رمضان سنة ٦٢٤هـ، جمع بين الفروسية والعلم وكان من العساكر الحموية(انظر البرازلي،المصدر السابق،ق١، ج٢، ص٤٩).

([2]) يلحظ من المؤرخ استبعاد إلقاء المسؤولية على السلطان الناصر محمد الذي من المفترض أن يكون مشرفاً على جميع التجهيزات العسكرية بنفسه، وقد أرجع الصفدي الهزيمة إلى ذات المسبب من عدم تكامل الجيش، انظر أبو الفداء، المختصر ، ج٤، ص٤٣؛ الصفدي ، الوافي ، ج٤، ص٣٥٧.

([3]) الذهبي ، تاريخ الإسلام، حوادث ٦٩٩هـ، ص٧٠.

([4]) للتعرف على كيفية دخول غازان دمشق(انظر ابن الفوطي، التجارب النافعه، ص٥٤٣؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٤٣؛ ابن أيبك ، كنز الدرر، ج٩، ص ١٨وما بعدها؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ، حوادث ٦٩٩هـ، ص٧٣وما بعدها ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٤١٥-٤١٧).

([5]) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٣٣٩؛ انظر كذلك ابن الفوطي، التجارب النافعة، ص٥٤٣-٥٤٤؛ أبو الفداء، المختصر،ج٤، ص٤٣؛ النويري، نهاية الأرب،ج٢٧،ص٤١٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،حوادث ٦٩٩هـ، ص٨٠-٨١/ ٨٨؛ دول الإسلام،ج٢، ص٢٠٤؛ الصفدي، أعيان النصر،ج٤،ص١٧-١٨؛ ابن دقماق، النفحة المسكية،ص١٠٦؛ **والأمير بكتمر السلحدار**:من مماليك السلطان الظاهر بيبرس نال الإمرة في عهد السلطان قلاوون، ثم فر إلى غازان وعاد بعد ذلك إلى حظيرة الحكم المملوكي، وظل من جملة أمرائها حتى توفي سنة ٧٠٣هـ(انظر ابن أيبك، كنز الدرر،ج٩، ص١١٣؛الصفدي، أعيان النصر،ج١، ص٧٠٢-٧٠٣؛ ابن حجر،الدرر الكامنة،ج٢، ص١٦)؛**الأمير البكي الساقي الظاهري**: تقلد نيابة صفد بعد الإفراج عنه في عهد المنصور، ثم أمر بإيداع حسام الدين لاجين السجن،ولما تسلطن الأخير شرع في القبض عليه، ولكن ألبكي فر إلى غازان فزوجه القان المغولي من أخته، ثم تولى حمص واستقر عليها حتى توفي سنة ٧٠٢هـ(انظر الصفدي،أعيان النصر، ج٢، ص٥٨٩-٥٩٠).

الخـــان المغولي إلى بلاده يوم الجمعة ١٢ جمادي الأولى تاركاً حامية مغولية في دمشق([1])، تقدر بعشرين ألف فارس([2]).

والظاهر بأن إقرار غازان للأمير بكتمر السلحدار على حلب وحماة([3])، لم يكـــن سوى شكلاً صورياً متمماً لبهرجة الانتصار، وذلك لأن سيطرة نائب القان المغولـــي الأمـــير بكتمر السلحدار لم تمتد إلى نيابة حماة ،وهذا يظهر من وضع النيابة التي عاشت أوقات عصيبة بعد أن تغلب على القلعة عثمان السبيتارى – من أتباع النائب الحموي– وصاحبه إسماعيل فحكما في البلد والقلعة ،وعاثا بها فساداً واســـتباحا دمـــاء الأهالي وأموالهم وأعراضهم ، ثم غدر عثمان بصاحبه وقتله وانفـــرد بحكـــم حماة، وقيل:" انه تلقب بالملك الرحيم"([4])،وهذا يعني بأن الحامية المغولـــية في دمشق لم ترسل من قبلها من يحفظ حماة ضمن نطاق امتدادها، كما أنه لا توجد إشارات تدل على موافقة المغول أو رفضهم لانفراد عثمان السبيتارى بحكم حماة ،أو تدحض بأن فكرة استقلالية المذكور بحماة كانت من محض تصرفه الفردي .

و تـــتلخص النتـــيجة النهائـــية لحركة غازان على بلاد الشام في انتصاره الحاسم على السلطان الناصر محمد وسحقه للقوات المملوكية محيياً بذلك أسطورة القوات المغولية وأمجادها العسكرية ،إضافة إلى انسلاخ البلاد الشامية من التبعية

([1]) ابن الفوطي،التجارب النافعة، ص٥٤٣؛ بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٣٤٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٣٩٧؛ ابن أيبك، كنز الدرر، مج٩، ص٣١؛ اسطفان الدويهي ، تاريخ الأزمنة ، ص٢٧٩.

([2]) وقد استبقيت الحامية للاستيلاء على قلعة دمشق، ومنهم من أوكلت إليهم مهمة جمع الأموال، فكان من ضمن من خلـف مـن أمـراء المغـول الأمير قطلوشاة والأمير بولاى(انظر ابن الفوطي، التجارب النافعه، ص٥٤٤؛بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة ،ص٣٤٥؛ الذهبي،تاريخ الإسلام، حوادث سنة ٦٩٩هـ، ص٨٧؛ الصفدي أعيان النصر، ج٤ ، ص١٨).

([3]) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٢٥.

([4]) أبـو الفـداء ، المختصـر ،ج٤، ص٤٤؛ **وعـثمان السبيتارى:** من أحد جندارية النائب الحموي المهزوم الأمير قراسـنقر، ولهذه الصلة فقد حظي بالحماية من قبل الأمير المملوكي، ولكنها لم تطل لهرب أستاذه إلى المغول، فسعى الملـك المؤيد إسماعيل للقبض عليه وتنفيذ حكم القتل فيه في يوم الاثنين١٤ شعبان سنة ٧١٦هـ، (انظر أبو الفداء ، المختصر ،ج٤، ص٤٤– ٤٥).

المملوكـية وسيادة الخان غازان عليها إدارياً وعسكرياً حتى، إن المساجد الشامية أصبحت تدعوا للخان المغولي من فوق منابرها([1]).

وعلى كل حال فقد عاد السلطان الناصر محمد إلى القاهرة ،ودخلها في يوم ١٣ ربـيع الآخـر، وشـرع فـي تجهيز الجيوش بالعدة والعتاد، فأمر بفتح بيت المـال([2])، وتوافـدت عنده عساكر النيابات الشامية الدمشقية والحلبية والحموية، فـوزع على نوابها نفقة الجند، فحصل كلّ نفر على خمسة عشر أردب من القمح والشـعير والفول ،وحصل جنود الأمراء على خمسين ديناراً([3])، و يبدو أن قيادة قـوات حلـب سلمت للأمير قراسنقر بعد أن طلب بلبان الطباخي إعفاءه من مهام نـيابة حلب، بعد تسلمه لنفقة جندها، فجمع بذلك الأمير قراسنقر بين قيادة العسكر

([1])الذهبي، تاريخ الإسلام،حوادث٦٩٩هـ،ص٨٠-٨١؛وعلى الرغم من تحقيق غازان لهذه الانتصارات على الصعيد العسـكري، إلا أنه خلف من ورائه هزيمة معنوية تدور رحاها حول شخصه باعتباره مسلماً وتشكيك بعض المؤرخين فـي حقـيقة اعتـناقه للديـن الإسلامي متخذين من أعمال الفساد والقتل والنهب المخلة بقواعد الحرب في الشريعة الإسلامية، والتي ارتكبتها قواته في مسلمي بلاد الشام تساندها قوات أرمينية، فضلاً إلى سعي القان المغولي للتحالف مع الدول الأوربية بإرسال سفارة إلى ملكي فرنسا وانجلترا لهذا الغرض، وكذلك الحصول على مساعدات عسكرية منهما، إلى جانب طلبه مشاركة ملك قبرص ومقدمي الاسبتارية والداوية العسكرية لإنجاح حملته على بلاد الشام، ولعل هذا كله هو الذي دفع الكثير من المؤرخين إلى القول بأن اعتناق غازان للإسلام كان لدوافع سياسية بحته رغم ما اتخذه غازان من شعارات تؤكد اعتناقه للإسلام منها تطبيقه تعاليم أحكام الشريعة الإسلامية في المعاملات الرسمية في دولته(للمزيد انظر ابن الفوطي، التجارب النافعه، ص٥٤٣؛ أبو الفداء، المختصر،ج٤، ص٤٣؛ ابن أيبك، كنز الدرر، ج٩، ص ١٨ وما بعدها؛ الذهبي، تاريخ الإسلام،حوادث ٦٩٩هـ،ص٧٣وما بعدها؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٤،ص٤١٥-٤١٧؛ ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج١، ص٢٥٦؛ رجب محمد عبد الحليم،انتشار الإسلام بين المغول،ص١٩٧-١٩٩؛ عادل هلال، العلاقات بين المغول وأوربا، ص١٩٠-١٩١؛ محمود سعيد عمران ، المغول وأوربا ، ص٢٤١-٢٤٥؛ ويلم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، ص٧٨؛ جوناثان سميث، الاسبتارية ، ص١٩٨).

([2]) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص ٣٤٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٤٠٢؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج٨، ص١٢٩؛ اسطفان الدويهي ، تاريخ الأزمنة ، ص٢٧٩.

([3]) ابـن دقمـاق، الجوهر الثمين ، ص٣٣١؛ **والأردب:** ونوع من أنواع مكيلات الحبوب وهو كقرشب مكيال ضخم بمصر ويقدر الأردب بـ ٢٤ صاعاً أو ٩٦ قدحاً والقدح أنواع، ومنها القدح المصري المستعمل في الحاضرة ووزنه مـن الحـب المعتدل ٢٣٢ درهم (انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٢، ص٤٤١؛ انستاس الكرملي، النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، ص٥٩، حاشية ٣)؛ **والدينار:**عملة نقدية من الذهب كانت في زمن الناصر تأتي من إفرنسة أو أفـرنجة إحـدى المـدن الأوربية ،وهي مشخصة النقش وزنتها تسعة عشر قيراط ونصف من المصري ،أما زنته بصـنجة الفضة المصرية درهم وحبتي خروب، وكان أول ضرب لدينار مملوكي زمن الناصر فرج بن برقوق(انظر القلقشندي ، صبح الأعشى، ج٣، ص٤٣٧).

الحلبـــي والعســـكر الحموي([1])، وبعد أن اكتملت التجهيزات أمر السلطان الناصر بالخـــروج إلـــى البلاد الشامية مرة أخرى ، وعندما سمعت الحامية المغولية في دمشق بأمر القوات المملوكية فرت إلى بلادها ([2])، فتمكنت بذلك القوات المملوكية من دخول دمشق دون مقاومة عسكرية ، وكان دخول الأمير قراسنقر مع العسكر الحلبي في يوم الأحد ١١ رجب، وبعد أن استقرت جميع العساكر في دمشق رقي الأمـــير قراسنقر لنيابة حلب ، وعين العادل كتبغا نائباً على حماة([3]). حيث أرسل الأمـــير صـــارم الديـــن أزبك لضبط الأمور حتى وصوله إليها، ورغم أن قلعتها استعصت عليه بزعامة الملك الرحيم عثمان، إلا أن مقاومته لم تطل بعد أن تخلى عـــنه أتباعه حيث اعتقل وحكم عليه بالإعدام، إلا أن هذا الحكم لم ينفذ حيث شفع فيه الأمير قراسنقر نائب حماة السابق واصطحبه معه إلى حلب ([4]).

وبعـــد أن اســـتقرت الأوضاع في البلاد الشامية بدأت موجة من الحملات التأديبية لمعاقبة من تجرأ بالاعتداء على فلول القوات المملوكية خلال تقهقرها أمام القـــوات المغولـــية، وكان على رأسهم أهل جبل كسروان، فخرجت إليهم القوات الحلبـــية والحمويـــة والحمصـــية والطرابلسية ، وكان أهلها قد تحصنوا ، فجعلوا للنساء والصبيان جانب يلقون منه الحجارة على القوات المملوكية ، ولكن الجبل لم يعصـــمهم عن جموع العساكر السلطانية طويلاً على الرغم من جهودهم المضنية فـــي صـــدّ تقدم المماليك بالرماح والحجارة مما أثقل الأمر على قوات المماليك ، فعمد أمراء المماليك على وضع خطة ترمي إلى توزيع قواتهم على جوانب مختلفة مـــن الجـــبل ، حيـــث طوقوا الجبل من كلّ الجهات ، فلما كان اليوم التالي ترجّل الأمير أسندمر الكرجي نائب طرابلس على رأس فرقة من الجيش، وصعد إلى قمة

([1]) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٣٤٤؛ ابن ايبك ، كنز الدرر، مج٩، ص٣٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٤٠٥؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٢٩؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج٨، ص١٢٩.

([2]) ابن ايبك ، كنز الدرر، مج٩، ص٣٨.

([3]) ابن ايبك ، كنز الدرر، ج٩، ص٣٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٤٠٥؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٢٩؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج٨، ص١٢٩.

([4]) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٤٤.

الجبل ، واستطاعوا أن يجبروا أهل جبل كسروان إلى طلب الأمان ، وسيق مشايخهم وكبراؤهم إلى دمشق مع القوات المملوكية([1]). ولقد كانت هذه الحملة بمثابة تحذير لكل من تسول له نفسه التعدّي على قوات المماليك، وكأن السلطان الناصر وأمراؤه قد توقعوا عودة المغول فأرادوا جعل الحملة ضد أهل كسروان عبرة لمن يعتبر، وبالفعل فما أن حل القرن الهجري الجديد، حتى عاود المغول هجومهم على بلاد الشام بعد فشل السفارة التي أوفدها غازان إلى الناصر محمد ، والتي حملت معها رسالة تنطوي على مطالب غريبة مقابل عقد صلح بين الطرفين([2]). حيث جاءت الأخبار بعبور القوات المغولية نهر الفرات في شهر ربيع الآخر من سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م([3])، فجفل الناس من حلب وتراجع نائبها الأمير قراسنقر إلى خط الدفاع الثاني حماة، لينضم إلى القوات الحموية بقيادة نائبها الأمير كتبغا، حيث تكامل وصول القوة الدمشقية إلى حماة في ٢٢ربيع الآخر([4])، أما غازان فوصل بقواته إلى أنطاكية ثم إلى جبل السماق ومنها إلى قرون حماة ، فتمكنت طلائع الجيش الحموي في ١٧جمادي الأولى من صدّ طلائع الجيش المغولي، وقتلوا منهم نحو المائة([5])، ويبدو أن هذا الانتصار أثنى غازان

([1]) النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٤٠٧- ٤٠٨؛ ابن ايبك ، كنز الدرر ، ج٩، ص٤٠ ؛ المقريزي، السلوك ، ج٢، ص٣٣١؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٨١-٨٢؛ أسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٢٨٣-٢٨٤ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص٢١٦؛ **جبل كسروان** : وهو منطقة في لبنان تقع شرقي بيروت ومركزها مدينة جونية وأهلها خليط من الشيعة الرافضة والزنادقة والغالب عليهم الدروز،وهم فرع من الباطنية أنشأها رجل فارسي الأصل عرف بدرزي واسمه محمد بن إسماعيل بعد قدومه إلى القاهرة، فأدعى أولوهية الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله مما أثار السنيين من أهل القاهرة، فخرج إلى لبنان ونشر مذهبه فيها، وقد عمدت هذه الفئة على ضرّ المسلمين من الخلف إذا ما حدث صدام عسكري مع قوات معادية من مغول وصليبيين كما كان في سنة ٦٨٧هـ، حيمنا خرج أهالي كسروان لمساعدة صليبي طرابلس بعد هزيمتهم على يد السلطان قلاوون(انظر النويري، نهاية الأرب،ج٣١ ، ص٤٠٧ -٤٠٨،حاشية ٩؛الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج٢،ص٢١١، حاشية، ١؛المقريزي، السلوك ، ج٢، ص٣٣١، حاشية ٢ ؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٨١؛ أسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة،ص٢٦٥).

([2]) للوقوف على فحوى هذه انظر أبو الفداء ، المختصر ، ج٤، ص٤٦؛ النويري ، نهاية الأرب، ج٣١، ص٤٢٦ وما بعدها ؛ابن أيبك ، كنز الدرر، مج٩، ص٥٢-٥٣؛ القلقشندي ، صبح الأعشى، ج٧، ص٢٤٣ وما بعدها،ج٨، ص٦٩ وما بعدها ؛ ابن تغري بردي النجوم، ج٨، ص١٣٥ وما بعدها.

([3]) ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص٥٤٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ص٤٠٩.

([4])أبو الفداء،المختصر،ج٤،ص٤٥؛المقريزي،السلوك،ج٢، ص٣٣٦ ؛ العيني ، عقد الجمان ، ج٤، ص١٢٨

([5])الذهبي ، دول الإسلام ، ج٢، ص٢٠٥؛ **وجبل السماق:** يشمل العديد من المدن والقلاع والقرى ويعد من أعمال حلب الغربية ، أهلها من الإسماعيلية (انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان، مج ٢،ص١٠٢).

عـن التقدم أبعد من شيرز والمعرة و العمق وسـرمين، واكتفى طيلة ثلاثة أشهر بإعمال السـلب والنهب والقتل ونشر الفسـاد([1]). حيث اضطر غازان إلى عبور الفـرات باتجـاه الشرق بسبب انتشار الأوبئة نتيجة سوء الأحوال الجوية والذي قضى على عدد كبير من جنده ودوابهم([2])، فجعل على الجيوش أثناء انسحابه إلى سـنجار الأمير قطلو شاه ،ليحفظ مؤخرة الجيش من المباغتة حتى رحيل الجيش بكامله، وعـندما لـم يخرج أحد من المماليك لطلب المغول أمر غازان الأمير قطلوشاه باللحاق به ،بعد أن استقر غازان في بلاده([3]).

والظاهـر بـأن غـازان لم تكن لديه نية السيطرة على حلب كما سطرها المؤرخـون المحدثون([4]) فلو كان ذلك لترك حامية مغولية تحفظ حلب من عودة المماليك لما انسحب بكامل جنده، خاصة وأنه قد فقد قدراً كبيراً من رجاله ودوابه نتـيجة الوبـاء مما سيترتب عليه الإجهاد والتعب والإبطاء لحركة الجند في ظل الظروف الراهنة ، وما كان غازان ليهمل هذا الجانب والآثار المترتبة عليه.

وعلـى كلّ حال فإن أطماع غازان في السيطرة على بلاد الشام لم تتوقف عـند هـذا الحد، فقد عاود عبور نهر الفرات على رأس قواته ومعه كبار أمرائه والأمير قطلوشاة، وجوبان، وطيطق وسوتاي، تدعمهم وحدات من عسكر مملكة أرمينـية الصـغرى ،وذلك في شعبان من سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م([5]). حيث دخلوا

([1]) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٤٥؛ العيني، عقد الجمان،ج٤، ص١٢٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٨، ص ١٣٢؛ **والعمق:** يقع بين حلب وأنطاكية، ويعدّ من أعمال نيابة حلب(انظر ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص٣١٦).

([2]) ابن الفوطي ، التجارب النافعة، ص٥٤٥؛ بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية ، ص١٦٠؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج٤، ص٤٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٤١٥؛ ابن أيبك، كنز الدرر، مج٩، ص٤٦-٤٧؛ المقريزي ، السلوك، ج٢، ص ٣٣٧؛ العيني ، عقد الجمان ، ج٤، ص١٢٨.

([3]) االبرازلـي، المقـتفى،ق١، ج٢، ص١٤٠؛ ابـن الفوطي ، التجارب النافعة، ص٥٤٥ و **قطلوشاه** :ويطلق عليه خطلوشاه، وكان غازان يخشاه فأخرجه لقتال أهل جبال كيلان فقتل هنالك سنة ٧٠٧هـ، ففرح غازان بأمر موته(انظر الصفدي،الوافي، ج١٣، ص٣٤٨؛ أعيان النصر، ج٢، ص٣٢١).

([4]) عادل عبد الحافظ، نيابة حلب ، ص١١٩-١٢٠.

([5]) بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة ، ص٣٧٦؛ أبو الفداء ، المختصر ، ج٤، ص٤٨؛ النويري ، نهاية الأرب ، ج ٢٧، ص٤١٥؛الذهبي ، دول الإسلام، ج٢، ص٢٠٨؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج١، ص٢٤٥؛ ابن دقماق، الجوهر=

بلاد الشام ووصلوا إلى مشارف حلب، وكالعادة انسحب أهلها بقيادة نائبها قراسنقر إلى حماة([1])،ووصلت بعدها قوة نيابة طرابلس بقيادة أميرها أسندمر الكرجي وقوة مـــن حمـــص وفرقة من قوة دمشق بقيادة الأمير سيف الدين أنص الجمدار لدعم خـــط الدفاع الثاني في حماة ([2]) ، والتي كان نائبها الأمير زين الدين كتبغا يعاني من مرضٍ أصابه ([3]) .

ومـمــا لاشكّ فيه بأن خلو حلب من المقاومة العسكرية كان لـــه دور في تسهيل توغل المغول داخل البلاد الشامية، التي ما أن وصلت غارات مقدمة قواتهم إلى القريتيين،حتى أطلق نائب حماة الأمير كتبغا في يوم السبت العاشر من شعبان قـــوة مـــن جيش حماة بقيادة الأمير شجاع الدين أغولو لمشاركة قوات طرابلس وحلب و دمشق تحت قيادة نائب طرابلس أسندمر لمنع تقدم القوات المغولية([4]).

=الثمين، ص٣٣٢؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج٨، ص١٦٤؛ **وجوبان بن تلك بن تداون**:عين لنيابة مملكة إيلخانات فارس والعراق في عهد القان سعيد بن خربندا ، قتل بهراة ثم نقل للمدينة ليدفن بالبقيع سنة ٧٢٨هـــ (انظر الصفدي ، الوافــي، ج١١، ص٢٢٠-٢٢٢؛ اليافعي، مرآة الجنان ، ج٤، ص٢٧٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٧٨-٧٩؛ ابن تغري بردي ، المنهل ، ج٥، ص٣٣-٣٤)؛ **وسوتاي**: عمل أقطليجا –في مرتبة أمير أخور– لدى لأبغا ، ثم حكم ديـــار بكر في عهد دولة غازان حتى دولة بوسعيد فكانت وفاته سنة ٧٣٢هـــ(انظر الصفدي،أعيان النصر ،ج٢، ص ٤٨٦-٤٨٧؛ الوافي،ج١٦، ص٣٩؛ نكت الهيمان، ص١٦١؛ ابن حبيب، تذكرة النبية، ج٢، ص٢٣٤؛ ابن تغري بردي، المنهل، ص١٠١)؛ **وطيطق**: لم أجد له ترجمة فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

([1]) النويري، نهاية الأرب، ج٢٧، ص٤١٥، ج٣٢،ص٢٥؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٤٨؛ ابن أيبك ، كنز الدرر، مج٩، ص٨٢؛ العيني ، عقد الجمان ، ج٤، ص٢١٧.

([2]) النويري ، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٢٥؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج٨، ص١٥٧.

([3]) أبو الفداء، المختصر ، ج٤، ص٤٨

([4]) اقتصـــر بعض المؤرخين على ذكر اشتراك القوة الحموية والطرابلسية في هذه الحملة (انظر بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٣٧٣؛ أبوالفداء ، المختصر ، ج٤، ص٤٨؛ النويري ،نهاية الأرب ، ج٣٢، ص٢٥-٢٦؛ الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص٢٠٨؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٤٣ ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٤، ص٤٣١؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص٢٤٥-٢٤٦؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٥٥؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج٨، ص١٥٧-١٥٨)؛ **والقريتيـــن**: تدعى " حوادين" وهي قرية كبيرة تقع بين حمص وتدمر في طريق البرية(انظر ياقوت الحموي،معجم البلدان، ج٣، ص٧٨)؛ و **شجاع الدين أغولو** :ويعرف بالأمير أغولو الزيني أو العادلي ، وكلاهما من كنى أستاذه الملك العادل زين الدين كتبغا ، وقد ذكره ابن تغري بردي باسم "أغزلو" اشتهر بالشجاعة والفروسية ، تولى نيابة دمشق زمن حكم أستاذه العادل كتبغا ، وعلى ما يبدو بأنه أنتقل معه إلى حماة ليصبح من جملة أمرائها،توفي سنة ٧١٩هـــ(انظر بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٣٧٣؛ الصفدي ، أعيان النصر، ج١، ص٥٤٢-٥٤٣؛ العيني، عقد الجمان ، ج٤، ص٢١٩؛ ابن تغري بردي ، النجوم ، ج٨، ص ١٥٨).

وعـــند "الكـــوم" القريبة من "عرض" فاجأ عساكر المماليك مقدمة القوات المغولـــية ([١]) التـــي تركت الغنائم و المواشي مهملة بهدف شغل المماليك بجمعها ومـــن ثَمَّ ينقضون عليهم ، ولكن المماليك فطنوا لخديعة المغول فلم يكترثوا بأمر الغنائم، وشرعوا في تقسيم قواتهم إلى أربع فرق: قامت الأولى بشن هجوم خاطف على قوى المغول لاستدراجهم إلى ميدان المعركة، في حين قامت الثلاث الأخرى بالإطـــباق على قوى المغول من كل الجهات، ودارت بين الطرفين معركة حامية الوطيس انتهت بهزيمة جند المغول وفرارهم لا يلوون على شيء([٢]).

وبذلـــك تمكن المماليك من استعادة الأسرى التركمان من المغول ، وأراح هذا الانتصار قلوب من خلفهم من أهل الشام و بقية القوات المملوكية ([٣])،وعادت جميع القوات المملوكية إلى ثكناتها بما فيها قوى نيابة حماة التي دخلت المدينة في ١٣ شعبان من السنة نفسها([٤]).

ولكن فرقة من الجيش المغولي بقيادة قطلوشاة عاودت مهاجمة حماة ، بعد أن تـــأكد من عدم مشاركة السلطان الناصر محمد في موقعة عرض ([٥]) ، وما أن وصـــل المغول إلى قرون حماة([٦]) حتى تراجعت القوات المملوكية أمامهم بعض

([١]) أبـــو الفـــداء، المختصر، ج٤، ص٤٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٢٦؛ ابن الوردي ، ج٢، ص٢٤٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤،ص٤٣١؛ المقريزي، السلوك، ج٢،ص٣٥٥؛ العيني، عقد الجمان،ج٤،ص ٢١٩،حاشية ٤؛ ابـــن تغـــري بـــردي، النجوم، ج٨، ص١٥٨؛ و**العرض** : بلدة في برية الشام تقع بين الرصافة وتدمر (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٠٣).

([٢]) و يـــبدوا أن ســـبب هذا التقسيم يعود إلى كثرة عدد مقدمة المغول الذي اختلف في تقدير عددها بين الأربعة أو الخمســـة إلـــى العشـــرة الآف مقـــاتل فـــي حين أن قوات المماليك لم تتجاوز الألف والخمسمائة مقاتل (انظر بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص١٦٤؛ زبدة الفكرة ، ص٣٧٣؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه، ج١، ص٢٤٥؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص٣٥٥؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج٨، ص١٥٨).

([٣]) الـــنويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٢٦؛ المقريزي ، السلوك،ج٢، ص٣٥٥؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص٢٢٢؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج٨،ص١٥٨.

([٤]) أبو الفداء، المختصر ، ج٤، ص ٤٤٨؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج٢، ص٤٢٣.

([٥]) النويري ، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٢٦؛ المقريزي ، السلوك، ج٢، ص٣٣٥.

([٦])أبو الفداء،المختصر،ج٤، ص٤٨؛ المقريزي،السلوك،ج٢، ص٣٥٦؛ابن تغري بردي،النجوم،ج٨،ص١٥٨.

الشـــيء([1])، وكلـــف أبو الفداء بمهمة الكشف عن مدى استعدادات المغول ومدى سرعة تقدمهم فظل يترقبهم من فوق العليليات ،حتى ظهروا أمام حماة، فلحق أبو الفداء بنائبها الأمير كتبغا ليبلغه أمر مثول المغول أمام حماة، فأدركه عند القطيفة في طريقه إلى دمشق([2]). وهنالك اتصل شيخ الإسلام ابن تيمية بالقوات المملوكية، وكان قد خرج من دمشق ليعلمهم بأمر إجماع أمراء دمشق والأهالي على القتال، فحلف له الأمراء و الجند بما فيهم عسكر حماة على الجهاد([3]).

وبعـــد تكامل دخول قوات النيابات الشامية دمشق ، وصلت طلائع الجيش المصري في ١٥ شعبان وعلى رأسها ركن الدين بيبرس الجاشنكير و حسام الدين لاجيـــن و سيف الدين طغريل الأيغاني وغيرهم من كبار أمراء مصر([4]) ، وكانوا قـــد راسلوا الأبواب السلطانية عند قاقون ليبلغوا السلطان الناصر بحقيقة خروج المغول ([5]). وأخذت القوات الشامية بتقصي أخبار تقدم قوات المغول([6])، فوجدوا

([1]) بيـــبرس المنصـــوري، الـــتحفة المملوكية، ص١٦٤؛ زبدة الفكرة، ص٣٧٤؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٤٨؛ الـــنويري ، نهاية الأرب، ج٢٧، ص ٤١٥؛ الذهبي ، دول الإسلام، ج٢، ص٢٠٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٤٣١؛ المقريزي ، السلوك، ج٢، ص٣٥٦؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج٨، ص١٥٨.

([2]) أبـــو الفداء ، المختصر، ج٤، ص٤٨؛ **والعليليات**:أكبر محلات حماة تقع على تل بديع المنظر وتنقسم إلى قسمين علـــيا وســـفلى(انظر أحمد الصابوني،تاريخ حماة، ص٦٥،حاشية٨)؛ **والقطيفة:** قرية تقع دون ثنية العقاب للقاصد إلى دمشق في طرف البرية من ناحية حمص(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٧٨).

([3]) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٤٣٢؛ و **شيخ الإسلام ابن تيمية** :أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية ، ولد بحران ١٠ ربيع الأول سنة ٦٦١هـــ، ثم قدم مع أهله إلى دمشق سنة ٦٦٧هـــ، وتلقى من شيوخها العلـــوم الشـــرعية ، جلـــس بعد وفاة أبيه في تدريس الحديث سنة ٦٨٣هـــ، وله عدة مصنفات، وكانت لشيخ الإسلام مواقف جليلة في دفع الظلم عن أهل دمشق من قبل غازان وقواته، كما شارك في حملات عسكرية لصد المغول وتأديب أهل جبال كسروان توفي سنة ٧٢٨هـــ(انظر الصفدي، الوافي، ج٧، ص١٥؛ أعيان النصر،ج١، ص٢٣٣؛ المقريزي ،المقفى،ج١، ص٤٥٤ وما بعدها؛ ابن حجر، ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية؛ ابن تغري بردي، المنهل ،ج١، ص٣٥٨؛ مـــريم بن لادن، دور ابن تيمية في الجهاد ضد المغول الأيلخانيين، ص١٦٣-١٧٨؛ آمال رمضان، الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي٦٤٨-٩٢٣هـــ/١٢٥٠-١٥١٧م ، ص٣١٧-٣١٨).

([4]) النويري، نهاية الأرب،ج٣٢، ص٢٦-٢٧؛ ابن كثير،البداية والنهاية،ج١٤،ص٤٣١.

([5]) ابـــن دقمـــاق، الجوهر الثمين ، ص٣٣٢-٣٣٣ ؛ **وقاقون:** حصن قريب الرملة بفلسطين (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج٤، ص٢٩٩).

([6]) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٣٧٤.

بأنهم قد جدّوا السير حتى وصلوا إلى حمص وبعلبك[١]، ومنها إلى قارة، فخرجت القوات المملوكية إلى الجسور[٢] ووقع الخلاف بين قادة المماليك حول لقاء العدو أو انتظار حضور السلطان الناصر محمد بالقوات المصرية إلى دمشق[٣]،فاتفقوا في ٢٩ شعبان على التأخر إلى مرج الصفر إلى أن يصل السلطان فأقاموا بها يومين حتى دخل شهر رمضان[٤]، حيث نزل بقواته على مرج راهط، فتلقته العساكر الشامية والمصرية يوم السبت الثاني من رمضان عند عقبة الشحورا، ثم شرع في توزيع قواته إلى ميمنة وميسرة وقلب استعداداً للمواجهة العسكرية، فجعل على الميمنة العساكر الحموية والعربان تحت قيادة الأمير قبجق[٥]–ويبدو أن عدم خروج زين الدين كتبغا على رأس الجيش الحموي في هذه الوقعة يعود إلى مرض عضال اعتراه والذي توفي على إثره في ذي الحجة سنة ٧٠٢هـ، وتولى مقاليد النيابة من بعده سيف الدين قبجق، ولعل بيبرس المنصوري أراد أن يوضح بأن من تولى القيادة للجيش الحموي هو من أوكلت له نيابة حماة فيما بعد– إضافة إلى عدد من الأمراء، أما الميسرة فضمت عسكر حلب بقيادة الأمير قراسنقر، والعساكر الصفدية بقيادة نائبها، إضافة إلى عدد من أمراء القوات المصرية منهم بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح، و طغريل الأيغاني،و بكتمر السلاح دار، و بيبرس الدوادار، واشتمل القلب على السلطان والخليفة المستكفي بالله، وكبار أمراء المماليك كنائب السلطنة الأمير سلار والأمير بيبرس الجاشنكير

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٤٣١.

(٢) الذهبي، دول الإسلام،ج٢، ص٢٠٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٤٣١؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٤، ص ١٥٨–١٥٩.؛ **وقارة**: قرية قرب حمص مجمل أهلها من النصارى كانت في السابق تعد قارة الحد الفاصل بين حمص ودمشق (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ، مج٤، ص٢٩٥).

(٣) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٣٧٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٤٣٣.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٢٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٤٣٣؛ المقريزي، السلوك ، ج٢، ص ٣٥٦؛ ابن تغري بردي،النجوم،ج٨، ص١٥٨؛ **ومرج الصفر**: مرج قريب من دمشق (انظر ابن طولون ، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، ق٢، ص٤٠٩، حاشية ١)

(٥) انظر زبدة الفكرة،ص٣٧٦؛ التحفة المملوكية، ص١٦٦؛ أبو الفداء، المختصر،ج٤، ص٤٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٢٩؛المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٥٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٨، ص١٥٩؛ **ومرج راهط**: غوطة بجوار دمشق من ناحية الشرق، وهو مرج عذراء اليوم(انظر ابن الأثير،اسد الغابة، ص٣٢٨، حاشية ٢؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٣٠–٢٣١)؛ **وعقبة الشحورا**: لم أقف على تعريف لها فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

وغيرهما[١] -الملاحظ أن السلطان وقد وزع قواته بشكل صحيح، إذ توقع أن الجناح الأيمن سيكون هدفاً للقوات المغولية فتحاشى عدم تكرار الخطأ السابق من جعل الميمنة مكشوفة دون دعم أو تغطيه من العساكر المصرية كما حدث في وقعة وادي الخازندار - ثم علت أصوات القراء بترتيل آيات القران الكريم وبدأت عبارات شحذ النفوس بالقوة والحث على الجهاد ترتفع بين الجنود استعداداً للقتال،والسلطان والخليفة يتنقلان بين الصفوف لرفع الروح المعنوية في نفوسهم[٢].

وأقبلت القوات المغولية بكراديسها" كقطع الليل لا يبين فيها الرجل من الخيل "[٣] ،وكان على الميمنة الأمير بولاي [٤]،واختار قطلوشاه أعلى النهر مقراً لقيادته[٥] ، ثم دارت المعركة عند شقحب، والتحم الجيشان بعد الظهر من يوم السبت ،وثبت عسكر حماة والعربان، في قتالهم على الرغم من حملة المغول الشرسة عليهم -لعل القائد المغولي أراد الاستفادة من أسباب كسر المماليك في وقعة وادي الخازندار فهم بالضغط على الجناح الأيمن أملاً أن يكون كسره مفتاحاً لنصره - فقتل منهم عدد من الأمراء ونحو ألف فارس منهم[٦]،فانحاز عسكر القلب والميسرة لدعم عسكر الميمنة الذي شكّل عسكر حماة غالبيته، ورغم فرار

---

(١)بيبرس المنصوري،زبدة الفكرة،ص ٣٧٥-٣٧٦؛ التحفة المملوكية، ص١٦٥-١٦٦؛أبو الفداء، المختصر،ج٤،ص٤٩ ؛ النويري، نهاية الأرب،ج٣٢، ص٢٨-٢٩؛المقريزي،السلوك،ج٢،ص٣٥٦؛ ابن تغري بردي،النجوم، ج٨، ص١٥٩؛ **والمستكفي بالله أبو ربيع** سليمان بن الحاكم بأمر الله، ولد سنة ٦٨٤هـ،وبويع بالخلافة سنة ٧٠١هـ، اعتقل بالبرج في سنة ٧٣٦هـ، على أثر خلاف وقع فيه مع السلطان، ثم نفاه السلطان إلى قوص مع أهله إلى أن كانت وفاته سنة ٧٤٠هـ، وقيل سنة ٧٤٢هـ(انظر السيوطي، تاريخ الخلفاء ، ص٣٨٧-٣٨٩؛ ابن الطولوني، النزهة السنية في أخبار الخلفاء والملوك المصرية(أخبار الخلفاء)، ص١٢٤).

(٢) المقريزي ، السلوك، ج٢، ص٣٥٦؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج٨، ص ١٥٩-١٦٠.

(٣) بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة، ص٣٧٦؛ التحفة المملوكية، ص١٦٦.

(٤) بيبرس المنصوري،التحفة المملوكية، ص١٦٦؛زبدة الفكرة، ص٣٧٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٣٠؛ **بولاي:** لم أقف على ترجمة له فيما توفر لي من مصادر أطلعت عليها

(٥) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٥٦.

(٦) بيبرس المنصوري ، التحفة المملوكية ، ص١٦٦؛ زبدة الفكرة، ص٣٧٦-٣٧٧؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص ٤٨-٤٩؛ النويري ، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٢٩-٣٠؛ الذهبي ، دول الإسلام، ج٢، ص٢٠٩؛ ابن دقماق ، الجوهر الثمين، ص٣٣٣-٣٣٤.

بعض الأمراء إلا أن قبجق قائد العسكر الحموي ظل صامداً في مكانه، وقدم دعماً ملحوظـاً للأميريـن سـلار وبيبرس الجاشنكير ومن معهم من البرجية في دفع قطلوشاه([١])، وأجبروه على الاعتصام بجبل غباغب، وفي هذه الأثناء شاهد المغول تراجع عناصر ميمنة الجيش المملوكي، فظنوا أن ذلك هزيمة، فترك بعضهم الجبل ، وأخـذوا فـي تعقـب ميمنة المماليك حيث نجحوا في أسر بعض رجالها وعلى رأسـهم الأمـير أيدمـر، فجاؤوا به إلى حضرة قطلوشاة ، حيث أخبره بوصول السلطان الناصر لمواجهة المغول بنفسه، وكان لهذا الخبر أثره البالغ على الجيش المغولي الذي فضل معظمه الهرب بينما لاذ البعض الآخر مرة أخرى بالجبل([٢]).

و بمجـرد وصـول السـلطان الناصر محمد ضُرِب حصار محكم حول الجـبل، وعندما حل الليل أضرم المغول النيران في الجبل([٣]) وعند بزوغ الفجر شـن المغـول هجومـاً مباغتاً على فرق من جيش المماليك ، واستمر القتال بين الطرفين([٤])، حتى الظهيرة، وانتهى ذلك بانكسار الجيش المغولي "ففرج لهم سيف الديـن أسندمر الكرجي فرجة من رأس الميسرة" فلاذت فرقتان بالفرار، وكان من ضـمن الفاريـن جوبان وقطلوشاة، واستمرت الثالثة تقاتل بعض الوقت ثم لاذت بالفـرار بعد أن قُتل وأُسِر عدد كبير من رجاله([٥]). ثم جرد السلطان الأمير سلار

([١]) المقريزي ، السلوك، ج٢، ص٣٥٧؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج٨، ص١٦١.

([٢])بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية ، ص ١٦٦؛ زبدة الفكرة، ص٣٧٧؛النويري، نهاية الأرب، ج٢٧، ص٤١٦،ج ٣٢، ص٣٠؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٣٣٤؛ النفحة المسكية، ص١٠٩؛ المقريزي ، السلوك، ج٢، ص ٣٥٧؛ ابـن تغـري بردي، النجوم ، ج٨، ص١٦٢؛ **وجبل غباغب** : يقع في عمل حوران من نواحي دمشق (انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٣، ص٨٧١)

([٣]) يلحـظ بـأن المغول هم من أضرموا النيران في حين أن الجيش المملوكي لم يفعل، وهذا يعود إلى موقع القوات المملوكـية فـي أسـفل الجـبل بالتالي سيكونون تحت مرمى المغول وإشعال النيران سيكشف مواقع توزيع مخيمات المماليـك، فـي حيـن أن المغول في جبل وأن لا ضير في إشعال النيران، بل إن فيه نوعاً من الحرب النفسية على المماليك بإشعارهم بمدى كثرتهم وعدتهم وشجاعتهم وعدم خشيتهم من مغبة إشعال النيران .

([٤]) النويري، نهاية الأرب، ج٣٢،ص٣٠؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٣٣٤؛ النفحة المسكية، ص١٠٩؛المقريزي، السلوك،ج٢،ص٣٥٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٨، ص١٦٢.

([٥]) بيبرس المنصوري،التحفة المملوكية، ص١٦٧؛ زبدة الفكرة، ص٣٧٧؛ النويري، نهاية الأرب،ج٢٧،ص٤١٥-٤١٦ ، ج٣٢، ص٣٠؛ابـن دقمـاق ، الجوهـر الثمين ، ص٣٣٤؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٥٨؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج٨، ص١٦١.

وعدداً من الأمراء في طلب من هربوا فاقتفوا أثرهم إلى القريتين وأجبروهم على عبور الفرات وغرق بعض المغول في النهر([1])، وعادت القوات المملوكية الشامية والمصـــرية إلى دمشق فأقاموا بها حتى أعطوا الدستور للعودة إلى ديارهم ومنهم الجيش الحموي الذي دخل حماة يوم السبت ١٦ رمضان من ذات السنة([2]).

ولم تكن الهزيمة العسكرية هي النتيجة الوحيدة التي تمخضت عنها معركة شــقحب، وإنمـــا أحدثـــت تغييراً في منحى السياسة المملوكية المغولية حيث آثر الطـــرفان انـــتهاج ســبل السلام بعض الوقت، بعدما اعتلى ألجايتو محمد خرابندا عرش إيلخانات فارس والعراق (٧٠٥-٧١٦هــ / ١٣٠٥-١٣١٦م)، حيث سعى لخلق صداقة مع الناصر محمد عن طريق السفراء الذين أرسلهم إلى القاهرة سنة ٧٠٤هــ/١٣٠٤م([3]).

إلا أن هـــذه العلاقات السلمية لم تدم طويلاً حيث اتجه الجاتيو الذي اعتنق الإسلام على المذهب الشيعي إلى خطب ود الغرب الأوربي بغية إحياء محاولات التحالف المغولي الصليبي ضد دولة المماليك([4])، إضافة إلى لجوء الأمير قراسنقر إلى والجايتو سنة ٧١٢هــ/ ١٣١٢م. وحرص المغول على غزو بلاد الشام حيث هددت فرق من جيشهم الأطراف الشمالية لنيابة حلب، وحاصرت الرحبة، وعندما

([1]) بيبرس الدودار، زبدة الفكرة، ص٣٧٨؛ التحفة المملوكية ، ص١٦٧؛ أبو الفداء، المختصر،ج٤، ص٤٩؛ النويري ، نهاية الأرب، ج٣٢، ص٣١؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج١، ص٢٤٧.

([2]) أبو الفداء، المختصر ، ج٤، ص٤٩.

([3]) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة، ص٣٨١؛ التحفة المملوكية،ص١٧٦؛ ابن أيبك، كنز الدرر،ج٩، ص١٢٧-١٢٨؛ و **ألجاتيو محمد خرابندا** بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طلو بن جنكيز خان ، أطلق على نفسه أسم ألجاتيوا محمد خربـــندا وترجمتها إلى العربية عبد الله ، تمكن في سنة ٧٢٠هـــ، من القضاء على تمرد أهل جبل كيلان ، و قتل فيها الأمـــير قطلوشاه، فاستقر مكانه الأمير جوبان ، توفي ألجاتيو سنة ٧١٦هــ(انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص ٤٦٨؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج٩، ص٢٣٨؛ الغياثي ، تاريخ الغياثي، الفصل الخامس، ص٥٤-٥٥).

([4])وجـــه ألجاتـــيو رسائل بهذا الخصوص إلى ملك فرنسا فليب الرابع والبابا كليمنت الخامس، وذلك سنة ٧٠٥هــ/ ١٣٠٥م، وأخـــرى إلـــى ملـــك إنجلترى إدوار الثاني سنة ٧٠٧هــ/ ١٣٠٧م (انظر عادل هلال،العلاقات بين المغول وأوربـــا، ص١٣٨-١٣٩؛محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون ،ص٢٠٤؛محمود عمران ، المغول وأوربا،ص ٢٤٥-٢٤٦؛عبد الكريم غرايبة، العرب والأتراك دراسة لتطور العلاقات بين الأمتين خلال ألف سنة، ص١٩١).

تعالــت صــيحات الاســتنفار للخــروج لصد غارة المغول هذه توافدت العساكر المملوكية على الرحبة من كل حدب وصوب بما فيها القوات الحموية التي خرجت تحــت قــيادة المؤيد إسماعيل، ونجحت هذه القوات في إجبار المغول على عبور الفــرات لا يلــوون علــى شيء، ثم تراجعت معظم قوات المماليك بصحبة الملك المؤيد إلى حماة حيث مكثت بها بعض الوقت تحسباً لأي هجوم مغولي آخر([١]).

وفــي ســنة ٧١٥هـــ/ ١٣١٥م شارك الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صــاحب حماة في الحملة التأديبية الموجهة ضد ملطية الموالية للمغول([٢])، فخرج من حماة إلى حلب بعد صدور الأمر السلطاني بمشاركة القوات الحموية، ووصل إلــيها يوم الخميس ١٣محرم، وبعد أن اكتمل وصول القوات المملوكية سارت إلى عين تاب ومنها عبرت الدربند، وفرضت حصاراً محكماً على ملطية، فخرج أهلها طالبيــن الأمــان، فأمــنهم قائد القوات المملوكية الأمير سيف الدين تنكز، واتفق الطــرفان على فتح الباب القبلي المواجه للعسكر الحموي، فأمر الملك عماد الدين بــأن بتقدم الأمير صارم الدين أزبك الحموي لحفظ الباب من تعدي جنود المماليك حــتى يصل القائد العام للقوات المملوكية، ورغم هذا هاجمت فرق جيش المماليك المديــنة، ثــم انسحبت منها بعد أن أمضت بها يوماً وليلة ، واستقر بها المقام في مرج دابق تحسباً لهجوم مغولي آخر([٣]). إلا أن شيئاً من ذلك لم يحدث ، وبالتالي فقــد جمد المغول هجومهم على بلاد الشام بعد أن تلقوا تلك الصفعات المتتالية من قــبل دولة المماليك، واقتصر دورهم على دعم بعض الأمراء الثائرين على دولة

([١])أبوالفداء ، المختصر،ج٤، ص٦٩-٧٠؛ ابن أيبك الدودار، كنز الدرر، مج٩، ص٢٥٤-٢٦٠؛ الذهبي، ذيول العبر، ج٤، ص٣٢، ابن كثير ، البداية والنهاية، ج١٤، ص٤٧٧؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص٤٥.

([٢]) ســبب هــذه الحملة يعود إلى محاولة رجل يدعى مندو لإفشال خطط السلطان الناصر محمد للقضاء على الأمير قراســنقر، ممــا حذا بالسلطان لاستغلال الخلاف بين مندو وحاكم ملطية من جهة المغول "ميراميز" لاستمالة الأخير فمازال السلطان يتحيل حتى كاتبه ميراميز وقرر معه أن يسلم البلد لعساكره"(المقريزي،السلوك،ج٢، ص٥٠١-٥٠٢).

([٣]) أبو الفداء، المختصر،ج٤،ص٧٥-٧٦؛ النويري، نهاية الأرب،ج٣٢،ص٢١٨-٢١٩؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص ٥٠٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٤،ص٤٨٤؛ **مرج دابق:** بالقرب من قرية تدعى دابق، وهي قريبة من حلب، وتُعد من أعمال أعزاز،منزل بنو مروان إذا غزو صيفاً(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٢،ص٤١٦-٤١٧؛ العيني، عقد الجمان،حوادث ٨٢١هــ، ص٣، حاشية٣؛ محمد فريد بك المحامي،تاريخ الدولة العلية العثمانية،ص١٩٢، حاشية ٢).

المماليك ، وإذكاء السياسية العدائية التي انتهجتها بعض الإمارات التركمانية ضد دولة المماليك ، فضلاً عن دعمهم المعلن لمملكة أرمينية الصغرى في صراعها مع دولة المماليك، ناهيك عن مزاحمة المماليك على أرض الحرمين([1]).

إسهام نيابة حماة في اضمحلال مملكة أرمينية الصغرى([2]).

لم يقتصر دور مملكة أرمينية الصغرى على دعمها لحملات المغول على بلاد الشام، بل استغلوا انشغال المماليك بدفع خطر المغول ، ونجحوا في طرد الحاميات المملوكية عن حموص وكويرا وسرفندكار والنفير وغيرها ([3])، إضافةً إلى تجرأهم على التوقف عن دفع الأتاوة التي كانوا يحملونها إلى السلطان المملوكي كلّ سنة([4])، ولهذا عندما أمن السلطان المملوكي خطر المغول أصدر أوامره إلى فرق من جيشه لشن حملة تأديبية على مملكة أرمينية الصغرى ، حيث خرج لتنفيذ هذه المهمة عدد من الأمراء والنواب ، وفي مقدمتهم نائب حماة الأمير كتبغا وكان في معيته أبو الفداء التقوي، وذلك في يوم السبت ٢٥من شوال سنة ٧٠١هـ/ اكتوبر ١٣٠١م، وتوجّه الجميع إلى حلب ودخلوها في يوم الخميس مستهل ذي القعدة، وفي الثالث منه خرجوا نحو بلاد الأرمن من جهة بغراس فدخلوا الدربند في السابع من ذي القعدة، ثم دخلوا أراضي أرمينية الصغرى، ونجحوا في الوصول إلى عاصمتها سيس، حيث شنوا عليها هجوماً خاطفاً، ثم

([1])سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص٢٣٩؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص٢٦٤؛ ريتشارد مورتيل،الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي،ص٧٨-٩٠.

([2]) انظر الملحق رقم٤.

([3]) والحصون التي استولى عليها الأمن (انظر أبو الفداء ، المختصر ، ج٤، ص٤٥؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٤١؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٣٠).

([4]) المقريزي، السلوك، ج٢،ص٣٤٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج٨، ص١٥٤؛ العيني، عقد الجمان،ج٤، ص١٨٣.

شرعوا في العودة إلى أنطاكية بعد أن خلفوا بها أضراراً بالغة، وعادوا بعدها محملين بالغنائم إلى حلب حيث دخلوها في ٢٧ من ذي القعدة من السنة ذاتها([1]).

ورغم المُسوّغات التي يمكن تلمسها لانسحاب قوات المماليك من أراضي مملكة أرمينية، والتي اكتفت بهذه الهجمة الخاطفة، والذي يبدو بأن مردها خوف المماليك من تجدد خطر المغول عبر الفرات، مما يؤدي إلى تشتت قواتهم في جبهتين: شرقية ضدّ المغول، وشمالية ضدّ مملكة أرمينية الصغرى إلا أن السلطان المملوكي لم يرض عن نتائج هذه الحملة، لعدم نجاحهم في استرداد الحصون التي استولى عليها الأرمن خلال انشغال الجيش المملوكي بصدّ غارات المغول. وعليه فقد بادر الناصر بإرسال حملة أخرى في أواخر سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٤م، اشترك فيها نائب حماة الأمير قبجق وعساكر حلب، وفي هذه المرة تمكّنوا من أخذ تل حمدون بالأمان وهدمها([2]).

وفي سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م، استغل الناصر محمد تردي أوضاعها الداخلية زمن ملكها ليو الخامس LeoV (٧٢٠-٧٤١هـ/١٣٢٠-١٣٤١م) لعجزه عن فض النزاع الذي نشب في دولته بين كبار الأمراء ورجال الدين ، حيث بعث إليه الناصر يطلب منه إعادة تلك الحصون لدولة المماليك ، وإعادة الحدود بين دولة المماليك ومملكة أرمينية إلى ما كانت عليه زمن السلطان لاجين، وهنا لم يكتف الملك الأرمني بمجرد الرفض لهذا الطلب، بل زاد على ذلك بأن أصر على الاستمرار في منع القطيعة التي كانت مملكة أرمينية الصغرى تدفعها لسلطنة

([1]) أبو الفداء، المختصر ، ج٤، ص٤٦؛ انظر كذلك ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج٢، ص٢٤٢؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه، ج١،ص٢٣٩؛ المقريزي، السلوك،ج٢، ص٣٤٨؛ **وبغراس:** وتكتب أيضاً **بغراص** وباللاتنية Gastun غاستون، **وهو** حصن منيع يقع في لحف جبل اللكام بين الشعاب الشرقية لسلسة جبلية تعرف اليوم باسم "قيزيل والأمانوس" وقد شكل هذا الحصن في عصر الحروب الصليبية مفتاح الطريق الواصل بين أنطاكية وقيلقية، وغدا في عصر دولة المماليك أحد الثغور التابعة لنيابة حلب(انظر ابن العمري،التثقيف، ص٢٣٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى،ج٤، ص١٢٢؛ على الغامدي، حصن بغراس ودوره الحربي في عصر الحروب الصليبية، بحث منشور ضمن ندوة الإطار التاريخي للحركة الصليبية التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب في القاهرة في رجب ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ص٢٦١).

([2]) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٤٥.

المماليك[١] ، الأمر الذي زاد في توتر العلاقات المملوكية الأرمينية حيث أصدر السلطان الناصر محمد أوامره إلى نائب حماة بالخروج للمشاركة في هذه الحملة ، فخرجت القوات الحموية في ربيع الأول سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م[٢] ، إلى حلب حيث انضمت إلى القوات المملوكية التي تجمعت هنالك تحت قيادة نائب حلب الأمير الطنبغا ، فأمر بالمسير إلى حارم ومنها توجهوا إلى مملكة أرمينية الصغرى بهدف استرداد تلك الحصون بالقوة، إضافةً إلى إجبار ملكها على معاودة دفع القطيعة المفروضة عليه، إلا أن حدثاً مفاجئاً أدى إلى عدم تمكن الجيش المملوكي من تحقيق هدفه، وذلك بسبب زيادة منسوب مياه جيحان والتي أدت إلى غرق كثير من الجند التركمان المرافق للجيش المملوكي ، والذي كان يعول عليه المماليك الكثير في تحقيق أهدافهم من هذه الحملة ، ومن أجل ذلك اكتفى قائد هذه الحملة بشن غارة خاطفة على العاصمة سيس ، حيث أطلق لجيشه العنان في نهبها ، ومن ثَمَّ أصدر أوامره لجيشه بالعودة إلى حلب مكتفين بما حصلوا عليه من غنائم[٣].

---

(١) كان لسوء الأوضاع الأقتصادية التي مرت بها المملكة الأرمينية من جراء الحملات المملوكية المتكررة على أراضيها، فضلاً عن مشاكلها الداخلية والتزاماتها المالية أمام المغول والمماليك دورٌ في قطع القطيعة عن الأبواب السلطانية (انظر سعيد عبد الفتاح عاشور ، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى ، ص٢٦٨-٢٦٩؛ على إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص١٧١؛ محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون، ص٢٢٨؛عبد الله سعيد الغامدي ، سياسة سلاطين دولة المماليك البحرية إزاء ميناء أياس الأرمني، ص٢٠، ٣٥حاشية ٥٩؛ مشيل بالا،الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، ص٢٦٨-٢٦٩؛ ؛**وليو الخامس** نصب على حكم مملكة أرمينية بعد وفاة أبيه هيثوم وكان عمره عشرة سنوات(انظر أبو الفداء ، المختصر، ج٤، ص٨٨).

(٢) أبو الفداء ، المصدر السابق،ج٤، ص٨٨.

(٣) أبو الفداء، المصدر السابق، ج٤،ص٨٨؛ النويري، نهاية الأرب،ج٣٢، ص٣٢٣-٣٣٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص١٥١؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج٢، ص١٠٦-١٠٧؛ ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج٥، ص٤١٩؛ **والأمير الطنبغا** بن عبد الله الصالحي العلائي ، ممن مماليك الناصر محمد تدرج في الرتب العسكرية حتى أصبح من أمراء الألوف في مصر ، ثم عين نائباً في حلب لمدة ١٣سنة ثم نقل إلى نيابة دمشق ، توفي بالاسكندرية سنة ٧٤٢ هـ(انظر الصفدي، أعيان النصر ، ج١،ص٦٠٠؛ الوافي ، ج٩،ص٣٦؛ المقريزي ، المقفى،ج١،ص٢٨٦؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٣٦؛ ابن تغري بردي ، النجوم ،ج١٠،ص٧٣؛ المنهل ،ج٣،ص٥٣)؛و **حارم:** أحد الحصون المنيعة القريبة من أنطاكية (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٠٥).

ثم لاحت الفرصة للمماليك لإستعادة تلك الحصون ، وكذلك إعادة فرض الإتاوة على مملكة أرمينية الصغرى ، وذلك عندما تعرضت الأخيرة لاعتداء مفاجئ من قبل المغول المتواجدين داخلها ، والتي وصلت إلى أن القائد المغولي أقدم على قتل الملك الأرمني ليو الخامس وابن أخيه الصغير، وهنا وجد الملك الأرمني الجديد أوشين(٧٠٧-٧٢٢هـ/١٣٠٧-١٣٢٢م) فرصة للاستجابة لمطالب مبعوث السلطان الذي وصل إلى مملكة أرمينية الصغرى سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م، حيث خاطب ملك أرمينية رسول السلطان المملوكي بقوله: " إن اختار السلطان أن يقاسمنا على متحصل البلاد، وأن يقرر علينا الجزية عن كل إنسان دينارين حتى على رأس الملك فمن دونه فعلنا ذلك، ويرسل إلينا نوابه يستخرجون ذلك،وإن أحب أن يُسلّم إلى نوابه ما هو قاطع نهر جهان مما يلي المملكة الحلبية من القلاع والبلاد فعلنا ذلك على أن يضع عنا في مقابلة هذه القلاع والأعمال ثلث المال المقرّر،وهو أربعمائة ألف درهم فضة"([1]).

وبذلك لاحت الفرصة للناصر محمد لإعادة بسط نفوذه على مداخل مملكة أرمينية الصغرى، فأرسل البريد إلى ملك الأرمن يطالبه بتقرير الهدنة على تسليم القلاع لنواب السلطان، وفي الوقت ذاته شرع الناصر محمد في مستهل سنة ٧٢٢ هـ/١٣٢٢م، في إنفاذ حملة عسكرية نحو مملكة أرمينية الصغرى، تعمل للضغط على ملك الأرمن لإتمام عملية التسليم، وفي حال تراجع الأرمن عن عرضهم

([1]) النويري، نهاية الأرب، ج٣٣، ص٣٧-٣٨؛ وسبب اعتداء المغول على مملكة إرمينية الصغرى يعود إلى أن مقدم المغول المدعو برلغي كان مسلماً وأراد بناء مسجدٍ في مملكة أرمينية،مما أثار الملك الأرمني فوشى به إلى القان المغولي بخيانة برلغي للمغول وموالاته للمماليك، فما أن علم برلغي أمر الوشاية حتى أقدم على قتل الملك الأرمني وابن أخيه، وما أن علم القان خربندا بمقتل ملك الأرمن حتى طلب مقدم المغول وأمر بقتله عقاباً له على هذه الجريمة (انظر أبو الفداء ، المختصر ،ج٤، ص٥٤؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص٢٦٧)؛ وأما مبعوث السلطان فكان الأمير بدر الدين محمد بن الحاج أبي بكر(أنظر النويري، نهاية الأرب، ج٣٣ ،ص٣٧-٣٨)؛ **وملك الأرمن أوشين بن ليفون** تملك سيس بعد أخيه الذي قتل على يد مقدم المغول برلغي وكان صغير السن ،توفي في سنة ٧٢٢هـ ، بعد غارة المماليك على مملكته،(انظر أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٤٥؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٥٤؛ ابن تغري بردي، المنهل ، ج٣، ص١١٦).

الســابق تهاجم القوات المملوكية الأراضي الأرمينية(1)،وقد أورد المقريزي سبباً أخراً لهذه الحملة بقوله(بل مسيرهم إنما كان لأجل توجه الملك أزبك إلى بلاد أبي سعيد.وكتب بخروج عساكر الشام أيضاً)،والمرجح هو ما ذكره النويري في سبب الحملــة لأمريــن أولاها:لقاء النويري للرسول المملوكي الأمير بدر الدين محمد وأخــذه الخبر عنه، مما يعطي النويري طابع المصداقية والمعاصرة،في حين أن المقريزي كان أبعد عهداً من صاحبه،وثانيها:أن العلاقة المملوكية الإيلخانية كانت تســير نحــو الصلح والمهادنة، فمن المفترض من الجانب المملوكي عدم استثارة الجانــب المغولي وهذا ما كان،حيث اعتذر الناصر عن عقد تحالف عسكري مع دولة المغول الذهبية لتوقيعه الصلح مع دولة إيلخانات فارس،ويمكن التوفيق بين ما ذكــره المؤرخيــن،بأن الممالــيك أرادوا ضرب عصفورين بحجر واحد،استغلال انشــغال دولــة إيلخانات فارس بالجبهة الشمالية مع مغول القفجاق،والاستفادة من سوء العلاقة بين أيلخانية فارس ومملكة أرمينية.

ولكــن لم يلبث هذا الهدف أن تغيَّر بعد وصول أخبار سفارة البابوية إلى دولــة إيلخانات المغول في فارس والعراق من أجل دعم مملكة أرمينية ونصرتها على المماليك، مما استثار السلطنة المملوكية في مصر وحدا بالمماليك إلى تحويلها حملة تأديبية شاملة لأراضي مملكة أرمينية الصغرى(2).

ومــن الملاحــظ بأن هذه الحملة جاءت مختلفة الطابع إذ اســتنفرت فيها القوات الشــامية كاملة بما فيها الحموية إلى جانب العساكر المصرية(3)، كما أنها لم تكن عشوائية الهدف لمجرد الإغارة للسلب والتخريب، حيث حدد هدفها الرامي لفــتح ميــناء أيــاس بتوجيهات السلطان المملوكي، الذي أثبت باختياره بعد أفقه السياســي والاقتصــادي لأنّ أيــاس تعدّ من أهم المرافئ البحرية لمملكة أرمينية

---

(1) النويري،نهاية الأرب،ج٣٣،ص٣٨؛ المقريزي،السلوك،ج٣،ص٥٣.

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث ودارسات في تاريخ العصور الوسطى، ص٢٧٠.

(3) ابن حبيب ، درة الأسلاك ، ج٢،ورقة ١٩٢ب؛ أبو الفداء، المختصر ،ص٩١؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ،ج٢ ، ص ١٢٤؛ المقريزي ،السلوك ،ج٣،ص٥٣.

الصــــغرى، وهـــي بمـــثابة عصب الحياة الاقتصادية لديها، ولهذا فقد نالت أهمية خاصــــة لدى الأرمن تظهر من حجم تحصينهم العسكري لميناء أياس، حيث كان محاطـــاً بـــــ" ثلاثة حصون هي الأطلس والمشمعة والأياس "([1])، ومن أجل ذلك روعـــي حجـم الإعداد والتنظيم لهذه الحملة فجهزت آلات الحصار([2])، وأما أهل أياس فما أن علموا بقرب قوات المماليك من المدينة حتى أخلوا مدينتهم واعتصموا بقلعـــتها ممـــا مكّن جنود المماليك من دخولها إلى دون مقاومة، فضرب المسلمين الحصـــار حول القلعة وشرع النقابون في إحداث الثغرات في سورها، ولما شعر أهلها بقرب سقوطها انتقلوا إلى قلعة الأطلس في وسط البحر فلم يتمكن المسلمون مـــن الـــتقدم نحوها، وقد ساعد سقوط قلعة أياس في يد المماليك على إسقاط قلعة الأطلـــس، في نهار الأحد ٢١ من ربيع الآخر([3])، ثم عادت الجيوش المملوكية بما فـــيها مـــن عسكر حماة إلى قواعدها محملة بالغنائم بعد أن وسعت غاراتها حتى شملت معظم أراضي مملكة أرمينية الصغرى([4]).

وقد نتج عن هذه الحملة إقدام الملك الأرمني على إرسال سفارة سنة ٧٢٣ هـــ/١٣٢٣م، إلى السلطان الناصر محمد بطلب عقد هدنة معه لمد ١٥ سنة، مقابل تعهـــده بدفع نصف دخل المكوس التي تجبى في ميناء أياس، بالإضافة إلى جزية ســـنوية تقدر بخمسين ألف فلورين للسلطنة المملوكية، وتكون سارية المفعول من

([1]) ابن حبيب ، درة الأسلاك، ج٢، ورقة ١٩٢ب؛ومنهم من أطلق عليها أبراج وآخرون سموها قلاع(انظر أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٩١؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٦٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٤، ص٥١٦؛ ابـــن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج٢، ص١٢٤)؛ و**الأيــــاس:** قلعة المدينة وهي تقع على شبة جزيرة بوابتها تطل على البر محمية طبيعياً بالبحر المحيط بها من ثلاث جهات (انظر النويري، نهاية الأرب، ج٣٣، ص٣٨-٣٩؛ القلقشندي، صبح الأعشـــى، ج٤، ص١٣٣)؛ وللتعرف على ما شغله ميناء أياس من أهمية ومكانة (انظر عبد الله سعيد الغامدي، سياسة ســـلاطين دولة المماليك البحرية إزاء ميناء أياس الأرمني، ص٦-٩)؛ و**الأطلس** أو الأطلسي حصن يقع على جزيرة تـــبعد عـــن حصن أياس (رمية ونصف) وقد اعتنى الأرمن بمداخله فطليت أبوابه بالرصاص والحديد ، وبلغ عرض السور١٣ ذراع(انظر ابن كثير ، البداية والنهاية، ج١٤، ص٥١٦ ؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه، ج٢، ص١٢٤).

([2]) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢، ورقة ١٩٢ب؛ أبو الفداء ، المختصر ،ج٤، ص٩١؛ النويري ، نهاية الأرب، ج٣٣، ص٣٨-٣٩؛ ابن كثير ، البداية والنهاية، ج١٤، ص٥١٦؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه،ج٢، ص١٢٤.

([3]) ابن حبيب، درة الأسلاك،ج٢، ورقة ١٩٢ب؛ أبو الفداء،المختصر،ج٤،ص٩١؛ النويري، نهاية الأرب؛ ج٣٣، ص ٣٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٤،ص ٥١٦؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه،ج٢،ص١٢٤؛ المقريزي، السلوك،ج٣،ص٥٤.

([4]) النويري، نهاية الأرب،ج٣٣ ، ص٣٩؛انظر أيضاً ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي،ج٢، ص٢٦٤.

سـنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، في حين يلتزم الناصر محمد بإعادة بناء أياس الذي دمر على يد قواته([1]).

ولكـن هذا الصلح لم يدم طويلاً ، حيث فوجئت مملكة أرمينية بخطر جديد تمـثل في مجابهتها لغارات دولة بني قرمان المتاخمة لحدودها الغربية ، وخاصةً بعـد أن آثـر أحد حكامها التقرب من السلطنة المملوكية بإعلانه التبعية للسلطان الناصـر محمد،فـتمخض عنها توحيد أهداف الدولتين لضرب مملكة أرمينية([2]). حيث عاود المماليك غاراتهم عليها ، ويهمنا منها تلك الحملة التي جردها السلطان بالتعاون مع القرمانيين ضد مملكة أرمينية الصغرى سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م، والتي شـاركت فـيها القوات الحموية بقيادة الأمير صارم الدين أزبك([3])، حيث وصل

([1]) سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص٢٧٠؛ عبد الله سعيد الغامدي ، سياسة سـلاطين دولـة المماليك البحرية إزاء ميناء أياس الأرمني، ص٢٠-٢١؛ **والمكوس**: وهي ضريبة مالية تفرض على السلع الموجودة على أرض الميناء سواء أكانت واردة إليها أم صادرة عنها، وقد كانت تفرض في عهد المماليك على البيوت والحوانيت والخانات الحمامات والأفران والبساتين والطواحين وغيرها، وهي جائرة غير شرعية لأنه لم يرد في كتـب الشريعة نصوص بشأنها ولذلك ألغاها بعض سلاطين المماليك(انظر القلقشندي، صبح الأعشى،ج٣، ص٤٦٦ ؛ محمـد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٣٢٥؛ حصة ناصر المبارك،الناصر محمد بن قلاوون الحياة الاقتصادية في مصر،رسالة علمية لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى،غير مطبوعة،ص١٥٠)؛ **والفلورين**: مـن الإيطالية فيورينوfiorino وهو نقد أجنبي الأصل ، أختلف سعره باختلاف المكان والزمان، ويقال أيضاً الفوريني (انظر الأب انستاس الكرملي، النقود العربية والإسلامية، وعلم النمات، ص١٩٨).

([2]) أطلقت السلطنة المملوكية حملة تأديبية على مملكة أرمينية بقيادة نائب حلب في سنة ٧٣٥هـ، لتجرؤ ملك الأرمن وأصحابه على اعتراض الحامية السلطانية المرافقه لأحد أولاد بني قرمان، الذي عاد من الأراضي المقدسة بعد إتمامه لمناسك فريضة الحج متوجهاً إلى بلاده (انظر ابن حبيب ، درة الأسلاك، ج٢، ورقة ٢٤٣أ ؛ ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج٣، ص٧٦٨؛ابن أيبك ،كنز الدرر،مج٩،ص٣٩٨-٣٩٩)؛ و **بنو قرمان**: هم من الأرمن المسلمين ، ينتسبون إلـى جدهم الكبير نوره صوفي سكن مدينة إلياس ثم قونية ، وقد نال ولده قرمان في عهد السلطان علاء الدين كيقباد السـلجوقي منزلة رفيعة حتى أن السلطان زوجه بأخته وأعطاه إمرة بلاد لارنده، حكم هذه الإمارة ثلاثة عشر أميراً،و شـملت حـدود بـلاد قرمان ما بين أنقرة شمالاً والبحر المتوسط جنوباً وقيصرية شرقاً وقونية غرباً. وقد اتخذوا من أرمناك عاصمه لهم في البدء ثم تحولوا إلى قونية، ومن أهم مدنها لارندا وسيواس وقونية وقرمان وأرمناك، وقد كانت لهم جهود عسكرية في إضعاف مملكة أرمينية الصغرى، وتسهيل عملية قضاء القوات المملوكية عليها(انظر القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ،ج٢، ص٥١١؛ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١٣٤، حاشـية٢؛ زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص٢٣٦؛عبد الكريم غرايبة،العرب والأتراك، ص٢٧١؛محمد سـهيل طقوش،تاريخ المماليك ، ص٣٢٠؛ سيد رضوان على،الإمارات التركية المستقلة في آسيا الصغرى في النصف الأول مـن القرن السابع الهجري، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، إصدار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،ع ٦، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٩٥-٩٦).

([3])ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج٣، ص٩٣٦-٩٣٧؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٣٠٤.

الجيش الحموي إلى حلب في ٢٣ من رمضان من السنة نفسها([1])، وبعد تكامل وصول القوات المملوكية خرجت من حلب في الثاني من شوال إلى مملكة أرمينية الصغرى، وعند وصولهم إلى الأسكندرونه وجدوا الأمير ملطغاى الغزي في انتظارهم وكان قد سبقهم لإعداد الآلات الحربية من المجانيق والجسور والمراكب لعبور نهر جيحان ، للنفاذ إلى مملكة أرمينية وقاعدة ملكهم "سيس"، وفي تلك الأثناء وصلت رسل الملك الأرمني إلى الناصر محمد عن طريق دمياط فرفض الناصر محمد دخولهم عليه متعللاً بعدم اتصالهم بالنائب الدمشقي، ولعل الناصر أراد من وراء هذا الضغط على الملك الأرمني تقديم أقصى ما يمكنه من تنازلات، وفي جميع الأحوال عاد الرسل إلى بلاد الشام لمقابلة النائب الدمشقي الأمير تنكز حاملين معهم هدية لـه من قبل الملك الأرمني، وطلبوا منه كفّ يد القوات المملوكية عن أراضيهم، وفي المقابل أبدوا استعدادهم تسليم جميع القلاع والحصون التي تقع وراء نهر جيحان للناصر محمد، وتعود بذلك الحدود المملوكية الأرمنية إلى ما كانت عليه زمن السلطان لاجين، فأرسل الأمير تنكز إلى الناصر يخبره بذلك، فوافق الناصر على انسحاب القوات المملوكية شرط التزام الأرمن بتسليم الحصون والمدن([2]). وبالفعل فقد وقع الاتفاق على تسليم القلاع والقطيعة وكانت ستمائة ألف درهم([3])، وبالفعل تسلم رسل الناصر أياس والمصيصة ونجيمة و كوبرا والهارونية وسرفندكار وباناس وكوارا والنقير([4]). وشاءت إرادة الله أن

([1]) ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج٣، ص٩٣٧.

([2]) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٢٢٩؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ص ٢٧٢؛ **ودمياط** أحد الموانئ المصرية المطلة على البحر المتوسط ويقع على زاوية بين البحر المالح ونهر النيل (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ، مج٢، ص٤٧٢-٤٧٣).

([3]) ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج٣، ص٩٤١؛ انظر أيضاً الذهبي ، ذيل تاريخ الإسلام، ص٤٢٦.

([4])ابن الجزري،الأنس الجليل، ص٥٣١؛ تاريخ ابن الجزري،ج٣،ص٩٤١؛ الذهبي،ذيل تاريخ الإسلام، ص٤٢٦؛ ابن الوردي،تاريخ ابن الوردي،ج٢،ص٣٠٤؛ ابن كثير،البداية والنهاية،ج١٤،ص٥٩٩؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه،ج٢،ص ٢٧٩؛ ابن دقماق،الجوهر الثمين،ص٣٥٥؛**والهارونية**:حصن صغير بناه هارون الرشيد ١٨٣هـ،ويقع في الجهة الغربية من جبل اللكام(القلقشندي،صبح الأعشى،ج٤،ص١٣٦؛ ابن شحنة،الدر المنتخب،ص١٨٦)؛**والمصيصة**: تقع على الضفة الغربية لنهر جيحان بنيت في خلافة المنصور،وعدت من الثغور الشامية(ياقوت الحموي، المشترك وضعاً،ص ٣١٨، ٣٩٨؛ ابن شحنة،الدر المنتخب، ص١٧٨-١٧٩)؛ **باناس**:ولعلها باياس هو حصن صغير يقع غربي المصيصة وشرقي أنطاكية(ابن العديم،بغية الطلب،ج١،ص١٥٣-١٥٦؛ابن شحنة،الدر المنتخب،ص١٨٨)؛**وكوارا**:ذكرها=

يتوفى قائد العساكر الحموية الأمير صارم الدين أزبك داخل ميناء أياس، فحمل منها ليدفن بحماة، وذلك في شهر ذي الحجة من سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م([1]).

ومما يعجب له أنه مع مقدرة الناصر على إسقاط مملكة أرمينية الصغرى وكثرة الفرص التي لاحت في الأفق لتحقيق ذلك الهدف، إلا أن الناصر آثر استمرارية هذه المملكة على الساحة السياسية مع ما صاحبها من تحجيم لمساحتها وامتدادها، ولعله أراد من ذلك إبقاءها حاجزاً يحفظ حدود بلاد الشام الشمالية والشمالية الغربية من تعديات المغول وغارات التركمان، فضلاً عن كونها لم تعد تشكل خطراً عسكرياً نظراً لما أصابها من وهن. ولعل ما يؤكد هذا أن ضعف المملكة الأرمينية الصغرى وما صاحبها من عجز اقتصادي أقعدها عن الوفاء بالتزاماتها المادية أمام دولة المماليك زمن السلطان الصالح إسماعيل، كان مدعاة لاستنفار القوات المملوكية لمهاجمتها سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣م([2])، حيث خرجت العساكر الحموية والطرابلسية الحلبية نحوها، وكانت القيادة العامة لنائب حلب الأمير أقسنقر، فدخلوا أراضي مملكة أرمنية الصغرى، ووصلوا في غاراتهم حتى أذنه، وكان الأرمن قد انسحبوا إليها واعتصموا بها فتكدست بها الأموال ، وكادت قوات المماليك أن تأخذها إلا أن قائد هذه الحملة تورّع عن ذلك "بأن السلطان ما رسم بأخذها "([3])، وبالتالي أصدر أوامره إلى قواته بالعودة إلى مراكزها([4]).

=القلقشندي باسم (كاورا)،وهي قلعة تقع على جبل يطل على البحر في شمال أياس(ابن العمري،مسالك الأبصار،ج٤، ص٢١٧؛القلقشندي،صبح الأعشى،ج٤،ص١٣٥)؛**وكوبرا والنقير**:لم أجد لهما تعريفاً فيما توفر لي من مصادر اطلعت.

([1])ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج٣، ص٩٣٩؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج٢، ص٤٠٢؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص٢٨٤؛ ابن تغري بردي، المنهل ، ج٢، ص٤٣١؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ،ج١، ص٣٧٧.

([2]) المقريزي،السلوك، ج٣، ص٤٠٢؛ سعيد عبد الفتاح عاشور،بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى،ص٢٧٣

([3]) قاد قوة طرابلس للأمير صلاح الدين يوسف الدوادار(انظر ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي،ج٢،ص٣٢٦-٣٢٧)؛ **وأذنه**: وتعرف أيضاً بأدنه وأطنه،وهي مدينة ببلاد الأرمن قرب المصيصة وتبعدعن طرسوس ١٨ ميلاً،بناها هارون الرشيد على سهل رسوبي خصب يمر به نهر سيحان، فغدت حارسة لمدخل من المداخل المؤدية لهضبة الأناضول(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٣٢-١٣٣؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٤٨-٢٤٩؛ القلقشندي،صبح الأعشى،ج٤، ص١٣٤ ؛صلاح الدين على الشامي وغيره، جغرافية الوطن العربي، ص٥٥٩).

([4]) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي ، ج٢، ص ٣٢٦-٣٢٧؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٤٠٢.

ولـم يحـدث بعد هذا التاريخ أي مشاركة لعسكر نيابة حماة في الحملات اللاحقـة التـي شنها المماليك على مملكة أرمينية الصغرى، ولعل ذلك يعود لعدم وجود الحاجة الماسة لتدخل قوات حماة في الحملات العسكرية المتوجهة نحو هذه المملكة، نظراً لما أصابها من ضعف ووهن، إضافة إلى تنامي قوة النيابة الحلبية، والتـي اضـطلعت بعد ذلك بمهام تسيير الحملات على مملكة أرمينية الصغرى، حـتى توّجـت جهودهمـا بالقضـاء عليها كلياً ، وذلك سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٥م، وأصـبحت بعد هذا التاريخ ضمن ممتلكات سلطنة المماليك حيث خضعت لبعض الوقـت لسـلطان نائب حلب، ثم رأى سلاطين المماليك بأن موقعها المتميز يحتم جعلها نيابة مستقلة أطلق على متوليها "نائب سيس"(١).

دور نيابة حماة في حركة الجهاد ضد الصليبيين في جزر البحر المتوسط «قبرص-أرواد-رودس»

أدى نجاح السلطان الأشرف خليل في استئصال شأفة الصليبيين من ساحل بلاد الشام سنة ٦٩٠هـ/١٢٩٠م، إلى لجوء كثير من جموع الصليبيين إلى جزر الـبحر المتوسـط ، وعلى رأسها أرواد وقبرص ورودس، ولهذا فإنه يبدو لنا أن الملـك الإنجلـيزي ريتشـارد كان محقاً عندما عرج بحملته وهو في طريقة إلى سواحل بلاد الشام سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، ضمن جموع ما عرف بالحملة الصليبية الثالـثة التـي خرجت من الغرب كرد فعل لنجاح صلاح الدين في استرداد بيت المقـدس مـن الصـليبيين سـنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، إذ جعل قبرص ملاذاً للقوى

---

(١) عن جهود نيابة حلب في إضعاف مملكة أرمينية ومن ثَمَّ إسقاطهم لها سنة ٧٧٦هـ(انظر ابن حجر ، إنباء الغمر ، ج١، ص٩٧-٩٩؛ ابـن تغري بردي ، المنهل ج٢، ص٤٥٢؛ النجوم ، ج١١، ص٦٦؛ عادل عبد الحافظ حمزة، نيابة حلب ، ج١، ص١٦٣-١٦٦؛ سعيد عاشور، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى،ص٢٧٧-٢٧٨).

الصليبية حال حدوث مكروه لها في سواحل بلاد الشام،ناهيك عن كونه أراد بذلك أن يوجه لطمة عنيفة لبيزنطة باقتطاع هذه الجزيرة منها([1]).

وعلـــى أي حـــال فعلى الرغم من تطهير بلاد الشام من الاحتلال الصليبي الـــذي استمر جاثماً في المنطقة قرابة قرنين من الزمان، فقد واجه سلاطين دولة المماليــيك ذيول الجموع الصليبية في ثلاثة مراكز هي مملكة أرمينية الصغرى في الطـــرف الجنوبي الغربي لآسيا الصغرى، وكذلك قوى مملكة قبرص التي قويت بعد لجوء عدد كبير من الصليبيين إليها، إضافة إلى فرسان الاسبتارية في رودس، وقـــد لقيـــت هذه الكيانات دعماً مباشراً من قبل المقر البابوي في روما، وخاصةً قبرص، استجابة لنداءات المقر البابوي بضرورة استضافة الصليبيين الهاربين من بلاد الشام إلى أراضيها([2]).

ولـــم يكـــن الـــتزام الملك القبرصي مقتصراً على تقديم الدعم العسكري للأسبتارية فقط،بل شمل ذلك الدعم قوات الداوية التي لجأت من صيدا وأنطرسوس وغـــيرهما إلـــى جزيرة أرواد ، والتي عانت من شح المياه ،مما أضاف عبأً أخر علـــى ملـــك قبرص، يتمثل في إمداد الجزيرة بالمؤن و تسهيل إعمار الجزيرة و

([1]) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٨٧٠-٨٧١، ١٢٢٣؛ قبرص والحروب الصليبية، ص١-٢؛ جوناثان سميث ، الأسبتارية، ص١١١؛ يوشع بروار، عالم الصليبيين ، ص٦١؛ أرنست باكر، الحروب الصليبية،ص ٨٩؛ ميشيل بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني،ص١٩٨؛ إتش-إ- ماير، تاريخ الحملات الصليبية ، ج١، ص ١٩٨.

([2])ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج١، ص٤٦، حاشية ٤؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام، حوادث ٦٩٠هـــ، ص٤٦-٥٠؛ ســعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص و الحروب الصليبية، ص٥٢-٥٣؛ العصر المماليكي، ص ١٣٦؛ جوناثان سيمث، الأســبتارية، ص١٩٧- ١٩٨؛ أنتوني بيردج، تاريخ الحروب الصليبية، ص٢٩٢-٢٩٥؛**الأسبتارية:** تُعد من المنظمات الرهبانـــية الصليبية وكانت بدايتها عبارة عن وكالات تقديم الخدمات للحجاج الصليبيين والأعمال الخيرية الأخرى من تطبيـــب ودفن وعناية بالفقراء ،ثم سرعان ما توسعت أهدافها لتشتمل على المشاركة في الحروب العسكرية، فغدت من المؤسسات الرهبانية العسكرية المتطورة والمصاحبة للحملات العسكرية، وقد استحوذت هذه المنظمة على عدد هائل من الممتلكات والإقطاعات، كما حصلت على الكثير من الامتيازات داخل الإمارات الصليبي، للمزيد من التفصيل عن تلك الأســبتارية وغيرها من المنظمات الرهبانية(انظر يوحنا فورزبورغ، وصف الأراضي المقدسة في فلسطين ،ص٥٢؛ يوشـــع بـــراور، الأستيطان في فلسطين مملكة بيت المقدس ص١٦٤-١٦٥؛ عالم الصليبيين،ص١٤٢؛ نورمان .ف. كانتور، التاريخ الوسيط، ج٢، ص٥٢٠؛ جوناثان ريلي سميث، ما لحروب الصليبية، ص١٠١-١٠٣).

تحصينها وزيادة الدفاعات بها، والتي يمكن أن ندرك حجمها من مدى ما تمتعت به تلك الفرقة من ثراء وغنى بسبب حجم المساعدات التي قدمها ملك قبرص([1])، وذلـك ليتسنى لفرقة الداوية استئناف حملاتها الصليبية ضد المسلمين في سواحل بلاد الشام([2]).

عـاود الداوية بُعيد استقرارها في أرواد نشاطهم الصليبي، فشنوا هجمات متكررة علـى سـواحل بلاد الشام. مما دعا نائب طرابلس للكتابة إلى السلطان الناصـر محمد بن قلاوون في سنة ٧٠١ هـ/١٣٠١م ، يخبره بذلك، وأنه شرع فـي إعـداد مراكب لغزو تلك الجزيرة ، فاصدر السلطان أوامره بعمارة أربعة شواني دعماً منه لفكرة نائب طرابلس لمهاجمة جزيرة أرواد([3]).

ومـا أن اكـتمل تجهيز الشواني في المحرم من السنة التالية حتى خرجت صـوب الساحل الشامي بقيادة الأمير كهرداش الزراق المنصوري([4]) ،وبوصوله

([1]) الذهبي، تاريخ الإسلام،حوادث ٦٩٠هـ،ص٥٢؛ المقريزي، السلوك،ج٢،ص٣٤٨؛ ابن حجر،الدرر الكامنة،ج٣،ص ٣٥٦؛ النويري السكندري،الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقتضية في وقعة الإسكندرية، ج٤، ص١٢٤ ؛ العينـي،عقد الجمان،ج٤، ص ١٨٨؛ للتعرف على مدى ما وصلت له الداوية من ثراء(انظر محمد مؤنس عوض ، الرحالة الأوربيون، ص١٨٢-١٨٣؛ أنتوني بيروج، تاريخ الحروب الصليبية، ص٢٩٥؛ نورمان ف٠كانتون، التاريخ الوسيط، ج٢، ص٥٢٠-٥٢١).

([2]) أورد البعض بأن الأسبتارية هم الذين نزلوا على جزيرة أرواد ولكن الأقرب للصواب بأن الداوية هم من استوطنوا هـذه الجزيرة لأن أنطرسوس التي ورد اسمها في بعض المصادر الإسلامية على أنها مضخة للمستعمرين الصليبيين على أرواد كانت من مستعمرات الداوية(انظر الذهبي ، تاريخ الإسلام ، حوادث ٦٩٠هـ،ص٥٢؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٤٨؛ ابـن حجر، الدررالكامنة،ج٣،ص٣٥٦؛ النويري السكندري، الإلمام، ج٤، ص١٢٤؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٢٧٨؛ تاريخ طرابلس، ص٣٣٨؛ أستفن رنسيمان ، تاريخ الحروب الصليبية، ج٣، ص٧١٧؛ أنتوني بيردج، تاريخ الحروب الصليبية، ص٢٩٥؛ جوناثان رايلي سميث، الأسبتارية، ص١٩٨).

([3]) المقريزي،السلوك،ج٢، ص٣٤٨؛ ذكر العيني عملية فتح أرواد ضمن حوادث سنة ٧٠١هـ(انظر عقد الجمان،ج٤، ١٨٤؛**والشواني:** جمع ومفردها مختلف فيه ما بين شين وشاني وشينية وشونة،هي من أكبر القطع البحرية في الأسطول الإسـلامي وأهمهـا لأنهـا الحاملة للمقاتلين الذين يصل متوسط عددهم ١٥٠ رجلاً،ويمتاز الشيني بتطور دفاعاته من الأبراج والقلاع المبنية على ظهره(النويري السكندري،الإلمام،ج٢،ص٢٣٣؛ الصيرفي،نزهة النفوس،ج٣،ص٧٩،حاشية ٣؛سعاد ماهر،البحرية في مصر الإسلامية، ص٣٥٢؛ درويش النخيلي،السفن الإسلامية على حروف المعجم، ص٨٣).

([4])بيـبرس المنصـوري، زبدة الفكرة، ص٣٦٦؛ المقريزي،السلوك،ج٢،ص٣٥٤؛علي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص١٨٢؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة صيدا، ص١٦٩؛و **كهرداش الزراق المنصوري** عمل في بداية حياته على النفط ثم تولى عمارة المأذنة المنصورية سنة ٧٠٢هـ،وبعدها خرج لغزو أرواد، ثم استقر أميراً في دمشق حتى توفي سنة ٧١٤هـ، وهو بذلك يعد نموذجاً لتعدد المهام الملقاة على الأمير المملوكي، وأنها لم تقتصر على الناحية العسكرية، بل تعدتها إلى المجال العمراني وكذلك الحضاري(انظر ابن حجر،الدر الكامنة،ج٣،ص٣٥٥-٣٥٦).

طـــرابلس انضم إليه نائبها الأمير أسندمر الكرجي ومن معه من جنود ومطوعه- ولا يستبعد أن تكون عساكر نيابة حماة قد خرجت للمشاركة في هذه الحملة لكونها أقـــرب مدن الشام الداخلية لطرابلس- وقد أبحر الأسطول المملوكي صوب أرواد يتقدمهم الأمير أسندمر الكرجي فرست مراكبه أمام البر الشرقي للجزيرة في الثاني مـــن شـــهر صـــفر، فتفاجأ الصليبيون الذين هرعوا صوب مراكبهم طلباً للفرار، ولكـــنهم لـــم يُمكنوا من ذلك، فبعد أن تمّ إنزال الجند على شاطئ الجزيرة احتدم القـــتال بيـــن الطرفيـــن، فلم تتمكن تحصينات الداوية من دفع عناصر الأسطول الـــبحري لدولـــة المماليك عن إنزال الهزيمة بهم، ومن ثَمَّ السيطرة على جزيرة أرواد،ثم عادت قطع الأسطول المملوكي إلى قواعدها محملة بالغنائم والأسرى([١]).

ومـــا أن آل مُلْك قبرص لبطرس الأول لوزجنان(٧٥١-٧٦١هـــ/١٣٥٠-١٣٦٩م)،حتى أخذ الملك الجديد يتطلع لبناء مجده العسكري بهدف مزاحمة ملوك أوربـــا على زعامة الحروب الصليبية، فتراءى لـــه أن أسهل الطرق لبلوغ مأربه هو الدعوة لإطلاق حملة صليبية جديدة تضرب السواحل المملوكية، ويبدو أن فشل غارتـــيه علـــى السواحل الشامية والتي كانت في عامي ٧٥٦-٧٥٧هـــ/١٣٥٠-١٣٥١م([٢])، عـــزّزت فكـــرة قـــيامه برحلة نحو الغرب الأوربي للحصول على الموافقـــة الـــبابوية وجمـــع المساعدات المادية والعسكرية من ملوك أوربا، الذين أدركـــوا الأطمـــاع الشخصـــية لبطرس،فـــبدا لهم عدم مشاركتهم في هذه الحملة والاكـــتفاء بإرســـال بعضاً من قطعهم البحرية المحملة بالجنود والمؤن([٣])، حيث

([١]) بيـــبرس المنصوري، التحفة المملوكية،ص١٦٣؛ زبدة الفكرة، ص٣٦٦؛ الذهبي، دول الإسلام،ج٢،ص٢٠٧؛ ابن كثير، البداية والنهاية،ج١٤، ص٤٢٩؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه،ج١، ص٢٥٢-٢٥٣؛ المقريزي،السلوك،ج٢، ص٣٤٨؛ الـــنويري الســـكندري، الإلمـــام ،ج٤، ص١٢٤؛ العيني، عقد الجمان،ج٤،ص١٨٧-١٨٨؛ علي إبراهيم حسن،تاريخ المماليك البحرية، ص١٨٢.

([٢]) ويـــبدوا أن جمهورية البندقية لم تكن ترغب في تصعيد حدة التوتر بينها وبين الكنيسة في روما، مما دعاها لاتخاذ سياســـية الكـــيل بمكيالين وازدواجية التعامل مع الكنيسة الكاثوليكية بروما والسلطنة المملوكية في مصر حيث بادرت بتقديم الدعم المادي لتلك الغارتين،ثم أعقبها خطبتها لود سلطنةالمماليك،وذلك بسعيها لتوقيع معاهدة تجارية في عام ٧٦٣ هـــ/١٣٦١م للمزيد(انظر ابن حبيب،تذكرة النبيه،ج٣،ص١٩٨؛عفاف صبره،العلاقات بين الشرق والغرب،ص٦٦-٦٧)

([٣]) عبد الرحمن زكي، الجيش المصري،ج٢،ص١١٢؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية،ص٥٧؛ عفاف صبره، العلاقات بين الشرق والغرب،ص٦٧-٦٨؛ أستفن رنسيمان،تاريخ الحروب الصليبية،ج٣،ص٧٤٠-٧٤٢

توافـــدت وصول السفن الصليبية إلى جزيرة رودس ، وذلك في مطلع سنة ٧٦٧ هـــــ/١٣٦٥م، والتـــي كـــان بطـــرس في انتظارهم هناك بنفسه، وبعد أن أكمل اســـتعداداته برودس، بأن استدعى قواته بقبرص إليها، أصدر أوامره لهذه القوات بـــأن تـــتجه لمهاجمـــة ثغر الإسكندرية ، حيث تمكنت من اقتحام المدينة في يوم الجمعـــة مـــن شهر صفر سنة ٧٦٧هـــ/أكتوبر ١٣٦٥م، خلال أداء أهلها لصلاة الجمعـــة ، وعـــاث رجالهـــا في المدينة سلباً ونهباً، ثم انسحبوا عنها مكتفين بما حصلوا عليه من الغنائم والأسرى([١]).

فكـــان لهـــذه الحملـــة أبعادها السياسية والعسكرية على المنطقة بشكل عام وعلـــى ملـــك قبرص الصليبي بشكل خاص، أما الأولى فقد ظهرت بصورة جلية تقســـيم الأدوار فيما بين قبرص ورودس، حيث تصدرت قبرص دور الريادة في إحـــياء فكرة الحملات الصليبية في حين غدت رودس محط تجمع القوى الصليبية بعـــد أن أصبحت الحليف المخلص للملك القبرصي([٢])، أما بطرس لوزجنان فعلى الـــرغم مـــن نشوة الانتصار التي أحاطت به، وهالة الإكبار التي وصل إليها في العـــالم الصـــليبي بعد غارته على الإسكندرية([٣]) إلا أن الخوف قد خالجه من ردة فعـــل المماليك، ولهذا أراد تغطية ذلك الشعور بتسديد ضربة أخرى تكون دفاعية أكـــثر من كونها هجومية، تعمل على تشتيت وشل الصفوف المملوكية فاختار بأن يكـــون هدفـــه القـــادم بـــيروت، ولكن تدخل البنادقة حال دون ذلك لتعارضه مع مصـــالحهم الاقتصـــادية، إلا أن ذلك لم يمنع السلطان الأشرف شعبان من إصدار

([١]) للوقوف على تفصيلات هذه الغارة التي تباينت أراء بعض المؤرخين في عدد القطع البحرية المشتركة في الحملة الصـــليبية والمرجح بأنها ١٦٥سفينة لإجماع البعض(انظر ابن كثير،البدايةوالنهاية،ج١٤،ص٧٥٤؛النويري السكندري، الإلمام،ج٥،ص٧٧؛القلقشندي،مآثر الأنافة في معالم الخلافة،ج٢،ص١٦٨-١٦٩؛ابن تغري بردي،النجوم،ج١٠،ص٢٩؛ أســـتيفن رنسيمان،تاريخ الحروب الصليبية، ج٣،ص ٧٤٣-٧٥١؛سهير محمد نعينع،الحروب الصليبية المتأخرة،حملة بطرس الأول لوزجنان على الإسكندرية،ص١٢٣-وما بعدها؛عبد الرحمن زكي،الجيش المصري،ج٢،ص١١٣).

([٢]) خاشع المعاضيدي، تاريخ الوطن العربي،ص٢٨٠؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية ،ص٧١؛ الحركة الصليبية، ج٢، ص١٢٣٤.

([٣])خاشع المعاضيدي، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، ص٢٨٠؛ عبد الرحمن زكي،الجيش المصري، ج٢، ص ١٢٨؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص ٧١.

مرســوم في ربيع الأول سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م، قضى بقطع الأخشاب من غابات البلاد الشامية لعمل الشواني استعداداً لغزو قبرص، ثم أعقب ذلك تجميد العلاقات التجارية مع البندقية ومصادرة بضائع السفن التجارية القادمة منها في جميع موانئ الشـام ومصـر حـتى إشعار آخر(١)، الأمر الذي دعا البنادقة للضغط على ملك قـبرص للإذعان لشروط الصلح التي أملتها الأبواب السلطانية على وفد البنادقة، والتـي نصـت على إطلاق أسرى المسلمين الذين أخذوا من الإسكندرية، فوافق بطـرس علـى إعادة ما لديه في جزيرة قبرص من أسرى المسلمين، فكان لذلك الخـبر ما أنقص شعبية الملك القبرصي لدى الغرب الأوربي وفي مقدمتهم المقر البابوي في روما التي بادرت بخلع يدها من تقديم المساعدات لقبرص(٢).

وما أن علم سلطان المماليك بموقف المقر البابوي وملوك غرب أوربا من بطـرس لوزجنان، حتى أوقف مفاوضات الصلح مع قبرص، فأدرك بطرس بأنه خـدع من قبل السلطنة والبنادقة، فأخذ يعدّ العدة لشنّ ضربة جديدة ضد السواحل المملوكية، ووقع اختياره في هذه المرة على طرابلس لأنها أحد أقرب مدن الساحل إلى قبرص(٣)، حيث استغل بطرس وحلفاؤه أسبتارية رودس اضطراب الأوضاع الداخلية الطارئ في دولة المماليك ، فهاجموا طرابلس على حين غرة من أهلها ، وذلـك فـي الأول مـن المحـرم سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٦م،وقد ضربت رياح قوية الأسـطول الصليبي فمزقته، ولم يصل منه إلى الشاطئ الطرابلسي سوى مراكب

---

(١) انظـر ابـن كثـير، الـبداية والـنهاية ، ج١٤، ص٧٤٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٣٠؛عبد الرحمن زكي،الجـيش المصـري، ج٢، ص١٢٨؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص ٧١؛ **والبندقية:** فينـيزيا Veneziaتقـع شـمالي شرقي إيطاليا على البحر الإدرادياتيكي، وهي عبارة عن مجموعة من جزر وقد أمتد سلطاتها في القرن العاشر إلى الشاطئ الشرقي لبحر الادرياتيكي فشمل الساحل اليوكوسلاقي والبانيا وجزءاً من اليونان وبعض جزر بحر إيجه(انظر محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١٦٣،حاشية٢).

(٢) سـعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص٧١-٧٢؛ عبد الرحمن زكي ، الجيش المصري، ج٢، ص١٢٩؛ عفاف صبره، العلاقات بين الشرق والغرب ، ص٧٥؛ محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون، ص٢٥٢-٢٥٣؛ لتعرف على مجريات أحداث السفارة القبرصية لدولة المماليك (انظر المقريزي، السلوك، ج٤، ص٢٩١).

(٣) انظر النويري السكندري، الإلمام،ج٥، ص٨٤؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص٧٢.

الصـــيد، والتي ظلت مرابطة أمام ساحل المدينة قرابة ١٢ يوماً، ثم اضطرت إلى الانسحاب عند تعذر وصول بقية قطع الأسطول الصليبي([1]).

ثـــم كـــرر بطرس وحلفاؤه الأسبتارية في رودس هجومهم على طرابلس، ولكـــن فـــي هذه المرة بدعم من جهات صليبية عدة([2]). ويبدو أن أجهزة التجسس التي امتلكتها الأسبتارية([3])، ساعدت في نقل صورة واضحة المعالم لأوضاع نيابة طـــرابلس، حيث أبحرت قطع صليبية نحو طرابلس مستغلين غياب نائبها وظهروا أمـــام طـــرابلس في ٢٢ المحرم من سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٦م، ونشب على أثر ذلك معـــركة عنـــيفة في شوارع المدينة نتج عنها نهب للبيوت والأسواق وقتل أعداد كبـــيرة مـــن الطرفين([4])، إلا أن وصول الإمدادات إلى طرابلس من جميع نيابات الشـــام، ومـــنها بطبـــيعة الحـــال نيابة حماة أجبرت بطرس على الانسحاب عن طرابلس([5]).

ويـــبدو أن ملك قبرص عندما أدرك عجزه التام عن مواصلة هجماته على موانـــئ بلاد الشام ومصر، عمد إلى السماح لبعض قراصنة البحر الصليبيين ، في جعـــل جزيـــرة قبرص منطلقاً لعمليات القرصنة التي أخذوا يشنونها على سواحل الشـــام بهـــدف النهب والسلب، ثم العودة إلى الجزيرة، كما حدث سنتي ٧٨٠هـــ/

([1]) النويري السكندري، الإلمام ، ج٥، ص٨٤-٨٥؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، قبرص والحروب الصليبية، ص٧٢.

([2]) مـــن الذيـــن قدموا الدعم أهالي جنوة والبندقية وكريت وأيضاً الفرنسيون والهنجاريون وحلفاء القبارصة أسبتارية رودس (انظرالسيد عبد العزيز سالم، تاريخ الأيوبين والمماليك، ص٢٨٢؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص٧٣؛ محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص٢٨٢).

([3]) خاشع المعاضيدي، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، ص٢٨٢.

([4]) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٣، ص٣١٢؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص٣١١؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١١، ص ٥٢-٥٣؛ السخاوي، الذيل التام، ج١، ص٢٢٥-٢٢٦؛ السيد عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام، ص٣٤٨-٣٤٩.

([5]) انظـــر ابـــن العراقـــي، ذيل العبر ، ق١، ص٢٣٣؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١١، ص٥٣؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص٧٣- ٧٧.

١٣٧٨م، و ٧٨٤هـ/١٣٨٢م([1])، وكذلك تلك الغارة التي شنها بعض قراصنة قبرص ورودس على مدينة الأسكندرية في سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م([2]).

وعندما اعتلى عرش السلطنة المملوكية في مصر السلطان الأشرف برسباي سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م، والذي نجح إلى حدّ كبير في إعادة الأمور إلى نصابها الصحيح داخل السلطنة. وجّه جهوده نحو الجهاد الشامل ضد الوجود الصليبي في قبرص ، حيث استغل تجرؤ الأسطول القبرصي على مهاجمة ثغر دمياط في شهر رجب من سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٤م ([3]). فأصدر أوامره إلى قطع الأسطول المملوكي في سواحل مصر والشام بالتجمع أمام ساحل مدينة طرابلس، وذلك في شعبان من السنة نفسها، حيث استقبلت طرابلس المجاهدين الذين توافدوا عليها بناء على أوامر السلطان برسباي من كلّ النيابات الشامية، وفي مقدمتها نيابة حماة التي خرج معظم أهلها تطوعاً للجهاد ضد الصليبيين في قبرص، وباجتماع القوات المملوكية في طرابلس، أبحر الأسطول صوب جزيرة قبرص حيث ظهر أمام برها الغربي في يوم الأحد ٢٠ رمضان من ذات العام([4]).

وقد تباينت أقوال بعض المؤرخين حول عملية إنزال المجاهدين المسلمين على الأراضي القبرصية، فمنهم من قال بأنها تمت على أرض "الماغوصة، فأضافهم متملكها، فلم يتعرضوا لبلاده، ومضوا عنه إلى بلاد يقال لها اللمسون من

([1])ابن حجر ، أنباء الغمر، ج١، ص٢٦٨؛ المقريزي، السلوك، ج٥،ص٥٠؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص٢٧٨؛ السيد عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام، ص٣٥١-٣٥٢؛ خاشع المعاضيدي ، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، ص٢٨١ ؛ عصام محمد شبارو، السلاطين في المشرق العربي،المماليك، ص ١٠١- ١٠٢ .

([2]) أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص٢٢ ،٢٦ .

([3])المقريزي، السلوك، ج٧، ص٩٩؛غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٣٨؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٤، ص٢٦٦؛ انظر كذلك؛ السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الأسكندرية وحضارتها ، ص٣٨٨؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية ، ص٨٩.

([4])المقريزي ، السلوك ،ج٧،ص١٠٠-١٠٣؛ ابن تغري بردي ، النجوم ،ج١٤، ص٢٧٠-٢٧٩؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٧٧؛ أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص٣٣٠.

جزيرة قبرس"([1])، في حين أن البعض الأخر ذكر بأنهم نزلوا في "رأس الياق من جزيـرة قـبرص فوجدوا مركباً موسوقاً فهرب من به فأخذوا ما فيه وأحرقوه ثم وصـلوا إلى اللمسون"([2]). ورغم أن هذه الروايات ركّزت على وصف المعركة التـي دارت رحاهـا فـي ميـناء اللمسون فإن الرواية الأولى هي الأقرب إلى الصـواب،لأن قائلهـا مـن المعاصـرين للحملة، وأن روايته قد تبناها عدد من المؤرخين([3]).

ثـم بدأ الأسطول المملوكي عملية استكشاف في سواحل الجزيرة، تعرض خلالهـا لـريح عاتية عصفت ببعض سفنه، ولكن سرعان ما تمكن الأسطول من الالـتحام ،وأكمل سيره([4])، حيث تجاوز اللمسون، فوصل إلى رأس الياق القريبة مـنها، فهـاجم رجالـه سـفن العدو الراسية على الساحل([5])، ثم عادوا لمهاجمة اللمسون فاعترضتهم ثلاثة أغربة لمنعهم من التقدم، فتمكنوا من إحراقها، ووجدوا أهـل اللمسـون قد استعدوا للدفاع عن مدينتهم([6])، فدار قتال عنيف بين الطرفين

([1]) المقريزي،السـلوك،ج٧،ص١٠٣،وخالف ابن تغري بردي والسخاوي رواية المقريزي فذكروا بأن المسلمين نهبوا المدينة(انظر،النجوم،ج١٤،ص٢٧٩؛السخاوي،وجيز الكلام،ج٢،ص٤٧٩)؛و**الماغوصة**:Famagosta مدينة قبرصية تقع على ساحل الجزيرة الشرقي وتتمتع بحكمٍ ذاتي ولهاعدة أسماء منها المراعش وفاما جوستا(انظر المقريزي ،السلوك،ج٧ ، ص١٠٣،حاشـية ٢؛ ابن حجر، إنباء الغمر،ص١٠٠؛ ابن تغري بردي،النجوم،ج١٢،ص٢٣٤،حاشية٣،ج١٤،ص٢٧٠،حاشية ٢؛ فولفغانغ مولر – فيز،القلاع الصليبية،ص١٢٠-١٢١)؛و**اللمسون** وتعرف بـ(**ليماسول**):ميناء بحري هام يقـع علـى ساحل الجزيرة الجنوبي محمي بقلعة حصينة(انظرغرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٣٨؛ المقريزي، السلوك،ج٧، ص١٠٣، حاشية٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٧٠، حاشية٣).

([2])غرس الدين الظاهري،زبدة كشف الممالك، ص١٣٨؛و**رأس الياق**: ويقع جنوب اللمسون، (انظر الملحق رقم ٥)

([3]) المقريـزي ، السلوك، ج٧، ص١٠٣؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٤، ص٢٧٩؛ السخاوي، الذيل التام، حوادث وتراجم ٧٤٥-٨٥٠هـ، ص٥٣٥ ؛ إبراهيم على طوخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص١٠٠؛ عصام شبارو ، السلاطين في المشرق العربي ، ص١٠٣.

([4]) سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص٩٠.

([5]) غرس الدين الظاهري ، زبدة كشف الممالك، ص١٣٨.

([6])المقريزي، السلوك،ج٧، ص١٠٣؛ غرس الدين الظاهري،كشف زبدة الممالك، ص١٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٧٠؛ سـعيد عـبد الفـتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص٩٠-٩١؛ عبد الرحمن زكي، الجيش المصـري ، ج٢، ص١٥٧؛ **والأغربة**: ومفردها غراب وهو نوع من القطع البحرية المستخدم في الأسطول العسكري والـذي يشترك من الشيني في حمل المقاتلين، ولكن الغراب مزود بجسر خشبي يتصل بمراكب العدو لإنزال المقاتلين على ظهر مراكب العدو ليحول الحرب البحرية لبرية (انظر إبراهيم أحمد العدوي، قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط،ص١٦٧؛ سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص٣٦٠-٣٩٩؛ درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، ص١٠٤-١١٢).

انـــتهى بهـــزيمة حاكم اللمسون، وإحراق مدينته ونهبها، إلا أنه تعذر على الجيش المملوكـــي اقـــتحام حصنها المنيع، وعندما رأوا بأن اقتحامه سيتطلب مدة أطول فضلوا عدم الاستمرار في حصاره، وعاد الجيش المملوكي إلى قواعده في سواحل الشام ومصر محملاً بالغنائم والأسرى([1]).

ويـــبدو أن السـلطان برسـباي قصد بهذا الانسحاب إعادة تنظيم أسطوله، وزيادة قطعه البحرية، حيث أصدر أوامره إلى دار الصناعة ببولاق والإسكندرية ودمـــياط ببناء سفن جديدة([2])، تحت إشرافه الشخصي([3])، كما أمر نائب طرابلس بعمـــارة حمالـــة([4])، وأما بيروت فصنعت حمالة وغرابين([5])، وفي غضون ذلك جـاءت الأخـبار بأن ملك قبرص أعدّ سفناً للإغارة على السواحل المملوكية([6])، فأصـــدر السـلطان أوامــره "بتركـيز الجـند في السواحل حفظا لها من عادية الفــرنج"([7])، حيــث توافــدت القوات الشامية ، ومنها نيابة حماة التي كانت تعدّ الأقــرب إلـــى طــرابلس لمواجهة هذا الخطر الذي ظهرت طلائعه برسو غراب وسـلورة صـليبية أمام ساحل صور، فتمكن المسلمون من دفعها عنها،و أجبروا رجالها على الإبحار نحو جبله، انتظاراً لوصول بقية قطع الأسطول الصليبي، ثم

([1])المقريزي، السلوك، ج٧، ص١٠٣؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤،ص٢٧٠؛ الصـيرفي، نزهة النفوس، ج٣،ص٧٧؛ انظر كذلك السخاوي، الذيل التام، حوادث ٧٤٥-٨٥٠، ص ٥٣٥ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص في الحروب الصليبية، ص٩١؛ عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج٢،ص ١٥٧؛ أحمـد دراج، المماليك والفرنج، ص١٠٠؛ عصام شبارو،السلاطين في المشرق العربي، ص١٠٣؛ ناجلا محمد عبد النبي، مصر والبندقية،العلاقات السياسية والاقتصادية في عصر المماليك، ص٨٤.

([2]) المقريزي ،السلوك،ج٧، ص١١٢.

([3]) سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص٩٢؛عبد الرحمن زكي، الجيش المصري،ج٢، ص١٥٨ .

([4]) أسـطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٣٤٦؛ أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص٣٣١؛ **وحمالة :** مخصصـة لـنقل مؤن الأسطول العسكري(انظر سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص٣٤٢ ؛ إبراهيم أحمد العدوي، قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط، ص١٦٨).

([5]) أبن حجر ، إنباء الغمر، ج٨، ص٧١؛ أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص٣٣١؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص٩٤.

([6]) المقريـزي ، السلوك، ج٧، ص١١٣؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٧١؛ غرس الدين الظاهري ، كشف زبدة الممالك، ص ١٣٩.

([7]) ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٨، ص٧١.

وقـــع صدام كبير بين الطرفين عند مصب نهر الكلب، حيث اجتاح مقاتلوا الفرنج مياهه، وكان جند المماليك قد كمنوا لهم، وما أن دخلت السلورة النهر حتى انقض علـــيها الكمين، فأحرقوا المراكب وأسروا من كان عليها، أما الغراب فطفق عائداً نحو قبرص لا يلوي على شيء([1]).

ويـــبدوا أن هـــذا الاعتداء الصليبي على سواحل الشام قد تزامن مع تكامل أعـــداد سفن الأسطول المملوكي، ولهذا بادر السلطان بإعلان النفير العام للجهاد فـــي الأراضـــي المصرية وبلاد الشام، فاستجاب لندائه عددٌ كبير من أهل الشام ومصر الذين خرجوا للجهاد تطوعاً مع العسكر النظامي، حيث أسند برسباي قيادة الأسطول إلىالأمير جرباش الكريمي ومعه عدد من الأمراء([2]).

أما طرابلس وبيروت فقد اكتظتا بالمجاهدين الذين ووفدوا عليهما من سائر بلاد الشام بما فيها حماة، وظلوا منتظرين وصول الأسطول المصري الذي خرج مـــن ساحل دمياط صوب الساحل الشامي، فمر ببيروت نقطة اجتماع السفن التي صنعت في دور الصناعة بالشام، ومن ثم انطلقوا صوب طرابلس([3]).

وبعـــد تكـــامل تجهيزات الأسطول المملوكي بدأ رحلة إبحاره نحو جزيرة قبرص في يوم الاثنين ١٤ من رمضان، فوصل برها الغربي في يوم الجمعة ١٨

([1])المقريزي، السلوك، ج٧، ص١١٤-١١٥؛ ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٨، ص٧١؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٣٩؛ **وسلورة:** من القطع البحرية المتوسطة الحجم لها ثلاثة أشرعة وأربعين مجداف ، و تمتاز بسرعتها ومرونـــتها فـــي المـــناورات البحرية للقطع الكبيرة ،وأن استعمالاتها لا يقتصر على المجال العسكري (انظر النويري الســكندري، الإلمـــام، ج٢، ص٢٣٥؛ ســعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية، ص٣٤٧؛ درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، ص٦٦).

([2])المقريـــزي ، الســـلوك، ج٧، ص١٢١؛ ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٨، ص٧١؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممـــالك، ص١٣٩-١٤٠؛ابن تغري بردي ، المنهل ، ج٣، ص٢٦٢-٢٦٣؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٣، ص٧٧؛ **وجرباش الكريمي الظاهري برقوق:** ويعرف بالقشق أو العاشق، وهو أمير سلاح الملك الظاهر وحموه، توفي بطالاً في دارة بالقاهـــرة، وقـــد اخـــتلف فـــي تاريخ وفاته بين ٨٦٠-٨٦١هـــ(انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج٤،ص٢٥٦؛ السخاوي ،الضوء اللامع ،ج٣، ص٦٦).

([3]) ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٨، ص٧٢؛ الصيرفي، نزهة النفوس،ج٣، ص٧٨.

من ذات الشهر، ونزلت عناصر القوات المملوكية على الماغوصة يوم السبت ١٩ رمضـــان([1])، بعـــد أن تبين لهم ضعف هذه المنطقة وعجزها عن المقاومة ، مما سيســـهل علـــيهم عملية إنزال المجاهدين، الذين باشروا بنصب خيامهم عليها بعد نزولهم، وعندما علم متملكها بأمرهم أعلن رضوخه للقوات المملوكية، وأفصح لهم عن استعدادات الملك القبرصي التي اتخذها لدفع المماليك عن أراضيه([2]).

وفـــي صبيحة اليوم التالي أخذت القوات المملوكية في الإغارة على القسم الغربـــي من الجزيرة، واستمر ذلك ٣ أيام([3])، حيث اشتبكت القوات المملوكية مع فرقة حربية يقودها أخو ملك قبرص، ألحقت به هزيمة سريعة أجبرته على الفرار إلى الداخل([4]).

وفـــي يـــوم الأربعاء ٢٤ من الشهر نفسه، قسم القائد المملوكي جيشه إلى قســـمين، قسم ظل مرابطاً على الشاطئ يراقب تحركات القبارصة داخل المدينة، وكـــان يـــتألف من ٤٠٠ راجل، والثاني عاد إلى السفن لحماية ظهر المقاتلين في البر([5])، ولعله أراد التمويه على العدو لاستدراج الصليبيين إلى مكان محايدة بعيد عـــن اللمســـون ذات الحصـــن المنـــيع، وحدث ما تمناه حيث أمر الملك أسطوله بالخـــروج صـــوب رأس العجوز، التي كان رجال الأسطول المملوكي قد تجمعوا أمامهـــا([6])، ورغـــم أن الملـــك القبرصـــي قد وضع خطته على أساس استدراج

([1]) الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٣، ص٧٨.

([2]) المقريـــزي، الســـلوك، ج٧، ص١٢١؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٧٢؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممـــالك، ص١٩٠؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٤، ص٢٧٨؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٤٨٤؛ الذيل التام، حوادث ٧٤٥-٨٥٠هـــ، ص٥٤٠.

([3])المقريزي،السلوك،ج٧،ص١٢٠-١٢١؛ ابن تغري بردي،النجوم،ج١٤،ص٢٧٨؛الصيرفي،نزهة النفوس،ج٣،ص٧٨.

([4]) ابـــن حجـــر ، إنباء الغمر، ج٨، ص٧٢؛ ذكر الصيرفي بأنه قد دارت معركة بين الطرفين أسفرت عن استشهاد مسلمين ومقتل وجرح عدد من الصليبيين، نزهة النفوس، ج٣، ص٧٩.

([5]) المقريزي، السلوك، ج٧، ص١٢١.

([6]) ابـــن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٧٢؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٩٠؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ١٤، ص٢٧٩؛ **وراس العجوز**: ويقع بين الماغوصة واللمسون على شاطئ قبرص الجنوبي(انظر الملحق رقم ٥).

الأسـطول المملوكي لمعركة بحرية ظناً منه أن ميزان القوى سيكون في صالحه، إذا ما شعر المماليك بالهزيمة، وآثروا الانسحاب إلى الشاطئ، فتكون قواته البرية فـي انـتظارهم للإجهاز عليهم([1]). إلا أن قائد الأسطول المملوكي الذي كان يعلم بمدى براعة القبارصة في المعارك البحرية فضلاً عن إدراكهم لطبيعة تقلبات بحر جزيـرتهم من مواسم الرياح وغيرها، عمد إلى المناورة البحرية حتى يتسنى لهم إنـزال مقاتليهم على البر، وما كاد المجاهدون يضعون أرجلهم على الشاطئ حتى عـاجلهم خـيالة الفـرنج، ولكنهم لم يصمدوا أمام المجاهدين المسلمين، بل تمكّن المسلمون من الإجهاز على عدد كبير منهم([2])، وتعليق رؤسهم على الرماح ليراها المسـلمون على ظهر السفن فتثبت أنفسهم للقتال، وبالفعل كان لهذا الإجراء دوره الـبالغ فـي التأثـير علـى معنويات صليبيي الجزيرة الذين تقهقروا أمام السفن الإسلامية([3]).

ثـم تجدّد القتال بين الطرفين يوم الجمعة عندما وصل ميدان المعركة أخو ملك قبرص لبرنس كندس طابيل، ومعه نحو ٥٠٠ خيال ٨٠٠٠ راجل، حيث برز للقتال من عساكر المسلمين النصف، وأما الباقي فظل على ظهر المراكب ليحموا ظهـر إخوانهـم مـن مباغـتة بحـرية، وانتهت هذه المعركة لصالح المجاهدين المسـلمين، حيث ألحقوا بالقبارصة هزيمة نكراء، وأجبروا قائدهم على الفرار، ثم أُنزلـت الخـيول من المراكب، وهاجم الفرسان الجزيرة، فملكوا حصن اللمسون وأسروا من فيه وغنموا ما به ثم هدموه([4]).

([1]) هـنالك مـن ذكر بأن عدد الأغربة تسع وقرقور، ومنهم من قال بأنها قرقورة وثماني شواني و سلورتين (انظر المقريزي ، السلوك، ج٧، ص١٢١؛ ابن حجر ، إنباء الغمر،ج٨، ص٧٢؛ غرس الدين الظاهري ، زبدة كشف الممالك، ص١٩٠؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٤، ص٢٧٩؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٣، ص٧٩-٨٠.

([2]) المقريزي، السلوك، ج٧، ص١٢١؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٧٢-٧٣؛ ابن تغري بردي، النجوم،ج١٤، ص ٢٧٩.

([3]) انظر الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٨٠.

([4])المقريـزي، السلوك، ج٧، ص١٢١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٨٠؛غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممـالك، ص١٩١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٨١-٨٢؛ أسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٣٤٧**وكندس طابيل:** لم أقف على ترجمة له فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

وبعـد هـذا النصر كتب قائد الأسطول إلى نائب طرابلس يخبره بما حققه الأسـطول المملوكـي من انتصارات، ويرى ضرورة عودة الجيش خشيه من أن يدب فيهم الضجر إضافة إلى أنه رأى – على ما يبدو – بأن استمرار الجهاد ضد قـبرص يتطلـب المزيد من الرجال والعتاد وقطع الأسطول، وفي ٢٥ من شوال بـرزت السـفن الإسلامية أمام الساحل المصري محملةً بالغنائم والأسرى، حيث عرضوا على السلطان في اليوم التالي ، وكان يوماً مشهوداً(١).

وعلـى الرغم من حجم الانتصار الذي حققته عناصر الأسطول المملوكي، وكمـية ما قدموه من غنائم للسلطان برسباي، إلا أن هذا لم يكن ليرضي طموحه؛ إذ كان يطمع في السيطرة التامة على قبرص، ولذا اهتم بإعداد حملة جديدة لتحقيق هذا الغرض(٢)، فأصدر أوامره بعمارة السفن والتشديد على الإسراع في إنجازها وإحضـارها إلى دمياط(٣)، وتعيين أربعة من مقدمي الألوف، منهم: الأمير إينال الجكمي،والأمـير تغـري بردي المحمودي،فضلاً إلى عدد من أمراء الطبلخانات والعشـرات(٤)،ومما لاشك فيه حتمية اشتراك العساكر والمجاهدين الحمويين في

---

(١) المقريزي ، السلوك، ج٧، ص١٢١؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٤، ص٢٨١؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٣، ص٨٣-٨٤.

(٢) ابن تغري بردي، المنهل ،ج٣، ص٢٩٣.

(٣) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٤٢؛ ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٨، ص٩٨.

(٤) المقريزي،السلوك،ج ٧، ص١٣٩؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٩٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤،ص٢٨٨؛ المـنهل، ج٣، ص٢٦٣؛ **وانـيال الجكمـي**: تنقل بعد موت أستاذه جكم من عوض إلى عدة وظائف حتى صار أتابك العساكر بالقاهرة ، ثم ناب في حلب وبعدها في دمشق، فظل عليها إلى أن دبر حركة عصيان ضد السلطان جقمق ولكنه فشل وسجن على أثرها بقلعة دمشق حتى قتل في أواخر سنة ٨٤٢هـ(انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص١٩٦؛ السـخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٣٢٧)؛**و تغري بردي المحمودي**: الناصري فرج بن برقوق تولى في عهد أستاذه أمرة عشرة ثم خدم لدى الأمير نوروز فتورط في حركة عصيان الحافظي، وسجن على أثرها في عهد السلطان المؤيد شيخ، ثم أطلق وأنعم عليه إمرة طبلخاناة، ثم إمرة مائة ومقدم ألف في عهد السلطان ططر وفي عهد الأشرف برسباي نقل رأس نوبة النوب وقد خرج لفتح قبرص، ثم قبض عليه في سنة ٨٣٠هـ، وحبس في الإسكندرية، ولم يطل مقامه فيها حيث أطلق بطالاً بدمياط، ثم عين أتابك العساكر في دمشق ،إلى أن توفي متأثراً بجراحه التي أصيب بها في حربه ضد آمد سنة ٨٣٦هـ (انظر ابن حجر ،إنباء الغمر،ج٣، ص٥٠٤؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص٥١؛ الصيرفي، نزهة النفوس،ج٣،ص٢٦٨).

هــذه الحملــة تلبية منهم لنداء الاستنفار الذي أطلقته السلطنة، فنزل الحمويون في المــيدان الكبــير مع بقية من خرج من بلاد الشام من أمراء وعساكر ومتطوعين خــيالة ورجالة وبحارة،وذلك يوم الاثنين ١٣ جمادى الآخرة سنة ٨٢٩هــ/١٤٢٦م(١).

حيث أبحرت هذه القوات باتجاه اللمسون في يوم الأربعاء ٢٠ من شعبان، وعــندما حطوا رحالهم على برّ الجزيرة بلغهم أمر استعداد ملك قبرص، و أنه قد تحصن بمدينة الأفقسية، وأنه قد وصلته نجدة من ملوك اوربا، فتقدم جيش المماليك نحو اللمسون، فوجدوا بأن أهلها قد عمروا قلعتها وحصنوها وحفروا حولها خندقاً عظــيماً، فــنازل المماليك القلعة حتى تمكنوا من اقتحامها(٢)، في يوم الأربعاء السادس والعشرين من شعبان(٣)، وتوجهوا بعدها إلى قرية الأكستية، فخرج أهلها بالهدايــا طالبين الأمان، عندها أخذ المماليك يستفسرون عن حجم استعدادات ملك قبرص العسكرية وعدد قواته، فوجدوا بأنها حوالي ٥٠٠٠ فارس، و٧٠٠٠ راجل، فراسل المماليك ملك قبرص يفاوضونه على الصلح رغبة منهم في إعطائه فرصة لحقــن الدماء، لكن جانوس(٨٠٠-٨٣٥هــ/١٣٩٧-١٤٣١م) رفض ذلك وفضل القتال(٤).

---

(١) المقريــزي، الســلوك، ج٧،ص١٣٩؛ابن تغري بردي ، النجوم ،ج١٤،ص٢٨٧؛ المنهل ،ج٣،ص٢٦٣؛ **والميدان الكبــير**: وهــو أحد مسميات الميدان الناصري الذي شيده الناصر محمد بن قلاوون، وكانت تقام فيه مراسم التشريف للمماليك، من توزيع العطايا للركوب في يوم العيدين، أو عند خروج العساكر ودخولها بصحبة السلطان أو بدونه(انظر المقريزي، المواعظ والاعتبار،ج٢، ص٢٠٠-٢٠١؛ ابن تغري بردي،النجوم،ج١٤، ص٩٩، حاشية٥).

(٢) الصــيرفي ، نزهة النفوس ، ج٣،ص ٨٧-٨٨؛ **والأفقسية**: وتعرف بــ(**نيقوسيا**): وهي مدينة داخلية ذات شأن كبــير لأن فيها تخت الملك القبرصي (انظر غرس الدين الظاهري ، زبدة كشف الممالك،ص١٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم،ج١٤، ص٢٩٠، حاشية ٣).

(٣) ابن تغري بردي، النجوم ، ج١٤، ص٢٩٠؛ المنهل، ج٣، ص٢٦٤.

(٤) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص١٠٠؛ **والأسكتية**: إحدى قرى قبرص يتمتع حاكمها باستقلالية الحكم وعدم التبعية للملــك القبرصــي (انظر المصدر السابق، ص١٠٠)؛ **وجابوس أو جنيوس** بن جاكم بن بيدو بن أنطوان بن جنيوس صــاحب قبرص، ملك قبرص بعد وفاة أبيه جاك أو جاكم سنة ٨٠٠هــ، واستمر بها إلى أن قبض عليه المماليك عند سيطرتهم على قبرص ، ثم أطلقوه مقابل دفع جزية في كل سنة ، توفي سنة ٨٣٥هــ(انظر ابن حجر، إنباء الغمر،ج٨، ص٩٧؛ ابن تغري بردي،المنهل، ج٥، ص٤٦-٤٧؛ الدليل، ج١، ص٢٥٥؛النجوم، ج١٥، ص١٧٦؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٢٤٥؛ السخاوي، الضوء اللامع،ج٣، ص٨٦؛ الذيل التام، حوادث ٧٤٥-٨٥٠، ص٥٧٨) .

فعمـد الأمـراء المماليك إلى تقسيم قواتهم إلى قسمين، بحرية مهمتها حفظ السـفن مـن مباغـتة العدو، وبرية تظل على البر لإتمام عمليات السيطرة على الجزيـرة([١])، حيـث اتجهت نحو الملاحة([٢])، فاصطدمت مقدمة الجيش المملوكي بطلائـع الجيش القبرصي، والتي لم تتمكن من الصمود ، ففرت هاربة لتنضم إلى بقـية الجيش القبرصي وحلفائهم ممن قدم لمساندتهم من قطلان وقرمان وأسبتارية وفـرق ملوك أوربا، فاحتدم القتال بين الطرفين وانتهت المعركة بهزيمة صاحب قبرص ووقوعه في الأسر ومقتل أحد إخوته([٣])، وبذلك تمكّن المماليك من تحقيق انتصـارهم علـى الصعيد البري، أما على الصعيد البحري، فقد اجتمعت القوتان علـى الملاحـة في يوم الاثنين ثاني شهر رمضان، وانطلقوا بعدها صوب مدينة الأفقسـية، فتصدى لهم الأسطول القبرصي. الأمر الذي دعا قائد القوات البحرية الأمـير إيـنال الجكمـي أن يطلـب من قائد القوات البرية الأمير تغري بردي المحمودي، تزويده بعدد من المقاتلين، ودار قتال عنيف بين الطرفين استمر حتى حجز الليل بينهم، فأغتنم القبارصة الفرصة ولاذوا بالفرار، وعندما طلع الفجر تفقد المماليك الأسطول المعادي، فوجدوا بأنهم لم يتمكنوا من الابتعاد، فأرسلوا خلفهم الأمـير إيـنال الـذي تمكّن من ضرب مركبٍ من مراكبهم أما البقية فتمكنت من الهرب([٤]).

([١]) الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٣، ص٨٩.

([٢]) ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٤،ص٢٩٢؛ المنهل، ج٣، ص٢٦٥.

([٣]) الصـيرفي ، نـزهة الـنفوس، ج٣، ص٨٩؛ وانظر كذلك غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٩٣؛ **القطـلان** :نسـبة إلى قطلان أسبانيا أو قطلونيا، وهم فرقة من الجنود المرتزقة المتألفة من عناصر مختلفة وفدت من أماكن متعددة ، كان بدايات وجودهم في المنطقة على يد البيزنطيين الذين استعانوا بهم في عهد أندرونيقوس الثاني سنة ١٣٠٣م، لدفـع سـلاجقة الـروم والعثمانين عن الأراضي البيزنطية، ثم سرعان ما انقلب السحر على الساحر بعدما عجـزت الدولـة البيزنطية من الوفاء بالتزاماتهم المالية اتجاههم مما أدخلهم في حرب ضروس معهم انتهت بالتحاق القطـلان في خدمة دوق أثينا الفرنجي سنة ١٣١٠م(انظر حسنين محمد ربيع ، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص٢٩٧-٢٩٨).

([٤])ابن حجر ، إنباء الغمر،ج٨، ص١٠٢؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٩١؛ انظر كذلك المقريزي، السلوك،ج٧، ص١٣٨؛ ابن تغري بردي ،النجوم، ج١٤،ص ٢٩٤؛ المنهل ، ج٣، ص٢٦٦.

ثم أكملت القوات المملوكية بجناحيها البري والبحري سيرها نحو الأقفسية ، وتمكنت من اقتحامها، ولما كان يوم الجمعة اجتمع المسلمون لتأدية صلاة الجمعة بهـا([١])، وبعـد الصلاة وفد رجال الدين النصارى وعدد من كبار أعيانهم، على الأمـير تغـري بردي المحمودي يطلبون الأمان، فلبى الأمير مطلبهم نظير دفع الأمـوال لقـوات المماليك، ونُودى بالأمان، وأن الجزيرة "صارت من جملة بلاد السـلطان الملك الأشرف برسباي"([٢])، وأقام العسكر المملوكي بالمدينة يومين، ثم عـادوا إلى الملاحة، ومنها قفلوا عائدين إلى قواعدهم في الشام ومصر بما حملوه معهم من غنائم وأسرى، وعلى رأسهم ملك قبرص([٣])، الذي نقل إلى القاهرة حيث سـجن في أحد أبراج قلعتها، وبقي سجيناً بها فترة من الزمن، ثم أعيد إلى قبرص ليحكمها ليس بوصفه ملكاً عليها وإنما باعتباره نائباً للسلطان المملوكي([٤]).

وبعد أن فرغ السلطان برسباي من أمر قبرص، أدرك فرسان الأسبتارية فـي رودس بأن الدور آت عليهم، فعمدوا إلى تحصين جزيرتهم وزيادة دفاعاتها وتحصـيناتها العسـكرية([٥])، كمـا سـارعوا في ذات الوقت بالاتصال بالسلطان برسـباي وعقـدوا معـه صلحاً في سنة ٨٣١هـ/١٤٢٧م، تعهدوا بموجبه بعدم السـماح لقراصـنة القطلان بالاحتماء بجزيرتهم([٦]). إلا أن أمد هذه الهدنة لم يدم طويـلاً، فقـد استجاب السلطان المملوكي جقمق للنداء الذي وجّهه إليه السلطان العثمانـي مراد الثاني بإرسال حملة بحرية لغزو رودس لإثناء فرسان الأسبتارية

([١]) المقريـزي، السـلوك،ج٧، ص١٣٨؛ ابن حجر، إنباء الغمر،ج٨، ص١٠٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤،ص ٢٩٤؛ المنهل ، ج٣، ص٢٦٦؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٣، ص٩١.

([٢]) سعيد عبد الفتاح عاشور،قبرص والحروب الصليبية،ص١١٤؛ نقلاً عن العيني، عقد الجمان، ج٢٥، ق٣، ص٥٨٣.

([٣]) المقريزي، السلوك، ج٧، ص١٣٨؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص١٠٣؛ ابن تغري بردي ، النجوم،ج١٤، ص ٢٩٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٩١-٩٢.

([٤]) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص١٢٣١.

([٥]) إبراهـيم طوخـان ، مصر في عصر دولة مماليك الجراكسة، ص١٠٦؛ أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص٥٦ ؛ أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص٣٣٦.

([٦]) أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص٥٥؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص١٢٣٥.

عن الانضمام لمشروع الحلف الصليبي لضرب العثمانيين في شبة جزيرة البلقان([1])، وحرصاً من السلطان جقمق على توثيق عرى الصداقة مع العثمانيين، فضلاً عن إدراكه بأن رودس ستصبح الملاذ الوحيد لقراصنة الصليبيين بعد السيطرة على قبرص([2])، فقد أصدر أوامره في المحرم سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م، بتجهيز قطع الأسطول في سواحل مصر والشام استعداداً لغزو رودس([3])، وأسندت قيادته إلى الأمير تغري برمش يعاونه عدد من الأمراء، حيث ظهرت قطع الأسطول أمام سواحل رودس وشنت غارات محددة على الجزيرة([4])، ثم عادت إلى دمياط في يوم الثلاثاء ٢١ جمادى الأولى من ذات العام، بعد أن أتمت مهمتها، وحملت معها أخبار الجزيرة وتحصينها، وبعض الغنائم والأسرى([5]) وفي مقابل هذا شنّ قراصنة البحر الذين يتخذون من رودس ملاذاً لهم غارة على ساحل بيروت، وأخذوا مركباً مشحوناً بالبضائع، وأسروا عدداً من المسلمين في يوم الأربعاء ٢٧ ذي الحجة ([6])،الأمر الذي دفع السلطان المملوكي إلى إصدار أوامره

([1]) إبراهيم طوخان ، مصر في عصر دولة مماليك الجراكسة، ص١٠٦؛ خاشع العاضيدي ، تأريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، ص٢٨٢؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية، ج٢، ص١٢٣٥؛ عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ص١٧٧-١٧٨؛ **ومراد الثاني** ابن محمد جلبي :ولد سنة ٨٠٦هـ، وتولى السلطنة العثمانية وعمرة ١٨ سنة بعد وفاة أبية سنة ٨٢٤هـ، افتتح عهده بعقد معاهدات صلح وهدنة مع أعدائه ليتمكن من فتح القسطنطينية ، ولكنه لم يوفق في فتحها بسبب حركة العصيان التي دبرها ابن أخيه مصطفى بتحريض من امبراطور القسطنطينية ، وما أن انتهى السلطان مراد منها تحول لتصفية حساباته مع من ساند الأمير العاصي من أمراء الإمارات التركمانية في الأناضول فأخضع إمارة بني قرمان وحصل على أقليم حميد، ثم فتح سالونيك سنة ٨٣٣هـ، وقضى على حركات التمرد في البلقان ثم عمد على توطيد حكمه فيها وبعدها أستأنف الفتوحات الإسلامية في جبهتين رئيسيتين ألبانيا والمجر (للمزيد انظر إسماعيل سرهنك،تاريخ الدولة العثمانية، ص٣١-٣٤؛ محمد فريد بك المحامي،تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١٥٣-١٥٩؛ إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي،ص٤٤-٤٧؛ عبد اللطيف عبدالله بن دهيش، قيام الدولة العثمانية، ص٤١-٤٢؛ نبيل عبد الحي رضوان، القوة العثمانية بين البر والبحر،ص٤٢-٤٧).

([2]) المقريزي، السلوك، ج٧، ص٤٦٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص٣٤٢؛ الصيرفي ، نزهة النفوس ، ج٤، ص١٩٦.

([3]) المقريزي ، السلوك، ج٧، ص٤٥٩؛ الصيرفي ، نزهة النفوس ، ج٤، ص١٩٣.

([4]) أبن تغري بردي ، النجوم ،ج١٥، ص٣٤١-٣٤٢؛ الصيرفي ، نزهة النفوس ، ج٤، ص١٩٦؛ **وتغري برمش** بن عبد الله اليشبكي **الزدكاش:** تنقل في الخدم بعد وفاة أستاذه يشبك بن أزدمر ، وقد خرج لغزو الفرنج مرات عدة ، توفي بمكة المكرمة سنة ٨٥٤هـ(ابن تغري بردي ، المنهل ، ج٤،ص٦٥).

([5]) المقريزي ، السلوك، ج٧،ص٤٦٣-٤٦٤؛ ابن حجر ، إنباء الغمر،ج٩،ص١٢٧-١٢٨؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٥، ص٣٤٣؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٤، ص٢٠١؛ السخاوي ، التبر المسبوك، ص٦٢.

([6]) المقريزي ، السلوك، ج٧، ص٤٧٦؛ السخاوي ، التبر المسبوك، ص٦٣.

باستنفار الجند من كافة النيابات الشامية لحماية السواحل من غارات قراصنة رودس، ومما لا شك فيه اشتراك العساكر الحموية في حفظ الثغور الساحلية لأن نداء الاستنفار لجميع نيابات الشام، وقد أسهمت نيابة حماة بنصيب وافر في هذا العمل لأنها أقرب نيابات الشام إلى الساحل بعد طرابلس([١]).

وقد دفعت هذه التعديات السلطان جقمق لإعداد حملة أكبر وأقوى من سابقتها، فأمر دور الصناعة بالقاهرة وطرابلس وبيروت بعمارة سفن جديدة كي تلتحق بالأسطول المملوكي. كما أعلن الاستنفار العام للجهاد في سبيل الله، فخرجت القوات المملوكية تؤازرها فرق المجاهدين المتطوعة من البلاد الشامية بما فيها حماة، إلى الثغور الساحلية لينضموا إلى السفن المعدة للغزو([٢]).

حيث أسند جقمق قيادة الأسطول إلى كلّ من الأمير إينال العلائي والأمير تمرباي ، حيث أبحر الأول من بيروت والثاني من طرابلس، و اجتمعت الفرقتان في قبرص بالقرب من اللمسون ، وذلك في ليلة الأربعاء ثاني جمادى الأولى من سنة ٨٤٧هـ/١٤٦٩م، وفي اليوم التالي ورد رسول جانوس صاحب قبرص ليجدد عهده بالطاعة والولاء للسلطنة، حيث قدم هداياه لقائد الأسطول واستضافهما في بافوس، وبعد أن أمضى رجال الأسطول المملوكي بعض الوقت في جزيرة قبرص([٣])، أبحرت السفن بمحاذاة الساحل القبرصي باتجاه جزيرة رودس، حيث ظهروا أمام سواحلها ليلة الجمعة من الشهر نفسه، ورست سفنهم أمام قشتلة، وبدأت المفاوضات بين الطرفين، حيث عرض قائد الأسطول المملوكي على زعماء الأسبتارية التسليم، إلا أنهم رفضوا ذلك، فشرع الجيش المملوكي في مهاجمة الحصن، ودارت بين الطرفين معركة أسفرت عن ضعف جانب من جداران حصن قشتلة، مما دعا الأسبتارية إلى طلب الصلح في يوم السبت ١٥ من

([١]) المقريزي ، السلوك، ج٧، ص٤٧٦.

([٢]) السخاوي، التبر المسبوك، ص٦٢-٦٣؛ الذيل التام، حوادث ٧٤٥-٨٥٠هـ، ص٣٦٣.

([٣]) ابن حجر، إنباء الغمر،ج٩، ص٢٠٠-٢٠٣؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص٦٣؛ عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج٢، ص١٨٠.

ذات الشهر، مقابل تسليم الحصن للمماليك، وتمت مراسم التسليم بين الطرفين يوم الاثنين ١٧ جمادى الآخرة من ذات العام([1])، وقد حاول قائد الأسطول المملوكي قضاء فصل الشتاء بها ، ولكن الرياح حالت دون ذلك فقفل الأسطول عائداً إلى قواعده في الشام و مصر([2]).

وعلى أي حال فإن انسحاب رجال الأسطول من سواحل رودس قد أتاح الفرصة لفرسان الأسبتارية في زيادة تحصينات الجزيرة ، وشحن مدنها وقلاعها بالمؤن والعتاد تحسباً لحملات مملوكية لاحقة عليه، إذ إنهم أدركوا بطبيعة الحال أن الحملة السابقة لا تعدو كونها مجرد عملية استكشافية لاستطلاع أحوال الجزيرة، وفي ذات الوقت فإن السلطان المملوكي جقمق بدأ مباشرة في الإعداد لحملة بحرية جديدة تتناسب والوضع العام في الجزيرة ، حيث جهّز الأسطول بشقيه المصري والشامي بما يحتاجه من مؤن وعتاد ورجال ممن وفد من الأراضي المصرية ،وكافة نيابات الشام بما فيها حماة، وأسند قيادته للأمير أنيال الأجرودي العلائي ، والذي أبحر بقطع الأسطول المصري باتجاه بلاد الشام، حيث جرى الاتفاق مع نواب الشام بأن تكون طرابلس هي نقطة الانطلاق الأخيرة باتجاه رودس، فأبحر الأسطول منها في يوم الخميس ١١ ربيع الآخر سنة ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م، فوصلوها في ١٤ ربيع الآخر، وظهر أمام سواحل رودس في ١٤ من الشهر نفسه، حيث انقسم رجال الأسطول إلى قسمين، قسم ظل على ظهور السفن لحمايتها من أي هجوم بحري قد يشنه الأسبتارية عليها ، وقسم نزل إلى بر الجزيرة لاستئناف الحملات البرية التي كانت قد نجحت في السيطرة على قشتلة([3])، حيث شرع الجيش الإسلامي في حصار حصن القديس نقولا ، ثم

([1]) عن مجريات المعركة بالتفصيل (انظر ابن حجر، إنباء الغمر،ج٩، ص٢٠٥-٢٠٩؛ السخاوي،التبر المسبوك، ص ٦٤؛ وجيز الكلام،ج٢، ص٥٨٩؛ ذيل التام، حوادث ٧٤٥-٨٥٠هـ،٦٤١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٤،ص٢٧٢)؛ وقشتلة: حصن منيع على طرف الجزيرة مبني على جبل(انظر ابن حجر ، إنباء الغمر ،ج٩،ص ٢٠٥).

([2]) إبراهيم طوخان ، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص١٠٩؛ عبد الرحمن زكي، الجيش المصري،ج٢، ص١٨١.

([3]) السخاوي، التبر المسبوك، ص٦٥-٦٦؛ الذيل التام، حوادث ٧٤٥-٨٥٠هـ، ص٦٤٦؛ التبر المسبوك، ص٦٥؛ إبراهيم طوخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص١٠٩.

اصطدم المسلمون مع الأسبتارية أمام الباشورة(١)، فدارت معركة حامية الوطيس تعذر خلالها على الجيش المملوكي السيطرة على الحصن ، فآثرت القوات المتبقية العـودة إلى السفن، والتي كانت قد هوجمت هي الأخرى من قبل الأسبتارية ظناً منهم بخلوها من المقاتلين ، ولكن القوات البحرية المملوكية تمكنت من دحرهم(٢)، ثـم عـاد الأسـطول المملوكـي بعد أن حمل باقي القوة البرية على ظهره إلى الإسـكندرية ودمـياط وطـرابلس، وغيرها، وذلك في جمادى الآخرة من السنة ذاتها(٣).

ويمكـن أن نـرجع انسحاب الأسطول المملوكي من جزيرة رودس، وعدم نجاحهـا في السيطرة على حصن القديس نيقولا إلى عدة عوامل منها دور حجم الدفاعات والميرة التي حفظت داخل الحصن(٤)، وكذلك وصول النجدات الصليبية مـن خـارج الجزيـرة ، والتي دعمت صمود الأسبتارية(٥)، إضافةً إلى خوف الأمـراء من مداهمة الشتاء لهم وما يعقبه من تقلبات في مسار الرياح ، وأثر ذلك على السفن(٦).

ويـبدو أن كـلا الطرفيـن قد تعبا من كثرة الموجهات العسكرية ، فعمد الأسـبتارية لإيجـاد وسيط فيما بينهم وبين المماليك ، فوجدوا في التاجر الفرنسي جاك كير Jacques Coeur مطلبهم فسيروه إلى الأبواب السلطانية – بعد أن أخذ موافقة ملكه – لطلب الصلح ، أما السلطان المملوكي فقد أثقلت كاهله الهزيمة التي لحقـت بأسـطوله ،فوجـد في الصلح حفظاً لماء الوجه ، ووقع الصلح فيما بين

(١)عـبد الرحمـن زكي،الجـيش المصـري،ج٢،ص١٨٢-١٨٣؛و**الباشورة**:هي المنطقة الواقعة بين بابين من أبواب الحصن(انظر المرجع السابق،ص١٨٢)؛و**حصن القديس نقولا**:لم أقف على تعريف له فيما توفر لي من مصادر اطلعت

(٢) السخاوي ، التبر المسبوك، ص٦٥-٦٦.

(٣)السخاوي ، الذيل التام، حوادث ٧٤٥-٨٥٠هـ، ص٦٤٦.

(٤) السخاوي ، التبر المسبوك، ص٨٩؛ وجيز الكلام، ج٢، ص٥٩٤.

(٥) إبراهيم طوخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص١١٠.

(٦) ابن حجر، إنباء الغمر ، ج٩،ص٢٢٤.

الطرفين واشترط فيه تبادل الأسرى ، فعاد التاجر الفرنسي إلى رودس ومعه عددٌ من أسرى النصارى[١].

دور نيابة حماة في الحملات التأديبية ضد الإمارات التركمانية:

يرجع الفضل في تواجد التركمان السياسي على الأراضي الشامية إلى دولة السلاجقة التي استعانت بهم لتوطيد حكمها في المنطقة[٢]، وساعد بعد ذلك الاكتساح المغولي في تهجير أعداد غفيرة منهم إلى الحدود الشمالية المتاخمة للبلاد الشامية، فاستوطنوا الجبال والثغور والسواحل، ثم تمكنوا فيما بعد من اكتساب دعم سياسي من دولة أيلخانات فارس والعراق[٣]، وبمرور الوقت تمكنت تلك العشائر من تكوين إمارات تركمانية افتقرت للدعم السياسي والعسكري، فوجدت في الدول الإسلامية المتاخمة لحدودها حاجتها مقابل تقديم فروض الطاعة والولاء لها[٤].

---

(١) إبراهيم طوخان ، مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص١١٠؛ أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، ص٣٣٩؛ عبد الرحمن زكي، الجيش المصري، ج٢، ص١٨٤؛ **وجاك كير** :هو أحد أبناء مدينة بورج Bourges في وسط فرنسا، فضل التجارة على مهنة والده الحرفية ، تمكن من تكوين ثروات طائلة عن طريق التجارة ونقل أفواج الحجاج النصارى إلى الأراضي المقدسة في فلسطين، واستغلال نفوذه، وشراء أراضي النبلاء الذين افتقروا، كما عمل سفيراً للحكومة الفرنسية في بعض الأوقات(انظر ناجلا محمد عبد النبي، مصر والبندقية العلاقات السياسية والاقتصادية في عصر المماليك، ص٩١، حاشية٢)

(٢)البنداري الأصفهاني،تاريخ دولة آل سلجوق، ص٢١٨؛ابن ميسر،المنتقى في أخبار مصر، ص٣٦؛ العيني،الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر،ص٤-٥؛ عماد الدين خليل، الإمارة الأرتقية، ص٥٧-٥٨؛عثمان توران، الأناضول في عهد السلاجقة والإمارات التركمانية، ص٣؛ شاكر مصطفى، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، تاريخ بلاد الشام من القرن السادس إلى القرن السابع عشر، دخول الترك الغز إلى بلاد الشام، ص٣٢٦ ،٣٣٠-٣٣١؛ زبيدة عطا، الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون،ص٤٥؛ كوزيه موريس،تاريخ الحضارات العام،ج٣،ص٣٤١؛ عن تاريخ دولة السلاجقة(انظرابن البيبي، تاريخ سلاجقة الروم؛ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية).

(٣) ابن تغري بردي،المنهل،ج٢،ص٢٢١-٢٢٢؛العيني،الروض الزاهر،ص٤-٥؛ابن تغري بردي،النجوم،ج١٢،ص ٢٨١،حاشية ٤؛عن خط سير الهجرات التركمانية المدعومة من قبل دولة السلاجقة(شاكر مصطفى،المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، تاريخ بلاد الشام من القرن السادس إلى القرن السابع عشر،دخول الترك الغز إلى الشام،ص٣١٧- وما بعدها).

(٤) الغياثي ، تاريخ الغياثي، الفصل الخامس، ص٢٣٧.

وعلى كل حال كان تواجد العشائر التركمانية الرحل على الساحة الشامية وحدودها الشمالية أمراً واقعاً قبل قيام دولة المماليك([1])، الأمر الذي دعا السلطنة المملوكية لإبقاء إماراتهم على الساحة السياسية مقابل تجنيدهم باعتبارهم دروعاً بشرية وقت الأزمات واستمرارهم حدوداً طبيعية للفصل بين الممالك والقوى المعادية لهم، فأطلقت على العشائر الموالية لها "تركمان الطاعة" تميزاً لهم عن غيرهم([2])، وغدوا" للدولة بمنزلة السور عليها،ويتحصل منهم في كل سنة عشرات آلاف من الغنم، يؤخذ منهم عن زكاة أغنامهم يقال له "العداد" وينال أهل حلب منهم منافع لا تحصى، وإذا ندبهم السلطان لحرب بادروا إلى امتثال أمره، وعدوا ذلك طاعة وعبادة"([3])، ولكن ما لبث أن قوي أمرهم عندما دب الضعف في السلطنة فكان لهم دور في تحريك مجريات الحوادث الداخلية للسلطنة، وعلى وجه التحديد في إذكاء حركات العصيان ضدها، وهذا ما نجده في أحداث سنة ٧٥٣ هـ/١٣٥٢م، حيث دفعت إمارة بني دلغادر بزعامة الأمير زين الدين بن قراجا بن دلغادر ثمن معاضدتها الأمير بيبغا أرس نائب حلب غالياً حيث لم تكتف السلطنة بتدبير مقتل زعيمهم([4]) بل زادت في قصاصها من تلك الإمارة بإطلاقها

([1]) أطلقت صفة (الرحل) على التركمان تميزاً لهم عن القبائل السلجوقية المستقرة، وقد شكك موريس كزوية في عقيدة هذه القبائل التركمانية الرحل، مفسراً سبب توجيه تلك القبائل لنشاطها العسكري ضد الأمبرطورية البيزنطية إنما كان بهدف ما ستجنيه من كسب مادي من غنائم وأسرى،وهو تصور خاطئ وفيه من المغالطات ما يقذف بطريق غير مباشر لمبادئ الحركة الجهادية التي تبنتها الدولة العثمانية لفتح الأراضي البيزنطية (انظر يوشع بروا ،الإستيطان ، ص٧١؛ موريس كزوية، تاريخ الحضارات العام، ج٣، ص٣٣٨).

([2]) ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج٢، ص١٧٨؛ القرماني ، أخبار الدول، ج٣، ص٩٩-١٠٠.

([3]) المقريزي، السلوك، ج٥، ص٥٩.

([4]) المقريزي، السلوك،ج٤،ص١٦٠ ،١٦٤-١٦٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة،ج٣، ص٣٢٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٢٧٥-٢٧٦ ،٢٨٤؛ **والأمير بيبغا أرس(أو روس)**تقلد نيابة السلطنة بمصر ثم بحلب، وقد نجح في تأليب النواب في بلاد الشام ضد السلطنة في مصر ولكن حركته باءت بالفشل، وكانت نهايته السجن بحلب ثم قتل سنة ٧٥٣ هـ(انظر الصفدي، الوافي،ج١٠،ص٣٥٥؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص٤٨٦)؛ **وإمارة بني دلغادر: تعرف** أيضاً بذي القدر أو ذي القدرية، وهي إمارة صغيرة تقع في شرقي الأناضول إلى الجنوب، تبدأ حدودها من غرب مدينة مرسين، وتذهب بخط صاعد ومائل فتمر من أمام قيصرية، وتنتهي خلف ملطية، ثم تنحدر حتى تصل إلى البحر المتوسط، مشتملة على خليج الاسكندرونة، خضعت لنفوذ السلطنة المملوكية في منتصف القرن السابع الهجري، وظلت على ذلك حتى سقوطها على يد العثمانيين سنة ٩٢٢هـ، من أملاكها، الأبلستين ومرعش وعينتاب وزمنتي وأنطاكية وهارونية وكيوكسن وأندرين وقير شهر وأنقرة وبزاق ودارندا وخربوت وملطية وبهسنا وحصن المنصور وكخته وكركر وديار بكر وأورفه وقلعة الروم وعمق وسيس وأياس وبازازجيق وكندزلو(انظر محمد فريد بك المحامي،-

العنان لنوابها في التصرف بأمر العشائر التركمانية" فصيرهم سوء التدبير وكثرة الظلم،أعداء لدولة تقتل رجالها وتنهب أموالها وتستولي على أعمالها"([1])، مما أجبر نائب الابلستين الأمير مبارك شاه الطازي للاستعانة بعسكر من حلب لتأديبهم في سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، إلا أن تلك الحملة باءت بالفشل الذريع حيث قتل فيها نائب الابلستين ، فتحزب بنو دلغادر([2]) بمن انضم إليهم من تركمان، وغالوا في إفسادهم في تلك المناطق([3])، وهنا كان على السلطنة الحسم في أمر تلك الإمارة للحدّ من تطاولها، حتى لا تطمع باقي الإمارات التركمانية في أملاكها أو المساس بهيبتها، فأرسل السلطان برقوق إلى نائب حلب تمرباي الدمرداشي يأمره بالخروج مع قوات دمشق وبمشاركة عساكر حماة لتأديب التركمان، فسارت القوات نحو سيس، وما أن اقتربوا من مدينة أياس حتى بادر أمراء التركمان بإرسال الهدايا إليهم وطلب الأمان لأصحابهم من التركمان، إلا أن قائد الحملة رفض الصلح، وقبض على الرسل([4])، ثم هاجمت القوات المملوكية منازل التركمان، وأجبروهم على الرحيل عنها، ولكن يبدو أن هذا التراجع كان مقصوداً حيث أخذ التركمان في التظاهر بالانسحاب والهزيمة، حتى يملّ المماليك المقام ويقفلون عائدين، وفي طريق عودتهم يكمن لهم التركمان([5])، عند مضيق فاز الملك، وهذا ما حدث بالفعل فقد انقض التركمان على الجيش المملوكي خلال عبوره هذا المضيق

=تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١٩١، حاشية٢؛عبد الكريم غرايبة، العرب والأتراك، ص٢٧١؛ زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي،ص٢٣٥)؛**الأمير قراجا بن دلغادر بن خليل التركماني** كان نائباً للسلطنة في الأبلستين ولكنه خامر على العصيان مع نائب حلب، قبض عليه وأرسل إلى القاهرة فوسّط بها في ذي القعدة سنة ٧٥٤هـ(انظر ابن حجر،الدرر الكامنة ، ج٣، ص ٣٢٩).

([1]) المقريزي ، السلوك، ج٥، ص٥٩.

([2]) القرماني، أخبار الدول، ج٣، ص١٠٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢٣٠؛ و **الأمير مبارك شاة الطازي:** لا يعرف عنه سوى الأحداث التي دارت فيما بينه وبين التركمان(انظر ابن إياس، المصدر السابق، ج١،ق٢، ص٢٣٠)؛ **والابلستين:أو البستان** مدينة مشهورة ببلاد الروم بالقرب من أبسس مدينة أصحاب الكهف، خضعت لحكم سلاجقة الروم(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان،مج١، ص٧٥).

([3]) انضمت جموع من تركمان الأجقية والأغاجرية لصفوف بنو دلغادر(انظر المقريزي، السلوك، ج٥، ص٥٨).

([4]) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٤٤٨؛ المقريزي، السلوك، ج٥، ص٥٨؛ ابن تغري بردي ، المنهل ، ج٤، ص٨٨؛ ابن إياس ، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢٣٧.

([5]) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٤٤٨؛ المقريزي، السلوك، ج٥، ص٥٨؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص٢٧٦؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص٨٨.

وألحقــوا بهم خسائر كبيرة في الأرواح ، كما أسروا منهم عدداً كبيراً، وقيل بأن أمير حلب أسر في هذا الكمين ولكنه تمكّن من الخلاص بالحيلة، أما التركمان فقد اســتحوذوا علــى المــال والآلات والأسـلحة والخــيول والجمــال، كما ملكوا الإبلستين(١).

وممـــا لاشكّ فيه بأن هذه الهزيمة كان لها انعكاس سيئ على إدارة السلطنة المملوكــية بالقاهــرة، حيث عمدت إلى إنفاذ حملة تأديبية ضد التركمان، خاصة بعدما وردت أخبار في سنة٧٨٣هـ/١٣٨١م، تؤكد استمرار عصيان التركمان(٢)، وبعدهـــا أرسل أتابك السلطان الصالح حاجي إلى نائب دمشق الأمير أشقتمر يأمر بإنفاذ حملة تأديبية ضدّ خليل بن قراجا بن دلغادر، فخرجت قوات حماة تحت قيادة نائــبها الأمير طشتمر، ونائب حلب الأمير إينال اليوسفي وقواته، ونائب طرابلس الأمــير كمشــبغا الحموي وقواته، إضافة إلى نائب صفد الأمير طشتمر العلائي وعساكره، لإنفاذ الأمر السلطاني(٣). ومن حجم هذه القوات المستنفرة يظهر مدى ما وصلت إليه قوة بني دلغادر، التي أخذت في توسيع نطاقها على حساب المناطق الحلبــية يســاندهم تركمان بني رمضان بزعامة الصارم إبراهيم بن رمضان(٤)،

---

(١) ابــن دقماق ، الجوهر الثمين ، ص٤٤٨؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص٢٧٦؛ ابن تغري بردي ، المنهل، ج٤، ص٨٨؛ **وفــاز الملــك:** مضيق لا يسلكه إلا جمل واحد على شاطئ البحر بالقرب من بلدة إياس ويسميه البعض بباب الملك (انظر ابن حجر، إنباء الغمر ، ج١، ص٢٧٦؛ ابن تغري بردي ، المنهل، ج٤، ص٨٨).

(٢) السخاوي ، وجيز الكلام، ج١، ص٢٥٥؛ ابن إياس ، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢٨٦.

(٣) ابــن دقماق، الجوهر الثمين، ص٤٥٥؛ المقريزي، السلوك، ج٥، ص١٢٠-١٢١؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص١٩١-١٩٢؛ ابــن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢،ص٢٨٨؛ **وخليل بن قراجا بن دلغادر التركماني البوزقي:**نائب أبلستين، قتله صارم الدين إبراهيم بن همز التركماني سنة ٧٨٨هـ(انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص١٧٨؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج١، ص٢٩٢).

(٤) المقريزي، السلوك، ج٥، ص ١٢٥؛ **وبني رمضان:** من العشائر التركمانية التي سيطرت على أذنه وسيس وأياس وشطر من وارسلق وطرسوس (انظرالقرماني،أخبار الدول،ج٣، ص١٠٥؛ زامباور،معجم االأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي،ص٢٣٤؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك ، ص٤٤٧) **وإبراهيم بن رمضان:** ولاه والده أحمد أمر طرسوس بعد استعادتها من يد الدولة التيمورية سنة ٨١٨هـ، وقد اختلف مع إخوته عقب وفاة أبيهم على إمرة بني رمضان،غير أن استقرار ابنه داود حسم خلافات بني رمضان(انظر ابن تغري بردي،النجوم،ج١٤،ص٢٧؛ القرماني، أخبار الدول،ج٣، ص١٠٦؛ زامباور،معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص٢٣٤).

الذيـــن بلغـــوا بقواتهـــم تيزيـــن، الأمر الذي أثار الرعب والفزع في نفوس أهل حلب([1]).

وفـــي الأول من شهر ربيع الأول اكتمل اجتماع القوات المملوكية في حلب ثـــم ســـاروا مـــنها نحو مرعش، وعندما وصلوا إلى مشارف أراضي التركمان اصـــطدمت مقدمـــة قـــوات المماليك بقيادة الأمير ضياء الدين ابن زدوغان بني دلغـــادر، فهزمـــت المقدمة وقتلت عدداً من كبرائهم، وعندما علم النواب بالهزيمة التـــي لحقـــت بمقدمة الجند، عقدوا العزم على أخذ مرعش ومن بعدها الأبلستين لحـــرمان الـــتركمان من أقوى معاقلهم فتقدموا نحوها([2])، وما أن نزلوا بهما حتى نـــودي بالأمان([3])، وقد فر منها سولي بن دلغادر وتراجع إلى ملطية ، فاستقر في قلعـــة خربـــرت بغـــية اســـتجماع قواتـــه التي تفككت بعد اصطدامها مع مقدمة المماليـــك([4])، ثم تنصل بنو رمضان عنه، فأرسلوا إلى مقدم عساكر سيس الأمير حســـام الدين طرنطاي بطلب السماح لـــه بالعودة إلى طاعة السلطان، فأجيب إلى ذلك، ومما لاشك فيه أن قبول السلطنة لطلب الأمير الصارم إبراهيم بن رمضان، قد دفع كبير تركمان البوزقية إلى المبادرة بطلب الأمان له وللأمراء من عشيرته ، فوصل طلبه إلى قادة القوات المملوكية الذين نزلوا على بريد عين تاب في ١٣ من

([1]) ابن حجر، إنباء الغمر، ج١،ص٥٠؛ ذكر القرماني بأن خوف أهل حلب كان بسبب وصول ابن دلغادر إلى تبريز، ولعله خطأ مطبعي حيث كان وصول التركمان إلى تيزين، انظر أخبار الدول، ج٣، ص١٠٠.

([2]) المقريزي، السلوك، ج٥، ص ١٢٠-١٢٤؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص٥١؛ **وضياء الدين ابن زودغان بني دلغادر**:لم أقف على ترجمة له فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

([3]) ابن إياس ، بدائع الزهور،ج١، ق٢، ص٢٨٩.

([4]) المقريزي ، السلوك،ج٥، ص١٢٤؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص٥١-٥٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٢٩٢؛ **وسولي بن قراجا بن دلغادرالتركماني**: أمير التركمان الأوجقية والبوزقية، ونائب الأبلستين تولاها بعد أخية غـــرس الديـــن خليل ، وقد كانت له عدة مواجهات عسكرية مع نائب حلب، ولهذا عدّ من أشد الأخطار الداخلية التي واجهت السلطنة مما دعا السلطان برقوق بتدبير اغتياله في سنة ٨٠٠هـــ(انظر ابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص٣٤؛ الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٧٦؛ ابن تغري بردي ، المنهل، ج٦، ص١٨٣)؛ **وخربرت**: تكتب أيضاً خرتبرت ، وهو اسم أرمني أطلق على حصن زياد المبني في أقصى ديار بكر من بلاد الروم(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٣٥٥).

رجب، وكان رد المماليك بقبول طلبه وإعطائهم الأمان[١]، ولكن الغريب في الأمر أن الأمير خليل بن دلغادر عندما تقدم بطلب الأمان رُفض طلبه[٢] وأصر نواب الشام في مقدمتهم نائب حماة على تتبع العاصين من بني دلغادر، إلا أن وفاة نائب حماة في تلك الأثناء وتعذر عبور القوات المملوكية لنهر الفرات للوصول إلى خربرت[٣]، بسبب سوء الأحوال الجوية ، دفع أمراء الجيش المملوكي إلى طلب الإذن من السلطنة بالقاهرة للرجوع إلى حلب، حيث دخلوها في شعبان من ذات العام[٤].

وقد شجع هذا التصرف تركمان بني رمضان الذين أخذوا في التعدي على الحجاج ، وقطع طريق التجار ونهب أموالهم والإفساد في أراضيهم ، وقد انضم إليهم تركمان الأوجقية، الذين تحالفوا مع تركمان بني قرمان بهدف الاستيلاء على قلاع بلاد سيس[٥]، مما دعا السلطنة لاستنفار عساكر حلب من جديد بقيادة الأمير يلبغا الناصري يسانده نائب حماة الأمير صنجق الحسيني، وكذلك عسكر طرابلس ودمشق ونواب الثغور، وذلك سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م[٦]. حيث تحرك الجميع نحو الإسكندرونة، ومنها عبروا الجسر ليصدموا بني رمضان[٧]، ففر التركمان القاطنين بالمصيصة إلى رؤوس الجبال، وآثروا إرسال وفد للتفاوض على طلب

---

(١) المقريزي،السلوك، ج٥، ص١٢٤-١٢٥؛ **والبوزقية:** فرع من فروع التركمان الذين استوطنوا على ما يبدو الحدود الشمالية لنيابة حلب، وكان كبيرهم يعرف بالأمير حيدر بن باشان(انظر المقريزي، المصدر نفسه، ج٥، ص١٢٥).

(٢) ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص١٩٢؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص٥٢.

(٣) المقريزي ، السلوك، ج٥، ص١٢٥، ١٣٣.

(٤)ابن حجر،إنباء الغمر،ج٢،ص٥١؛ابن تغري بردي،المنهل،ج٣،ص١٩٢؛ابن إياس،بدائع الزهور،ج١، ق٢،ص٢٩٢.

(٥)المقريزي، السلوك، ج٥، ص١٥٧؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج١، ص٨٢؛ **والأوجقية** : فرع من فروع التركمان، الذين نزحوا نحو الأناضول من آسيا الصغرى فراراً من جنكيز خان، ويبدو أنهم استقروا نهائياً فيما كان يعرف بأراضي مملكة أرمينية الصغرى وذلك بعد سقوطها، وينحدر منهم بني برناص وبني أوزر وكذلك بني دلغادر(انظر المقريزي، السلوك، ج٥، ص١٥٧؛ محمد سهيل طقوش،تاريخ المماليك،ص٤٤٦)

(٦) المقريزي، السلوك،ج٥، ص١٥٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر،ج٢،ص١٣٨-١٣٩؛ الصيرفي،نزهة النفوس،ج١،ص٨٢

(٧) عندما وصلت قوات المماليك إلى الجسر وجدوا عليه حامية تركمانية معدّة لتعيق تحركهم لكن عساكر المماليك تمكنوا من دحرهم، وأسر الأمير إبراهيم ابن رمضان وابنه راشد (انظر المقريزي، السلوك،ج٥، ص١٥٧؛ ابن حجر، إنباء اغمر، ج٢، ص١٣٨؛ السخاوي ، وجيز الكلام، ج١، ص٢٦٥؛ الذيل التام، حوادث ٧٤٥-٨٥٠، ص٣٣٠؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج١، ص٨٢-٨٣).

الأمـــان ، ويـــبدو أن نائـــب حلـــب وجد في هذا الطلب فرصه لإيقاع الفرقة بين الـــتركمان فوافقهم على ذلك، وحط رحاله على المصيصة، وعندما علم أحمد بن رمضان التركماني بانشطار حلفائه هرع للاعتصام بالجبال تاركاً أذنة، فوصل إلى أطراف بلاد سيس عندها أخذ بني قرمان في تتبعه ونهبه، فالتجأ ابن رمضان إلى تـــركمان البياضـــة، عندما وصل خبره إلى يلبغا الناصري رأى الأمراء المماليك ضـــرورة التوجه لتأديب تركمان البياضة، فتحركت القوات المملوكية للإيقاع بابن رمضـــان،إلا أن نائب سيس كان أسرع في الإطاحة بأحمد بن رمضان وأخيه قرا محمـــد وأولاده ، فأرسل يخبر قائد المماليك بما حققه من انتصار، وعلى ما يبدو بـــأن تلـــك النتيجة كانت مرضيه للعساكر المملوكية، التي أخذت في إكمال تقدمها نحو سيس لاستئصال شأفة التركمان العاصين، فهاجموا تركمان الميراكرية الذين عمدوا إلى المراوغة حيث تقدموا إلى القائد المملوكي بطلب الأمان بعد أن لحقت بهـــم خسائر فادحه، فأمنهم المماليك، واستقر بعد ذلك أمرهم، ولكنهم ما أن علموا بـــتحرك القـــوات المملوكـــية عائدة إلى المصيصة، حتى بادروا بتجييش قواتهم وجمعها مرة أخرى، لمداهمة المماليك بين ممرات الجبال الشديدة الوعورة هناك، ووقع القتال عند أذنة([1]).

وخلـــف الصـــدام بيـــن الطرفين العديد من القتلى إلى جانب تفرق القوات المملوكـــية ، فتاه القائد العام يلبغا ونائب حماة الأمير صنجق في شعابها،ويبدو أن أهمـــية موقـــع عساكر حماة في ميمنة القوات، ودورها البارز الذي لعبته في هذه الحـــرب، حفـــز التركمان لوضع نائب حماة ضمن أولويات خطتهم للفتك بالفرق العسكرية المملوكية، وبحلول الظلام أخذ التركمان في الانقضاض على قوات حماة للإطاحـــة بنائـــبها، ولكـــنهم لـــم يتمكنوا من ذلك لتدخل القائد العام يلبغا في صدّ هجومهم المباغت،وإثنائهم عن تحقيق هدفهم([2]).

([1])المقريزي،السلوك، ج٥،ص١٥٧-١٥٩؛ الصيرفي،نزهة النفوس،ج١، ص٨٣-٨٤؛ **وتركمان البياضة والميراكرية:** لم أقف على تعريف لهما فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها، غير أنه يبدو بأنهم عرق من التركمان قطنت أراضي مملكة أرمينية الصغرى بُعد سقوطها على يد دولة المماليك.

([2]) ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٢، ص١٣٨-١٣٩.

ثـم جـاءت الأخبار بتملك التركمان دربند باب الملك، بهدف قطع الميرة والأقـوات عن المماليك، فتوجه يلبغا إلى مدينة أياس وكانت القوات المملوكية قد اعتصـمت بهـا، فاستبشـر من بالحصن بقدوم القائد وسلامة نائب حماة وقواته، وبذلـك اسـتجمعت الفرق المملوكية قواها مرة أخرى، وظلت متحصنه بأياس ، فطـال عليهم المقام وقلت أقواتهم وضعفت هممهم، ولعل ذلك حرض قائد الحملة الأمـير يلـبغا على المواجهة العسكرية فأمر قوات المماليك بالخروج من أياس، ففوجـئوا عندها بحشود التركمان التي تجمعت لضرب المماليك ، فوقع القتال بين الطرفيـن وصـمد الأمير يلبغا في وجه التركمان، ونجح في هزيمتهم على باب الملـك، وذلـك بعد أن وصله المدد من حلب وما حولها، ثم آثر بعد ذلك السماح لقواته بالعودة إلى حلب، خشية تعذر وصول المزيد من الأقوات والمؤن إليهم([١]).

ومما لاشك فيه أن تعديات التركمان السابقة وعلى وجه التحديد تركمان بني دلغادر، كانت كفيلة ببناء حاجز يصعب تخطيه فيما بينهم وبين السلطنة المملوكية، فعلـى الـرغم من مبادرات التودد، التي أقدم عليها أمراء بني دلغادر، لنيل رضا المماليك فإن السلطان المملوكي برقوق رفض الإصغاء إليها، وأمر باعتقال الأمير سـولي بن قراجا بن دلغادر الذي جاء إلى حلب طائعاً في شهر ربيع الأول سنة ٧٨٧هـ/١٣٨٥م([٢])، كما أطلق بعدها حملة اعتقال لمناوئي السلطنة من أبناء هذه الأسـرة التركمانية([٣])، فكانت سياسة السلطان برقوق هذه سبباً في قيام التركمان بحشد قواتهم للانتقام لأميرهم المقتول غدراً([٤]).

([١]) المقريزي، السلوك، ج٥، ص١٥٩؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٨٦.

([٢]) المقريزي ، السلوك، ج٥، ص١٧٥-١٧٦؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص١٨٩؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج١، ص١١٥؛ ابن إياس ، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٥٩.

([٣]) المقريزي، السلوك، ج٥، ص١٨٤؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص٢٢٢-٢٣٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١١، ص٣٠٩؛ الصيرفي ، نزهة النفوس ، ج١، ص١٤٧؛ ابن إياس ، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٦٩.

([٤]) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص٢١٩.

ومـــا أن علمـــت الســـلطنة بتحركات التركمان هذه، حتى بادرت باستنفار القـــوات الشامية وعلى رأسها قوة نيابة حماة بقيادة نائبها الأمير سودون العلائي، وذلـــك فـــي ســـنة ٧٨٨هـ/١٣٨٦م، وخرجت جميعاً نحو طنون لإيقاف جحافل الـــتركمان الغاضـــبة(١)، إلا أن قـــوات التركمان نجحت في إنزال هزيمة ساحقة بقوات السلطنة المملوكية قتل فيها نائب حماة وعدد كبير من الأمراء والأجناد(٢).

وفي جمادى الآخرة سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م،استغل التركمان خلو نيابة حماة مـــن معظـــم قواتها لانشغالها بحركة الأمير سيف الدين جكم في حلب، فأغاروا عليها بقيادة أميرهم فارس الدين بن صاحب الباز الغازي،عندما أدرك الأمير سيف الديـــن دمرداش بأن لا طاقة لـــه بمواجهة هجوم التركمان، فر إلى حمص تاركاً نيابته تواجه مصيرها(٣)،بيد أن أهالي حماة حملوا على كاهلهم دفع التركمان عن أراضـــيهم، فاستبســـلوا في منع دخول التركمان حماة، وعندما وجد الأمير فارس الديـــن أن لا جـــدوى مـــن دخولها، أخذ في إشاعة الفوضى والفساد في ضواحي النيابة(٤).

---

(١)المقريزي،السلوك،ج٥، ص١٨٦؛الصيرفي،نزهة النفوس،ج١،ص١٣٣؛ابن إياس، بدائع الزهور،ج١، ق٢،ص٣٧٢.

(٢) ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٢، ص٢٢٠.

(٣) سعى نائب حلب الأمير دمرداش للإصلاح بين بني دلغادر وبني رمضان من أجل القضاء على حركة الأمير جكم فـــي حلـــب ومن ثم قمع التطاول التركماني على أعمال حلب، إلا أن جهوده توقفت عندما أصدرت السلطنة عفواً عن جكم، ونصبت دمرداش نائباً في حماة ، وتزامن ذلك مع وصول المد التركماني إلى حماة (انظر المقريزي،السلوك،ج٦، ص١١٨ ،١٥٧؛ ابـــن حجر، إنباء الغمر،ج٥، ص٢٩٧- ٢٩٨؛ابن إياس،بدائع الزهور،ج١، ق٣، ص٧٠٣، ٧٤٨-٧٤٩)، **والأمـــير فارس بن صاحب الباز الغازي التركماني:** اتخذ من أنطاكية مقراً لحكمه، ثم أخذ في توسيع سيطرته علـــى الـــبلاد الشمالية، فاستولى على القصير والشغر وبغراس وحارم وصهيون واللاذقية وجبلة، وقد دفع حياته ثمناً لأطماعـــه التوسعية، حيث قتل على يد الغازي ابن أوزون سنة ٨٠٨هـ(انظر ابن حجر، أنباء الغمر، ج٥، ص٣٣٤-٣٣٥؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٦٣).

(٤) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص ٧٤٨؛ أجبرت تلك الأعمال التخريبية نائب دمشق الأمير شيخ بتحريض من الأمير دمرداش نائب حماة –على ما يبدو- لأخذ أجرة شهر من البساتين والحوانيت والبيوت لإعداد قواته من أجل تأديب التركمان وردهم عن حماة، غير أن هذه الحملة لم تنفذ فأعيد ما جمع من الأهالي إليهم(انظر المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٥٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٥، ص٢٩٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٧٤٩).

وعلى الرغم من التعديات التي ارتكبتها الإمارات التركمانية، فإن السلطنة المملوكية لم تواجه ذلك بنفسها، بل اكتفت بإيكال أمر ضبط تعديات التركمان إلى نـيابة حلب، والتي يبدو أنها لم تستطيع القيام بهذه المهمة كاملة، الأمر الذي شجع بنـي قـرمان للسيطرة على طرسوس ،في حين استفحل أمر بني دلغادر وتمادى أمـراؤهم فـي إذكاء حركات العصيان ضد السلطنة في بعض بلاد الشام ، الأمر الـذي جعـل السلطنة تعمل على مواجهتهم بنفسها مباشرة، فأطلق السلطان شيخ حملة تأديبية سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م، اشتركت فيها جميع القوات العسكرية الشامية بمـا فـيها نيابة حماة التي انضمت قواتها بقيادة نائبها الأمير جارقطلوا مع باقي القـوات المصـرية والشامية واصطفت في الميدان الأخضر بحلب، حيث وزعت المهـام علـى رؤساء قوات الكتائب المملوكية، فكُلف نائب حماة بالخروج نحو ملطـية مـع نائب دمشق الأمير سيف الدين أقباي ومن انضم إليهما من تركمان وأعـراب لتأديـب الأمـير حسـن بن كبك ، وعندما وصلت العساكر الحموية والدمشقية إلى ملطية في الخامس من ربيع الآخر من السنة نفسها، وجدوا بأنها قد أُحرقـت من قبل حسن بن كبك ، فأخذت القوات المملوكية في تعقبه، وكتب نائب الشام إلى السلطان يخبره بتطورات الأحداث وما آل إليه الأمر، ويبدو أن السلطان خـاف مـن أن يلجأ ابن كبك إلى أمير بني دلغادر، فأمر ابنه إبراهيم وعدداً من الأمـراء ومـنهم على ما يبدو نائب حماة بالتوجه نحو الأبلستين للقبض على ابن دلغـادر، وفـي تلك الأثناء ورد الخبر بأن ابن كبك قد فر إلى بلاد الروم ، فآثر نائب الشام العودة ، في حين كُلِّف نائب حماة بالتوجه إلى كختا وكركر مع نائب طـرابلس،مدداً لنائـب حلب الأمير سيف الدين قجقار الذي نازل قلعة كختا، التي يـبدو بأنهـا استعصـت عليه ، فأخذ نائب حماة في منازلة قلعتي كختا وكركر ، وعمد حاكم كختا على حرق أسواقها لحرمان الجيش المملوكي من الحصول على المـؤن التـي تساعدهم على مواصلة الحصار، غير أن القوات الحلبية والحموية والطرابلسـية لـم تحقق تقدماً ملحوظاً مما دعا السلطان المؤيد شيخ للتوجه بنفسه للمشـاركة في حصار قلعة كختا. ويبدو أن صاحب كختا قد أدرك إصرار سلطان المماليك اقتحام حصنه، فلجأ إلى أسلوب المهادنة وطلب الأمان مبرهناً على صحة

طلــبه بإرسال ابنه ليكون رهينة لدى السلطان، وكان قد نزل من القلعة بعد رحيل السـلطان عـنها نحـو كركر، أما عساكر حماة فيبدو أنهم رحلوا مع بقية القوات المملوكـية صوب قلعة كركر لضرب الحصار حولها، وفي أثناء الحصار أصيب السـلطان المؤيـد شيخ في رجله، مما أجبره على الرحيل إلى حلب مخلفاً وراءه القـوات الدمشـقية والحلبـية والحمويـة على قلعة كركر، عندها تتالت الأخبار بتحركات قرا يوسف العسكرية وتمكنه من الإيقاع بتركمان قرايلوك، فما كان من نائـب حلـب إلا أن ترك موقعه على قلعة كركر وانسحب إلى حلب، وكتب نائب دمشق الأمير سيف الدين آقباي إلى السلطان المؤيد شيخ يخبره بما كان من عودة نائب حلب دون إذن مسبق، وعلى ما يبدو بأن نائب حماة آثر الانسحاب أيضاً مما أغضب السلطان، فأرسل إلى نائب دمشق يأمره بالثبات على الحصار[1].

---

(1) للوقـوف على تفصيلات أكثر عن هذه الحوادث(انظر المقريزي، السلوك، ج٦، ص٤٤٠-٤٤٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٧، ص٢٥٦-٢٦٢؛ العيني ،عقد الجمان، أحداث سنة ٨٢٠هـ، ص٢٨٨-٢٩٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٤، ص٤٧- ٥٥؛ الصـيرفي ، نـزهة النفوس، ج٢، ص٣٨٨-٣٩٣)؛ **والأمير حسين بن كبك:** قتل في الثالث من جمادى الآخرة سنة ٨٢١هـ(انظر ابن تغر بردي، المنهل، ج٥، ص١٦٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٤٢٢-٤٢٣)؛ **والأمير آقباى** بن عبد الله المؤيدي : نسبة إلى الملك المؤيد شيخ، تقلد نيابة حلب سنة ٨١٨هـ،ثم نيابة دمشق، قـتله أسـتاذه سنة٨٢٠هـ، من جراء مخالفته للأوامر العسكرية القاضية بالمرابطة على قلعة كركر(انظر ابن حجر، أنـباء الغمـر، ج٣، ص١٣٥؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٢، ص٤٦٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٣١٤)؛ **والأمير الصارمي إبراهيم بن المؤيد شيخ:** ولد في بلاد الشام في مطلع القرن التاسع قبل تنصيب أبيه سلطاناً، قلده أبوه إمرة مائة قلد تقدمة ألف بالديار المصرية، كما جرده لقيادة عدة حملات تأديبية ضد الإمارات التركمانية، توفي بالقاهرة في ليلة الجمعة في١٥ جمادى الآخرة سنة ٨٢٣هـ، بعد أن تجاوز عمره العشرين عاماً شهد له ابن تغري بردي بحسن القـيادة فقـال:" ولعمـري إنــه كان خليقاً للسلطنة، لائقاً للملك"(انظرالنجوم، ج١٤، ص١٦٦؛المنهل، ج١، ص٧٨؛ السخاوي، الضوء اللامع،ج١، ص٥١)؛ **والأمير قجقار:** القردمدي ترقى في عهد السلطان شيخ حتى صار مقدم ألف ثـم أمير سلاح ، ثم نائب حلب، قتله السلطان ططر في سنة ٨٢٤هـ(انظر ابن تغري بردي، الدليل، ج٢، ص٥٣٤؛ السـخاوي، الضـوء اللامـع، ج٦، ص٢١١)؛ و **كخـتا:** مدينة حصينة تقع على الحدود الشمالية لبلاد الشام ،شرقي ملطية(انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٦٢-٢٦٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٢٠)؛ **وكركر:** حصن بين سميسـاط و خرتـبرت شمالي حلب، تقع غربي كختا على جانب الفرات الغربي، وعدها شيخ الربوة من " ثغور تجاه الأرمن والتتار" (انظر نخبة الدهر،ص٢٧٣؛ أبو الفداء ، تقويم البلدان، ص٢٦٤-٢٦٥؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص١٢٠؛ صابر محمد دياب، المسلمون وجهادهم ضد الروم، ص٣١)؛ **وقرايلوك:** وتكتب أيضاً وقرايلك وهو لقب لـبهاء الديـن قرا عثمان البايندري زعيم أسرة الآق قوينلو(الشاة البيضاء)التركمانية التي وفدت من أواسط آسيا نتيجة غزوات المغول على بلاد خوارزم،و استقرت في بعض المناطق من أرمينا والفرات العليا(انظر محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص٤٤٨).

وبعدمـــا دخل السلطان المؤيد شيخ حلب أمر بأن يمثل كل من نائب دمشق ونائب حلب ونائب حماة في مجلسه، فأخذ في توبيخ نائب حلب الأمير سيف الدين قجقار على انسحابه من كركر، ثم أمر بسجنه وحبسه، أما نائب حماة فإن عقوبته جاءت مخففه -على ما يبدو- حيث أمر بنقله من نيابة حماة إلى نيابة صفد([١]).

ويـــبدو أن هذا التجرؤ على أملاك السلطنة، حفز جماعات تركمانية أخرى على نشر الفوضى والفساد من نهب وسلب في أعمال نيابة طرابلس، مما استدعى تدخـــل نائـــبها الأمير برسباي الدقماقي لكف أيدي التركمان عن صافيتا، وحدث صـــدام بين الطرفين، أدى إلى هزيمة نائب طرابلس و قتل عدد كبير من المماليك والـــتركمان، وذلك في ٢٦ من شعبان في ذات العام([٢])، فرأى السلطان ضرورة الضرب بيد من حديد على تطاول ابن قرمان الذي كان يُعد -في نظره- المحرض الأول لجماعات التركمان للنيل من هيبة السلطنة، فآثر إشهار الورقة الرابحة التي قـــد تســـاعده في كسب تأييد قسم كبير من التركمان، ألا وهو علي بك أخو محمد ابن قرمان الذي فرّ من أخيه ولجأ إلى الأبواب السلطانية فأكرمه السلطان وأذن له بالحج في سنة ٨٢١هـــ/ ١٤١٨م، حيث أمر المؤيد شيخ بخروج القوات المملوكية المصـــرية، تساندها قوات بلاد الشام بقيادة نواب الأقاليم لتأديب محمد بن قرمان وإقرار أخيه علي بك في إمارة بني قرمان([٣]).

([١]) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٧، ص٢٦٢-٢٦٣؛ العيني، عقد الجمان ، حوادث سنة ٨٢٠، ص٢٩٥-٢٩٦؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٤ ، ص٥٥-٥٦؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ص٣٩٣-٣٩٤.

([٢]) ذكر ابن تغري بردي بأن تلك الجماعات التركمانية هم من تركمان الأنيالية والأشوريه(انظر، النجوم، ج١٤، ص ٧٢)؛ **وصافيتاأو** صافينا كانت أحد أشهر حصون من طائفة الداوية وبه برج يسميه الصليبيون"القصر الأبيض" كان يقع على الجبال التي تسمى حالياً بجبال العلويين التي تشرف على ساحل البحر الممتد مابين اللاذقية وطرسوس(انظر على الغامدي، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي،ص٢٣٩،حاشية٤) .

([٣]) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٧، ص٣٤٣؛ العيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٨٢٢هـــ، ص ٣٤٣-٣٤٤؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٢، ص٤٣٦؛ **ومحمد ابن قرمان:** هو ناصر الدين بك بن على بك بن قرمان أمير لارندة ونكدة ، كانت لـــه وقعة مع ابن عثمان سنة ٨١٨هـــ، ثم ساءت علاقته بالدولة المملوكية حتى تمكن ابن دلغادر من القبض عليه سنة ٨٢٢هــــ، لـــيرحله إلـــى الأبواب السلطانية(انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٢٥، ٨٨، ١٨٠)؛ **وعلي بك (علـــباك أو علـــي باك) ابن قرمان:** قلدته السلطنة إمارة بني قرمان غير أنه ما لبث أن خلع عنها بأخيه ناصر الدين محمـــد، ويـــبدو ان ذلـــك كان سبباً لمساعدته للفرنج عندما خرج الأسطول المملوكي يستعيد قبرص(انظر ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج١٤، ص١٨٠، ٢٩٤).

ومما تجدر الإشارة إليه أن السلطان المؤيد شيخ حرص على سرية الحملة، حيث أمر بتعويق الخاتون أم إبراهيم بن رمضان التي لجأت إليه في ذي القعدة من سنة ٨٢١هـ/ ١٤١٨م ، فلم يأذن لها بالرجوع إلى بلادها([1])، وباستكمال الاستعدادات خرجت القوات المملوكية من مصر بقيادة الأمير الصارمي إبراهيم في يوم الاثنين ١٦ صفر سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م، وعند دخولها دمشق كان في استقبالها نائب حماة الأمير شاهين الزردكاش مع بقية نواب بلاد الشام([2]). ثم تحركت القوات المملوكية بعد أن استراحت أياماً في دمشق نحو حلب، فوصلوا تل السلطان في يوم الثلاثاء غرة ربيع الأول، حيث استقبلهم نائب حلب الذي اختار هذا المكان لمراقبة تحركات التركمان، وحفظ حدود بلاده من أي هجوم مباغت([3])، ثم انضم نائب حلب إلى القوات المملوكية التي تقدمت صوب مدينة قيسارية، فدخلتها دون مقاومة بعدما فر منها نائبها([4]).

ويبدو أن القوات المملوكية في تلك الأثناء انقسمت إلى فرقتين وفقاً للأوامر السلطانية([5])، وذلك للانتشار في مساحة واسعة من أراضي التركمان وحصار الأمير محمد ابن قرمان ومن معه ومنعهم من الهروب، وتولت الفرقة الأولى مهمة تمشيط الأراضي الشمالية لبلاد ابن قرمان، فسارت القوات المصرية بقيادة الأمير الصارمي إبراهيم ومعه نائب حماة وبقية نواب بلاد الشام رأس قواتهم نحو مدينة قونية في ١٥ ربيع الآخر ، ومنها واصلوا سيرهم نحو نكده التي خرج أهلها لاستقبالهم في ١٨ من شهر ربيع الآخر، وعلى الرغم من استمالة الرأي العام

([1]) ابن تغري بردي، النجوم ، ج١٤، ص٧٥؛ **والخاتون:** لقب يعني الأميرة (انظر غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٢١).

([2]) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٤٩١؛ العيني ، عقد الجمان ، حوادث سنة ٨٢٢هـ، ص٣٤٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤،ص٧٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢،ص٤٣٨.

([3]) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٧٧.

([4]) ورد عن العيني بأن نائب قيسارية هو محمد بن دلغادر وأنه ظل نائباً عليها بإقرار ابن السلطان (انظر العيني، عقد الجمان ، حوادث سنة ٨٢٢هـ، ص٣٤٤-٣٤٥؛ ابن تغري بردي، النجوم ، ج١٤، ص٨٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٤٣٨).

([5]) العيني، عقد الجمان ، حوادث سنة ٨٢٢هـ، ص٣٤٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٤٣٨-٤٣٩.

التركمانـــي([1])، إلا أن القوات المملوكية لم تتمكن من دخول القلعة لبعض الوقت، فعمدوا على تضيق الحصار عليها وضربها بالمنجنيقات ، حتى اضطر محمد ابن قـــرمان إلى الفرار منها مع عدد من رجاله([2])، فدخلتها القوات المملوكية في ١٢ رجـــب، وعيـــن عليها على بك بن قرمان([3])، ثم سارت القوات المصرية تساندها قـــوات حماة وباقي القوات الشامية إلى مدينة أركلى، ومنها إلى لارنده ، وعندما وصـــلت تخومها في جمادى الآخرة ، عسكرت بالقرب منها وتمكنت من دخولها بعدمـــا فـــر معظم أهالي البلد إلى الجبال والمغارات ليتحصنوا بها([4])، وأمر ابن السلطان بإرسال فرق عسكرية الواحدة تلو الأخرى لقمع تركمان المنطقة والبحث عـــن ابن قرمان، وتمكنت واحدة منها بقيادة نائب حلب الأمير يشبك اليوسفي، من الإيقـــاع ببعض التركمان ،والعودة محملاً بالغنائم([5])، كما بعث الأمير الصارمي إبراهـــيم سرية إلى جبال لارندة، كان عليها نواب حماة وطرابلس وصفد ، وذلك لكـــبس ابـــن قـــرمان ، فباغتوه في ليلة الجمعة ٦ جمادى الآخرة وأجبروه على الفـــرار إلـــى أذنـــه في الجنوب، وبذلك تمكن ابن السلطان من تمشيط الأراضي الشـــمالية واستقرت البلاد بيد علي بك بن قرمان، وشهد الصارمي مظاهر التبعية للســـلطنة المملوكـــية حيث أُقيمت الخطبة لها وسُكت العملة باسم السلطان المؤيد شيخ([6])، ثم آثر الصارمي العودة إلى حلب بعدما جاءته الأخبار السارة عن نجاح

([1]) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٨٣-٨٤؛ ولعل المراد **بنكده** المدينة القديمة التي ذكرها ياقوت الحموي بإسم نكيدا الواقعة في آسيا الصغرى شمالي قيسارية بثلاثة أيام وتبعد عن هرقلة ثلاثة أيام أيضا(انظر معجم البلدان، ج٥، ص٣٠٣)؛ **وقونـــية**: مديـــنة تقـــع فـــي وســـط آسيا الصغرى إلى الجنوب من أنقرة وإلى الشمال من البحر الأبيض المتوسط(محمد فريد بك ،تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٦٨، حاشية ٤).

([2]) انظر ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٧، ص٣٤٣؛ العيني ، عقد الجمان ،حوادث سنة٨٢٢، ص٣٤٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٨٤؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٢، ص٤٣٨.

([3]) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٥٠٤؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٤، ص٨٦.

([4]) العيني ، عقد الجمان ،حوادث سنة ٨٢٢هـــ، ص٣٤٥؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٢، ص٤٣٨؛ **وأركلي ولارندة**، مـــن المـــدن التـــي كانـــت خاضـــعة تحـــت سيطرة إمارة بني قرمان، وقد اتخذوا من الأخير عاصمة لهم في بعض المراحل(انظر زامباور، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، ص٢٣٦؛ عبد الكريم غرايبة، العرب والأتراك، ص٢٧١)

([5]) ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٤،ص٨٦.

([6]) المقريـــزي، الســـلوك، ج٦، ص٥٠٤؛ العينـــي، عقد الجمان ،حوادث سنة ٨٢٢هـــ، ص٣٤٥؛ الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٢، ص٤٣٨.

الفرقة الثانية التي تولى قيادتها نائب دمشق الأمير تنبك ميق في تمشيط الأراضي الجنوبية من أملاك ابن قرمان بحثاً عنه وكفاً لاعتداءاته على طرسوس، حيث أثخن في أراضي التركمان بعد أن انضم إليه الأمير عز الدين حمزة ابن رمضان بجماعة من التركمان لمساندته عسكرياً، فساروا معاً نحو المصصية وتمكنوا من السيطرة على أدنه وطرسوس في ١٥ ربيع الأخر سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م، كما أوقع بابن قرمان الذي احتمى بأدنه فاراً من الصارمي إبراهيم في الشمال، وذلك في الثالث من رجب، ففر محمد ابن قرمان وابنه مصطفى وإبراهيم ابن رمضان عقب تلك الوقعة نحو قيسارية حيث الأمير ناصر الدين محمد ابن دلغادر الذي منعهم من دخول المدينة فحاصرها، ولكنهم لم يتمكنوا من اقتحامها، لقوة دفع ابن دلغادر لهم الذي تمكن في نهاية المطاف من هزيمتهم فأسر ابن قرمان وسجن بقيسارية ، في حين قتل ابنه وحمل رأسه إلى القاهرة فوصلها في ١٦ من شهر رمضان سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩([1]).

كان لنجاح الحملة التأديبية التي أطلقت سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م، أثره البالغ، على الصعيد السياسي لدولة المماليك إذ سارع عدد من أمراء التركمان إلى تقديم فروض الطاعة والولاء، وتجديد التبعية والخضوع للسلطان المملوكي، فكان منهم الأمير طرعلى التركماني أمير قرايلوك الذي حضر وفده عند حصن منصور لملاقاة السلطان المؤيد شيخ وفي جعبتهم هدية للسلطان المملوكي وذلك في أواخر جمادى الآخرة سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م([2])، وكان يهدف من وراء ذلك الحصول

([1]) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٥٠٧؛ على ما يبدو بأن السبب من وراء انقسام أمراء بني رمضان بين المناصر لابن قرمان والمعارض له، يعود إلى الصراع الأسري الذي حدث في إمارة بني رمضان على عرش الإمارة الذي خلا عقب وفاة جدهم الأكبر أحمد ابن رمضان(انظر القرماني، أخبار الدول، ج٣، ص١٠٦)؛ و **ناصر الدين محمد بن خليل بن دلغادر**:كان ذا علاقة مضطربة مع دولة المماليك حتى عهد السلطان جقمق الذي سعى للحد من تمرد الأمير التركماني بعقد قرانه على ابنته نفيسه في سنة ٨٤٣هـ، فهدأت جبهة تركمان بني دلغادار بعدها، إلى أن توفي ناصر الدين محمد في أوائل جمادى الآخرة سنة ٨٤٦هـ(انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص٤٩٩، ٥٤٢؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص٢٩٣-٢٩٤)؛**عز الدين حمزة بن رمضان:** لم أقف على ترجمة له فيما اطلعت عليه من مصادر غير أنه حمزة بن إبراهيم بن أحمد ابن رمضان.

([2]) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٤٤٣؛ العيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٨٢٠هـ، ص٢٩٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٥٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ص٣٩٢.

على مساعدة مملوكية ضدّ خصمه الأمير التركماني قرا يوسف، فتحقّق لـــه ذلك، بعدمـــا شـــن هجومه الخاطف على ماردين التابعة لقرا يوسف في سنة ٨٢١هـــ/ ١٤١٨م، عندها شعر بحرج موقفه، بادر باللجوء إلى السلطان المملوكي هرباً من غضب قرا يوسف الذي شرع في تعقبه حتى الحدود الشمالية لنيابة حلب فنهب كلاً من عينتاب والبيرة([١]).

والذي يهمنا هنا هو أن دخول قرا يلوك تحت مظلة السلطنة المملوكية منذ ذلـــك الـــتاريخ زاد مـــن قوة إمارة قرا يلوك التركمانية، حتى أخذت تناطح دولة المماليـــك ذاتهـــا، فأخذت تهدّد الحدود الشمالية لنيابة حلب، في حين هاجم أميرها عـــثمان بـــن طرعلىقـــرايلوك خرتـــبرت سنة ٨٣٣هـــ/١٤٢٩م([٢]). إضافة إلى استخفاف هذا الأمير التركماني بالسلطنة، وذلك من خلال هدية بعثها إلى السلطان المملوكـــي الأشـــرف برســـباي سنة ٨٣٦هـــ/١٤٣٣م([٣])، فما كان من السلطان المملوكـــي إلا الخـــروج علـــى رأس حملـــة تأديبية أُستنفرت فيها جميع القوات المصـــرية والشـــامية بما فيها نيابة حماة التي استقبل نائبها الأمير جلبان المؤيدي السلـــطان الأشـــرف برســـباي في أواخر شعبان، وقام بواجب الضيافة للسلطان المملوكي خارج حماة ثلاثة أيام ،ثم رحل عنها ومعه عساكر حماة، فوصلوا حلب في يوم السبت الخامس من رمضان سنة ٨٣٦هـــ / ١٤٣٣م([٤])، وأقام بها نصف

([١]) العينـــي ، عقد الجمان حوادث سنة ٨٢١، ص٣٢٨؛ انظر كذلك الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٢، ص٣٩٢-٣٩٣؛ **البيرة:** قلعة حصينة مرتفعة في البر الشمالي الشرقي لنهر الفرات(انظر أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٦٨-٢٦٩)

([٢]) ابـــن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص١٧٣؛ و**عثمان بن طرعلى التركماني** بن قطلبك ويعرف بقرايلوك أو قرا يلك، يـــنحدر مـــن أسرة تركمانية سكنت ديار بكر وكان والده من أمراء التركمان، فورث الإمرة من بعده ودخل في طاعة تيمورلنك فاستنابه على ديار بكر ، اتسمت علاقته مع دولة المماليك بالمراوغة والتأرجح بين السلم والحرب ،كما كانت له مواجهات عسكرية مع قرايوسف وابنه إسكندر انتهت بمقتله سنة ٨٣٩هـــ(انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج٧، ص ٤٢٤؛ الدليل، ج١، ص٤٤٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٣٥٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٥، ص١٣٥).

([٣]) وتألفت الهدية على مرآة وخروف و خلعه ففسرها برسباي على أن الخروف يقصد به شخص السلطان وأما المرآة فهي تعني بأن من في بلاط السلطاني ليسوا إلا نساء، في حين أريد بالخلعة إعلان تبعية السلطنة لقرايلوك، فحملت هذه الهدية في معناها إهانه بالغة لشخص السلطان المملوكي وتحدٍ مشين لهيبة السلطنة المملوكية(ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٩-٢٠).

([٤]) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١١.

شـــهر يستقبل أمراء التركمان الذين حضروا لتأكيد ولائهم لـــه، كما حضر رسل قـــرايلوك لطلب الصلح إلا أنهم عُوِّقوا، ولم يُرَدَّ عليهم بسرعة، وذلك حتى تكتمل الترتيبات العسكرية لقوات المماليك التي كانت تنوي مهاجمة أراضي قرايلوك([١]). حيث تقدمت عساكر حماة وطرابلس وصفد نحو الفرات لتأمين الطريق للسلطان ، وذلـــك ببناء جسر تعبر عليه القوات المملوكية، فكان وصولهم إلى الضفة الغربية لنهر الفرات في ١٦ رمضان من ذات العام، وباكتمال بناء الجسر غادرت القوات المملوكـــية حلـــب نحو الفرات في ١٩ من ذات الشهر، بقيادة السلطان الأشرف برسباي([٢])، وعبرت الجسر نحو البيرة ، حيث أقام بها السلطان إلى أن تم ترتيب أمورهـــا ثـــم غادرهـــا فـــي أواخـــر شهر رمضان تاركاً فيها الكثير من الأثقال الســـلطانية، متوجهاً إلى آمد، وفي طريقة مرّ على الرّها، فلم يجد بها إلا العاجز والضعيف([٣])، فقضى ليلة العيد بها، وفي صبيحة اليوم التالي أكمل سيره إلى آمد، فوصلها في يوم الخميس الثامن من شوال، ووجد الأمير قرايلوك عثمان قد فر من المديـــنة بعد أن أغرق أراضيها بالماء، وترك ابنه على قلعتها، أما هو فقد اعتصم بقلعـــة أرقنين([٤]). ويبدوا أن السلطان أدرك أن حصار آمد سيطول أمده([٥])، فرأى أن لا ضير من إرسال فرقة من جيشه للإغارة على قلعة أرقنين بقيادة نائب دمشق الأمـــير جارقطلوا،شـــاركه فـــيها نائب حماة جلبان المؤيدي، إضافة إلى تركمان

([١]) المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٥٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١١-١٢؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٥٢٤.

([٢]) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٢٧٩.

([٣]) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١٣-١٤؛ انظر كذلك المنهل ،ج٧، ص٤٢٦؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٥٢٤؛ الذيل التام، حوادث سنة ٧٤٥- ٨٥٠هـــ،ص٥٧٩.

([٤]) المقريـــزي، السلوك، ج٧، ص٢٥٤؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٥، ص١٣-١٤؛ وأرقنين: لعلها إحدى القلاع الحصينة القريبة من آمد.

([٥]) وعلى الرغم من جهود العساكر المملوكية في حصار آمد إلا أن ذلك لم يرضِ طموح السلطان المملوكي الذي صب جـــام غضبه على الجند والأمراء، ففكر بعضهم في الثورة على السلطان للتخلص من ضغطه، ولكنهم لم يجرؤا على ذلك، والذي يلفت النظر أن نائب حماة الأمير جلبان لم يرد اسمه ضمن من حاول الثورة ضد السلطان، بل كان يتردد كل يوم على معسكر السلطان (انظر المقريزي، السلوك،ج٧، ص٢٥٤؛ ابن تغري بردي، النجوم،ج١٥، ص١٦-١٩)؛ عن حصار أمد وجهود السلطان المملوكي للاستيلاء عليها(انظر المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٥٤-٢٥٥؛ ابن تغري بردي، النجوم ، ج١٥، ص١٥-٢٤؛ السخاوي، الذيل التام، حوادث سنة٧٤٥-٨٥٠هـــ، ص٥٧٩-٥٨٠).

الطاعة والعرب(١)، فوجدوا قرايلوك قد ضرب خيمته تحت القلعة، فبادرت القوات المملوكية بمهاجمته قبل أن يعتصم وقواته بالقلعة، فاصطدم الطرفان، ونجحت القوات المملوكية في إنزال هزيمة قوية بقرايلوك، وأجبرته على الانسحاب إلى داخل القلعة المذكورة(٢).

أدت هذه الهزيمة إلى دفع قرايلوك إلى إعادة النظر في علاقته مع المماليك فآثر الرضوخ لهم، وعقد الصلح معهم، فأرسل إلى نائب دمشق وبقية النواب بما فيهم نائب حماة بطلب التوسط فيما بينه وبين السلطان، كما بعث إلى السلطان برسباي بكاتب سري لتأكيد عزمه على الصلح، والتعرف على شروط السلطنة(٣)، التي تركّزت حول تحديد أولويات العلاقة السياسية والاقتصادية بين الطرفين، فقضت على أن يخطب قرايلوك للسلطان على المنابر، و يضرب اسمه على السكة(٤).وأن يتنازل عن الرّها، وأن يضرب قرايلوك بيدٍ من حديد على قُطاع الطرق لحماية القوافل المتجهة للسلطنة(٥)،وفي مقابل هذا أرسل السلطان إليه الخلعة وهي فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش معلناً بذلك نهاية الحملة(٦).

وعلى أثر هذه الاتفاقية هدأت الجبهة المملوكية التركمانية ردحاً من الزمن إلى أن تجرأ بني دلغادر على مناصرة أحد الأمراء الخارجين على طاعة السلطان، فأمر السلطان برسباي عندها بإنفاذ حملة تأديبية ضدّ بني دلغادر ضمت فرقة من الجيش المصري بقيادة الأمير الكبير جقمق العلائي الناصري، وانضم

(١) المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٥٥.

(٢) ابن تغري بردي ، النجوم ، ج١٥، ص٢٤.

(٣) كان كاتب السر هو القاضي شرف الدين أبو بكر الأشقر(انظر المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٥٥؛ انظر كذلك ابن تغري بردي ، المنهل، ج٧، ص٤٢٦).

(٤) ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٥، ص٢٦؛ السخاوي، الذيل التام، حوادث٧٤٥-٨٥٠هـ، ص٥٨٠.

(٥) السخاوي ، وجيز الكلام ج٢، ص٥٢٥؛ الذيل التام ، حوادث سنة ٧٤٥-٨٥٠هـ، ص٥٨٠.

(٦) المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٥٥؛ ابن تغري بردي ، المنهل، ج٧، ص٤٢٦؛ **وكنبوش:** البرذعة توضع تحت سرج الفرس(نظر محمد دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص١٣١؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص ٤٦٧)؛ **وزركش:** زخرفة الثوب وتطريزه من حواشيه بخيوط من ذهب(انظر محمد دهمان، معجم الالفاظ التاريخية ، ص٨٦).

إلـــيه بعـــد وصوله إلى بلاد الشام عساكر حماة بقيادة نائبها قانباي الحمزاوي مع غـــيره من نواب الشام([1])، وقضت خطة الهجوم أن تتقدم عساكر حلب وحماة إلى أراضي بني دلغادر لتمهيد الطريق للعساكر المصرية التي ظلت مقيمة في حلب، فوصـــلت القـــوات الحلبية والحموية إلى عينتاب في شهر شعبان من ذات العام، ومـــنها تقدمـــت إلى الدربند، فعبرت الجسر، إلى دربند كينوك، حيث توقّفوا بها بعـــض الوقـــت بسبب تساقط الثلوج التي سدت ممراتها، واضطروا بعد ذلك إلى الـــتحول إلى معبر أترنيت من أعمال بهسنا، ورغم أنه لم يكن بأفضل من سابقه، إلا أن القـــوات المملوكية تمكنت من عبوره بمساعدة أهل البلاد، وعسكرت تحت جـــبل بـــزقاق، حيث جهز الأمير تغري برمش فرقة من الكشافة مكونه من ٤٠ فارساً تقدمت فلول القوات المملوكية، فتمكّنت أثناء سيرها من الإيقاع بكشافة ابن دلغـــادر فقـــبض علـــى بعضهم، وفر الباقون نحو الأبلستين محذرين أميرهم من مباغـــتة القـــوات المملوكـــية، وما أن سمع ناصر الدين ابن دلغادر بمقدم القوات المملوكـــية حـــتى لاذ بالفـــرار تاركاً الأبلستين، فدخلها تغري برمش نائب حلب، والأمـــير قانـــباي الحمزاوي نائب حماة دون مقاومة في يوم الثلاثاء ٩ رمضان، وطلـــبا من أهلها الخروج إلى درندة، وبعدها عادت القوات الحلبية والحموية إلى قواعدها محملة بالغنائم([2]).

وعـــندما عاود بنو دلغادر تهديدهم للوجود المملوكي في المنطقة سنة ٨٤٠ هـــ/١٤٣٦م([3])،أثـــار تنامي قوة بني دلغادر مخاوف السلطنة المملوكية خاصة بعدمـــا اســـتعانت بقوة الدولة العثمانية في توسعها على حساب جيرانها، فأطلقت الســـلطنة علـــى أثر ذلك حملة عسكرية لنصرة ابن قرمان التابع لدولة المماليك،

([1]) المقريزي،السـلوك، ج٧، ص٧٥، ٣٠٩، ٣١٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص٧٦، ٧٨؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٣٤٤.

([2])المقريزي، السلوك، ج٧، ص٣١٣؛ابن تغري بردي،النجوم،ج١٥،ص٧٨-٧٩؛ انظر أيضاً الصيرفي،نزهة النفوس ، ج٣، ص٣٥٢-٣٥٣؛ **وبهسـنا**:قلعـة حصـينة من أعمال حلب،قرب مرعش وسميساط(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج١، ص٥١٦)؛**ودرندة:** تقع على جبل قرمانيا(انظر أبو الفداء، تقويم البلدان،ص٢٢١)؛ **دربند كينوك:** لم اجد لها تعريف فيما توفر لدي من مصادر اطلعت عليها، ولعله الطريق المؤدي إلى كينوك.

([3])انظر المقريزي، السلوك، ج٧،ص٣٣٢-٣٣٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٤١٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج ١٥، ص٨٢-٨٥؛ السخاوي، الذيل التام، ج١، ص٦٠١.

والـذي سـلبت مدنـه من قبل ابن دلغادر. فأصدر عند ذلك السلطان أوامره إلى القـوات الحموية بالخروج مع بقية قوات النيابات الشامية نحو الأبلستين فوصلتها فـي صفر من ذات العام، ومنها ساروا نحو آق شهر لانتزاعها من حاكمها حسن الأيتاقـي، فوصـلوها فـي أول ذي الحجة وضربوا عليها الحصار، وتمكنوا من دخولهـا بعـد هروب حاكمها، كما نجحت هذه القوات في السيطرة على عدد من القـلاع المجاورة لها(١)، الأمر الذي أثار مخاوف ابن قرايلوك، فبعث يسأل العفو ويعرض تنازله عن أرزنكان، فوافق نائب حلب وبعث مع رسول ابن قرايلوك من يتسـلمها ثـم خرج بقواته من أق شهر نحوها وبصحبته العساكر الحموية، فنزلوا علـيها دون أن يتعرضـوا لأهلها، وأقاموا بها شهر ذي الحجة، وفي يوم الثلاثاء الأول مـن محرم سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م، رحلت عنها القوات المملوكية عائدة إلى حلب وحماة(٢).

وفـي سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م، دعا السلطان جقمق إلى النفير العام للقوات الشامية للمرابطة بحلب تحسباً لهجوم تركماني متوقع ، فخرجت العساكر الحموية إلـى حلـب ، وظلـت مرابطة بها عاماً كاملاً تنتظر ما ستسفر عنه المراسلات التركمانية المملوكية، حتى جاء الأمر السلطاني في رجب سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م، بعودة القوات المملوكية المرابطة بحلب إلى قواعدها بما فيها عساكر حماة(٣).

وفي سنة ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م، أنفذت حملة تأديبية لقمع شاة سوار الذي كان يُعـد لمهاجمة الأراضي الحلبية بحجة أنها" لآبائه وأجداده"(٤)، فخرج نائب حماة

---

(١)ومـن هـذه القلاع فارس وتماشي و بزطلش وبرداش(انظر المقريزي، السلوك، ج٨، ص٣٦٤؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٤٢٦-٤٢٧)؛ **وآق شهر:** مدينة تركية تقع في آسيا الصغرى جنوبي بحيرة آق شهر وصفها القرماني بأنها" من أنزه المدن ذات أشجار مثمرة وأنهار"(أنظر أخبار الدول،ج٣، ص٣٠٦؛ المنجد ،ص٥٨).

(٢) المقريزي، السلوك، ج٧، ص٣٦٤، ٣٧١؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٩، ص١٣-١٤؛ الصيرفي نزهة النفوس، ج٣ ، ص٤٢٧، ٤٣٥؛ **وأرزنكان:**لم أجد لها تعريف فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

(٣) ذكـر البقاعـي أن الأمر بعودة القوات صدر في الأول من شعبان من ذات العام(انظرا بن تغري بردي، حوادث الدهـور، ج١، ص٢٧٤، ٣٣٠؛ البقاعـي، إظهار العصر، ق١، ص١٣٣؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص٣٢٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٨٠).

(٤) السخاوي، الضوء اللامع ، ج٣، ص٢٧٤.

الأمـــير تنم الحسيني، ومعه نائب طرابلس لمساعدة أهل حلب في دفع قوات شاة ســـوار عنها في حال تعرضها لهجوم مرتقب من قبل شاه سوار(١)، الذي يبدو أن اســـتفحال أمره، دفع القوات المملوكية للخروج من حلب، لمباغتته في معسكره، قـــبل أن يقـــوم بهجومه المرتقب عليها إلا أن القوات المملوكية لم تفلح في تحقيق مرادها ، حيث منيت بهزيمة نكراء أمام قوات شاه سوار، ذهب ضحيتها عدد من الأمـــراء الحمويـيـــن كان على رأسهم أتابك حماة الأمير شادبك فرفور الأشرفي، ووصلت أخبار هذه الهزيمة إلى حلب في ربيع الأول سنة ٨٧٢هـــ/١٣٦٧م(٢).

وعـــندما تقلّـــد الســـلطان قايتباي عرش السلطنة، بدأت مرحلة جديدة من الصـــراع المملوكـــي التركماني أشد وطأة من سابقتها، حاول من خلالها الثأر من الهزيمة السابقة، حتى إن المؤرخ ابن إياس وصف أسلوب قايتباي في التعامل مع حيثيات الصراع بأسلوب "العترسة"(٣). ولعل السلطان قايتباي كان محقاً في رؤيته هـــذه، فمـــا وصـــلت إليه الإمارة التركمانية من قوة وبأس وإصرار أميرها على الـــتطاول السياسي والعسكري، ناهيك عن كسبه للدعم العثماني ، كل ذلك يُعد من المعطـــيات التي تستدعي تدخل عسكري حاسم للقضاء على حركة شاة سوار قبل أن تقـــوى شـــوكته، كما أن البدائل الدبلوماسية التي وضعها ابن إياس من إرسال السلطان قايتباي بخلعة وهدية لشاة سوار، ما هي إلا تنازلات قد تُعَوّل عن ضعف الســـلطان قايتـــباي الحديث العهد بشؤون السلطنة، مما قد يزيد من قوة شاة سوار ويحفز غيره على التعالي سياسياً وعسكرياً على السلطنة.

وبالـــرغم مـــن اهـــتمام قايتباي بتجهيز هذه الحملة أصدر أوامره لفرسان النـــيابات الشـــامية الذيـــن نجـــوا من الهزيمة السابقة بما فيهم فرسان نيابة حماة

---

(١) ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٦، ص٣٠٠ ،٣٠٢.

(٢)الســـخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٨٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤٦٠؛ شاركت عساكر حماة ضمن جموع القوات المملوكية تحت قيادة أتابك حماة الأمير شادبك فرفور، وذلك لمرض مفاجئ أصاب نائب حماة فأقعده عن الخروج (انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج١٦، ص٣٦٢؛ القرماني، أخبار الدول، ج٣، ص١٠١).

(٣) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٧.

بالمشـــاركة في هذه الحملة([1]) إلا أن حملته باءت بالفشل الذريع حيث أُسر قائدها وقتل عدد كبير من أمرائها وجندها([2]).

وقـــد شجع هذا الانتصار الأمير التركماني شاة سوار على مهاجمة عينتاب والسيطرة عليها، وسجل بذلك اختراقاً جديداً للحدود الحلبية([3])، كما سعى بعد ذلك للاستيلاء على قلعة درندة، وتمكن من دخولها في شهر جمادى الأولى سنة ٨٧٣ هـــ/١٤٦٨([4]).

وقـــد أدى هـــذا التطاول من قبل شاه سوار، إلى مسارعة السلطان قايتباي بـــإعداد حملـــة عسكرية جديدة لإيقاف شاه سوار عند حدّه، خرجت من الأراضـي المصـــرية بقيادة الأمير يشبك بن مهدي الدواداري([5])، خرج لاستقبالها نائب حماة الأمـــير بلاط اليشبكي مع غيره من نواب الشام عند وصولها إلى حمص في يوم الـــثلاثاء مستهل ذي الحجة سنة ٨٧٥هـــ/١٤٧١م. ثم فارق الأمير بلاط الجموع المملوكية إلى حماة ليكون في استقبالهم عند دخولها، حيث دخلها القائد يشبك ومعه نـــواب طرابلس وصفد ومصياف، وبقي الجميع بحماة حتى يوم الاثنين ٧ من ذي الحجـــة، ثم غادروها إلى حلب، ومنها إلى عينتاب، وضربوا حصاراً محكماً على المديـــنة، وقذفوا أسوارها بحمم منجنيقاتهم، ونجحوا في اقتحام المدينة بعد حصار

([1]) السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٧٩٣؛ البصروي، تاريخ البصروي، ص٣١.

([2]) الصيرفي، أنباء الهصر ، ص٢، البصروي ، تاريخ البصروي، ص٣١

([3]) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٢.

([4]) الصيرفي ، إنباء الهصر، ص١٨، ٤٤.

([5]) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٥ ،٥٩؛ الصيرفي أنباء الهصر، ص٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٤؛ محمد دهمان، العراك بيـــن المماليك والعثمانيين الأتراك ،ص٦٥؛ **والأمير يشبك بن مهدي** الظاهري جقمق : تنقل في مناصب وظيفية عده حـــتى اســـتقر في الدوادرية الكبري، كانت له عدة مشاركات عسكرية لدحر الثائرين على السلطنة المملوكية، قتل في رمضان سنة ٨٨٥هـــ، على يد الأمير يعقوب بن حسن باك(السخاوي،الضوء اللامع،ج١٠، ابن إياس، بدائع الزهور،ج ٣،ص١٧٢-١٧٣؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان،ج١، ص٢٨).

دام بعض الوقت، حيث وصلت البشائر إلى الحضرة السلطانية بالقاهرة في شهر صفر من سنة ٨٧٦هـ/١٤٧١م([١]).

وبعد سقوط عينتاب شعر الأمير شاة سوار بحرج موقفه أمام قوات المماليك، فعمد إلى تحصين أفراد أسرته بأن أسكنهم أحد القلاع الحصينه، ثم سعى بعدها إلى الدخول في مفاوضات مباشرة مع القائد المملوكي يشبك، حيث أوفد إليه أحد كبار أمرائه، وهو المعروف بابن أجا، فعرض على يشبك تسليم قلاع التركمان دون قيد أو شرط، إلا أن هذه المفاوضات ما لبثت أن وصلت إلى طريق مسدود بسبب إصرار شاة سوار على إبقاء حامية تركمانية داخل هذه القلاع، ريثما يحصل على عفو سلطاني مكتوب([٢]).

وبهذا غدا الخيار العسكري للمماليك هو البديل الوحيد، فاصطدم الجيشان عند نهر جيحان في يوم الاثنين ٢٧ من جمادى الأولى، وأسفرت المعركة عن انتصار ساحق للأمير يشبك، أجبر خصمه شاة سوار إلى الفرار، ومن ثم

([١])ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٦٢؛ محمد دهمان ، العراك بين المماليك والعثمانيين ،ص ٧٩-٨٣، ٩١-٩٥؛ والجدير بالذكر أن نائب حماة الأمير بلاط عمد للاستعفاء من منصبه النيابي، وطلب أن يستقر أمير كبير بطرابلس في هذه المرحلة، ويبدو أن شدة اهتمام السلطان المملوكي بالحملة التأديبية أثارت مخاوفه باعتباره مسؤولاً عن إحدى أهم القوى العسكرية في بلاد الشام، وعلى الرغم من موافقة السلطان على طلبه، وتعيين الأمير خير بك القصير نائباً على حماة، إلا أن الأمير بلاط اليشبكي استمر في منصبه النيابي، وذلك لوفاة النائب الجديد، والذي يؤكد ذلك ما ذكر ابن إياس عند نهاية حملة يشبك على شاة سوار، وعودة القوات المملوكية الشامية والمصرية إلى قواعدها في سنة ٨٧٨هـ، من صدور أمر عزل الأمير بلاط اليشبكي عن منصب نائب حماة (انظر الصيرفي، إنباء الهصر، ص٢٢٥-٢٢٦، ٢٣٤ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٥٤ ،٩٢)؛ و نائب طرابلس الأمير يشبك البجاسي، ونائب صفد الأمير جكم الأشرفي، و نائب مصياف الأمير حمزة سقلسير(انظر محمد دهمان ، العراك بين المماليك والعثمانيين ص٨٢)؛ ومما تجدر الإشارة إليه أن مشاركة نيابة حماة في هذه الحملة لم تقتصر على الجانب العسكري، وإنما شملت النواحي الحضارية، وذلك يظهر من استقدام قائد الحملة للصناع والمعماريين من حماة من أجل إعادة إعمار الجهات التي هدمت من قلعة عينتاب(انظر محمد دهمان، المرجع السابق، ص٨٥).

([٢]) محمد دهمان، العراك بين المماليك والعثمانيين، ص٩٨-١٠٤؛ عبد الرحمن محمود، قايتباي المحمودي، ص١٤٦-١٥٤؛**والأمير محمد المعروف بأجا:**هو محمد بن محمود بن خليل الشمس الحلبي، ولد بحلب سنة ٨٢٠هـ، وفيها نشأ وتلقى العلوم الشرعية، ثم انتقل إلى القاهرة، وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة ٨٨١هـ(انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٤٣٠).

الاعتصـــام بقلعة زمنطوا التي كان يتحصن بها أفراد أسرته([1]). ووصلت بشارة بهذا النصر إلى الأبواب السلطانية بالقاهرة في يوم الاثنين ١٢ جمادى الآخرة([2]).

ثــم تحــرك الأمــير يشبك الدوداري بعد هذا النصر نحو أدنه ونجح في الســيطرة علــيها، وسار بعدها إلى بغراس، فنزل عليها في يوم الخميس مستهل جمــادى الآخرة، وظل مقيماً عليها، في حين أرسل نواب دمشق و حلب و حماة للاســتيلاء على قلعة سيس التي استعصت على القوات المملوكية، فضربت عليها حصاراً محكماً ، ثم بادر أهلها بتسليمها، إلى القوات المملوكية([3]).

وعــندما بلــغ الأمــير يشبك نبأ أخذ سيس خرج للكشف على قلعتي أذنة واباش، ثم سار إلى حلب ليقضي بها الشتاء، وبانقضاء الشتاء توجّه نحو بلاد بني دلغــادر، فتمكــن من الاستيلاء على بعض قلاعهم، ثم نجح في القبض على شاة ســوار في ذي الحجة سنة ٨٧٦هـ/١٤٧٢م، ومن ثَمَّ عادوا إلى حلب في مطلع السنة التالية، ورحل منها الأمير يشبك عائداً إلى الديار المصرية وفي طريقة نزل علــى حمــاة في يوم الجمعة، فخلع على نائبها، ومن اجتمع عنده من نواب منهم نائــب طرابلس ونائب شيزر، وذلك في يوم السبت وفي اليوم التالي واصل سيره نحو وجهته الأراضي المصرية([4]).

([1]) محمد دهمان، العراك بين المماليك والعثمانيين،ص١٣٥؛ عبد الرحمن محمود، قايتباي المحمودي، ص١٥٤-١٥٥؛ **وزمنطوا:** لم أجد لها تعريف فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

([2]) الصيرفي، أنباء الهصر، ص٣٦٣-٣٦٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ٦٥-٦٦.

([3])محمد دهمان، العراك بين المماليك والعثمانيين،ص١٣٦-١٣٧.

([4]) خــلال أقامة الأمير يشبك في حلب لقضائه فصل الشتاء حضر رجل من أهل حماة يشتكي من استادار نائبها بأنه قتل ولده، وأنه تقدم لنائب حماة مطالباً بمحاكمةً شرعيه لقاتل ابنه، إلا أن النائب لم يهتم لأمره، ولذا جاء يشكو مظلمته للأمير يشبك الدوداري "فالتزم- يشبك- الأيمان الشرعية انه لا يمكن الاجتماع به- نائب حماة- ولا يرى وجهه إلى أن يرضي الشاكي بأي وجه كان" (انظر محمد دهمان، العراك بين المماليك والعثمانيين، ص١٣٨-١٤٠، ١٥٤-١٥٥)؛ **واباش:**لم أقف على تعريف لها فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

وختاماً يمكن القول بأن سلاطين دولة المماليك، وبمساعدة من نوابهم في الشام، ومنهم نائب حماة، قد أتبعوا سياسة متوازنة في مواجهاتهم مع هذه الجماعات التركمانية، وذلك-على ما يبدو-كان بهدف عدم الدخول في حروب طويلة، ربما تجرهم إلى حرب استنزاف، فضلاً عن المحافظة على العلاقة الودية التي نشأت بين سلاطين دولة المماليك وبين بعض هذه الإمارات فيما عرف بتركمان الطاعة.

حملة تيمور لنك([1]) على بلاد الشام سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م وموقف نيابة حماة منها

لم تسلم بلاد الشام كغيرها من المناطق المجاورة من الخطر التيموري المدمر، إذ فوجئ نواب الشام وخاصة دمشق وحلب وحماة باقتراب خطر جيوش تيمورلنك. حيث أقدمت قواته بعد أن نجحت في اقتحام المدن المتاخمة لبلاد الشام كسيواس وبهنسا وملطية وقلعة الروم وغيرها([2]). على عبور حدود بلاد الشام، وكانت مدينة عينتاب أول محطة لها، منها أرسل رسله إلى نواب الشام يدعوهم فيها إلى الخضوع لسيطرته، ويطلب منهم إعادة من بأيديهم من الرسل الذي سبق

([1]) تيمورلنك: تيمور ابن أيتمش قتلغ ابن زنكي ابن سينا وأصله من قبيلة برلاص ، ولد سنة ٧٢٨هـ، بقرية خواجا أبغار إحدى قرى بلاد ما وراء النهر، كانت له عدة ألقاب منها تيمورلنك وتعني تيمور الأعرج لجرح أصابه في فخذه ، وكذلك لقب بتيمور كوركان أي تيمور صهر الملوك، وقد تمكن من تكوين إمبرطوريته في آسيا الوسطى والهند، ثم أخذ في التوسع على حساب جيرانه حتى وصل بجحافل قواته إلى الحدود الشرقية لمصر في سنة ٨٠٣هـ، وبعدها وجه أنظاره لسلخ أملاك الدولة العثمانية سنة ٨٠٥هـ، كانت وفاته سنة ٨٠٧هـ (انظر ابن حجر، إنباء الغمر،ج٢، ص ٣٠١؛ ابن عربشاه، عجائب المقدور؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص١٠٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص ٢٠٩؛ ناجلا محمد عبد النبي، مصر والبندقية العلاقات السياسية والاقتصادية في عصر المماليك، ص٥٩).

([2])المقريزي، السلوك، ج٦، ص٣٨-٤٠؛ ابن حجر، انباء الغمر، ج٤، ص١٩٣، حاشية٤، ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢١٧،ص٢٢١؛ المنهل، ج٤، ص١١٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٤٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٧١؛ ابن إياس ، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٥٩١-٥٩٦.

وأرســلهم إلــى بلاد الشام وتم الاستحواذ عليهم، وحذرهم في حالة رفضهم لذلك بالويل وعظائم الأمور([1]).

وعلى الرغم من شدة لهجة تيمور لنك إلا أن الأمير سودون نائب دمشق لم يلتفت لتهديده، بل أقدم على قتل رسول تيمورلنك، ثم أرسل بعدها تحذيراً مستعجلاً إلــى الأبــواب السلطانية يوضح فيها استفحال أمر جحافل قوات تيمور لنك ، كما أطلــق اســتنفاراً عاماً لجميع القوات الشامية بما فيها عساكر نيابة حماة للخروج لملاقــاة جيوش تيمورلنك والدفاع عن حلب التي كانت خط الدفاع الأول عن بلاد الشام، وخاصة بعد أن تلقى نائب دمشق رسالة من نائب حلب دمرداش المحمدي ، والتي أرفق بها رسالة تلقاها من تيمورلنك يطلب منه التعاون معه في القبض على نائب دمشق، وتسليمه إليه لكي ينتقم منه جراء إقدامه على قتل موفده([2]).

وفــي الوقــت الذي شرع فيه السلطان فرج في إعداد العدة للخروج على رأس قواته من مصر لمواجهة هذا الخطر، كانت قوات حماة هي السباقة للوصول إلــى حلب ثم لحق بها بقية النواب، وشرعوا في ترتيب صفوفهم وإعداد قواتهم، ولكــن تيمورلنك لم يمهلهم حتى يستكملوا جميع الإجراءات العسكرية لدفعه، حيث اقــتحم قرية حيلان، واستمر في اندفاعه حتى وصل إلى حلب في يوم الخميس ٩

([1]) أكــرم العلبي، تيمورلنك وحكايته مع دمشق، ص١٢٦-١٣٧؛ أحمد عبد الكريم سليمان، تيمورلنك ودولة المماليك الجراكســة، ص٢٤-٢٥؛ عمــد تيمورلنك لإيجاد أسباب واهية تخوله ضرب دولة المماليك كان منها التحجج بموافقة السلطان المملوكي برقوق على لجوء سلطان بغداد إليه وتقديمه دعماً عسكرياً يساعده لاستعادة عرش مملكته من نائب تيمورلنك، وذلك في سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٤م، كما تذرع بالأسلوب الأستفزازي الذي اتبعه برقوق وابنه من بعده في الرد علــى مراســلاته ناهيك عن إهانته للرسل وقتلهم، إضافة إلى إثارته لموقع الخليفة العباسي،وقد خدمته الأقدار بموت الســلطان الملــك الظاهر برقوق، وموت صاحب سيواس، فرأى(أنه بعد موتهما قد ظفر بمملكتي مصر والروم، وكاد يطير فرحاً بموتهما) (انظر ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٩، ق١، ص٣٤٣-٣٤٧؛ المقريزي، السلوك، ج٥، ص ٣٣٩-٣٤٠؛ ابــن حجر، إنباء الغمر، ج٣، ص١٥٦-١٥٧؛ ابن صصري، الدرر المضيئة في الدولة الظاهرية، ص ١٤٠؛ ابــن تغــري بــردي، النجوم،ج١٢، ص٤٤، ٤٩، ١٧٦-١٧٧؛ المنهل،ج١، ص٢٥، ١١٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٨١-٣٨٣).

([2]) المقريزي، السلوك، ج٦،ص٦١؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٤، ص١٩٠-١٩٣؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص ١١٨-١١٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٥٩٦.

ربـــيع الأول، وضرب عليها حصاراً محكماً، وأخذ ت قواته تناوش عساكر البلاد الشـــامية تارة وتقاتلهم تارة حتى حدث المصَافّ بين الطرفين في ظاهر حلب في يوم السبت ١١ ربيع الأول(١)عند قرية حيلان(٢). حيث دارت رحى معركة عنيفة بين الطرفين تولى نائب حماة خلالها قيادة الجناح الأيمن للجيش المملوكي، ثم نقله نائب حلب إلى القلب، وانتهت بهزيمة القوات المملوكية وسقوط مدينة حلب بأكملها في يد تيمورلنك، ووقوع معظم الجيش المملوكي في الأسر وفيهم نائب حماة الذي ظل أسيراً في حلب(٣).

وخلال تصفية تيمورلنك لحساباته مع نواب البلاد الشامية بحلب أرسل ابنه مـــيران شاة على رأس فرقة عسكرية لمباغتة نيابة حماة التي أضحت دون حماية عسكرية تردع التقدم التيموري ، فكانوا أسرع وصولاً من أخبار هزيمة المماليك ، ونـــزل مـــيران شـــاة على حماة في يوم الثلاثاء ١٤ ربيع الأول(٤)، وشرع في مهاجمـــتها مـــن كلّ الجهات حيث لاذ معظم أهلها بالفرار ، وفي مقدمتهم أغنياء المديـــنة ، ووقـــع من بقي منهم فريسة لميران شاة وقواته الذين شرعوا في نهب

---

(١) المقريـــزي، الســـلوك،ج٦،ص٣٢،٢٧-٣٣؛ انظر أيضاً العيني،السيف المهند، ص٢٤٢-٢٤٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس،ج٢، ص٦٠-٧٧؛ ابن عربشاة،عجائب المقدور، ص٢١٢-٢١٣؛ ابن إياس،بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٥٨٩؛ كانـــت من الأمور التي زادت من اضطراب القوات الشامية حدوث خلاف بين نواب البلاد الشامية حول تحديد موقع المعركة هل يكون في حلب أو خارجها إلى أن أستقر الأمر بينهم على مواجهة المد التيموري خارج مدينة حلب(انظر أحمد عبد الكريم سليمان، تيمور لنك ودولة الجراكسة، ص٢٥).

(٢) ابـــن تغـــري بردي، المنهل، ج٤، ص١١٩؛ **وقرية حيلان**:من أعمال حلب يوجد بها عين للمياه تمد حلب بالمياه العذبة(انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج ٢، ص٣٣٢).

(٣) وقـــد انـــتقد ابـــن تغـــري بردي تعبئة نائب حلب الأمير دمرداش لهذه المعركة فقال:" فكانت هذه التعبئة من أيشم التعابي"، وذلك لأنها أخلت بالتوزيع العسكري لموقع النواب وعساكرهم، حيث أضعفت الجناح الأيمن بسحب نائب حماة وقواتـــه منها وإضافتهم إلى القلب الذي شمل غالب النواب ما عدا نائب حلب المتزعم قياد الجناح الأيسر، ولم يكتف النائـــب الحلبي بالتلاعب في تنظيم الجيش فحسب، بل عمل على حسم المعركة لصالح تيمورلنك بانسحابه المبكر من مـــيدان المعـــركة على الرغم من مساندة النواب الباقين في جبر كسر قواته عند الصدام الأول(انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٢٢)؛ عن سير المعركة (انظر المقريزي، السلوك، ج٦، ص٤١-٤٢؛ العيني، السيف المهند، ص ٢٤٣، السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٥١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٥٩٧-٥٩٨؛ القرماني، أخبار الدول، مج ٢، ص٢٩٨-٢٩٩؛ أحمد عبد الكريم سليمان، تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، ج٢،ص١١).

(٤) المقريزي، السلوك،ج٦، ص٤٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٢٥؛ اكرم العلبي، تيمور لنك وحكايته مع دمشق، ص ١٤١.

وسلب وأسر من وجدوهم في ظاهر حماة ، ثم ضرب حصاراً على أسوار المدينة، فتمكنـــت من الصمود بعض الوقت حتى اضطر إلى استخدام الحيلة وخداع أهلها، ففتح لـــه بعض الخونة أحد أبوابها فدخل المدينة في صبيحة اليوم التالي، ونودي بعدهـــا بالأمان ، فاجتمع الأهالي لتقديم الطعام لابن تيمور الذي عمل على ترتيب أوضـــاع المديـــنة بإقامـــة رجل يديرها، والظاهر بأن القائد ميران شاة خاف من المبيت داخل حماة بسبب قلعتها التي امتنعت عن التسليم فبات في مخيمه خارجها، وفـــي اليوم التالي رحل عن حماة بعد أن ترك فيها حامية عسكرية تحفظ المدينة، ويبدو أن هذا الإجراء كان مناورة من ابن تيمور لاستدراج من في القلعة للخروج، فوقع رجال القلعة ضحية لذلك ونزل بعضهم إلى المدينة وقتلوا اثنين من جند ابن تـــيمور، فـــانقض ميران شاة على المدينة وحال بين رجالها وبين إغلاق أبوابها، وأنزل بأهلها مذبحة مروعة ،واستولى على ما بحماة من ذخائر ومؤن(١).

أما القلعة فظلت صامدة حتى علم من فيها بمسير تيمور لنك نحو حماة بعد أن فـــرغ من حلب عندها آثروا الاستسلام ووسّطوا من كان في المدينة من أمراء ليشـــفعوا لهم عند تيمورلنك ليمنحهم الأمان(٢)، وبوصول تيمورلنك إلى حماة في العشـــرين من شهر ربيع الآخر(٣)وقعت حادثه الأمراء في شأن أهل القلعة فوافق علـــى تأميـــنهم(٤)، غير أنه صبَّ جام غضبه على القلعة فأمر بهدمها حتى غدت قاعاً صفصفاً(٥).

---

(١) المقريـــزي، الســـلوك، ج٦، ص٤٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٢٥-٢٢٦؛ أكرم العلبي، تيمورلنك وحكايـــته مع دمشق، ص١٤١؛ **وميران شاة**:ابن تيمورلنك اشتهر بسلوكه المضطرب بسبب إفراطه في شرب الخمر وتـــبديده لأموال الدولة وقد أرجأ البعض هذا الخلل السلوكي إلى اختلال قواه العقلية من جراء حادث سقوط عن ظهر حصانه تعرض له في إحدى رحلات الصيد، ومن بين الأعمال التي أوكلها إليه والده تيمورلنك حكم تبريز والاستيلاء علـــى قلعة النجف(انظر محمد سالم باعامر، صلة الدولة التيمورية في عهد تيمورلنك، رسالة لنيل درجة الدكتوراة من جامعة أم القرى غير مطبوعة، ص٢٣٢،حاشية ٢).

(٢) محمد سالم بكر باعامر ، المرجع نفسة، ص٣٣٣.

(٣) ابـــن حجر، إنباء الغمر، ج٤، ص٢١٠؛ ابن عربشاة، عجائب المقدور، ص٢٢٦؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص١٢١؛ أكرم العلبي، تيمورلنك،ص١٤١.

(٤)محمد سالم بكر باعامر، صلة الدولة التيمورية بالعالم الإسلامي ، ص٣٣٣.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٨؛ غرس الدين الظاهري، زبدة كشف المالك، ص٤٨؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية ، ق٢،ص١٠٦.

ولجأ من سلم من أهل حماة من القتل أوالأسر إلى دمشق ، وهنا أدرك أهل دمشق بأن سقوط خط الدفاع الثاني- حماة- في يد قوات تيمورلنك يعني بداية النهاية لمدينتهم، فشرعوا في الجلاء عنها، وحاول الأمراء ضبط الوضع، والحد من تزايد عدد النازحين، وشرع من بقي بتحصين المدينة وإعدادها لحصارٍ طويل([١]). خاصةً بعد أن تواترت الأخبار في دمشق بقدوم السلطان إلى بلاد الشام ، ووصوله إلى غزة في العشرين من شهر ربيع الآخر، وعندها شرع السلطان بإعادة توزيع المناصب الإدارية في البلاد الشامية على الأمراء المماليك بحكم أسر تيمورلنك لمعظم النواب السابقين،حيث ولى على دمشق الأمير تغري بردي والد المؤرخ المعروف([٢]).

ثم خرج السلطان من غزة إلى دمشق فدخلها في يوم الخميس ٦ من جمادى الأولى، وأقام معسكره في ظاهر دمشق عند قبة يلبغا، استعداداً للمواجهة العسكرية المرتقبة، وعلى الرغم من الانتصار الذي حققته القوات المملوكية التي تجمعت بدمشق من كافة نيابات الشام بما فيها نيابة حماة على جاليش تيمورلنك وعلى قواته في الصدمة الأولى وأجبروا تيمورلنك وقواته على طلب الصلح معهم إلا أن أمراء المماليك لم يسعوا لاستغلال طلب الصلح الذي تقدّم به تيمور لنك لحسم المعركة لصالحهم، وهي من الفرص التي فوتها أمراء المماليك. ولعلهم تخوفوا من عدم مصداقية تيمورلنك، وأن تكون تلك المبادرة من قبله خديعة يراد بها تهدئة الحرب الدائرة بهدف التقاط الأنفاس وترتيب قواته، ومن ثُمَّ الانقضاض على القوات المملوكية.

وعلى أي حال فقد تهيأت الظروف لتيمور لنك لمهاجمة دمشق ، وذلك عندما قام كبار الأمراء المماليك ممن كانوا قد تواجدوا بدمشق لحمايتها من الهجوم

([١]) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٢٧.

([٢]) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٤٥؛ انظر أيضاً ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٣٠-٢٣١.

التـــيموري المرتقـــب بحمل السلطان فرج إلى القاهرة بحجة تدارك وقوع انقلابٍ سياســـي يرمـــي لخلعه عن عرش السلطنة([1]). حيث أسفر هذا التخبط في الكيان العســـكري لدولة المماليك عن وقوع دمشق فريسة للقوات التيمورية، فهرع أهلها لطلب الصلح([2]) بعدما وجدوا مدينتهم قد خلت من السلطان وكبار أمرائه، حتى إنه لم يبق للدفاع عنها سوى من اجتمع بها "من الحلبيين والحمويين والحمصيين وأهل القرى وممن خرج جافلاً من تيمور"([3]).

وعـــندها اختـــير القاضي تقي الدين ابن مفلح الحنبلي مفاوضاً عن الجانب الدمشـــقي ، فـــي حيـــن سعى تيمورلنك من جانبه للتلطف وإظهار حسن المعاملة للقابعين داخل الأسوار([4])، بل إنه لجأ لحيل الخداع والمكر فأمسك ببعض الفلاحين العـــرب وألبســـهم زي جنده، ثم قام بقتلهم أمام أسوار دمشق ليبين لأهلها مصير جـــنده إن هم اعتدوا على أهلها([5])، هذا كله والمفاوضات بين الطرفين قائمةً على قدمٍ وساق وقد اشترط تيمورلنك أخذ التقدمة من الطقزات، على أنها مقدمة لتوقيع الصلح، فكان لـــه ما أراد ودفعت لـــه الطقزات، فدفع بفرمان الأمان لأهل دمشق الذيـــن ســـارعوا بجمع التقدمة لتيمورلنك فسلموه ألف ألف دينار،ولكنه لم يكتف بذلـــك بـــل شرع في نهب ما بالمدينة من مؤن وعتاد، وبعدما استيقن بأن مقاومة أهلهـــا قـــد ضعفت، تمّ القبض على المفاوضين وعلى رأسهم قاضي القضاة تقي

([1]) انظر المقريزي، السلوك، ج٦، ص٥٠؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٤، ص٢٠٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٣٦؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٥٢.

([2]) انظر المقريزي، السلوك، ج٦، ص٥١؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٤، ص٢٠٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٣٩؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٥٣.

([3]) ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٢، ص٢٣٦-٢٣٨.

([4]) انظر المقريزي، السلوك، ج٦، ص٥١؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٤، ص٢٠٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٣٩؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٣٥٣؛ **وابن مفلح:** هو قاضي القضاة تقي الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلـــي، ولـــد ســـنة ٧٤٩هـــ، ودرس بدار الحيث الأشرفية بالصالحية ، تقلد قضاء الحنابلة بدمشق وكانت له عدة مصنفات منها " فضل الصلاة على النبيﷺ"، توفي على أثر مرض أصابه بعد الفتنة التيمورية في شعبان سنة ٨٠٣هـــ (انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج١، ص١٦٤؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص١٥٢؛ ابن طولون، قضاة دمشق أو الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام، ص٢٨٨).

([5]) أحمد عبد الكريم سليمان، تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، ج٢، ص٢٥.

الديــن الحنبلــي، وأمــرهم بخط جميع المعلومات الخاصة بدمشق وبذلك كشفت ثغراتها، ومواطن الضعف فيها، وبدأ بعدها هجوماً شاملاً على دمشق، وأثخن فيها قــتلاً وأســراً حتى "لم يبق بها دابة تدب إلا أطفال يتجاوز عددهم آلاف فيهم من مات، وفيهم من سيموت من الجوع"(١).

ومــا أن فاضــت يد تيمور لنك بالغنائم التي جمعتها قواته من سائر البلاد الشــامية حتى بادر بالانسحاب عنها بعدما أدرك بأنه من الصعوبة بمكان المكوث فــيها لــنفاذ أقواتها وخشيته على قواته من الهلاك(٢) إذا ما توحدت قوى النيابات الشــامية لدحــر قواته عن بلاد الشام، خاصةً و أنه لم يكن لديه ترسانة عسكرية احتياطــية تدعم استمراره وتساعده على تنظيم شؤون بلاد الشام الإدارية، إضافة إلــى ذلك رغبته المبهمة لتأديب سلطان أحمد ابن أويس على تجرّئه لإعادة نفوذه إلــى بغــداد ، فغادر دمشق في الثالث من شعبان من ذات العام متوجهاً إلى حلب ومنها إلى ماردين فوصلها في ٢٠ من رمضان(٣).

أمــا الســلطان المملوكي فقد دخل القاهرة في يوم الخميس خامس جمادى الآخــرة مــن ذات العــام، وشرع في إعادة تنظيم جهازه الإداري، وعندما سمع بدخول تيمورلنك دمشق أمر بإعداد القوات المصرية استعداداً للخروج مرة أخرى إلــى بــلاد الشام لتخليصها من تيمورلنك، واستمر الإعداد لهذه الحملة العسكرية شــهراً تقريــباً، حتى جاء خبر رحيل تيمولنك بقواته عن دمشق في الخامس من

---

(١) المقريــزي، السلوك، ج٦، ص٥١-٥٤؛وعن سقوط دمشق(انظر ابن دقماق ، النفحة المسكية، ص٢٣٠؛ابن حجر، إنباء الغمر، ج٤، ص٢٠٧-٢٠٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٤٦؛ السخاوي،وجيز الكلام،ج١، ص ٣٥٣؛ أكــرم العلبي، تيمورلنك،١٥٩-١٩٠)؛ و**الطقزات**: كلمة تركية تعني تسعة، وهي عادة حكام المغول عند أخذ أي مدينة صــلحاً بأن يقدم "أهلها من كل نوع من أنواع المأكول والمشروب والدواب والملابس والتحف تسعة" (انظر ابن تغري بــردي، الــنجوم، ج١٢، ص٢٣٩)؛ و**الفرمان**: مفرد والجمع فرمانات وفرامين وفرامنة ، وهي في اللغة ما يصدره الســلطان أو الملــك مــن الكتب للولاه والوكلاء والقضاة يعلن فيها بتنصيبهم ومأموريتهم(انظر محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٢٦١).

(٢) ابن دقماق ، النفحة المسكية، ص٢٣٠؛ السخاوي ، وجيز الكلام، ج١، ص٣٥٣؛ الذيل التام، حوادث سنة ٧٤٥-٨٥٠، ص٤١٥.

(٣) ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص١٢٥.

شعبان"فرسم السلطانُ بإبطال السفر، ورجع كل أمير إلى داره من خارج القاهرة"([١])، وقد تمكن نائب حماة الأمير دقماق المحمدي خلال تلك الفترة من الإفلات من الأسر التيموري بفدية قدرها ١٠٠ ألف درهم([٢])، فوصل القاهرة في السادس من شعبان عندها أقره السلطان فرج على منصبه النيابي فاستمر نائباً على حماة([٣]).

([١]) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٥٢، ومن الغريب إبطاء المماليك في إطلاق حملة عسكرية لإنقاذ دمشق فعلى خلاف مما كان زمن الناصر محمد عند غزو غازان لبلاد الشام وتسارع السلطان المملوكي لجبر هزيمته الأولى أمام المغول عند أسوار دمشق، فإن السلطان الحالي لم يطلق حملته الإنقاذية إلا بعد مرور شهر من سقوط دمشق، كما أنه لم يخرج ثانية لطرد التيموريين وإنما ظل في القاهرة مع الخوالف.

([٢]) وذكر آخرون، بأنه تمكن من الهرب من قوات تيمورلنك (انظر ابن دقماق، النفحة المسكية، ص٣٢١؛المقريزي، السلوك، ج٦، ص٥٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٥٨٩).

([٣]) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٥٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢،ص٢٥٢-٢٥٣.

الفصل الثالث

سقوط نيابة حماة

٩٢٢هـ/١٥١٦م

- الثورات الداخلية.
- علاقة نيابة حماة بحركات العصيان العامة في بلاد الشام ضد السلطنة في مصر.
- تدهور العلاقات العثمانية المملوكية.
- التوسع العثماني لبلاد الشام وسقوط نيابة حماة.

الثورات الداخلية:

عانــت نيابة حماة في سنة ٧٩٤هــ/١٣٩٢م، من تعدي أمير العربان نعير علــيها، ممــا حــدا بالأمير آقبغا الصغير نائب حماة دفعه عنها، بمساندة عساكر طــرابلس ودمشق، كما أمر بنشر القوات المساندة لحفظ المناطق الحموية في كلّ مــن حمــاة وســلمية من أي أخطار محتملة من قبل هؤلاء الأعراب، كما أسهم الســلطان بــرقوق شخصــياً في هذا العمل، وذلك بأن أصدر أوامره إلى القوات المملوكية المرابطة بحماة للإقامة بسلمية لتحفظها من طرق العرب إلى أن يتمكن الفلاحين من حصاد محاصيلهم الزراعية وتحميل الغلال إلى داخل حماة([1]).

أمــا أهالــي مدينة حماة فلم يكونوا من النوع المثير للشغب والشغف بحب الخــروج عن الحدود أو كسر المألوف، بل كانوا من النوع المسالم المحافظ على سلامة وحدة الصف في الدولة المملوكية، بعدم إشعال الفتن والقلاقل داخل حماة، بيد أن هذه الصفة لا تعني بأنهم كانوا بعيدين عن الحوادث الداخلية أو سلبيين إزاء اســتبداد الــنواب، أو أن الجرأة كانت تنقصهم لتقويم الاعوجاج ودفع الظلم عن أنفســهم، وهذا ما يظهر من خلال ثوراتهم التي اندلعت إبان تطاول النواب عليهم والجــور علــى أملاكهم، وقد نجحوا في كثير من ثوراتهم في وضع حدٍ لتعسف الســلطة الإدارية والعسكرية، بل انهم كسبوا تعاطف حكام السلطنة فأضحوا الأداة الــرادعة لــنواب حمــاة عن ظلم أهلها، فكان لتدخل بعض السلاطين في نصرة

([1]) ابــن صصري، الدرر المضيئة ، ص١٣٥-١٣٧؛ ويبدو بأن تلك الغارات هي التي ذكرها ابن حجر في ترجمته لنعــير، والتي أرجع أسبابها إلى رغبة نعير في طرد أبناء عمه الذين أقرهم السلطان برقوق في إمارة بلاد الشام بدلاً منه، عقب غضبه على نعير وطرده من البلاد بسبب مساندته لحركة منطاش، وقد أشار المؤرخ إلى تمكن نعير هذا من طرد أبناء عمه، وعقب وفاة السلطان برقوق أعيدت إليه إمارة عرب الشام(إنباء الغمر، ج٥، ص٣٤٩)؛ **ونعير** : هو محمــد بن حيار بن مهنا بن عيسى آل فضل الشهير بنعير، تقلد إمارة عرب الشام بعد وفاة والده سنة ٧٧٧هــ، ودام عليها حتى قتل على يد الأمير جكم في سنة ٨٠٨هــ(انظر ابن حجر، إنباء الغمر، ج٥، ص٣٤٩؛ السخاوي، الضوء الامع، ج١٠، ص٢٠٣-٢٠٤؛ أحمد وصفي زكريا ، عرب الشام، ص٩٦).

الأهالـــي ما ألجأ عدداً من النواب للعصيان والنزوح عن حماة كما حدث في سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٤م، حين تجرأ النائب الحموي الأمير برديك العجمي على ممارسة بعـض التعســف مع رعاياه، فنظم سكان النيابة ثورة عارمة ضده ذهب ضحيتها أكــثر من ١٢٠ قتيلاً من أهل حماة ، وحوالي أربعة قتلى من أتباع النائب، ومما لاشك فيه أن النائب الحموي أدرك فداحة ما اقترفه من تعدٍّ على أرواح المسلمين فخــاف علـــى نفسه من تفاقم الغضب الحموي ومن ردة فعل السلطان المملوكي، فخـــرج مـــن حماة إلى ظاهرها وأعلن العصيان على السلطنة، وخلال تواجده في البرية فكر في حلٍ لحسم هذه القضية فوجد أن من الأسلم الكتابة إلى نائب دمشق الأمير جلبان ليتوسط له عند السلطان جقمق، فأرسل جلبان إلى السلطان المملوكي يشــفع فــيه ، فلم يلق ذلك التعدي من قبل السلطة النيابية على الأهالي ترحيباً من قــبل السلطان جقمق الذي عمد إلى استدراج النائب الحموي إلى القاهرة لمعاقبته علـــى ذلك، وعندما وصل إلى القلعة في ٤ من رجب/اكتوبر في ذات العام، وبخه الســلطان علـــى تصـــرفه غير المسؤول مع أهالي حماة ، ثم أمر بالقبض عليه وترحيله إلى سجن الإسكندرية، وعين على نيابة حماة بدلاً عنه الأمير قانباي الأبو بكر البهلوان([1]).

غـــير أن حـــدة تعامل الأهالي مع تطاول النواب الحمويين قد خفت عقب إدراكهـــم لمـــدى جدية السلطنة في قمع استبداد نوابهم إن انحرفوا عن الجادة، إذ اكـــتفوا في الغالب برفع شكواهم إلى السلطنة في مصر متى ما حدث تجاوز من نوابهم، من ذلك ما حدث سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م، عندما بادر جماعة من أهل حماة بشـــكوى نائبهم الأمير بيغوث عند السلطان جقمق، فاستدعاه الأخير لاستجوابه،إلا أنـــه لـــم يخرج بنفسه، بل بعث ابنه لمقابلة السلطان، ويبدو أن السلطان قد أحسن الظن به، واعتبر ذلك رمزاً لعدم تكرار الإساءة إلى رعاياه، فأعاد السلطان الابن إلى أبيه يحمل خلعة تؤكد قبوله اعتذاره، وموافقته على استمراره نائباً على حماة

([1]) ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٥، ص٣٦٣-٣٦٤؛ المنهل، ج٣، ص٢٥٣-٢٥٤؛ حوادث الدهور، ج١، ص١٠٧-١٠٨؛ السخاوي التبر المسبوك، ص٩٤؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل ج٢، ق٥، ص١٩١.

وما أن وصل إلى حماة حتى بدأ بسلسلة عقوبات أسفرت عن مقتل جماعة من أهل المعـــرة(١) فخرج وفدٌ منهم إلى الأبواب السلطانية، حيث قابلوا السلطان في يوم الأربعـــاء ١٤ ذي الحجـــة/ يناير ١٤٥٠م ، وشكوا إليه ما أصابهم على يد ابن النائب وشيخ المعرة ابن العجيل، الأمر الذي أوجب" تغير خاطر السلطان عليهما" فأصـــدر أوامـــره بخـــروج الأمير جانم الساقي الظاهري إلى حماة لإحضار ابن بـــيغوث وابـــن العجـــيل "وفي رقبةُ كل واحدٍ منهما جنزير"(٢) لاشك بأنها عقوبة مهيـــنة لصـــاحبها قـــبل بلوغه الأبواب السلطانية، وأن السلطان رمى من ورائها الترهيب لكل من تسول له نفسه العبث في مصالح الرعية بغض النظر عن هويته ومكانته العسكرية والإدارية.

وفـــي يوم الجمعة ١٦ من ذي الحجة خرج الأمير جانم الساقي إلى نيابة حمـــاة لتنفـــيذ الأمـــر السلطاني، في حين أُنزل وفد أهل المعرة في دار الضيافة السلطانية على ما يبدو لحين حضور المدعى عليهما(٣).

وفي ٢١ المحرم من العام التالي عاد الأمير جانم الساقي إلى القاهرة ، وفي صحبته إبراهيم بن بيغوث وابن العجيل مصفدين بالحديد ، وفي اليوم التالي، وقفا بيـــن يدي السلطان، وبحضور أهل المعرة قرأ الأمير جانم على السلطان مطالعة النائب الحموي الأمير بيغوث، إلا أن السلطان لم يلتفت إلى ذلك بل أمر السلطان بعدهـــا بحبســـهما فـــي أحد أبراج القلعة، وبادر بتطييب خاطر أهل المعرة، فقال لهم:"قد حضر غرماؤكم"(٤). وزاد السلطان على ذلك بأن أرسل أمراً بعزل الأمير بـــيغوث عن منصبه وحبسه بقلعة دمشق، فكان ذلك سبباً في عصيانه ولجوئه إلى العجـــل بـــن نعير للاعتضاد به ضد السلطان المملوكي، فورد خبره إلى الأبواب

---

(١)ابن تغري بردي، المنهل، ج٣، ص٥٠٧-٥٠٨.

(٢) انظر ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص٢٢٦؛ السخاوي، التبر المسبوك، ٢٧٠.

(٣) أنظر ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص٢٢٦؛ السخاوي، التبر المسبوك، ٢٧٠.

(٤) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص٢٤٩-٢٥٠؛ انظر أيضاً المنهل، ج٣، ص٥٠٨-٥٠٩؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص٥٠٨-٥٠٩.

السلطانية في جمادى الأولى[١]،وعلى ما يبدو فإن السلطان المملوكي لم يرد أن يؤلب عليه أهل الشيخ المعري، أو إنه وجد بأن ابن العجيل دفع لمجاراة ابن النائب الحموي خوفاً من بطشه، فضلاً عن أن ما لحق بالشيخ المعري من أهانه وعقاب كانا كافيين لتأديبه، فأطلق سراحه في الأول من رجب والبسه الخلعة إيذاناً باستمراره في منصبه[٢]. وأدرك بذلك نائب حماة بيغوث أن لا قبل له بمواجهة القوات المملوكية، فآثر الهروب، غير أن التركمان تمكنوا من القبض عليه في ديار بكر، وبعثوا بخبره إلى السلطان المملوكي وذلك ذي الحجة سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م[٣].

وفي العام التالي أرسل الأمير قانباي الحمزاي نائب حلب بكتابٍ إلى السلطان المملوكي يتشفع فيه للأمير العاصي بيغوث، فوافق السلطان على عودته إلى الأراضي المملوكية[٤].

وإن كانت الثورة السابقة انتهجت الطرق السليمة في التعبير عن سخطها على النائب، إلا أنها لم تكن كذلك في سنة ٨٨٢هـ/١٤١٩م،عندما أستاء أهل حماة من ظلم نائبهم الأمير قراجا الطويل ، فعمدوا إلى رجمه بالحجارة، وإخراجه من حماة، وقتل دوداره ثم إحراق جثته بالنار، فكان لتمرد أهل حماة أثره البالغ على السلطان قايتباي الذي عمل على الحد من تفاقم الأزمة بحماة بإرسال خاصكياً يحقق في الأسباب التي دفعت أهل حماة للتجرؤ على نائبهم، وإلى أن تتبين نتائج التحقيق، أصدر السلطان أوامره بالقيام برحلة تفقدية للبلاد الشامية وذلك في

---

(١) أختلف ابن تغري بردي في تحديد اليوم الذي وصل فيه الخبر بين يوم الخميس ٨ جمادى الآخرة أو السبت ١٧ من ذات الشهر (انظر حوادث الدهور، ج١، ص٢٦٩؛المنهل، ج٣، ص٥٠٨-٥٠٩؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل،ج٢، ق٥،ص٣١٠).

(٢) السخاوي ، التبر المسبوك، ص٣٠١.

(٣) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١،ص٣٠٢.

(٤) ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٥، ص٣٣٣.

جمادى الآخرة من ذات العام[1]، غير أن تلك الرحلة لم تسفر عن نتيجة مرضية لأهل حماة ، إذ إن السلطان عمل على استمرار الأمير قراجا على نيابة حماة بُعيد زيارته لها في شعبان[2].

وعلى ما يبدو فإن فشل السلطان المملوكي في معالجة ظلم نائب حماة كانت سـببًا لاندلاع ثورة العربان في جمادى الأولى من العام التالي، والتي أسفر عنها هـزيمة ساحقة للنائب الحموي قراجا، إضافة إلى ما خلفته من خسائر بشرية في المعسكر الحموي، مما حدا بنائب حلب إلى التدخل، للحدّ من خطر العربان، الذين بادروا بالفرار منه، غير أنهم ظلوا يشكلون مصدر قلق لنيابة حماة ، ومما لا شك فـيه فإن سوء سياسية الأمير قراجا تلك، وما نتج عنها من ثورات متعاقبة كانت سـببًا في القبض عليه وإيداعه سجن دمشق وتعيين الأمير أزدمر نائبًا على حماة بدلًا منه، وذلك في شهر رجب سنة ٨٨٤هـ/١٤٧٩م[3].

وقد حاول نائب حماة الأمير أزدمر حماية أهل حماة من العربان والقضاء علـى ثورة سيف الدين على البدوي الخياري في صفر من سنة ٨٨٥هـ/ ابريل ١٤٨٠م، فدفـع حياته وحياة عددٍ من أمراء حماة ثمنًا لذلك[4]، وعندما نُقلت تلك الأخـبار إلـى السـلطان المملوكي أبدا انزعاجه حيال تجرؤ العربان على نائب السـلطنة بحماة، فجرد جريدة من عسكره في شهر ربيع الأول للقصاص من قتلة

([1])انظر ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٧، ص١٩١؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٣٢، ١٣٥؛ عبد الرحمـن محمـود، قايتباي المحمودي، ص١٢٦؛ ومما يدل على الأثر البالغ الذي خلفته ثورة أهل حماة على السلطنة المملوكية،أن السلطان برسباي أوصى أمراء القاهرة بالنظر في أحوال الرعية والجند(انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٣٢، ١٣٥)؛ **والخاصكية**:هم الملازمون للسلطان في خلوته ويسوقون المحمل الشريف ويعتنون بكامل الكفال ويجهـزون في المهمات الشريفة والمتعينون للإمرة والمقربون في المملكة، وقد كان عددهم أربعين خاصكياً في عهد الناصر محمد بن قلاوون، ثم زادوا حتى غدوا نحو الألف في عهد الأشرف برسباي(انظر محمد قنديل البقلي، تعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص١١٤).

([2]) ابن الجيعان، القول المستظرف في سفر الملك الأشرف، ص٧٧.

([3]) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٤٧، ١٥٨.

([4]) كان ممن قتل في المعركة الأمير الكبير بحماة وحاجب النائب (انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٦٤؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ق١، ص١٣؛ عبد الرحمن محمود ، قايتباي المحمودي، ص١٢٦)؛ **وسـيف الدين على البدوي الخياري: قتل في جمادى الأولى سنة ٨٨٦هـ**، على يد ابن عمه الذي كوفئ في جمادى الأخر من العام التالي بالخلع عليه ليستقر مكان الأمير المقتول(انظر ابن طولون،مفاكهة الخلان، ج١، ق١، ص٤٢، ٥٥).

النائـــب الحمـــوي، وأوكل قيادتها للأمير يشبك الدوادار ، كما خرج معه عددٌ من الأمراء المقدمين والطلبخانات والعشرات إضافةً إلى الجند،"وقد لهج الناس بأن هذه التجريدة قد خرجت لسيف"([1]).وتعدت الأوامر السلطانية خروج القوات المصرية ليشمل هذا الاستنفار عساكر نيابة دمشق الذين خرجوا من دمشق في صبيحة يوم السبت ١٥ من ربيع الآخر/ يونيه للمساهمة في وأد ثورة أمير العرب سيف الدين ومعاقبـــته على جرائمه([2]). والتي وصلت إلى حد أنه لم يمكن أهل حماة من دفن جثـــث قتلاهم بما في ذلك جثة النائب أزدمر حيث ظلت أجسادهم ملقاة في ساحة المعـــركة لـــم يدفنها أحدٌ من أهل حماة، حتى جاء نائب حماة الجديد الأمير حمزة سلفيس، فوارى أجسادهم التراب([3]).

وفـــي يـــوم الـــثلاثاء وصـــلت القوات المصرية إلى دمشق لتنفيذ الأوامر الســـلطانية([4])، وفـــي تلـــك الأثناء لجأ الأمير الخياري إلى صاحب الرُّها الأمير يعقوب بن حسن الطويل، فتعقبته القوات المملوكية بما فيها عساكر حماة إلى الرُّها للقـــبض عليه، وعقب حصار شديد فرضه الأمير يشبك الدوداري على الرُّها بادر صاحبها يعقوب بن حسن الطويل إلى طلب الصلح مقابل تسليم الأمير سيف الدين الخـــياري ومـــبلغ مـــن المال،غير أن الأمير يشبك رفض عرضه، فما كان من صـــاحب الـــرها إلا الدفاع عن مدينته دفاع المستميت، وتمكّن بذلك من كسر قائد القـــوات المملوكية الأمير يشبك الدوداري وأسره، وقَتَل عدداً من نواب بلاد الشام منهم نائب حماة الأمير جانم الجداوي([5]). ويبدو أن الأمير العربي قد قويت شوكته

([1]) أنظـــر ابـــن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٦٥-١٦٦؛ و**التجريدة:** فرقة من العسكر الخيالة لا رجالة فيها(انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص٤٢٦).

([2]) ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج١، ص٢٤٢؛ عبد الرحمن محمود، قايتباي المحمودي، ص١٢٦-١٢٧.

([3]) السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٢٧٤.

([4]) ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج١، ص٢٤٣.

([5]) هـــنالك من ذكر أن سبب الحملة يعود إلى طمع الأمير يشبك في بلاد أوزون حسن، وتحسين بعض الأمراء لـــه أخذها بعدما ضربتها النزاعات(انظر السخاوي، وجيز الكلام، مج٢، ص٩٠٤؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج١، ص ٢٥١؛ ابـــن إيـــاس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٦٥-١٦٦ ،١٧٠؛ عبد الرحمن محمود، قايتباي المحمودي،ص١٦٤)؛ **ويعقوب بن حسن باك** بن على بن قرايلوك، تسلم السلطنة بعد وفاة أخيه أبي الفتح خليل ليصبح بذلك سلطان العراقين، كانت وفاته سنة ٨٩٦هـــ(انظر السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٨٣).

عقب هذه الهزيمة وعاد لترويع أمن سكان نيابة حماة، فعمد عندها السلطان قايتباي إلى كفِّ أذى جماعات العربان وأميرهم سيف الدين عن نيابة حماة، وذلك بإعمال الحيلة للتخلص منه حيث أرسل السلطان إلى نائب دمشق خلعةً لسيف الدين البدوي الخـيـاري مـتظاهراً بأنـه يريد استمراره في إمارته، فأرسلت الخلعة إلى النائب الحمـوي ليجهزها مع أحد كبار حماة فوقع اختياره على كبير الأكراد ليحملها إليه الأمـير العاصـي، وأثناء عملية التسليم التي تمت خارج مدينة حماة وثب ابن عم سيف الدين عليه، فقتله في جمادى الأولى من العام التالي([1]).

وفي رمضان من سنة ٩٠٠هـ/ مايو ١٤٩٥م، بادر أهالي حماة بالقصاص مـن النائـب الحمـوي بأنفسهم بسبب تعديه على حرمة نسائهم، فاستغلوا فرصة خـروجه لاسـتقبال أحد أمراء حلب ومنعوه من دخول البلد بقوة السلاح، وبشق الأنفـس تمكّـن النائـب الحمـوي اقـباي من دخول حماة، فتكاثر عليه الأهالي وحاصـروه فـي بيته فضيقوا عليه الخناق، و عندما أدرك عجزه عن ضبط تلك الجموع الغفيرة المحيطة ببيته، بادر بطلب الصلح من الأهالي فوافقوا شريطة أن يحلف لهم على معاقبة من كان وراء ذلك الإفساد من جماعته، فكان لهم ما أرادوا وسكنت الفتنة([2]).

بيد أن هذا التصرف الجماعي لم يرضِ السلطان قايتباي الذي استمع لشكاة نائـب حمـاة فعد تلك الثورة تطاولاً واعتداءً على الحرمة السلطانية، وأنه يجب تأديبهم عليها، فكتب إلى النيابات الشامية لتدشين حملة تأديب ضد الأهالي المارقين عـن الطاعـة، فخرجت القوات الحلبية والطرابلسية والحمصية نحو حماة، ويبدو أنهـم أفحشـوا في تنفيذ العقاب حتى تألبت ضدهم نفوس أهالي دمشق ، فبادروا لنصـرة إخوتهم ، وأعلنوا العصيان على نائبهم على الرغم من عدم مشاركته في هذه الحملة وتعففه عن الخروج([3]).

([1]) كـان كبـير الأكـراد يدعى الحاج علي بن العبيس(انظر ابن صصري، الدرر المضيئة، ص٥١٦؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ق١، ص٤٢).

([2]) السخاوي، الذيل التام، مج٣، ص٢٠٩؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج١، ص٣٨٥.

([3]) السخاوي، الذيل التام، مج٣، ص٢٠٩-٢١٠؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج١، ص٣٨٥؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ق١ ص١٦٥.

ولم يقف دور نيابة حماة على قمع حركات العصيان الداخلية ، وإنما امتدت مشاركتها إلى قمع حركات العصيان في النيابات الأخرى بدليل خروج الأمير دوليتباي نائبها إلى حلب في ربيع الأول سنة ٩٠٤هـ/اكتوبر ١٤٩٨م، لنصرة نائبها الأمير جان بلاط الذي حوصر في الشهباء من قبل الأمير أقبردي، الذي قاد ثورة داخلية ضده(١).

وخلاصة القول فإن ما تعرضت له نيابة حماة من ثورات داخلية سواء تلك التي نظّمها عامة الناس ضدّ نوابهم الذين مارسوا ضدّهم تعسفاً وقسوة ، أو تلك التي نشبت ضد ثورات زعماء العشائر والعربان، أو تلك التي شاركوا من خلالها في مساعدة بعض النيابات المجاورة ضد الثورات الداخلية التي نشبت ضدها كل ذلك أسهم بنصيب وافر في تداعي كيان نيابة حماة وكان أحد عوامل سقوطها في نهاية المطاف.

علاقة نيابة حماة بحركات العصيان العامة في بلاد الشام ضد السلطنة بمصر:

كان لتوسط حماة بين دمشق وحلب، إضافةً إلى كونها همزة وصلٍ بين باقي النيابات الشامية الأخرى، أثره لدى الأمراء العصاة عند اندلاع نار ثوراتهم لكسب حاكمها إلى معسكرهم للاعتداد به ضد السلطنة المملوكية في مصر. إلا أن الثوابت السياسية التي سار عليها حكام حماة إبان عهد الأسرة التقوية من التزامها بالوفاء بتعهداتهم للسلطنة في مصر، حال دون انخراط حماة في تلكم الحركات، إلى أن خضعت حماة للحكم المباشر للمماليك، عندها بدأ قادة حركات العصيان في دمشق وحلب محاولة جر النائب الحموي إلى هذا المجال، فكان لتواجد نيابة حماة في مُعترك الأحداث إما بالدعم العسكري أو المساعي الدبلوماسية ما أدى إلى

---

(١) ابن طولون، أعلام الورى، ص١١٢.

إنجاح الكثير من التحالفات العسكرية بين تلك النيابات لعزل السلطان وتعيين غيره في سُدّة الحكم. ولعلّ تلك الأهمية التي أضحت عليها نيابة حماة، أدركها السلطان المظفــر بيبرس الجاشنكير بُعيد تقلده السلطنة سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م، إذ بلغه قول نائــب حماة الأمير قبجق بـ" من قال إنّ هذا خطُّ الملك الناصر؟ والله واحد يكون وكيلاً في قرية ما يَعْزِل نفسه منها بطيبة خاطره!ولا بُدّ لهذا الأمر من سبب"([1])، والذي عدّه المظفر رفضاً صريحاً لتوليه السلطنة، فعمل المظفر من أجل ذلك على استقطاب نواب حلب وحماة وطرابلس إلى معسكره بالطرق السلمية، بدأها بكتاب أرســله إلى الأمير قراسنقر افتتحه بالملاطفة فقال:" أنت خُشْدَاشِي، ولو علمتُ أنّ هذا الأمر يصعُب عليك ما عمِلت شيئاً حتّى أرسلتُ إليك وأعلمتُك به، لأنّ ما في المنصــوريّة أحــد أكبر منك"، ثم شرع في تبرير أمر تنصيب نفسه سلطاناً فقال: "غــير أنّــه لما نزَل ابنُ أستاذنا عن المُلك اجتمع الأمراء والقضاة وكافّةَ الناس، وقالوا: مالنا سلطان إلّا أنت، وأنت تعلم أنّ البلاد لا تكون بلا سلطان، فلو لم أتقدّم أنــا كــان غيري يتقدّم وقد وَقع ذلك"، وعاد إلى أسلوب الملاطفة والملاينة فقال:" فاجعلنــي واحــداً مــنكم ودبِّرني برأيك"، وأعقب ذلك دفع ثمن انضمام قرا سنقر ونائــب حمــاة ونائب طرابلس إليه فقال:" وهذه حلب وبلادها دَرْبَسْتْ لك، وكذا لخُشْدَاشِيتِك: الأمير قَبْجَق والأمير أَسَنْدَمُر"([2]).

أما الناصر محمد فعلى الرغم من صغر سنه إلا أن مستشاريه دلوه على استثمار ولاء مماليك أبيه المطلق له، والذين كانوا يتولون مناصب عليا في الدولة، حيث أرسل الناصر إلى الأمير قبجق يشكو حاله إليه، ويذكره بفضل أبيه عليه، فقال:" أنتم مماليك أبي وربيتموني. فإما أن تردوه عني، وإلا أسير إلى بلاد التتار"، فجاء رد قبجق "بأني مع الأمير قراسنقر نائب حلب"([3]). وهنا يظهر لنا بعد نظر النائب الحموي وكياسته، لأنه متأكدٌ من ولاء نائب حلب المطلق لبني

([1]) كــان الأمير قبجق قد قال هذه المقولة بعدما قرأ رسولا بيبرس وسلار كتاب عزل الناصر لنفسه عن الحكم (انظر ابن تغري بردي، النجوم، ج٨، ص٢٣٩).

([2]) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج٨، ص٢٤٢.

([3]) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٣٢.

قلاوون([١])، فهو بذلك أجاب بمعاضدة الناصر محمد، ولكنه آثر التمويه في رده خوفاً من ردة فعل السلطان بيبرس الجاشنكير عليه.

وعلى الرغم من محاولة الأمير سلار إغماض عينه عما بدر من النائب الحموي قبجق، بدليل ما كان بينه وبين الصاحب أمين الدين حيث خاطبه سلار قائلاً:" يا سبحان الله نسيت ما عمله قبجق أمس ها تريد تغيظه، حتى يعمل النوبة أنحس من النوبة الأولى، هو طالع رقّاصاً عندكم، حتى تقولوا لــه: اعمل كذا، افعل كذا ما يقنعكم، أنه قنع بحماة ويسكت عنكم"([٢]).

وكان لاجتماع كلمة نائبي حلب وحماة سببٌ لاستجابة عدد من النواب للانضمام لهذه الحركة، ومنهم نائب صفد الأمير ناصر الدين محمد بن بكتمر الجوكندار الذي التحق بمعسكر الملك الناصر محمد، الذي كان قد رفض في البدء متعذراً " بالخوف من بيبرس وسلار، وأنه لولا ثقته به لما اجتمع به قط. فلما عرفه أيتمش طاعة الأمير قراسنقر والأمير قبجق أجاب بالسمع والطاعة ، وأنه على ميعاد النواب إلى المضي إلى الشام"([٣]).

وما إن علم السلطان المظفر بأمر المراسلات التي تمت بين الناصر محمد ونواب حلب وحماة وطرابلس، وهروب عدد من قواته إلى الناصر، حتى أصدر أوامره بخروج القوات المصرية نحو حلب، فبادر نائب حماة قبجق بالمشاركة في هذه الحملة بإرسال قواته معهم، في محاولة أخرى منه للتمويه عن موقفه المؤيد لإعادة الناصر محمد لسدة الحكم، فدخلت عساكر حماة حلب، في يوم الخميس ١٩ ربيع الآخر سنة ٧٠٩هـ /سبتمبر ١٣٠٩م([٤]). في الوقت ذاته كتب إلى الناصر محمد يحذره من مغبة الاستمرار في تأليب نواب الشام ضده حيث خاطبه قائلاً :

([١]) وهي إحدى الصفات التي وصفه بها الصفدي، أعيان العصر،ج٤، ص٦٢.

([٢]) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٧١.

([٣]) المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٣٦.

([٤]) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٥٦.

" إذ أنت لم ترجع عن مكاتبتك للأمراء، وإلا نقلتك من الكرك إلى القسطنطينية، كما فعل الملك الأشرف خليل مع أولاد الملك الظاهر بيبرس البندقداري"([1]).

فحسمت تلك الرسالة موقف الناصر، لضرورة إيقاف تعديات المظفر بيبرس ، وبادر عندها بإرسال كتبه إلى نواب حلب وحماة وطرابلس يقول:" لما اشتدّ عليّ الضنك من الأمراء، خرجت من مصر، وتركت لهم المُلك، ورضيت من الدنيا بأحقر الأماكن،وأضيق المساكن،ليستريح خاطري من النكد،فما بيرجعوا عني،وأرسل المظفر يهدّدني بالنفي إلى القسطنطنية،كما جرى على أولاد الظاهر بيبرس، وأرسل يطلب مني ما لا أقدر عليه، وأنتم تعلموا ما لوالدي عليكم من العتق والتربية،وما أظنّكم ترضوا لي بهذا الحال، فإما أنكم تكفوني أمر هؤلاء الأمراء الذين تعصّبوا عليّ، وأما إنيّ أتوجّه إلى بعض ملوك الشرق، وألتجئ إليه، قبل أنْ يرسلوني إلى القسطنطينية"([2]).

وفي خضم هذه التطورات بدأت قوات حماة انسحابها من حلب تمهيداً للإعلان عن تأييدها للناصر، فكان الأمير أبو الفداء ممن وصل إلى حماة في يوم الثلاثاء ١٩رجب/ ديسمبر من السنة ذاتها([3]). وبعد اكتمال رجوع عناصر القوات الحموية خرج الأمير قبجق نحو دمشق لملاقاة الناصر محمد ، فدخلها مع عساكره وعساكر الساحل في يوم الاثنين ٢٤ شعبان/ يناير ١٣١٠م([4]).

([1]) ابـن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٤٢٦؛ **القسطنطينية** : عاصمة الدولة البيزنطية تم بناؤها سنة ٣٣٠م بأمـر مـن الإمبراطور قسطنطين الأكبر على موقع كان يعرف سابقا باسم بيزنطة لتكون قاعدة ملكة وأطلق عليها القسطنطينية نسبة إلية،وقد امتازت بموقعها الاستراتيجي الهام وحصانتها الطبيعية والعسكرية(للمزيد من التفصيل انظر سـعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوربا في العصور الوسطى،ص ٢٦ ؛ سالم عبد العزيز فرج، دراسات في التاريخ و حضارة الدولة البيزنطية، ج ١، ص ١١-١٥؛ محمد سعيد عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية مدخل الدراسة التاريخ السياسي و الحربي، ص٢٨ -٣٠ ؛ السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م،ص٣٠).

([2]) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١،ق١، ص٤٢٦-٤٢٧.

([3]) أبو الفداء ، المختصر، ج٤، ص٥٦-٥٧.

([4]) ابن أيبك، كنز الدرر، مج٨، ص١٧٥؛ الذهبي، دول الإسلام، ج٢،ص٢١٤؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٤٩؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص٧٢؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٣٣٩.

وبتكامل توافد القوات الشامية قاطبة إلى دمشق جلب الناصر حواصله من الكرك لينفق على الجند، ثم خرج في يوم الثلاثاء ٩ من رمضان/فبراير نحو غزة، وفي خدمته نائب حماة وقواته، فوصلها في يوم الجمعة ٩ من رمضان، وفي تلكم الأثناء كانت القوات المصرية قد خرجت بقيادة الأمير برلغي لصد تقدم الناصر محمد، وما أن دنت من غزة حتى أخذت عساكر الحملة في الانسحاب نحو الناصر،وكان من بين من دخل في حرز الناصر قائد الحملة المصرية الأمير برلغي، وبذلك حسمت المعركة قبل أن تبدأ، فلما علم السلطان المظفر بيبرس بمجريات الأحداث وتكالب الأمراء وعامة الناس عليه،عزل نفسه من السلطنة وأرسل بكتابه إلى الناصر يخيره بأن يوليه صهيون أو حماة أو الكرك([1]).

ولم يقف دور نيابة حماة على تنصيب سلطان والإطاحة بحكم الآخر، وإنما تعدّاه إلى منع حدوث حركة عصيان جديدة، وذلك عندما احتدم الصراع بين الأمير أسندمر الكرجي والأمير أبي الفداء حول تولىّ نيابة حماة، وما أسفر عنه ذلك الصراع من عجز السلطان الناصر عن الوفاء بعهده الذي قطعه لأبي الفداء بإعطائه حماة التي آلت إلى الأمير المملوكي.

وما يهمنا هو تزامن هذا الصراع مع انتشار خبر رغبة نائب الشوبك الأمير سلار في الهرب، فكان لابدّ من أن تثير هذه الأحداث مخاوف السلطان الناصر محمد إزاء حدوث حركة عصيان إن لم يحسم أمر سلار، وأصر على محاباة وتقريب الأمير أبي الفداء ند الأمير أسندمر وغريمه، فتجتمع عندها كلمة الأميرين المملوكيين ضده ، وتوحد جهودهما للإطاحة بحكمه في مصر.

عندها أخذ الناصر في التفكير في حيلة تمكّنه من القبض على سلار وإخراج الكرجي برضاه من حماة لكي يحجب عنه مصدر قوته، فخلص في نهاية

([1]) بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص ٢٠١-٢٠٢؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٥٧؛ الذهبي،دول الإسلام، ج٢، ص٢١٥؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٣٣٩-٣٤٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق١،ص٤٢٧-٤٢٩.

الأمر إلى إرسال استدعاء للأمير سلار يطلبه للحضور على الأبواب السلطانية ، ويغريه فيها بتقليده نيابة حماة، وفي الوقت ذاته بعث برسالة إلى أسندمر الكرجي يأمره فيها بإخلاء حماة للأمير سلار، فخرج كلا الأميريين لتنفيذ أوامر السلطان الناصر، وما أن وصل سلار إلى القاهرة حتى أمر بالقبض عليه، أما الأمير أسندمر فما أن دخل دمشق حتى أصدر أمر عزله عن نيابة حماة ، وقلدت للأمير أبي الفداء، وبذلك تمكنت نيابة حماة من وأد حركة عصيان قبل مولدها([1]).

وعندما دبّ النزاع بين أمراء المماليك عشية وفاة السلطان الناصر محمد سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م،حول السلطة وتوزيع المهام العسكرية بينهم، وما أعقبها من استبداد الأمير قوصون بالحكم حيث خلع السلطان المنصور أبا بكر ونفاه إلى قوص،وولى السلطنةللأشرف كجك في سنة٧٤٢هـ/١٣٤١م،وتفاقمت الأحداث([2]) بسعي قوصون إلى تضييق الخناق على أحمد ابن السلطان الناصر محمد متولي نيابة الكرك، لجأ الناصر إلى نواب البلاد الشامية، الذين أبدى بعضهم تعاطفاً كبيراً معه، وكان في مقدمتهم نائب حماة الأمير طقزمر الذي فضل عدم المجاهرة بهذا الموقف على خلاف نائب حلب الأمير طشتمر حمص أخضر، الذي أعلن ذلك صراحة، وأرسل يعتب على الأمراء سكوتهم،وحثّ الجميع على المطالبة بالخروج على قوصون، وأسند منصب السلطنة للأمير أحمد بن الناصر([3]).

ويبدو أن موقف النائب الحموي كان فيه من الحكمة الشيء الكثير ، وهو يتضح فيما حملته الأيام من أحداث، فبعد أن فشل الأمير قوصون في القبض على نائب حلب جرد حملة عسكرية من القاهرة لتنفيذ هذا الغرض، وأرسل يستنفر

([1]) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٦٠.

([2]) الذهبي ، دول الإسلام، ج٢، ص٢٤٨؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص١٣٩.

([3]) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٣٧١؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٣٤٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ص٣٣؛محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون، ص٥٣-٥٤؛ **وطشتمر حمص أخضر**:من مماليك السلطان الناصر محمد بن قلاوون تقلد عدة مناصب نيابية في الأراضي الشامية منها نيابة صفد وحلب ثم تقلد نيابة السلطنة بمصر ، قبض عليه يوم السبت ٢٠ من ذي القعدة سنة ٧٤٢هـ، وكانت وفاته في العام التالي(انظر الصفدي، الوافي، ج١٦، ص٤٣٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٣٢٠؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٦، ص٣٩٢)

نواب بلاد الشام بما فيهم نائب حماة للمشاركة في ذلك[١]، فلبى نائب دمشق ونائب حمص ونائب طرابلس الأوامر، في حين آثر نائب حماة الأمير طقزدمر الصمت ولزوم نيابته معتذراً بوجعٍ ألم به[٢]، فآثار تثاقل طقزدمر مخاوف النائب الدمشقي إزاء أمرين أولاها عدم ولاء النائب الحموي وهو الأمير ذو المهابة والكلمة النافذة[٣]، وثانيها أثر عدم مشاركته في هذه الحملة العسكرية في كشف ظهر القوات المصرية والشامية أثناء سيرها نحو حلب، فتكون بذلك عرضه لكمين من قبل الأمير طشتمر حمص أخضر من الشمال، والقوات الحموية وقوات أحمد بن الناصر من الجنوب مما يعني فناء الحملة قبل بلوغها حلب، فضلاً عن أن دمشق ستكون سهلة المنال لخلوها من العساكر، فعمد عندها النائب الدمشقي لتحليف طقزدمر"على طاعة السلطان الأشرف كجك،وألا يوافق طشتمر حمص أخضر نائب حلب ولا قطلوبغا الفخري، ولا يخرج من حماة حتى يعود الطنبغا من حلب، فحلف الأمير طقزدمر على ذلك"[٤].

وعلى ما يبدو فإن نائب حماة رغب في مماطلة قائد الحملة، حتى يتسنى لطشتمر تدارك الوضع إما بالهرب، وإما بالاستعداد لمواجهة عسكرية، وقد نجحت خطته في إعطاء وقت أطول لنائب حلب، أسعفه في طلب مساعدة وعون تركمان بني دلغادر، الذين ساروا به وبأولاده ومماليكه نحو الأبلستين فتعقبه الأمير ألطنبغا، ولكنه لم يتمكن من الإمساك به، فعاد أدراجه إلى حلب ليخبر الأمير قوصون بما جرت عليه الأمور[٥].

---

(١) الذهبي، دول الإسلام، ص٢٤٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٣٤.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٣٤٧.

(٣) ابن تغري بردي، المنهل، ج٦، ص٤٢١.

(٤) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٣٤٧؛ **وقطلوبغا الفخري هو الشهير** بالناصري الساقي، من مماليك السلطان الناصر، وأحد خواصه فقربه إليه ، ولكن سعادته لم تطل حيث قبض عليه الناصر، وسجنه ثم أطلقه بشفاعة الأمير تنكز ، وخرج معه إلى دمشق، ثم عاد إلى مصر ، حيث قتل في المحرم سنة ٧٤٤هـ(الصفدي، أعيان النصر، ج٤، ص١١٢؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٣٣٥؛ ابن تغري بردي، الدليل، ج٢، ص٥٤٦).

(٥) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٣٤٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٣٤.

وفي تلك الأثناء خرج قطلوبغا الفخري نحو دمشق، مستغلاً غياب نائبها ألطنبغا عنها، وبعد أن دخلها كتب إلى نائب حماة طقزمر يستدعيه للخروج إليه على رأس عدد كبير من رجاله فقوي به " جأشه وجأش من معه"(١). وعندما سمع الطنبغا بهذا النبأ، قرر العودة إلى دمشق لتحريرها من الأمير قطلوبغا الفخري، فخرج من حلب مع قواته إلى حمص، ولكن قطلوبغا كان أسرع تحركاً منه حيث سار على رأس قواته من دمشق لإيقافه على مشارفها الشمالية(٢). وعند ما علم النائب الدمشقي بأمر خروجه آثر عدم المواجهة معه، وجرت مفاوضات سلمية بين الطرفين، استمرت ثلاثة أيام، إلا أن هذه المفاوضات انتهت إلى طريق مسدود، وهنا يبدو أن الطنبغا استغل هذه الهدنة، وأمر ثلة من جيشه بالتسلل من خلف المعسكر المعادي ليتسنى له حصاره والقضاء عليه، فأرسل فرقة عسكرية عن طريق المرج للالتفاف خلف معسكره، ولكن بعض أمراء الحملة آثروا الانضمام إلى قطلوبغا، فهزم النائب الدمشقي وولى هارباً عن طريق صفد(٣). وهنا يبدو أن وقوف جيش حماة إلى جانب قطلوبغا كان لـــه دور كبير في تحقيق هذا النصر، وإجبار نائب دمشق على التخلي عنها.

وبعد أن عاد قطلوبغا إلى دمشق منتصراً، حلف طقزدمر على طاعة السلطان أحمد، ثم خرج إلى الكرك ليجلب السلطان إلى دمشق، غير أنه رفض ذلك، وكتب إليه يقول:"إن الفخري هو نائبي وهو يولي النيابات من يراه"(٤)، فعاد نائب حماة بمن رافقة من الأمراء إلى دمشق حاملين معهم رد السلطان(٥).

---

(١) الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص١١٦؛ انظر أيضاً المقريزي، السلوك، ج٣، ص٣٤٧-٣٤٨؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٣٥-٣٦.

(٢) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٣٤٩.

(٣) الذهبـــي، دول الإسلام، ج٢، ص٢٤٩؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص١١٦-١١٧؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ص٣٤٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٣٦.

(٤) الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص٣٧٢.

(٥) الصفدي، المصدر السابق، ج٤، ص١١٧.

ورغم أن حركة العصيان هذه لم تتعدى حدود بلاد الشام، إلا أنها نجحت في تأليب أمراء الديار المصرية ضدّ قوصون لاستبداده في الحكم دونهم، مما جعله موضع استياء عام من قبل الشعب والأمراء، فعملوا على تدبير ثورة ضده، ثم قبضوا عليه وأرسلوه إلى سجن الإسكندرية، وبذلك تمّ خلع السلطان الأشرف كجك من السلطنة وأقر السلطان الناصر أحمد مكانه([1]).

وفي سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٥م، شهدت نيابات الشام حركة عصيان شارك فيها نائب حماة الأمير أسندمر العمري، وذلك للإطاحة بحكم السلطان الكامل شعبان وإقامة أخيه أمير حاجي، فتحزبوا لـــه وأرسل نائب دمشق الأمير يلبغا اليحياوي بكتابه إلى السلطان يقول:" إني أحد الأوصياء عليك، وأن مما قاله الشهيد رحمه الله لي وللأمراء في وصيته، إذا أقمتم أحد من أولادي، ولم ترتضوا سيرته جروه برجله، وأخرجوه، وأقيموا غيره. وأنت أفسدت المملكة، وأفقرت الأمراء والأجناد،وقتلت أخاك،وقبضت على أكابر أمراء السلطان الشهيد. واشتغلت عن الملك، والتهيت بالنساء وشرب الخمر، وصرت تبيع أخبار الأجناد بالفضة"([2]). فجاءت تلك الرسالة مبطنة بتهديدٍ مباشر بالعزل بسبب تلك التعديات التي اقترفها السلطان، ثم عضد نائب دمشق ذلك بكتاب آخر طالب من خلاله السلطان بالتخلي عن الســلطنة جاء فيه:" إنك لا تصلح للملك، وإنك إنما أخذته بالغلبة من غير رضى الأمراء"، ثم أخذ يعدد أخطاءه التي ارتكبها وأتبع ذلك قائلاً: "ونحن ما بقينا نصلح لك، وأنت فما تصلح لنا. والمصلحة أن تعزل نفسك"([3]).

([1]) الذهبي ، دول الإسلام، ج٢، ص٢٤٩؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٤، ص١٣٩-١٤٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠،ص٣٩-٤٦.

([2]) المقريزي، السلوك ، ج٤، ص٣٠؛ انظر أيضاً ابن تغري بردي ،النجوم، ج١٠، ص١٣٤؛ **ويلبغا اليحياوي:** قتل سنة ٧٤٨هـ(انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٥، ص٢١٢؛ ابن تغري بردي، الدليل ، ج٢، ص٧٩٣).

([3]) المقريزي، السلوك، ج٤، ص٣١؛ انظر أيضاً ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٣٦.

فاستشاط السلطان المملوكي غضباً، ودعا مماليكه ليحلفوا له على السمع والطاعة، ثم أصدر أوامره بتسيير حملة عسكرية إلى بلاد الشام للقضاء على ذلك التمرد الذي قاده نائب دمشق، وفي الوقت ذاته دبر مؤامرة داخل مصر للتخلص من أخوية أمير حاجي وأمير حسن بسجنهما، وأعقب هذا نشوب ثورة عارمة ضده في مصر انتهت بالقبض عليه وإعدامه في يوم الأربعاء ٣ جمادى الآخر/ أغسطس من ذات العام([١]).

وجاءت البشارة من الديار المصرية إلى دمشق عن طريق حاجب الحجاب الذي قلد نيابة دمشق للأمير يلبغا، فحضر إليه نائب حماة في يوم الاثنين الثامن من الشهر في تجمّل وأُبهة([٢])، وفي يوم الجمعة ١٢ من الشهر شهد نائب حماة الاحتفال الذي أعدّه يلبغا بمناسبة تقلّده دمشق، حيث دخل نائب دمشق الجديد إلى ميدان الاحتفال في حشد كبير من عسكر بلاد الشام، ومعه نواب حماة وحمص وصفد "عن يمينه وشماله"([٣]).

وفي العام التالي شنت السلطنة المملوكية في مصر حملة اعتقال طالت عدداً من كبار أمرائها([٤])، الأمر الذي أثار قلق نائب دمشق من أن تطال تلك الحملة النواب في بلاد الشام، فكتب إليهم يخبرهم مبيناً تخوفه من ذلك، ويعرض عليهم المشاركة في حركة عصيان شاملة ضد السلطان المظفر حاجي والمطالبة بعزله، فجاء رد نائب حلب أرغون شاه بالطاعة لما يراه مناسباً([٥]).

([١]) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٦٤٣-٦٤٤؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين، ص٣٨٢-٣٨٣؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص٣١-٣٣؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٠، ص١٣٩-١٤٠.

([٢]) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٦٤٤.

([٣]) السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٢؛ انظر أيضاً الذهبي ، العبر، ج٤، ص١٤١؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٥٨٧.

([٤]) الذهبي، ذيول العبر، ج٤، ص١٤٤؛ الصفدي، أعيان النصر، ج٥، ص٥٨٨؛ ابن تغري بردي، النجومن ج١٠، ص١٦٣-١٦٤ح السخاوي، الذيل التام، ج١، ص٢٦.

([٥]) الذهبي، ذيول العبر، ج٤، ص١٤٤؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص٤٩؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٢٧.

وأرغون شاة: **تولى الإستادرية زمن المظفر حاجي، ثم تدرج في تولي منصب النيابة لبعض النيابات الشامية إلى أن استقر نائباً لدمشق، قتل في ربيع الأول من سنة ٧٥٠هـ(انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٧٣)**

أما نائب حماة الأمير قطليجا فمع أنه ماطل في الردّ على نائب دمشق بعض الوقت، إلا أنه ما لبث أن رفض مشاركة نائبي دمشق وحلب في ذلك، وزاد على ذلك بأن أرسل بكتاب يلبغا إلى السلطان في مصر يخبره بما كان يدبره ضد نائب دمشق وموافقة نائب حلب لـــه(١)،وهنا تصرّف السلطان بحكمه بالغة، حيث تظاهر-على ما يبدو- بأنه لم يكن يعلم بتواطؤ نائب حلب مع نائب دمشق، فأصدر أمره بعزل الأمير يلبغا عن نيابة دمشق، ونقل نائب حلب الأمير أرغون شاه إلى نيابة دمشق، وأدى هذا الإجراء إلى تخلي أرغون عن مؤازرته ليلبغا، ومن ثَمَّ وأد هذه الحركة في مهدها(٢).

وعلى أثر ذلك فر نائب دمشق نزولاً عند مشورة كبار مستشاريه إلى حماة، فخرج نائبها لاستقباله على مشارف المدينة متظاهراً في البداية بأنه سيؤويه عنده. إلا أن نائب حماة ما لبث أن قبض على يلبغا وأودعه ورجاله السجن، ولكي يبرهن على صدق اعتقاله لهم أرسل سيوفهم إلى السلطان(٣). وظل يلبغا حبيس السجن بحماة حتى جاءت الأوامر من السلطان إلى نائب حماة قطليجا بترحيل الأمير يلبغا إلى القاهرة، فقتل وهو في طريقه عند قلعة قاقون، ثم وصل الأمير منجك إلى حماة لينقل من بقي من أهل يلبغا مقيدين في الأصفاد إلى مصر(٤).

والذي يجدر ذكره هنا ، أن حركات العصيان السابقة سواء التي وقف فيها نـــواب حمــــاة إلى جانب بقية نواب الشام، أو التي خالفوهم فيها، لم تصل إلى حد فصل بلاد الشام عن جسم السلطنة في مصر، وإنما اقتصرت على المطالبة بعزل

---

(١)الصـــفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٥٨٩؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص٤٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ١٦٠.

(٢) الصفدي،أعيان العصر،ج٥، ص٥٨٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤،ص٦٤٦؛ المقريزي، السلوك،ج٤،ص٤٩

(٣) أبـــو الفداء، المختصر،ج٤، ص١٤٨؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٥٨٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٤٤٧؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٣، ص١٠٤؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص٥٠.

(٤) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١٤٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٦٤٧؛ الصفدي، أعيان العصر، ج٥، ص٥٩٠.

السلطان وإقامة آخر مكانه، غير أن هذه القاعدة ما لبثت أن كسرت في سنة ٧٥٣ هـ/١٣٥٣م، عندما استغل نائب حلب بيبغاأرس تسلط مجموعة من كبار الأمراء على السلطان الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد، حيث نادى بنفسه سلطاناً على بلاد الشام، وتلقّب بالملك العادل([١]). وقد سانده في ذلك كلٌّ من نائب حماة الأمير أحمد الساقي ونائب طرابلس، وتركمان بني دلغادر. حيث واعدهم بيبغا عند الرستن بالزحف على دمشق التي يبدو أنها لم تستجب لرغبته. وهنا يبدو أن السلطان أدرك حرج موقفه أمام هذه الحركة، فعمل على استخدام الحيلة في تفكيك هذا الحلف، وذلك بأن أرسل رسائل ملاطفة إلى كل من نائب حماة وطرابلس، إلا أن هذا الإجراء لم يجد نفعاً، إذ أدرك رسول السلطان بعد وصوله إلى دمشق تعاظم أمر بيبغا أرس ، فكتب الأمير أرغون الكاملي نائب الشام إلى السلطان بمصر يطلب منه الخروج إلى الشام بنفسه حيث خاطبه بقوله: " بأن سفر السلطان لابدّ منه، وإلا خرج عنكم الشام جميعه"([٢]). فكان لذلك النداء وقع كبير على السلطنة التي بادرت بتجهيز حملة عسكرية لقمع ثورة بيبغا أرس، وبعدما تكاملت الاستعدادات العسكرية ركب السلطان في يوم الاثنين ٧ شعبان/ أغسطس إلى الريدانية في طريقه إلى بلاد الشام([٣]).

أما نائب دمشق فما أن سمع باجتماع بيبغا أرس مع نائبي حماة وطرابلس عند الرستن وتوجههم نحو دمشق، حتى أخرج قواته لصدهم عنها، ولكنه لم يلبث أن تراجع عن ذلك عند ما علم بمخامرة أمراء دمشق لبيبغا أرس، فخاف من الغد وترك دمشق وسار نحو الرملة ينتظر العساكر المصرية، في الوقت الذي توجه فيه أرس إلى حماة، ثم سار بنائبها ونائب طرابلس إلى حمص، حيث استقبل بها رسول يحمل رسالة من السلطان يدعوه فيها للحضور إلى الأبواب السلطانية، إلا

([١]) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٣، ص١٥٨؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص١٦٠.

([٢]) المقريزي، المصدر السابق ،ج٤، ص١٦٠-١٦١؛ **وأرغون الكاملي:** الشهير بالصغير تقلد نيابة حلب ثم دمشق ، توفي في ذي الحجة من سنة ٧٥٨هـ(انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٧٥؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٢، ص٣١٩؛ ابن طولون، إعلام الورى، ص٢١).

([٣]) السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٦١.

أنه لم يأبه بذلك بل قبض على الرسول وأكمل سيره نحو دمشق، وفي طريقه إليها بلغه نبأ مسير السلطان مع العسكر المصري إلى بلاد الشام، وفشا خبر عزل بيبغا عن حلب، فأوهن ذلك عزائم عساكره، وتوجس بيبغا خيفة منهم، فعمد إلى التحفظ على كثير منهم خوفاً من خروجهم عليه، وانضمامهم إلى عسكر السلطان، إلى أن وصل دمشق ، فدخلها بمساعدة بعض من أمرائها، وظل قائماً عليها([1]).

ويبدو بأن خوف بيبغا من انحلال وتراجع العساكر الحموية والطرابلسية عن نصرته، يفسر إطلاقه العنان لنائبي حماة وطرابلس، للإغارة على أعمال دمشق بعد وصولهم مشارفها في يوم الخميس ٥ من رجب، حيث قاموا بنهب الضياع والقرى المجاورة قرابة عشرة أيام، غير أن وصول خبر تقدم القوات المصرية نحو بلاد الشام أجبرهم على التراجع إلى دمشق([2])، فضلاً عن تخاذل أمراء التركمان والعرب، وانسحابهم إلى مواقفهم، كل ذلك أدى إلى شعور الأمير بيبغا وأمرائه بعدم قدرتهم على المواجهة، فآثروا التراجع إلى حلب، وذلك في يوم الثلاثاء ١٥ رجب، للتحصن بها،و إعادة ترتيب قواهم استعداداً للمواجهة مع عدوهم([3]).

ومما لاشكّ فيه فإن العساكر الحموية التي كانت قد راجعت نفسها في أمر العصيان قد حسمت موقفها في هذه المرة، حيث رأت أنه من الأسلم الكف عن مؤازرتها لنائب حلب، فتأخرت مع بعض عساكر حلب في سيرها وقدمت قوات بيبغا أرس التي دخلت حلب في ١٩ من شعبان، وظلت عليها في حين عمل المتخلفون من العساكر الحموية و الحلبية على الاتصال بالأهالي داخل حلب ، واتفقوا معهم على خطة لإجلاء القوات العاصية عن حلب، حيث عسكر من تخلف من عسكر حلب عند جبل جوشن ووزعت عليهم السناجق السلطانية فإذا ما أصبح الصبح صاح من في المدينة "يا منافقين العسكر وصل" فرفعت الصناجق السلطانية

([1]) المقريزي، السلوك، ج٤، ص١٦١-١٦٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٢٧٣.

([2]) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٣، ص١٥٨؛ المقريزي، السلوك،ج٤، ص١٦٢؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ٢٧٤؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج٣، ص٦١.

([3]) المقريزي، السلوك، ج٤، ص١٦٢؛المقفى، ج٢، ص٥٦١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٢٧٤..

وعندما ارتعب عسكر بيبغا وهموا بالفرار، خرج لهم كمين حاصرهم عند طريق ضـيق حتى وافتهم بقية العساكر، فأجهزت على جل عساكر بيبغا أرس، الذي لاذ بالفرار مع نائبي حماة وطرابلس إلى أمير بني دلغادر الذي قبض عليهم وسجنهم عنده([1]). وكان من ضمن من قبضت عليه العساكر المتخلفة أخو نائب حماة الذي وُسِطَ في قلعة دمشـق يوم الاثنين ثالث الشهر، وبُعيد ذلك صدر أمرٌ بتقليد الأمير سيف الدين طنبرق نيابة حماة بدلاً من نائبها السابق أحمد الساقي([2]).

ولـم تشر المصادر التي تيسر لي الاطلاع عليها إلى أيّ تدخل لنيابة حماة في حركة عصيان بغية عزل سلطان، أو تنصيب آخر مكانه، أو دفع الأمراء عن السيطرة عليه وعلى مصر حتى سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م، عندما استفحل أمر الأمير أينبك البدري بمصر، بدأت عندها النيابات الشامية في التحزُّب ضدَّ إدارة السلطنة فـي القاهرة للحدّ من تسلّطه، فوصل خبرهم إلى الأبواب السلطانية في شهر ربيع الأول، وبمضـي شـهر علـى ذلك الخبر، بعث نائب حماة مع بقية نواب البلاد الشـامية برسالة احتجاج على استبداد الأمير أينبك بالحكم، أوضحوا فيها استياءهم مـن صـمت أمـراء مصر عليه، فكانت تلك الرسالة كفيله بتحريك أمراء مصر لتخطـيط القبض على الأمير أينبك([3])، ويبدو أن تلك الرسالة أيقظت أيضاً أمراء مصـر إلى ضرورة استئناف حركة تنقل بين النواب في بلاد الشام ليشغلهم ذلك عـن أمـر السلطنة ، وليحدّ من تكتلاتهم العسكرية فنالت نيابة حماة نصيبها من

([1]) المقريـزي، السلوك، ج٤، ١٦٤-١٦٥؛انظر أيضاً المقفى، ج٢، ص٥٦١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص ٢٧٥-٢٧٦؛ المنهل، ج٣، ص٤٨٨؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج١، ص٦٠-٦٢؛ **وجبل جوشن:** يوجد به عدة مشاهد منها مشهد الحسين الذي بناه الملك الصالح ابن الملك العادل نور الدين محمود، والمشهد الأحمر، ويبدو أن أهل حلب اتخذوا منها مدافن لموتاهم(انظر ابن شحنه، الدر المنتخب، ص٨٠، ٨٧، ٩١)؛ **والصناجق: مفردها صنجق أوسنجق:** وهو لفظ تركي كان يطلق على اللواء والعلم والراية(انظرمحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٩٣).

([2]) المقريـزي، السلوك، ج٤، ص١٦٥؛و **وسِطَ:**"عقوبة تقضي بضرب المحكوم عليه بواسطة السياف، على ان تكون الضـربة قوية تحت السرة، فتقسم الجسم نصفين من وسطه وتنهار أمعاء المحكوم عليه إلى الأرض"(أنظر سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص٤٢٤).

([3]) ابـن إياس، بدائع الزهور، ج١ق٢، ص٢٠٨-٢١٠؛ إبراهيم طوخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص٣؛ و **أينبك البدري:** كان أحد أمراء الطبلخانات بالقاهرة ، وفي عهد المنصور على تقلد أتابكية العساكر بمصر فأثار ذلك غضب الأمراء في بلاد الشام ، ولم تطل مدته حيث قبض عليه وسجن بالإسكندرية، وكان قتله في سنة ٧٧٨هـ(ابن تغري بردي، المنهل،ج٣، ص٢٢١؛ الدليل، ج١، ص١٧٧).

النقل، حيث عين عليها الأمير حطط مكان أرغوان الأسعردي في شهر شعبان من ذات العام([1]).

وبـــنهاية عهـــد بني قلاوون وبداية عهد الظاهر برقوق الذي تولى عرش الســـلطنة بالقاهرة سنة ٧٨٥هـــ/١٣٨٢م، واجهت السلطنة رفضاً من قبل بعض أمـــراء بلاد الشام لتغير السلطة الحاكمة بمصر، ولكن ذلك الرفض لم يظهر على الســـاحة السياسية إلا عندما بادر نائب حلب الأمير يلبغا الناصري بالانضمام إلى منطاش-الذي كان منفياً في بلاد الشام- في سنة ٧٩١هـــ/١٣٨٩م، حيث انضوى تحـــت رايـــتهما عددٌ من النواب والأمراء في بلاد الشام، كان منهم عدد كبير من أمـــراء حمـــاة الذيـــن ما أن شعروا بإعراض نائبهم الأمير سودون العثماني عن الانخراط في تلك الحركة، حتى بادروا بتدبير مؤامرةٍ لقتله، ولكنّه تمكّن من النجاة بنفســـه إلـــى دمشق، فاستغلّ الحاجب سيف الدين بيرم العزي ذلك وأعلن مباشرة انضـــمام نـــيابة حمـــاة إلى ثورة يلبغا الناصري ومنطاش([2])، حيث بادر الأخير بدخـــول حمـــاة، وشرع في الإحسان إلى أهلها، وكسب بذلك دعمهم([3]). غير أن نائب حماة لم يرض بخروج نيابته من بين يديه فأخذ بإعداد العدة وتجهيز العساكر لاســـتعادتها، فـــنال ذلـــك الإجراء -على ما يبدو- مباركة السلطنة بمصر، بدليل صـــرفهم نفقـــات هـــذه الحملـــة للنائب الحموي، وذلك لكي تعينه على استكمال الترتيبات العسكرية، وقد انضم إليه الأمير صارم الدين إبراهيم بن همز التركماني لمســـاعدته فـــي العـــودة إلـــى مقر نيابته، فانطلقا نحو حماة وعندما وصلا إليها اصطدما بعساكر منطاش، التي تمكنت من إجبارهما على التراجع إلى حمص([4]).

([1]) ابن تغري بردي، النجوم، ج١١، ص١٦٩.

([2]) ابـــن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص٣١٤؛ المقريزي، السلوك، ج٥، ص٢١٧؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٦، ص ١٦١-١٦٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص٣٩٦؛ **منطاش الأشرفي:** قتله الظاهر برقوق في سنة ٧٩٥هـــ، عقب فشل حركة العصيان التي قادها ضد الظاهر برقوق(انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٥، ص١٣٤) .

([3]) ابن صصري، الدرر المضيئة، ص٤.

([4]) المقريزي، السلوك، ج٥، ص٢١٩؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٩٠.

ومما تجدر الإشارة إليه بأن مشاركة أمراء حماة لمنطاش ويلبغا الناصري كان له بالغ الأثر في تمكينهما من السير نحو دمشق ومنها إلى القاهرة فدخلاها في يوم الاثنين ٥ من جمادى الآخرة من ذات العام، وأعيد بعدها السلطان حاجي ابن الملــك الأشــرف شــعبان سلطاناً على دولة المماليك، ونصب الأمير الثائر يلبغا الناصري أتابكاً للعسكر في ٢٦من ذات الشهر، وخلالها عين الأمير أحمد المهندار نائباً على حماة بدلاً من الأمير سودون العثماني، وذلك في ١٥ من ذات الشهر، ثم خلع عليه خلعة السفر في يوم الخميس ٢٢من جمادى الآخرة/ إبريل(١).

ولكــن ســعادة يلــبغا ومنطاش لم تدم طويلاً حيث تمكن السلطان السابق بــرقوق مــن التخلص من سجنه بالكرك بعدما التف حوله عدد من الأمراء منهم نائــب حلب الأمير كمشبغا الحموي المؤيد لحكمه ، فاستفحل بذلك أمر برقوق في بــلاد الشــام ، عندها اجتمعت رايات نائب حماة الأمير تنكز الأعور ونائب صفد وأمراء دمشق وغيرهم لضرب برقوق ومن معه عند صفد في ذي القعدة من سنة ٧٩١هـــ/ سبتمبر ١٣٨٩م، فمنوا بهزيمة نكراء أجبروا جراءها على ترك بلاد الشــام قاطــبة والعودة إلى الأبواب السلطانية بمصر، فدخل الأمير تنكز وأمراء نيابــته جنتمر الأسعردي والطنبغا المارديني وغيرهما، إضافةً إلى عددٍ من أمراء بلاد الشام القاهرة في يوم ٢٣من ذي القعدة من ذات العام(٢).

فكانــت تلــك الهزيمة مؤشراً لنجاح عودة السلطان برقوق لسدة الحكم في القاهــرة ، حيــث تتالــت بعدهــا الانتصــارات التي حقّقها برقوق على الصعيد العســكري، كــان أولها وقعة شقحب التي حدثت في يوم الأحد ١٤ محرم ســنة ٧٩٢هـــ/نوفمبر ١٣٨٩م، والتي أعقبها تمكّنه من خلع السلطان حاجي من السلطنة وإعادة نفسه على عرش مصر(٣).

---

(١) ذكر ابن الفرات بأن تعين الأمير أحمد تم في يوم الخميس ١٩ من جمادى الآخرة (انظر تاريخ ابن الفرات، مج٩، ج١، ص٩٤، ١٠٦-١٠٨؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص٣٢٣-٣٢٧؛ ابن صصري، الدرر المضيئة، ص٢٣).

(٢) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج٩، ج١، ص١٥٧-١٥٩؛ انظر أيضاً المقريزي، السلوك، ج٥، ص٢٦١-٢٦٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٢٦٣؛ ابن إياس ، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٤١٧.

(٣) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات،مج٩، ج١، ص١٩٥ ،١٩٩؛ ابن إياس ، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٤٣٨-٤٤٠؛ القرماني، أخبار الدول، مج٢، ص٢٩٤-٢٩٥.

ثـم تلتها حركة تعقب للأمراء الخارجين عن طاعته الذين نجوا من شقحب واعتصـموا بدمشـق وكـان منهم الأمير منطاش، الذي جهز قوة لضرب حلب وإخراج نائبها الأمير كمشبغا الحموي الذي وقف إلى جانب السلطان برقوق، وظل الأمـير طغاي تمر القبلاوي نائب حماة من قبل منطاش في دمشق، وعلى ما يبدو فإنـه خلال تحرك قوات منطاش إلى حلب، بلغهم خبر تقدم حملة الظاهر برقوق إلـى دمشـق، ففـر نائب حماة من دمشق وفي صحبته ٢٠١ من رجال منطاش، ولحقـوا بالفـرقة العسـكرية التي كانت قد بدأت حصاراً على حلب، وقد استغل برقوق خلو نيابة حماة من نائبها فعين الأمير مأمور القلمطاوي نائباً على حماة في يـوم السـبت الأول من شهر ربيع الآخر ليؤكد بذلك على سيادته على حماة([1])، فخرج النائب الجديد مع قوات السلطان للقضاء على منطاش، فاصطدموا بعساكر مـنطاش عـند سلمية في يوم الجمعة ٨ من شعبان في ذات العام، ولكنهم هزموا ووقـع فـي الأسر الأمير مأمور القلمطاوي ووسِطَ بعدها، وخلت بذلك حماة من نائـب يمـارس سلطته الإدارية عليها([2])، بيد أن خلو منصب النيابة بحماة ساعد على تثبيت سيطرة السلطان برقوق عليها إذ باتت تتبع مباشرة نفوذ السلطان حين أعلن عن ذلك في ٢١ رمضان/ يوليه من ذات العام([3]).

وبـدأت قـوات نيابة حماة مشاركة قوات السلطان برقوق في إعادة نشر نفوذها في بلاد الشام، وذلك بقيادة نائبها الجديد الأمير أحمد المهمندار، الذي يبدو أن السلطان برقوق اختاره لهذا المنصب، حيث خرجت قواته في يوم الجمعة ٢٣ ذي الحجـة لضرب منطاش في عينتاب، والذي ما إن سمع بخروج قوات برقوق نحـوه حتى لاذ بالفرار إلى مرعش بعد أن دبت الفرقة بين قواته، ففارقه عدد من عسـاكره لينضـموا إلى قوات السلطان، وبذلك عادت قوات حماة ومن معها إلى

([1]) المقريزي، السلوك، ج٥، ص٢٩٢-٢٩٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٧.

([2]) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج٩، ج١، ص٢١٨-٢١٩؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٢، ص١٥-١٦.

([3]) ابـن الفـرات، تـاريخ ابن الفرات، مج٩، ج١، ص٢٢٢؛ المقريزي، السلوك، ج٥، ص٢٩٣-٢٩٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٨؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣١٣.

تكـــناتها دون أيّ صـــدام مع قوى منطاش، وكان وصولها إلى الأبواب السلطانية بمصر في يوم الأربعاء ١١صفر سنة ٧٩٣هـ/ نوفمبر ١٣٩١م([1]).

ولـــم تقف علاقة نيابة حماة بحركة منطاش ومن انضم إليه من عرب نُعير والتركمان عند هذا الحدّ، بل تعرضت حماة لهجوم عسكري جديد من قبله في يوم الأربعـــاء ٢٣ ربيع الثاني/مارس، فهرب نائبها أحمد المهمندار تاركاً حماة تواجه مصـــيرها، حيـــث دخلها منطاش، ولكنه أدرك بان إقامته في حماة يعني استنفار القـــوات الشامية ضدّه، فانسحب منها وسار إلى بعلبك، وقد صدق حدس منطاش، حيث فزع أهل دمشق لسقوط حماة في يد منطاش، وبادر النائب الدمشقي للإعداد مـــن أجـــل استعادتها، إلا أن خبر انسحاب منطاش عنها أثنى عزمه عن الخروج لتخليصها منه([2]).

وفـــي الأول مـــن رجب طرق منطاش حماة مرة أخرى وهو في طريقه لمهاجمـــة دمشق، ويبدو أن نائب حماة أدرك غاية الأمير منطاش ومن معه وهي دمشـــق، ففضـــل عـــدم الاصطدام به، وانسحب إلى طرابلس صوناً لعساكره من مـــنطاش ومـــن بعض سكان حماة الذين يظهر بأنهم كانوا مؤيدين لمنطاش، يدل علـــى ذلك إقدام بعض النساء عند دخول منطاش لحماة، بإطلاق الزغاريد ترحيباً بقدومه، فأعطاهم منطاش عندها الأمان، وخرج منها دون أن يمس أهلها بسوء([3]).

وإن كانت حماة قد سَلِمتْ في هذه المرة فإنها لم تَسْلَم عندما دخلها منطاش ومـــن معه عقب هزيمته لنائبي حماة وطرابلس وقواتهما بالقرب من حماة في يوم الاثنين ٨ جمادى الآخرة سنة ٧٩٥هـ/ مارس ١٣٩٣م، إذ تعرضت حماة للنهب من قبل العربان المؤيدين لمنطاش، ولم ينقذها سوى تدخل نائب حلب الذي أرسل قواتـــه لكـــبس بيوت العربان ليجبرهم على العودة لنجدة أهليهم وترك حماة، كما

([1]) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات، مج٩، ج١، ص٢٣٧؛ مج٩،ج٢، ص٢٤٧.

([2]) ابن صصري، الدرر المضيئة، ص٧٥-٧٦.

([3]) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج٩، ج٢، ص٢٥٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٢٨.

نجحـــت خطته هذه في استدراج قوات العربان للكمائن التي أعدت للقبض عليهم فقتل منهم أعداداً كبيره، وبذلك نجت حماة من دمار محقق([1]).

وبُعيد هذا التاريخ استقرت الأوضاع في نيابة حماة بعض الوقت، وذلك بعد مقـــتل مـــنطاش بعد أربعة أشهر من هجومه السابق عليها، حيث حمل رأسه إلى حمـــاة على سن رمح وطيف به في شوارع حماة في رمضان من ذات العام([2])، ولـــم يشترك نوابها في حركة عصيان أخرى، حتى توفي السلطان برقوق في ١٥ شوال من ســـنة ٨٠١هـــ/ يونيه ١٣٩٩م، وتقلّد ابنه فرج السلطنة من بعده، حيث شهد عصره عدداً من حركات العصيان بدأت عشية تقلده السلطنة مباشرة، عندما اســـتغل عدد من أمراء المماليك حداثة سنه، وتنافسوا للفوز بالوصاية عليه، وكان علـــى رأســـهم نائب الشام الأمير تنم، الذي أعلن أحقيته بالوصاية على السلطان فـــرج، وقاد بها ثورة ضد أمراء السلطنة في مصر. وهنا يبدو أن تنم وجه دعوة إلـــى كافـــة نـــواب الشـــام لمشاركته في هذه الثورة، ومنهم نائب حماة دمرداش المحمـــدي، الذي تلقّى رسالة من تنم في صفر من عام ٨٠٢هـــ/١٤٠٠م، يدعوه فـــيها مشـــاركته في هذا الخروج، إلا أن دمرداش رفض طلب تنم([3])، فكان ذلك الرفض سبباً في خروج قوات تنم نحو حماة في ٦ من ربيع الأول، فعمد نائبها إلى التحصـــن بمدينـــته، وشرع في دفع الأمير تنم وقواته، فتمكّن دمرداش من تسديد ضربات موجعة إلي صفوف قوات تنم أودت بحياة أربعة من أصحابه، الأمر الذي أجـــبر تنم على فك حصار حماة، وخاصة بعد ورود خبر مقدم الأتابك أيتمش إلى دمشق حيث قرر العودة إلى دمشق، فدخلها في ٥ من ربيع الآخر([4]).

([1]) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، مج٩، ج٢، ص٣٣٣.

([2]) ابـــن الفرات ، المصدر السابق، مج٩، ج٢، ص٣٤١؛ ابن صصري، الدرر المضيئة، ص١٣٩؛ السخاوي، الذيل التام، ج١، ص٣٧١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص٣٦١.

([3]) المقريـــزي، السلوك، ج٦، ص٥ ،٧؛ ابن حجر، أنباء الغمر، ج٤، ص٣٠؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص ١٨١؛ المنهل، ج٥، ص٣١٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٥٤٢، ٥٥٤.

([4]) المقريـــزي، السلوك، ج٦، ص١١-١٢؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٤، ص١٠٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص١٩٠-١٩٣؛ المنهل، ج٥، ص٣١٨؛ ابن إياس ، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٥٦١-٥٦٢.

وقد أدّى فشل الأمير تنم في الاستيلاء على حماة إلى البحث عن طريقة أخرى تمكنه من الحصول على دعم وتأييد النائب الحموي، فأشار عليه الأمير تغري بردي، بأن يتوجه إليه بصحبة الأمير أيتمش ليدعواه للدخول في طاعتهما. ومما لاشكّ فيه أن عرض الأمير السابق لم يطرح إلا عندما أيقن صاحبه بأن رباطة جأش النائب الحموي ستحول دون انضمامه إلى معسكر الأمير تنم إن أجبر بالقوة العسكرية، وأنه لا يؤخذ إلا بالملاينة، فوافق عندها الأمير تنم على رأي الأمير تغري بردي، فخرجا بعد أيام إلى حماة ليلتقيا بنائبها الأمير دمرداش، وأسفر ذلك اللقاء عن نجاحٍ باهر حققه تغري بردي بإقناع دمرداش في الانضمام إلى معسكر الأمير تنم، فعادا بعد ذلك إلى دمشق وفي جعبتهما وعدٌ شفوي بالطاعة، ولم يتمكن عندها الأمير تنم من إخفاء علامات السرور التي بدت عليه([1]).

وقد ظهر حرص الأمير تنم لشد عضده بنائب حماة وكسبه في صفه ، عندما حضر إليه الأمير دمرداش المحمدي ليضع نفسه تحت تصرفه في منتصف ربيع الآخر، حيث بادر تنم بإغداق الأموال عليه طيلة خمسة الأيام التي قضاها في دمشق إضافةً إلى إقراره بالاستمرار في نيابة حماة([2]).

ثم عاد الأمير دمرداش إلى حماة لحشد عساكره وإعدادها للخروج إلى دمشق للمشاركة في قتال القوات السلطانية، فدخل دمشق على رأس قواته في ١٣ من جمادى الآخرة([3])، وفي ٢٥ جمادى الآخرة خرج منها بمعية العساكر الطرابلسية والحلبية وجاليش تنم متوجهين نحو غزة، حيث جرى صدام بين

([1]) المقريزي، السلوك،ج٦، ص١٣؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص١٩٤؛ المنهل، ج٥، ص٣١٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور،ج١، ق٣، ص٥٥٥؛ **وتغري بردي اليشبغاوي الظاهري:** تقلّد مهام نيابتي حلب ودمشق ، توفي في يوم الخميس ١٦ محرم ٨١٥هـ(انظر ابن تغري بردي المنهل ، ج٤، ص٣١).

([2]) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٤، ص١١٠-١١١؛ المقريزي، السلوك، ج٦، ص١٥؛ ابن تغري بردي، النجوم، ١٢، ص١٩٤.

([3]) ابن تغري بردي ، النجوم، ج٢، ص١٩٧؛ابن إياس ، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٥٧١.

عسـكره وبين العساكر المصرية التي تسارعت إلى المنطقة لمنع القوات الشامية مـن دخـول مصر، وعلى الرغم من النجاح الذي تحقق للقوات الشامية في هذه المعـركة، إلا أن انسـحاب نائب حماة المفاجئ من ساحة المعركة، كان لـه أبلغ الأثر في إضعاف الروح المعنوية للجيوش الشامية، حيث حذا حذوة بعض القادة، الأمـر الذي أدّى إلى كسر جاليش تنم أمام القوات السلطانية، ومن ثَمَّ تقهقرها إلى قواعدها(١).

ويمكـن أن نعزو انسحاب النائب الحموي المفاجئ من ساحة المعركة إلى موقفه المسبق المعارض لثورة تنم، وأن موافقته على الذهاب بعسكره إلى دمشق ، يعود إلى خوفه على حماة وأهلها من أن يصبَّ الأمير تنم جام غضبه عليها إن لم يسـانده فـي حركـته هذه، أو لعلّ انسحابه يعود إلى شكّه في أن يغير تنم موقفه ويتخلى عن خروجه على السلطنة، خاصةً وإن تأخر الأمير تنم عن الحضور إلى غزة قد عزّز من ذلك الشك، كما لا يستبعد أيضاً أن انضمام نائب حماة إلى تنم ثم انسـحابه في غزة يعود إلى تنسيق مسبق مع السلطان المملوكي لإحداث ثغرة في القـوات المتمردة عليه، لتتمكّن القوات السلطانية من كسرها، وسواءً كان هذا أو ذاك فإن النائب الحموي لم يسجن أو يقتل مثل باقي الأمراء الذين لقوا حتفهم بُعيد انتصار الناصر فرج على الأمير تنم ، وإنما كافأه بنقله إلى نيابة حلب التي كانت تحتل المرتبة الثانية بعد نيابة دمشق(٢).

ولـم تقحـم نيابة حماة في ثورة أخرى حتى سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، حيث ورد اسم النائب الحموي علان جلق المؤيدي ضمن المؤيدين لحركة الأمير دقماق المحمـدي الذي قاد ثورة بسبب قرار عزله عن نيابة حلب، إلا أن ذلك التأييد لم

---

(١) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٤، ص١١٥-١١٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٠٣-٢٠٤؛ الصيرفي ، نزهة الـنفوس، ج٢، ص٥٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٥٧١؛ **وجاليش**: لها عدة معانٍ منها مقدمة الجيش أو الحرب أو المعركة(انظر محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٥٠).

(٢) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٠٤ ،٢١٠؛ المنهل، ج٥،ص٣١٨؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٥٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٥٨٢.

يكـن – علـى ما يبدو – باقتناع تام منه، بل اتقاءً لشر دقماق، ولعل مما يؤيد هذا القـول، أنه في الوقت الذي أيّد فيه نائب حماة ثورة دقماق المحمدي، فإنه قد جعل من مدينة حماة ملاذاً آمناً لبعض الأمراء الفارين من بطش دقماق([١]).

وعـندما قـاد الأمير جكم النائب السابق لحلب حملة ضد الأمير دمرداش المحمـدي نائـب حلب الجديد، وذلك في صفر من سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م، انضم النائب الحموي علان إلى جكم، وكان لـه دور في كسر دمرداش وأخذ حلب منه، وعندما دخل الأمير جكم إلى حلب أنعم على علان بممتلكات دمرداش، فضلاً عن إقراره على حماة([٢]).

ولكـن موقـف النائب الحموي علان ما لبث أن تبدل، بعدما أن علم بتقدم القـوات السلطانية نحو بلاد الشام ، فدخل عندها علان في طاعة السلطان وخالف الأمـير جكـم، وذلك في ٩ من ذي القعدة/ إبريل([٣])، كما استقبل نائب طرابلس الأمـير شـيخ السـليماني في بارين في ٢٠ من ذي القعدة، ونصحه بالكتابة إلى السـلطان يطلـب مـنه تأجـيل تنفـيذ أمر عزله عن طرابلس حتى تهدأ الجبهة الشامية([٤])، ويبدو بأنه رمى من وراء ذلك توفير قوة عسكرية حليفة لحماية حماة إذا ما تعرضت لإغارة من قبل الأمراء الخارجين على طاعة السلطان.

([١]) ابن حجر، إنباء الغمر،ج٥، ص١٣٧-١٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم،ج١٢، ص٢٩٠؛ الصيرفي،نزهة النفوس،ج ٢، ص١٨٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٦٨٧؛ عادل عبد الحافظ حمزة، نيابة حلب، ج٢، ص١٢٥-١٢٦

([٢]) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٥، ص١٩٧؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٣١٠؛ السخاوي، الذيل التام، ج١، ص ٤٣٥-٤٣٦؛ وفي لمحة مقتضبة عن سبب عصيان الأمير جكم، العائد إلى الوحشة التي نشبت بينه وبين الدودار الكبير يشـبك الـذي عمـل علـى نقله لنيابة صفد، مما أوقع بينهما الحرب التي أفضت إلى هزيمة يشبك وتقلد الأمير جكم الدواداريـة الكـبرى في القاهرة، غير أن الأمير سودن طاز عمل على الإيقاع فيما بينه وبين السلطان، فانتهى الوضع بسجن الأمير جكم في الإسكندرية، ثم في حصن المرقب، ثم في حلب، حيث أطلقه نائبها الأمير دمرداش في يوم عرفة سنة ٨٠٦هـ، بيد أنه آثر العصيان والهرب إلى حماة ومنها إلى أنطاكية حيث التجأ إلى صاحب الباز التركماني عدو دمرداش، ثم سعى للاستيلاء على طرابلس سنة ٨٠٧هـ(للمزيد من التفاصيل انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص ٣١٣-٣١٧).

([٣]) ابن تغري بردي، النجوم، ١٢، ص٣١٥.

([٤]) ابـن إيـاس، بدائع الزهور، ج١، ق٣، ص٧١٦؛ وعمن كان يتقلد نيابة طرابلس في تلك الفترة(انظر السيد عبد العزيـز سالم، طرابلس الشام، ص٣٢٣؛ **والأمير شيخ السليماني:** كان من مماليك الظاهر برقوق ، وقد تنقل في عدة نيابات منها طرابلس، توفي سنة ٨٠٨هـ(انظر ابن تغري بردي، المنهل، ج٦، ص٣١٤).

وأياً كان مرمى النائب الحموي فانه قد نال شرف النقل من نيابة حماة إلى نـيابة حلب في ذي الحجة من ذات العام، في حين أوكلت مهام نيابة حماة للأمير دقماق المحمدي الذي لم يهنأ بمباشرة مهامها طويلاً، حيث خرج عليه الأمير جكم والأمـير شيخ -اللذان ثارا ضد قرار عزلهما الأول في حلب والثاني في دمشق- لقـتاله في حماة، عندها استنجد بالأمير نوروز نائب دمشق، والأمير علان نائب حلـب، فـأنجداه بوحداتهمـا العسكرية، وظلوا مرابطين على حماة حتى جاءتهم الأخـبار بسيطرة دمرداش على حلب، فبادر الأميران نوروز وعلان لاستردادها منه تاركين حماة ونائبها لمصيرهما، فاستغل جكم خلوها من حلفاء دقماق وباغتها فـي رجب سنة ٨٠٨هـ/ نوفمبر ١٤٠٥م، فكسر عساكر حماة وقبض على نائبها دقماق وقتله صبراً بظاهر حماة([1]).

وبذلـك أعـاد جكـم نشر نفوذه في حماة، غير أن سيطرته على المناطق الشمالية للبلاد الشامية لم تكتمل إلا بعد كسره نائب دمشق الأمير شيخ -الذي كان قـد تغلب على دمشق بعد فرار نوروز إلى طرابلس- عند الرستن في يوم الاثنين ٥ ذي الحجـة، فقـتل في تلك الوقعة عدد كبير من الأمراء والنواب الشاميين([2])، عـندها أعلن جكم سيطرته الفعلية على حلب وحماة وطرابلس دون منازع، ومما يـدلّ على ذلك تسلطنه في ٩ من جمادى الآخرة سنة ٨٠٩هـ /اكتوبر ١٤٠٦م، وتلقّـبه بالملك العادل أبي الفتح ،وضربه للسكة باسمه والخطبة له من على جميع المـنابر بمـا فيها حماة([3])، والتي استمرت حتى قُتل على يد التركمان في أواخر العـام، فعـادت حماة إلى سابق عهدها نيابة تتبع السلطنة في القاهرة([4]).نتج عن حـركة عصـيان نائب حلب الأمير جكم انسلاخ أجزاء من بلاد الشام عن تبعية

([1]) ابن تغري بردي، المنهل،ج٤، ص٣١٨-٣١٩؛ ج٥، ص٣١٢-٣١٣؛ج٦،ص٢٧٠.

([2]) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٥، ص٣٠١-٣٠٢؛ ج٦، ص٢٦؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص٣٢٠-٣٢١؛ ج٦، ص٢٧١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٢١٩-٢٢٠؛ السخاوي، الذيل التام، ج١، ص٤٤٧.

([3]) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٦، ص١٠ ،٢٦؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص٣٢١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢ ، ص٢٢٩.

([4]) ابـن حجـر، إنـباء الغمر، ج٦، ص١٠- ١٢، ٢٧؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص٣٢٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٢٣٠؛ السخاوي ، الذيل التام، ج١، ص٤٤٨.

دولـــة المماليـــك، وعـــدّ ذلك مؤشراً خطير ينبئ بمدى تفسخ نسيج الدولة وعجز السلطان فرج عن إحكام سيطرته على أمراء المماليك، وهو ما كان لـــه انعكاساته السلبية على السياسية الخارجية.

وظلـــت بـــلاد الشام مسرحاً للثورات المتعاقبة ضد السلطنة المملوكية في مصـــر، والتـــي لم تسلم من أضرارها نيابة حماة ، حيث استمرت الأخطار تحيط بحمـــاة مـــن كل الجهات، خاصةً وأن رؤوس الفتنة كنوروز وشيخ ودمرداش، لم يغيـــبوا عـــن الســـاحة السياسية في الأراضي الشامية، وعلى الرغم من محاولة الســـلطان فرج لإقرار الأوضاع في بلاد الشام بتعيين الأمير شيخ على طرابلس، وبكـــتمر جلـــق علـــى دمشق، ودمرداش على حلب، إلا أن الأخير سعى لتفجير الأوضـــاع بين نوروز وشيخ، فاستدعى الأمير العاصي نوروز من عند التركمان واستضافه في نيابته حلب وذلك في ١٢من جمادى الأولى سنة ٨١٢هـ/١٤٠٩م، ثـــم كاتب الأبواب السلطانية بطلب تقليد نوروز نيابة دمشق وتعيين الأمير تغري بردي الصغير نائباً على حماة ، فأثار ذلك التصرف حفيظة نائب طرابلس الأمير شـــيخ الـــذي خرج نحو حماة في ٢٤ من جمادى الآخرة لمنع تقدم الأمير نوروز نحـــو دمشـــق، فحاصـــره فيها، وشرع في تضييق الخناق عليه، فاستنجد نوروز بحليفه دمرداش الذي خرج بقواته من حلب لمساندة نوروز، فوصل حماة في ٢١ مـــن شعبان ليفاجأ بتصدي شيخ لـــه، أما نوروز فخشي الخروج إلى ظاهر حماة، لمساعدة حليفه دمرداش الذي كسر في نهاية المطاف[1].

وفـــي تلـــك الأثـــناء تمكّن الأمير شيخ من استقطاب عدد من قبائل العرب والـــتركمان لمساندته عسكرياً في إحكام الحصار على حماة ،و خلالها شن الأمير تمـــراز نائب حماة غارة عسكرية كبس فيها شيخ العرب العجل في ليلة الاثنين ٩

([1]) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٢٤٠، ٢٤٣؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٦، ص١٥٢؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٦، ص٢٧٤-٢٧٥؛ يعود سبب تعيين الأمير شيخ على نيابة طرابلس بعد أن كان نائباً على دمشق، إلى إنفاذ شروط الصلح الذي وقع بينه وبين السلطان الناصر إثر عدم تمكن الأخير من القبض على الأول بعد اعتصامه بصرخد في سنة ٨١٢ هـــ(للمزيد من التفصيل انظر ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج٦، ص٢٧٤-٢٧٥).

من ذي الحجة فنهب منه مواشي كثيرة ودار بينهما قتال عنيف لم ينقذ العرب منه، ســوى تدخل الأمير شيخ الذي أطبق الحصار على حماة قرابة ٧ أشهر([1])، فنال طــول الحصـــار مــن أهل حماة وأعياهم شدته، فأجبر أعيانهم الأميرين نوروز ودمرداش على اتخاذ وسيط فيما بينهم وبين الأمير شيخ، فوقع اختيارهم على أمير العــرب العجــل، ويــبدو أنهم أدركوا أن السبب الرئيس الذي دفع نائب طرابلس لحصـــار مدينتهم، يعود إلى تواجد الأمير نوروز، فطلبوا من العجل إقناع نوروز بالخـــروج من حماة، وطالبوه بأخذ الأمان لهم من الأمير شيخ، فخرج العجل إلى شيخ ليخبره بأمر نوروز، غير أن نائب طرابلس شك في أن تكون حيلة من حيل نـــوروز، فأرســـل بعضاً من مماليكه ورجال العجل ليتحققوا من الأمر، وعندما دخلـــوا إلى حماة قُبِضَ عليهم، ووضعوا في المعتقل، عندها لجأ أهل حماة لاتباع سياسية فرق تسد، فأقنعوا رجال العجل بالكتابة إلى شيخهم العجل يخبرونه بوقوع صـــلح بين الأمير نائب طرابلس شيخ ونوروز، وأن الأخير اشترط في مقابل ذلك أن يقــبض على العجل ويسلمه لـــه، فوافق نائب طرابلس الأمير شيخ على ذلك، وأرســـل كتاباً إلى العجل الذي ما أن قرأه حتى بادر بالانسحاب من معسكر شيخ خوفـــاً علـــى نفسه، فلحق به شيخ ليسترضيه ويعيده، فاستغل الأميران دمرداش ونـــورز الوضع وأغارا على معسكر شيخ فنهبوا خيله ووطاقه، وعندما عاد شيخ ولـــم يـــدرك العجـــل بـــادر بالانسحاب من حمص وأرسل في طلب الصلح مع نـــوروز([2]). فوافق الأخير وخرج من حماة بمن معه إلى شيخ في ظاهرها، واتفقا على تقليد نيابة حلب للأمير نوروز وحماة للأمير جانم من حسن شاه([3]).

([1]) المقريـــزي، السلوك، ج٦، ص٢٥١؛ **والعجل بن نعير بن حيار بن مهنا:** ويقال أن اسمه يوسف ابن محمد شارك فـــي إشعال نار الفتن الداخلية على الأراضي الشامية قتله نائب حلب غيلة في سنة ٨١٦هـــ، وبموته كسرت شوكة آل مهنا (انظر ابن حجر ، أنباء الغمر، ج٧، ص١٣٤).

([2]) المقريـــزي، الســـلوك، ج٦، ص٢٥٢؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٦، ص١٥٩-١٦٠؛ **ووطاقه:** لفظ تركي بمعنى الخيمة الكبيرة أو المخيم أو الغرفة(انظر محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص١٥٥).

([3]) ابـــن تغـــري بـــردي، المنهل، ج٦، ص٢٧٥؛ **والأمير جانم** بن عبد الله من حسن شاه الظاهري، قتل سنة ٨١٤ هـــ(انظر ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج٤، ص٢١٦).

لـم تنعم حماة بالهدوء طويلاً، حيث تعرضت للتهديد بالإغارة عليها إن لم يسلمها نائبها الجديد الأمير تغري بردي الصغير، للأميرين شيخ ونوروز في الأول من المحرم سنة ٨١٤هـ/مارس ١٤١١م، فما كان من نائبها إلا أن تحصن بها وامتنع عن تسليمها وظل مرابطاً فيها، وخلالها وصل السلطان الناصر إلى برزة([1]).

وبالرغم من وصول شيخ لسدة الحكم وتنصيبه سلطاناً على دولة المماليك في الثاني من شعبان سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م([2])، إلا أن ذلك لم يوقف دولاب حركات العصيان في بلاد الشام،إنما زاد من تسارعها؛ من ذلك ما حدث عندما أرسل السلطان الجديد المؤيد شيخ الأمير قرقماس لقتال الأمير نوروز نائب دمشق في ٢٠ من المحرم سنة ٨١٦هـ/ إبريل ١٤١٣م، فانضم إلى معسكره أخوه نائب حماة الأمير تغري بردي سيدي الصغير، فسارا مع عدد من الأمراء والنواب لمهاجمة نوروز([3]) الذي يبدو بأنه كان أخذ طريقه إلى حماة ليطرد منها الأمير المتمرد دمرداش، فبادر الأخير بالفرار من حماة إلى حلب([4]). أما القوات التي خرجت للقبض على نوروز فلم تتمكن من الاصطدام مع نوروز، بل آثرت الانسحاب من غزة إلى الأبواب السلطانية، وبذلك لم يتمكن الأمير تغري بردي الصغير من مزاولة سلطته الإدارية على حماة، حتى قبض عليه المؤيد شيخ وسجنه إلى أن قتله في الأول من شوال من ذات العام([5]).

وبذلك لم تعد نيابة حماة إلى تبعية الأبواب السلطانية بمصر، بل استمرت خاضعة لنفوذ نوروز طيلة سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م، عين خلالها الأمير قمش نائباً

([1]) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج٦ـ ص٢٨٠.

([2]) ابن الوكيل، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، ص٦٦.

([3]) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٣٤٨-٣٤٩؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٦، ص٢٩٠-٢٩٤؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٧، ص١٠١-١٠٢؛ العيني ، عقد الجمان، حوادث سنة ٨١٦هـ،ص١٦٣.

([4]) ابن حجر، أنباء الغمر، ج٧، ص١٠١-١٠٢؛ العيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٨١٦هـ، ص١٦٣.

([5]) ابن تغري بردي، المنهل، ج٦، ص٢٩٠-٢٩٤؛ العيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٨١٦هـ، ص١٦٣-١٦٤؛ ١٦٩، ١٧٨.

علـــيها، واستمر الأخير يسيّر أمورها حتى تمكن السلطان المؤيد شيخ من القبض علـــى الأمير نوروز في ربيع الآخر سنة ٨١٧هـــ/مايو ١٤١٤م([1])، وعلى الرغم من سقوط الأمير المتمرد في يد السلطان شيخ إلا أن إعلان السيادة السلطانية على النـــيابة الحموية قـــد تأخر بعض الوقت، و لعلّ ذلك يعود إلى انشغال السلطان بتصـــفية حساباته مع أتباع الأمير نوروز حتى الأول من جمادى الآخرة من ذات العام، حيث أسند السلطان نيابة حماة للأمير تنبك المحمدي([2])، إلا أن الوضع في نـــيابة حماة لم يهدأ طويلاً، حيث انسلخت حماة عن النفوذ السلطاني مرة أخرى، عـــندما أعلـــن نائـــب دمشـــق الأمير قانباي المحمدي نائب دمشق العصيان على السلطان المؤيد شيخ في جمادى الأولى من العام التالي([3]).

قـــرر السلطان الخروج بنفسه للقضاء على هذه الفتنه، حيث دارت معركة بين السلطان المؤيد شيخ والأمير قانباي المحمدي نائب الشام، كان النصر فيها من نصيب السلطان، وذلك في يوم الخميس ١٤ شعبان، و بعدها دخل السلطان المؤيد حمـــاة ليـــتخذ منها قاعدةً لتعقُّب من فرّ من الأمراء، وكان منهم نائب حماة الأمير تنـــبك البجاســـي الذي أعلن السلطان عزله، وعين مكانه الأمير جارقطلو فباشر النائب الجديد مهام نيابته إضافةً إلى قيامه بتقديم المساعدات للسلطان الذي استمر في تعقُّب من اشترك من الأمراء في هذه الثورة([4]).

وفـــي ســـنة ٨٤٢هـــ/١٤٣٩م، أسهمت نيابة حماة في القضاء على ثورة تغري برمش نائب حلب الذي تمكن من هزيمة أتابك حلب الأقطج وعددٍ من أمراء

([1]) العيني، عقد الجمان، حوادث سنة ٨١٦هـــ،ص١٦٠.

([2]) العيني، المصدر السابق، حوادث سنة٨١٧هـــ،ص٢٠٢-٢٠٣

([3]) العيني، المصدر السابق، حوادث سنة ٨١٨هـــ،ص٢٢٩-٢٣٠؛ **وقانباي المحمدي الظاهري برقوق:** ويكتب اسمه بعدة حالات منها قانباي أو قاني باي أو قنباي، تولى نيابة الشام من قبل المؤيد شيخ قتل في سنة ٨١٨هـــ(ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص١٦٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٤٤).

([4])أنظر المقريزي، السلوك، ج٦، ص٣٩٤-٣٩٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٧، ص١٨٤؛العيني، السيف المهند، ص ٣٣٦، ٣٣٧؛ ابـــن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص١٣٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٣٥١-٣٥٣؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢١-٢٤.

حلب، ففروا إلى حماة في نهاية شهر شعبان للاحتماء بنائبها الأمير قانباي الحمزاوي، فكتب الأخير إلى الأبواب السلطانية يخبرهم بتفاقم أمر تغري برمش، فردّ السلطان بإصدار قرارات نقل عدة طالت معظم نواب الشام منهم النائب الحموي نفسه، حيث صدر قرار نقله إلى نيابة طرابلس، وعين مكانه الأمير بردبك العجمي الذي كان يتقلّد حجوبية حلب، فباشر بردبك مهام نيابته على الفور بحكم تواجده فيها بعد فراره من حلب، أما الأمير تغري برمش فقد استمر خروجه على السلطنة، وتوجه إلى عينتاب فاستولى عليها من ذات العام([1]).

ولم يشكل النائب الحلبي الخطر الوحيد على حماة، فقد عمد نائب دمشق إلى التمرد على السلطنه، ولكنه لم يجاهر بذلك خوفاً من معارضة بقية النواب، فلجأ إلى الحيلة للقضاء عليهم، فجمعهم في دمشق بحجة القضاء على الأمير تغري برمش ليتسنى له القبض عليهم، وهنا يبدو أن النائب الحموي أدرك تلك المكيدة وبقي في نيابته، فنجا مما حيك في الخفاء، ولكنه ظل بين فكي كماشة مهدداً بالإغارة عليه من الشمال والجنوب([2]).

ويبدو بأن نائب حماة بردبك رأى بأن الهجوم خير وسيلة للدفاع، فتوجّه إلى حلب حتى يحول دون تقدم تغري برمش إلى حماة، وكان الأخير في تلك الأثناء قد انضم إليه جموعٌ غفيرة من التركمان والعرب وشرع في التحرك نحو حلب لاستعادتها، وعندما وصل إلى الجوهري شرع في نصب خيامه فيها، وأمر بعضاً من قواته بضرب أحد أبواب حلب، فخرج إليه نائب حماة الأمير بردبك

([1]) انظر المقريزي، السلوك، ج٧، ص٣٩٧-٣٩٨ ؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٩، ص٥٥-٦١؛ ابن تغري بردي، النجوم ، ج١٥، ص٢٨٨؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٤، ص٦٨-٦٩؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٥، ص٤٨ ،٦٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢٠٧؛ و **تغري برمش** : اسمه الحقيقي حسين بن أحمد التركماني، قتل في سنة ٨٤٢هـ(ابن تغري بردي، المنهل، ج٤، ص٥٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٣٥)؛ **والأقطع من تمراز الظاهري برقوق:** كان من أحد أمراء الطبلخاناه في القاهرة ثم رقي لأتابكية حلب، توفي سنة ٨٤٣هـ(انظر ابن تغري بردي، الدليل، ج٢، ص٥٤٤؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٢٢٢).

([2]) انظر المقريزي، السلوك، ج٧، ص٣٩٨؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٩، ص٦١-٦٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور،ج٢، ص٢٠٨.

لدفعــه عن دخولها، ويبدو بأنه استبسل في ذلك بدليل كثرة القتلى بين الطرفين ، وفي اليوم التالي الجمعة ٢٥ شوال تجدّد الصدام بين النائب الحموي وقوات تغري برمش عند باب النيرب، وانتهى ذلك بجرح الأمير بردبك وعددٍ من أمراء حلب، وفي يوم الخميس ٢ من ذي القعدة أخذ تغري برمش في التقدم نحو الميدان، بعد أن اشـتد عوده بكثرة القوات التي انضمت إليه، الأمر الذي أدّى إلى حرج موقف الأمـير بـردبك، خاصة بعد أن نصب تغري برمش مجانيقه مقابل أسوار حلب، وهـنا أدرك أهـل حلـب أن مدينتهم مهدده بالخطر، فالتفوا حول الأمير بردبك، وتمكّن بمساعدتهم من دفع قوات تغري برمش، وإجباره على الانسحاب عن حلب، وذلك في يوم الجمعة ٣ ذي القعدة من ذات العام(١).

ولكـن تلك الهزيمة لم تكن لترضي الأمير تغري برمش الذي ما إن أعاد تنظـيم صفوفه، حتى بادر بالقصاص من نائب حماة، فتوجّه إليه بقواته المتنوعة الأعراق فمرّ بحلب في يوم الجمعة ٩ ذي القعدة ولم يحاول استعادتها، وإنما اكتفى بضربها، ثم رحل عنها في اليوم التالي نحو حماة بعدما وصله خبر نجدة العساكر السـلطانية للنائـب الحمـوي، فعجـل سيره نحو حماة، حتى يقطع الطريق على العسـاكر المصـرية فبلغ جبل التل بالقرب من حماة في يوم الجمعة ١٦ من ذي القعـدة، لـيجد العساكر الحموية والمصرية في انتظاره، فوقع بين الطرفين قتال عنـيف، وانتهى بهزيمته للمرة الثانية، وفر بعدها باتجاه الجبل الأقرع، ومنه إلى الدربـند، حيث أسر هناك مع عدد من أصحابه في ٢٢من ذي القعدة، ثم سُلِّم بعد ذلك لنائب حماة لأمير بردبك والأمير قطج في اليوم التالي، ونفذ فيه بعد ذلك حكم القصـاص بموجـب الأوامر السلطانية، وأرسل رأسه إلى القاهرة، وذلك في ذي الحجة من سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٩م(٢).

---

(١) المقريـزي، السـلوك، ج٧، ص٤١٩؛ انظـر أيضاً ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص٢٩٣؛ الصيرفي، نزهة الـنفوس، ج٤، ص١١٢-١١٣؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٥، ص٨٥؛ **وباب النيرب:** من أبواب مدينة حلب يقع في جانبها الشرقي ، وسمي بذلك لأنه يخرج منه إلى قرية النيرب(انظر ابن شحنة ، الدر المنتخب، ص٤٣)؛ **والجوهري:**لم أجد له تعريفاً فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

(٢) ابـن حجر، إنباء الغمر، ج٩، ص٧١-٧٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٤، ص١١٨؛ ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٥، ص٨٧؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٢١٦.

ودخلت نيابة حماة بعد ذلك في سبات طويل في علاقاتها بحركات العصيان التي قادتها بعض النيابات الشامية، ولم يوقظها غير حركة عصيان الأمير أقبردي الدودار في سنة ٩٠٣هـ/١٤٩٨م، والذي رفض تنفيذ قرار عزله، ولجأ إلى نائب حلب الأمير إنيال الفقيه السلحدار، فانضوى الأخير تحت رايته وعزم على تسليم نيابته له، فثار عندها أهل حلب، لمنع تنفيذ هذا القرار، وطردوا نائبهم وضيفه عن المدينة، وشرعوا بعدها في تحصين مدينتهم، فلاذ الأميران إلى النائب الحموي الأمير على دولات لمساعدتهما في قمع ثورة أهل حلب ،فأخرج النائب الحموي قواته تلبيةً لطلب الأمير أقبردي فصحبوهم إلى حلب وضربوا الحصار عليها ٧٠ يوماً، وفي تلك الأثناء أرسل السلطان محمد بن قايتباي قواته إلى الشام لإخماد هذه الثورة، ففر أقبردي ونائب حلب والقوات الحموية إلى عينتاب، فتعقبتهم القوات السلطانية وأوقعت بهم، فانكسر أقبردي وحلفاؤه وقتل الكثير من أتباعهم ومنهم إبني نائب حماة،و حمل رأس أحدهما إلى القاهرة ليطاف به مع رأس إنيال السلحدار ، وذلك في ١٤ من شوال من ذات العام([1]).

أما الأمير على دولات فقد عاد إلى حماة بعد هذه الهزيمة ، ولبس الخلعة السلطانية في ٢٣من جمادى الآخرة سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٩م، متظاهراً بتبعيته للسلطان الظاهر قانصوه، في حين هرب الأمير أقبردي إلى قلعة البيرة([2]). ويبدو بأن القوات السلطانية قد سكتت عنه بعد لبسه الخلعة السلطانية، وفضلت انتظار أوامر السلطان بشأنه.

([1]) ابن إياس ، بدائع الزهور، ج٣، ص٣٨٣، ٣٨٩، ٣٩١؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج٢، ص٤٤-٤٥؛ وقد ذكر كلٌ من البصروي وابن طولون أحداث حركة أقبردي في سنة ٩٠٤(انظر البصروي، تاريخ البصروي ، ص٢٣٤، ٢٣٩؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ق٣، ص١٩٤).

([2]) البصروي، تاريخ البصروي، ص٢٤١؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان ، مج٢، ص٦٧؛ ابن طولون، أعلام الورى، ص٩٢.

ومما لاشك فيه فقد دفعت هذه الحوادث المعقدة إدارة السلطنة في القاهرة لإبعاد الأمير على دولات عن نيابة حماة، حتى لا يعود فيدعم القوى الخارجة على السلطنة، والتي لم يُقضَ عليها نهائياً، فصدر أمرٌ سلطاني بنقل على دولات إلى نيابة طرابلس، وأسندت نيابة حماة للأمير يخشباي في ٧ من شهر رجب([1]).

ولم تكد تهدأ وتيرة حركات العصيان التي تزعمتها النيابات الشامية حتى اندلعت نيران حركة جديدة قادها نائب دمشق الأمير قصروه في سنة ٩٠٥هـ/ ١٥٠٠م، أيده فيها نائب حماة الأمير يخشباي، ورد السلطان على ذلك بأن أصدر قراراً نصَّ على عزل يخشباي من منصبه، وإسناد نيابة حماة إلى نائب جديد وهو الأمير قانصوه بن سلطان جركس([2]). إلا أن انشغال إدارة السلطنة بالقاهرة في عملية إنهاء حكم السلطان قانصوه في نهاية العام، حال دون تنفيذ ذلك القرار بعض الوقت، حيث استمرّ الأمير يخشباي نائباً على حماة حتى نصب الأمير جان بلاط سلطاناً على الدولة، حيث بادر إلى إصدار أوامره بإرسال ثلة من قواته إلى بلاد الشام، وفي معيتهم نائب حماة الجديد قانصوه بن سلطان جركس في محاولة منهم لإخماد ثورة نائب دمشق قصروه ومن انضم إليه من نواب الشام، وفي مقدمتهم نائب حماة المعزول يخشباي، في ربيع الآخرمن العام نفسه([3]). إلا أن هذا الأمر لم يدخل حيز التنفيذ لتفاقم الأوضاع في بلاد الشام ، وخروج جميع النيابات الشامية على طاعة السلطان جان، حيث قرر نواب الشام بمن فيهم نائب حماة المسير إلى الأراضي المصرية للإطاحة بحكم السلطان جان بلاط (٩٠٥هـ/ ١٤٩٩)،وتنصيب آخر مكانه، فنزلوا بالريدانية في يوم الجمعة ١٠ جمادى الآخرة، وأخذوا بتشديد الحصار على القلعة حتى تمكنوا من القبض على السلطان جان

---

(1) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤١٠؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج٢، ص٦٨.

(2) تضاربت الأقوال فيمن نال شرف تقليد نيابة حماة حيث ذكر البعض بأنه قانصوه بن سلطان جركس ، وذلك في ٨ ذي القعدة من ذات العام ، والبعض الآخر ذكر بأن الأمير قيت الرجبي هو من أستقر في نيابة حماة، والأول هو الأرجح(انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٣٢-٤٣٦؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج٢، ص١٠٠-١٠٢؛ ابن طولون، أعلام الورى، ص١٣٣-١٣٩).

(3) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٥١، ٤٦٩ ؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج٢، ص١١٤؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج٢، ص١٠٠-١٠٢؛ أعلام الورى، ص١٣٨-١٣٩.

بلاط في يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة ، ونصب الأمير طومان باي سلطاناً على دولـــة المماليـــك([1])، وبذلك ظل الأمير يخشباي متولياً نيابة حماة حتى قبض عليه السـلطان طومـــان باي في رجب سنة ٩٠٦هـ/ديسمبر ١٥٠٠م، وأسندت حماة للأمير سيباي على مضض منه([2]).

ويـــبدو بـــأن النـــيابة الحمويـــة التزمت بعد ذلك جانب السلطنة في مصر لشـــعورها بعـــدم جـــدوى المشاركة في حركات عصيان أخرى، على الرغم من حرص بعض الأمراء الثائرين على مشاركة نواب حماة في حركات العصيان ضد الســـلطنة، ودفـــع نوابها ثمن موقفهم المعارض للعصيان غالياً مثل ما حدث سنة ٩١٠هـــــ/١٥٠٤م، حيث أغار على حماة نائب طرابلس الأمير دوليتاي الذي قاد حركة عصيان على السلطنة في مصر، فأجبر نائبها الأمير جانم للهرب منها إلى دمشـــق وتـــرك حريمه فيها، ودخل دمشق في ليلة الخميس ٦ من جمادى الآخرة علـــى حـــالٍ يرثى لها من الخوف على نسائه اللواتي خلفهن وراءه بحماة، فأنزله نائب دمشق بالقلعة وظل مقيماً فيها حتى صدر أمر عزله واستبداله بالأمير سودن الدوداري([3]).

وختاماً يمكن القول، إن انغماس نيابة حماة في حمأة حركات العصيان التي قادها عدد من أمراء بلاد الشام ونوابها ضد السلطنة في مصر، والتي لم تفلح في انفصـــال بـــلاد الشام عن السلطنة في مصر،أو في تحقيق قدر كاف من الأطماع الشخصـــية لهم، قد تضافرت جميعاً في إضعاف الحالة السياسية والعسكرية لهذه النـــيابات، ومـــنها بطبيعة الحال نيابة حماة، الأمر الذي مهّد السبيل لدولة إسلامية فتـــية هـــي الدولة العثمانية لضم بلاد الشام، ومنها حماة لسلطانها، كما سنرى في المبحثين اللاحقين.

([1]) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٥١-٤٦٢؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج٢، ص١٠٧-١١٠.

([2]) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٦٩؛ ابن الحمصي، حوادث الومان، ج٢، ص١١٤-١١٦؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق١، ص٢٢٩-٣٣١.

([3]) ابن طولون، أعلام الورى، ص١٨٢-١٨٦،١٨٣.

تدهور العلاقات العثمانية المملوكية:

اتسمت بدايات العلاقة فيما بين المماليك والعثمانيين بطابع الود المتبادل الذي زاد بوجود عدو مشترك سعت كلا الدولتين لإيقاف زحفه نحو أملاكهما في بلاد الشام والأناضول، فوثقت بذلك عرى الصداقة فيما بينها إبان ظهور خطر التوسع التيموري، وتتابعت السفارات الدبلوماسية التي وفدت إلى الأبواب السلطانية من قبل السلطان بايزيد الذي خطب فيها ودَّ السلطان برقوق، ورغم وفاة الطرف الأخير وما عقبه من طمع بايزيد بملطية وزحفه إليها في أواخر سنة ٨٠١ هـ/١٣٩٩م، إلا أن تواجد الخطر المشترك وعدم تغيبه عن الساحة السياسية أعاد بايزيد إلى جادة صوابه، فأرسل سفارة عثمانية في عام ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، لتحذير السلطان فرج من تدافع القوات التيمورية نحو الأراضي المملوكية، وتكرر هذا التقارب في عهد مراد الثاني الذي أرسل إلى السلطان برسباي يهنئه بانتصاره على قان المغول شاه رخ في سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م([1]).

بيد أن العلاقات المملوكية العثمانية ما لبثت أن دخلت طور التنافس في حركة الجهاد لإثبات الجدارة العسكرية لرفع راية الإسلام، ويعد عهد السلطان برسباي الدليل القاطع على مدى حرص سلاطين المماليك لاستعادة دورهم الريادي في تنشيط حركة الجهاد ضد القوى الصليبية، فكانت جزر البحر المتوسط

([1]) المقريزي، السلوك،ج٧، ص٩٢؛ **والسلطان بايزيد بن مراد الأول** بن أورخان بن أرطغرل بن عثمان، الملقب بيلدرم، ولد سنة ٧٦١هـ، وبويع بالسلطنة بميدان حرب قوصوة عقب وفاة والده سنة ٧٩١هـ، شهدت السلطنة العثمانية في عهده فتح عدة ميادين عسكرية، فإلى جانب الفتوحات الإسلامية التي قادتها القوات العثمانية في أوربا، عمل على تأديب إمارة بني قرمان التركمانية سنة ٧٩٣هـ، كما واجه المد التيموري في سنة ٨٠٥هـ، ولكنه فشل في ردعها عن التقدم مما تسبب في أسره في تلك السنة، وضياع الكثير من أملاك السلطنة العثمانية(انظر إبراهيم بك حليم، التحفة الحليمية، ص٤٦-٤٤؛ إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، ص٢٣-٢٥؛ محمد فريد بك المحامي،الدولة العلية العثمانية، ص١٣٧-١٤٨؛ عبد اللطيف عبد الله بن دهيش، قيام الدولة العثمانية، ص٣٧-٤١؛ نبيل عبد الحي رضوان، القوة العثمانية بين البر والبحر، ص٣٣-٤٠؛ على محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص٦٥-٧٢)

بـــتهديداتها المتتالـــية وقـــربها من السواحل المملوكية هي الميدان الذي سعى من خلالهـــا الســـلطان برســـباي لإثبات جدارة قواته البحرية في تحجيم خطر القوى الصليبية في هذه الجزر([1]).

وممـــا لاشك فيه أن بعد الميدان العسكري لدولة المماليك عن نطاق حركة الفـــتح العثمانـــي التـــي تركّزت في شبه جزيرة البلقان، أوجد بين الدولتين هدفاً عسكرياً مشتركاً حال دون حدوث أيّ تضارب بينهما، يؤكد هذا مسارعة السلطان العثمانـــي مـــراد الثانـــي إلى إرسال وفد من قبله سنة ٨٢٩هــ/ ١٤٢٥م، لتهنئة الســـلطان المملوكي برسباي لانتصار أسطوله الساحق على الصليبيين ،واستعادته جزيـــرة قـــبرص مـــنهم، وتحويلهـــا إلى نيابة مملوكية، فشهد سفراء بني عثمان احتفالات النصر في القاهرة([2]). وعندما نجح السلطان مراد في تحقيق انتصارات مـــتلاحقة في البلقان بادر بإرسال سفارة إلى السلطان برسباي يخبره بذلك ومعها هدية قوامها خمسين أسير وصلت القاهرة في رجب سنة ٨٣١هــ/١٤٢٨م([3]).

وقـــد زادت الصـــلة بيـــن الدولتين حتى أن السلطان مراد الثاني اتخذ من الســـلطنة المملوكـــية منفى سياسياً لمنافسيه في الحكم، في حين عدّها بعض أفراد الأسرة العثمانية ملاذاً آمناً من الاستبداد الأسري العثماني، وذلك يظهر من مبادرة مملوك الأمير أورخان بك بتهريب ابن سيده الأمير سليمان إلى الأبواب السلطانية فـــي القاهـــرة، فدخل إليها كلاجئ سياسي يحتمي بالسلطان المملوكي من تعسف الســـلطان العثماني الذي سجن والده، ولكن هذه الحقيقية سرعان ما تكشفت فأدرك الأمير سليمان بن أورخان بك بأنه أصبح مقيد الحرية لدى الدولة المملوكية، فآثر

([1]) عن جهود السلطان برسباي في هذا المجال(انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص ١٦٩-١٧٧).

([2])المقريزي، السلوك، ج٧، ص١٤٠؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص١٠٣-١٠٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٣٠٠؛ السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٤٨٩؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص٤٨٤.

([3]) المقريزي، السلوك، ج٧، ص١٧٥-١٧٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤، ص٣١٨؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ٣، ص١٢٨-١٢٩؛ إبراهيم طوخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص١٦٤-١٦٥.

الفرار مع أخته بمساعدة مملوك والده إلا أن محاولاتهما باءت بالفشل فقبض عليه وعلـــى أخته ، ومنعا من السفر، بل إن السلطان برسباي طلب الزواج من الأميره العثمانـــية لنفسه ليضمن عدم عودتها إلى الأراضي العثمانية([1])، ومن هذا يظهر مدى حرص السلطنة المملوكية على استقرار الأوضاع الداخلية في الدولة العثمانية وحفظهـــا مـــن الفتن والاضطراب الذي قد ينشأ نتيجة عودة الأمير العثماني وما سيجره من مطالبته بالسلطنة باعتباره وريثاً لأبيه.

كمـــا توثقـــت عرى الصداقة بين الدولتين في عهد السلطان جقمق، حيث زادت مظاهر المجاملات السياسية فيما بينهما، حتى وصلت إلى حدّ قيام السلطان العثمانـــي بشـــرح خـــط سير حملته البحرية ضد القوى الصليبية في جزر البحر المتوســـط، والتي وضّحها في رسالته التي وردت منه إلى الأبواب السلطانية في يـــوم الاثنين ١٦ من شوال سنة ٨٤٨هـــ/ يناير ١٤٤٥م، وأعقبها وصول الهدايا العثمانية إلى البلاط المملوكي في يوم الثلاثاء٢١ ذي الحجة من ذات العام، والتي كانـــت تضـــم عدداً من أسرى النصارى والجواري التي غنمها من إحدى المواقع العسكرية في أوربا([2]).

ورغم وفاة مراد الثاني في سنة ٨٥٥هـــ/ ١٤٥١م، فقد استمر ابنه ووريث العـــرش العثماني محمد الثاني على سيرة أبيه مع السلطان جقمق، وبعدما تم فتح القســـطنطينية على يده سنة ٨٥٧هـــ/١٤٥٣م، أرسل إلى جقمق يبشّره بذلك الفتح العظـــيم الـــذي بشر به نبي هذه الأمة عليه الصلاة والسلام، فبادر الأخير بإقامة الاحـــتفالات في القاهرة بمناسبة هذا النصر المبين ، وأرسل يهنئ السلطان الفاتح

([1]) المقريزي، السلوك، ج٧، ص٣٦٨؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٦، ص٢٢-٢٤؛ إبراهيم طوخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص١٦٤؛ و **سليمان بن أورخان بك بن محمد كرشجي بن عثمان:** حكم والده بلاد الروم ، ثم قـــبض علـــيه ابـــن عمه مراد بك و سجنه فمات في غياهب السجون، أما سليمان فتوفي بالقاهرة سنة ٨٤١هـــ (انظر المقريزي، السلوك،ج٧، ص٣٦٨؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٦، ص٢٢-٢٣).

([2]) ابن تغري بردي، النجوم،ج١٥، ص٣٦٦؛ حوادث الدهور، ج١، ص١١٠-١١٢؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص ٩٩-١٠٠؛ وجيز الكلام، ج٢، ص٥٩٥؛ الصيرفي، نزهة النفوس ، ج٤، ص٣٠٨-٣١٢،٣٠٩؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص٤٨٤.

بهذا الفتح العظيم الذي نالت به الدولة العثمانية مكانة مرموقة في العالم الإسلامي بما في ذلك الدولة المملوكية نفسها(١). حيث بلغ تقدير سلطانها الجديد إينال أنه لم يلتفــت، لشــكوى أحد أمراء التركمان، التي توجه بها إلى الأبواب السلطانية في القاهرة سنة ٨٥٩هــ/١٤٥٤م، والتي أظهر فيها مدى تضرّره من التدخل العثماني فــي الإمارة القرمانية، ولكنّ السلطان إينال تجاهل أمر ذلك التعدي السياسي على إمارة تدين بالتبعية السياسية للدولة المملوكية، إكراماً لما حققته هذه الدولة من فتح عظيم تمثّل في دقّ آخر مسمار في نعش دولة استمرت على مسرح الوجود أكثر من ألف عام ألا وهي الإمبراطورية البيزنطية(٢).

وبدوام عدم تضارب المصالح السياسية فيما بين الدولتين دام الودّ السياسي بيــن المماليــك والعثمانيين، إلى أن خُرِقَ الطوق الأمني للحدود الشمالية الغربية للبلاد الشامية من قبل العثمانيين، وبدأ الطرف الأخير في بسط نفوذه على إمارتي بنــي دلغــادر وبنــي قــرمان، بحجة تأمين ظهر السلطنة العثمانية، لدفع عجلة الفــتوحات الإســلامية فــي أوربا، بل زاد تجرؤ العثمانيين على الهيبة المملوكية فأضــحوا يــؤون الفاريــن من السلطنة(٣). مما دفع السلطان المملوكي الأشرف

---

(١) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص٣٤٦؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص٤٨٤؛ و**محمد الثاني الفاتح** ابن مراد الثاني ، ولد سنة ٨٣٣هــ، وتولى السلطنة بعد وفاة والده سنة ٨٥٥هــ، وكان عمره آنذاك ٢٢ سنة، وظل عليها مدة ٣١سنة ،تمكن خلالها من استكمال العمليات الجهادية في الميدان الأوربي، إلى جانب بعض جزر البحر المتوسط، مما أسفر عنه فتح القسطنطينية، كما تمكن من ردع الإمارات التركمانية عن حدود السلطنة العثمانية، إضافة إلــى إنجازاتــه العســكرية فقــد وضــع بصــمته على التنظيمات الإدارية في السلطنة، كانت وفاته سنة ٨٨٦هــ،(انظرإســماعيل أحمــد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص٤٨-٤٩؛ زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطى، ١٩٤- ٢٠٦؛عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية الأتراك العثمانيون الفرس مسلمو الهند، ص٦٠؛علي محمد الصلابي،الدولة العثمانية، ٨٧-١٥٩؛المعتصم بالله شعوط، جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين حتى فتح القسطنطينية٧٧٥-٨٥٧هــ/١٣٥٤-١٤٥٣؛ رسالة لنيل درجة الماجستير من جامعة الملك عبد العزيز، غير مطبوعة، ص١٣٥-١٧٤).

(٢) إبراهيم طوخان ، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص١٦٥.

(٣) القرمانــي، اخبار الدول، مج٢، ص٥١٢؛ إبراهيم حليم بك، التحفة الحليمية، ص٤٦؛ إبراهيم طوخان، مصر في عصــر دولــة المماليك الجراكسة، ص١٦٥-١٦٦؛ عبد الرحمن محمود، قايتباي المحمودي، ص١٦٦-١٦٧؛ محمود شــاكر، الــتاريخ الإسلامي، ج٧، ص٨٩؛ تاج السر أحمد حران، المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشام ، بلاد الشام في علاقات المماليك والعثمانيين منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي وحتى الفتح العثماني،ص٤١٩.

قايتـباي للـرد علـيهم بالمـثل فوافق، على استقبال الأمير جم الهارب من أخيه السلطان بايزيد الثاني يلدرم وعمل على إكرام وفادته([1]). بعدما أمر بخروج جميع أمـراء ونواب المماليك للترحيب بمقدمه، في شعبان من سنة ٨٨٩هـ/ أغسطس ١٤٨٤م، وظـل الأمـير العثماني مقيماً في كنف السلطان قرابة عام تقريباً، أدى خلالها فريضة الحج وزار مسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة([2]).

ومـن المؤكـد بـأن موقف السلطان المملوكي إزاء ذلك النزاع الأسري العثمانـي، لـم تتعدَّ أبعاده السياسية سوى إثبات السلطنة المملوكية بطريقة عملية بأنهـا نـدٌ قوي يوازي الدولة العثمانية، وأنها رسالة غير مباشرة لدعوة السلطان بايـزيد للكـفّ عن التدخل في شؤون الدولة المملوكية الداخلية، أمّا على الصعيد العسـكري فإن السلطان قايتباي لم يرمِ من وراء ذلك الحدث إشعال فتيل الحرب بيـنه وبيـن بايـزيد، بدلـيل سعيه الحثيث فيما بعد لإحلال الصلح بين الأخوين المتنازعيـن وتقديمـه المقـترحات لإخماد الفتنه،غير أن السلطان بايزيد رفض الوساطة المملوكية و تجاهل مقترحات قايتباي([3])،إذ اعتبر بايزيد ذلك التدخل من قبل السلطان المملوكي تدخلاً في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، الأمر الذي أثار حفـيظة السـلطان قايتباي –على مايبدو– فاستجاب لطلب الأمير جم وسمح لـه بـالعودة إلى الأراضي العثمانية لمواجهة أخيه والمطالبة بحقوقه، فكان ذلك بمثابة الشـرارة الأولى التي أشعلت نار الحرب بين العثمانيين والمماليك، إذ أن السلطان بايزيد اعتقد بأن خروج جم تمَّ بتحريض ودعم من السلطان قايتباي([4])، ولعلّ مما

([1]) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١٨٠؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٧، ص٨٩؛ جرجي زيدان، مصر العثمانية، ص٥٨؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص٤٨٧؛ تاج السر أحمد حران، المؤتمر الدولـي لـتاريخ بلاد الشام ، بلاد الشام في علاقات المماليك والعثمانيين منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي وحتى الفتح العثماني،ص٤٢٠-٤٢١.

([2]) محمد دهمان، العراك بين المماليك والعثمانيين الأتراك، ص١٨١؛ القرماني، أخبار الدول، مج٣، ص٣٨.

([3]) إبراهيم طوخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص١٦٧-١٦٨؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص٤٨٧-٤٨٨.

([4]) محمـد دهمـان ، العراك بين المماليك العثمانيين الاتراك، ص١٨١-١٨٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤١٣؛ إبراهيم بك حليم ، التحفة الحليمية ، ص٧٢.

زاد في شكوك بايزيد أن قايتباي رفض الطلب الذي تقدّم به بايزيد لإصلاح إحدى قنوات المياه في مكة[1]، بل إنه لم ينكر فعلة نائبه في جدة الذي احتاط على هدايا تجـار الهـند التـي كانوا ينوون تقديمها لبايزيد، فتعمد العبث بها، وسلب إحدى قطعها، الأمر الذي أغضب السلطان العثماني[2].

وقـد دفعـت هذه العوامل بايزيد إلى المجاهرة بمعاداة السلطان المملوكي، حيـث عمـد إلـى تأييد أمير دلغادر على دولات التركماني ضده، فأمده بقوات عسـكرية مكنـته مـن انـتزاع ملطية من السيادة المملوكية، ورغم أن السلطان المملوكـي بادر بإرسال حملة عسكرية في محاولة منه لاسترداد ملطية، وذلك في المحـرم من سنة ٨٨٩هـ/ يناير ١٤٨٤ م، إلا أن قواته هزمت أمام جيوش أمير دلغادر وحلفائه، وقتل الكثير من عناصرها في ربيع الأول من ذات العام[3].

ولـم يفّت ذلك من عزيمة السلطان المملوكي، بل حاولت القوات المملوكية تـتقدمها قـوات نيابة حلب وتدعهما قوات النيابات الشامية الأخرى ومنها حماة، للانـتقام من القوات العثمانية وحليفتها إمارة دلغادر، إلا أنها مُنيت أمامها بهزيمة ثانـية، وذلـك فـي شهر رمضان من العام ذاته[4]، وذلك قبل أن تصل القوات المصرية إلى ميدان المعركة، وبوصول هذه القوات نجحت في تحويل الهزيمة إلى نصـر مسـتغلين الإنهاك والتعب الذي أصاب قوات التحالف العثماني التركماني جراء المنازلة في معركتين متتاليتين[5].

---

(١) إبراهيم طوخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص١٦٨؛ محمد طقوش، تاريخ المماليك، ص٤٨٨.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢١٥؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص٤٨٨.

(٣) السخاوي، وجيز الكلام، ج٣، ص٩٤٩؛ البصروي، تاريخ البصروي، ص٩٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص ٢٠٦؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج١، ص٢٩١؛ القرماني، أخبار الدول، مج٣، ص٣٨-٣٩؛ ابن طولون، أعلام الورى، ص٩٣؛ عبد الرحمن محمود، قايتباي المحمودي، ص١٦٨-١٦٩.

(٤) السخاوي، وجيز الكلام، ج٣، ص٩٤٩- ٩٥٠؛ البصروي، تاريخ البصروي، ص٩٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٣، ص٢١٠؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج١، ص٢٩٤

(٥) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢١٠؛ عبد الرحمن محمود، قايتباي المحمودي، ص١٧٠؛ جرجي زيدان، مصر العثمانية، ص٥٨.

ورغـم الانتصـار النسبي الذي حققته القوات المملوكية إلا أن الهواجس ظلت تلاحق السلطان قايتباي الذي شعر بمدى ما أضحت عليه القوة العثمانية من تمكيـن وصلابة موقف، فاستشار أهل الحلّ والعقد في دولته، فأشار عليه الأتابك أزبـك إلـى ضرورة اتباع سياسية مرنة مع العثمانيين، وذلك بإرسال وفدٍ محملٍ بالهدايا إلى السلطان العثماني لإيجاد مخرج لهذه الأزمة السياسية التي تفاقمت بين الطرفيـن حقـناً لدمـاء المسلمين، وادخارها لحركة الجهاد ضد أعدائهم، ورأى السـلطان قايتـباي بـأن أفضل وسيلة للضغط على السلطان العثماني بايزيد هي الاسـتعانة بالخلـيفة العباسي المتوكل على الله عبد العزيز بن يعقوب للتوسط بين الطرفين، وإيقاف هذا الصراع المسلح الذي احتدم بين الطرفين([1]).

وأخـيراً غادر الأمير جاني بك حبيب أمير أخور الإسكندرية متوجهاً إلى الأراضـي العثمانـية عن طريق البحر في صفر سنة ٨٩٠هـ/ فبراير ١٤٨٥م، يحمـل هدية تقدر بعشرة آلاف دينار أو يزيد إلى جانب رسالة وتقليد من الخليفة العباسي "إلى ابن عثمان بأن يكون مقام السلطان على بلاد الروم، وما سيفتحه الله تعالى على يده من بلاد الكفرية"([2])، وبالرغم من تلك التنازلات إلا أن السفير لقي إعراضاً من قبل السلطان العثماني في بداية الأمر، ثم وافق على استقباله فقدّم لـه واجب الضيافة، ثم عاد إلى دمشق في شوال من ذات العام([3]).

ويبدو أن هذا الإجراء لم يجد نفعاً في إنهاء الأزمة السياسية بين الدولتين، فقد عبر السلطان العثماني عن رفضه لذلك بتنظيم غارة على حدود دولة المماليك

([1]) ابن إياس،بدائع الزهور، ج٣، ص٢١٣ ؛**والمتوكل بالله عبد العزيز بن يعقوب:** ولد سنة ٨١٩هـ، وبويع بالخلافة بعـد وفـاة عمه المستنجد في المحرم من سنة ٨٨٤هـ، وظل على ذلك حتى توفي في سنة ٨٩٣هـ(انظر السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤١١-٤١٣؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٧، ص٨٤)

([2]) محمد دهمان ، العراك بين المماليك والعثمانيين الاتراك، ص١٨٤ ؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص٤٨٩

([3]) السـخاوي، وجيز الكلام، ج٣، ص٩٥٨؛ البصروي، تاريخ البصروي، ص١٠٥؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢١٥؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج١، ص٣٠٣؛ محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك، ص٤٨٩.

الشـــمالية تمكّـــن خلالهـــا مـــن الاستيلاء على بعض قلاعها([1])، فوجد السلطان المملوكـــي نفسه محرجاً إزاء نداءات الاستغاثة التي أطلقها النائب الحلبي، والتي اســـتحثّ فيها السلطان للتدخل لإيقاف التعديات العثمانية؛ إما بتجهيز قوة عسكرية ثقـــيلة أو خـــروج السلطان بنفسه إلى مسرح المعارك لحسم الوضع المتردي فيها لصالح السلطنة([2]).

فاســـتجاب السلطان المملوكي لهذا النداء، وأصدر أوامره بخروج حملتين عسكريتين متتاليتين أوكلت قيادتهما للأتابك أزبك، تمكّنت أولاها في ذات العام من كســـر القـــوات العثمانية ،وأسر باش عساكرهم الأمير أحمد بك بن هرسك، وأما الثانـــية فقـــد تصدّت لحملة القصاص التي أخرجها السلطان العثماني للثأر لهزيمة قواتـــه فـــي المرة الأولى، واستطاع الأمير أزبك من إنزال هزيمة ثانية بالقوات العثمانية ، وزاد على ذلك بأن استولى على أذنه وبعض المدن المجاورة لها([3]).

ورغـــم هاتيـــن الكســـرتين التي مُنِيَ بها الجيش العثماني، إلا أن السلطان بايـــزيد لم يكف عن محاولات الثأر، فأرسل حملة ثالثة تمكنت من السيطرة على ســـيس وطرســـوس وغـــيرهما([4]).ويبدو بأن تلك الانتصارات قد أثلجت صدره، وردّت اعتـــبار قواتـــه، فبادر بإرسال من يفاوض سلطان المماليك على الصلح، وذلك في سنة ٨٩٤ هــ/١٤٨٩م، فلقي ذلك العرض قبولاً من السلطان المملوكي

([1]) القـــلاع التـــي اســـتولى عليها العثمانيون هي طرسوس وأدنه والكولك والمصيصة(انظر ا بن الحمصي، حوادث الزمان، مج١، ص٣٠٢-٣٠٣).

([2]) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢١٩.

([3]) البصـــروي، تـــاريخ البصروي، ص١١٠-١١١؛ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٢٦ ،٢٣٥؛ ابن الحمصي، حـــوادث الـــزمان، مـــج١، ص٣٠٢-٣٠٦؛ ابن طولون، أعلام الورى، ص٩٥، ٩٩-١٠٠؛ إبراهيم حليم بك، التحفة الحليمـــية، ص٧٣؛ جرجـــي زيدان، مصر العثمانية، ص٥٨-٥٩؛ تاج السر أحمد حران، المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشـــام ، بلاد الشام في علاقات المماليك والعثمانيين منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي وحتى الفتح العثماني،ص ٤٢١-٤٢٢؛ **وباش العساكر:** كلمة تركية الأصل وتعني الرئيس أو الرأس وهي تطلق على قائد العساكر (انظر، محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٣٠).

([4]) البصروي، تاريخ البصروي، ص١٢٨.

قايتباي، الذي اشترط على بايزيد إطلاق سراح ما لديه من أسرى المماليك، وتسليم مفاتيح القلاع التي استولى عليها([1]).

ورغم انعقاد محادثات السلام بين الدولتين إلا أن الصراع المسلح كان مستمراً على الساحة العسكرية ، حيث أخذت القوات العثمانية تزحف إلى قصيرية الروم، فخرج الأمير أزبك على رأس حملة جديدة لإيقاف الزحف العثماني، فتمكّن من إجبارهم على التراجع عن كولك، واستولى بعدها على قلعة كوارة ، ثم عاد بعدها إلى القاهرة ، فوصلها في المحرم سنة ٨٩٦هـ/ نوفمبر ١٤٩٠م([2]).

ومما لاشكّ فيه بأن طول الصدام العسكري بين الدولتين استنفذ الطاقات العسكرية العثمانية ، وأرهق خزانة الدولة المملوكية، حتى عجزت عن سداد مرتبات الجند الأمر الذي دفع السلطان العثماني إلى المبادرة من جديد باتخاذ خطوة عملية للحد من توتر العلاقات بين الدولتين، وذلك بإرسال وفد ترأسه قاضي بروصة مع الأمير ماماي الخاصكي للتفاوض، مع السلطان المملوكي، وقد لقي ذلك قبولاً كبيراً من أمراء المماليك في الشام،فقد تزينت دمشق لاستقبالهم وذلك في يوم السبت ١٥ جمادى الأولى سنة ٨٩٦هـ/ مارس ١٤٩١م([3])، حيث دخلها مبعوث السلطان العثماني في يوم الاثنين ٢٢ من الشهر يحمل مفاتيح القلاع التي أخذت من المماليك([4])، وبعد أن أمضى في دمشق بعض الوقت غادر مع بقية الوفد إلى الأبواب السلطانية بالقاهرة، فاستقبلهم السلطان المملوكي، وتسلم منهم مفاتيح القلاع منهم، في جمادى الآخرة، وأطلق من كان بحوزته من الأسرى([5])، وبعدها عاد قاضي بروصة إلى بلاده ومعه رسول السلطان المملوكي الأمير جان

([1]) ابن إياس، بدائع الزهور،ج٣،ص٢٦٦؛ إبراهيم طوخان، مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص١٧١.

([2]) البصروي، تاريخ البصروي، ص١٢٩؛ ابن إياس ، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٧٥؛ ابراهيم طوخان، مصر في عصر المماليك الجراكسة، ص١٧٢؛ **وكولك** :لم أجد تعريف لها فيما توفرلي من مصادر اطلعت عليها؛ وكوارة لعلها كوارا التي ورد تعريفها سابقاً.

([3]) ابن طولون، مفاكهة الخلان،مج١، ق١، ص١٣٨-١٣٩.

([4])ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج١، ص٣٢٥.

([5]) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٨١-٢٨٢.

بـــلاط لإتمـــام الصـــلح بين الطرفين، وعندما وصل القاضي دمشق دخلها مرتدياً الخلعـــة السلطانية المملوكية في ١٧ من رمضان/ يوليه ،وأما المبعوث المملوكي فقد تأخر وصوله حتى يوم الاثنين ٢٥ من رمضان، ولعل السبب يعود إلى الهدايا التي كان يحملها(١)، وانطلق بعدها السفيران العثماني والمملوكي نحو بلاد الدولة العثمانية، وفي العام التالي عاد الأمير جان بلاط إلى دمشق فدخلها مرتدياً الخلعة العثمانية بعد أن أقر الصلح مع العثمانيين، فدخلها في يوم الثلاثاء ثاني ربيع الأول ومعه الهدايا من مماليك وجوارٍ وجمال وقماش وذهب وغيره، وبذلك ساد الهدوء العلاقـــات العثمانـــية المملوكية، وعادت المراسلات والهدايا تتبادل بين الدولتين، ولكن إلى حين(٢).

التوسع العثماني في بلاد الشام وسقوط نيابة حماة:

خـــدم الهـــدوء النسبي الذي ساد العلاقات العثمانية المملوكية، العثمانيين لكشف عدد من الأخطار الداخلية التي أخذت تنخر في جسد الدولة العثمانية، والتي كان من أهمها تفاقم خطر المذهب الشيعي الذي أخذ في الانتشار شرقي الأناضول بيـــن الـــتركمان بدعـــم من الدولة الصفوية في إيران(٣)، فأقلق هذا الوضع والي طرابزون الأمير سليم بن بايزيد، ومما حدا به لمراسلة والده محذراً إياه من تفاقم الخطـــر الشيعي، ومغبة خروج الأمور عن السيطرة إن لم يجتثوا مروجي الفكر الشـــيعي مـــن المنطقة، ولكن السلطان بايزيد لم يلتفت إلى تنبيهات نائبه لانشغاله

---

(١) البصـــروي، تاريخ البصروي، ص١٤٧-١٤٨؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٣٢؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، مج١، ص٣٢٦-٣٢٨؛ انظر أيضاً على محمد الصلابي،الدولة العثمانية،ص١٦٤.

(٢) ابـــن الحمصي، حوادث الزمان، مج١، ص٣١١؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ق١، ص١٤٧-١٤٨؛ وعن الهدايا التي تم تبادلها انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٢٢٩، ج٤، ص٤٦-٤٧ ،٥٥، ٦٣.

(٣)عبد العزيز المنشاوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج١، ص١٨-١٩؛ عن قيام الدولة الصفوية في إيران(انظر بديع جمعه وأحمد الخولي،تاريخ الصفويين وحضارتهم، ج١، ص٤٩ وما بعدها؛على محمد الصلابي،الدولة العثمانية،ص ١٧٧-١٧٩؛كيلفورد - أ- بوزورث، الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي،ص٢٣٦-٢٣٩).

بالجبهة الأوربية، فظل الوضع على ما هو عليه حتى توفي([١])، وتسلم مقاليد السلطنة العثمانية ابنه سليم الأول الذي بدأ عهده بتصفية شاملة لمنافسيه على السلطة فخنق أخاه أحمد وابنه قورقود([٢]). ولم ينج من بطشه سوى أميرين من البيت العثماني الأول علاء الدين، وقد فر إلى السلطان الغوري([٣]). والثاني مراد الذي تمكن من الهرب نحو الدولة الصفوية، فاستقبله الشاه إسماعيل الصفوي، وأكرم وفادته، وأنزله منزل الأمراء، وعينه حاكماً على أجزاء من فارس، فلم يرض ذلك اللجوء السياسي السلطان سليم الأول وبعث بسفرائه إلى الشاه إسماعيل

([١]) أحمد متولي، الفتح العثماني لمصر والشام ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية، ص٧٣-٧٤؛ إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية ، ص٥٦؛ عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية، ص٧٢؛ عمر بابكور، حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري،رسالة لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى، غير مطبوعة،ص١٢٧-١٢٨؛ **وطرابزون:** ميناء يطل على البحر الأسود يقع في الطرف الشمال شرقي أسيا الصغرى من أسمائه طرابزندة (انظر أبو الفداء، تقويم البلدان ، ص٣٩٢؛ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، خريطة ص١٤٢؛ كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية، ص١٦٨؛ فائز نجيب إسكندر، دراسة لاتفاقية تجارية بين طرابيزون والبندقية سنة ١٣٦٤م،ص٩)؛ **وسليم بن بايزيد** بن محمد بن مراد بن محمد بن بايزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان الغازي ولد سنة ٨٧٢هـ،وكان يلقب بـ"ياوز"أي القاطع، تولى السلطنة بعد خلع أبيه سنة ٨١٩ هـ، وكان عمره آنذاك ٤٦سنة، أتصف بقوة بطشه بأعدائه، وإتقانه عدة لغات، تمكن من تحجيم نفوذ الصفويين ثم أسقط السلطنة المملوكية سنة ٩٢٣هـ، كانت وفاته سنة ٩٢٦هـ(انظر الأسحاقي،أخبار الأول، ص١٤١-١٤٣؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٦٥-٢٦٦؛ الغزي، الكواكب السائرة، ج١، ص٢٠٩-٢١٢؛ إبراهيم بك حليم؛ التحفة الحليمية، ص٧٩-٨٥؛ محمد فريد بك المحامي، ص١١٨-١٩٧؛ جرجي زيدان، مصر العثمانية،ص٦٧-٦٨).

([٢]) إبراهيم حليم بك، التحفة الحليمية ، ص٧٩؛ إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، ص٦٥؛ ابن الوكيل، تحفة الأحباب، ص٨٤ ؛ **وأحمد بن بايزيد** : ولاه والده أماسيا وبعد وفاته طالب بالسلطنة ورفض مبايعة أخيه سليم الأول الأمر الذي أودى بحياته سنة ٩١٩هـ(انظر إبراهيم حليم بك، التحفة الحليمية، ص٧٦-٧٩؛ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١٨٨)؛ **وقورقود بن بايزيد:** هو أبو الخير محمد نشأ في أستانبول وتلقى علومه فيها، ناب عن والده أثناء انشغاله بالقضاء على الأمير جم، قيل بأنه لم يتقلد مناصب إدارية أو عسكرية لزهده في السلطة وانصرافه للعبادة و تحصيل العلم، ولكن ذلك الحال لم يرضِ بايزيد فأخذ في الضغط عليه لتقلد الوظائف مما حذا بقورقود للجوء إلى السلطان المملوكي قايتباي،الذي لم يكن يرغب في إفساد علاقته بالعثمانيين بسببه، فعمل على إقناعه بالعودة إلى كنف والده بعد أن استضافه شهراً بمصر، وقيل بأن سبب فراره يعود لتوليه إمارة صاروخان دون إذن أبيه ولعل لجوءه لسلطان مصر كان سبباً لإقدام السلطان سليم الأول على قتله خوفا من أن يلجأ مرة أخرى لسلطان مصر، فتم قتله بيد قابيجي سنان بك في سنة ١٥١٣م(انظر جرجي زيدان، مصر العثمانية، ص٦٨-٦٩؛حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، ص٣٠٣-٣٠٥).

([٣]) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٤٩؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ق٢، ص٢١؛ إبراهيم حليم بك، التحفة الحليمية، ص ٧٩؛ إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، ص٦٥؛ **والأمير علاء الدين: هو قاسم بن أحمد بك بن با يزيد بن عثمان، دخل حلب هارباً من عمه السلطان سليم الأول في جمادى الأولى سنة ٩٢٢هـ(انظر ابن إياس ، بدائع الزهور ، ج٥، ص٤٩)**

يطالبه تسليم أخيه مراد، ولكن الأخير رفض وغالى في ترجمة رفضه بقتل سفراء السلطان العثماني([1]).

فكــان لحادثــة قــتل السفراء، أبعادها السياسية والعسكرية الخطيرة على العلاقات الصفوية والعثمانية، فعلى إثرها قرر السلطان سليم الأول ضرورة الحدّ من تطاول الشاه الصفوي، فافتتح مشروعه العسكري بحركة تطهير شاملة للجبهة الداخلــية فــي الأناضول ممن ينتسبون للمذهب الشيعي، وذلك في سنة ٩١٨هــ/ ١٥١٢م([2])، عندها سعى الشاه الصفوي إلى إقامة حلف عسكري مشترك لمواجهة نوايــا السلطان العثماني، واختار لعضويته من شكلت دولهم حاجزاً سياسياً يحول دون تقــدّم القــوات العثمانية، فكانت دولة المماليك وإمارة بني دلغادر التابعة لها الخيار الأمثل([3]).

وبصــرف الــنظر عمــن وافــق على الدخول في هذا الحلف من القوى المجاورة فإن السلطان سليم الأول لم يبال بهذا الإجراء الذي اتخذه الشاة إسماعيل الصفوي، بل عمد إلى إعلان النفير العام للجهاد ضد الصفويين الشيعة في المحرم مــن ســنة ٩٢٠هــ/ مارس ١٥١٤م، وبعدها عمل على جمع محاور متفرقة من الحلفاء المتاخمين لحدود الدولة الصفوية ، والذين كانوا يشاطرون الدولة العثمانية فــي عدائهــا للشاه إسماعيل، إمّا لثأر قديم أو لتضارب مصالح مشتركة، فاتسعت

([1]) بديع جمعة، تاريخ الصفويين وحضارتهم،ج١، ص٧٧؛ ؛ أما **مراد** فهو ابن أحمد بن بايزيد مرض في كاشان أثناء توجهــه نحــو مقر سلطته الجديد في الدولة الصفوية، وعندما بلغ أصفهان وافاه الأجل فدفنه إسماعيل الصفوي بجوار ضريح الشيخ على سهل الاصفهاني (انظر إبراهيم حليم بك، التحفة الحليمية، ص٧٩؛ بديع جمعة، تاريخ الصفويين و حضــارتهم ،ج١، ص٧٧)؛ و**الشــاه**: كلمــة فارسية تعني ملك وسيد ، وتطلق على ملوك الفرس(انظر حسن الباشا، الألقاب الإسلامية ، ص٣٥٢)؛ و**إسماعيل الصفوي**: ابن حيدر بن جندب بن الشيخ صفي الدين الأردبيلي، وقد أشتهر بالصــوفي نسبة لإقامة والده في جبل الصوف المتاخم لأنطاكية، ويُعد إسماعيل هذا مؤسس الدولة الصفوية الفارسية، وعندما استولى على أذربيجان سنة ٩٠٥هــ، أتخذ لنفسه لقب(شاه)،وقد دام حكمه ٢٤سنة وكانت وفاته سنة ٩٣٠هــ (انظر القرماني ، أخبار الدول، ج٣، ص١١٦-١١٧؛ ابن الغزي، الكواكب السائرة، ج٣، ص١٢١).

([2]) إســماعيل ســرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، ص٦٦؛ إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية، ص٥٦؛ عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية، ص٧٢-٧٣؛ عصام محمد شباور، السلاطين في المشرق العربي، ص١١٣.

([3]) بديع جمعة وآخر، تاريخ الصفويين وحضارتهم،ج١ ، ص٧٧-٧٨.

دائرة الصراع حيث انضم إلى الحلف الذي يتزعمه السلطان العثماني قائد الأزبك، إضافةً إلى أسرة آق قوينلو، كما لم ينس السلطان العثماني بأن يدعو المماليك للانضمام إلي حلفه([1]).

والواقع أن إقحام دولة المماليك في الصراع العثماني الصفوي كان نذير شؤم عليهما، حيث وجد السلطان قايتباي نفسه بين شقي رحى؛ إما مساعدة الصفويين أو التعاون مع العثمانيين، ويبدو بأنه أدرك أنه في كلا الحالتين، سيفتح باب العداء مع العثمانيين على مصراعيه، إذ إن القضاء على الصفويين يعني تفرده على الساحة السياسية مع بني عثمان، وحتمية الصدام فيما بين الطرفين لسبب أو لأخر وارد، و إذا ساعد الصفويين فيزيد من تدهور العلاقات مع العثمانيين، فضلاً عن أنه سيحدث انقسام في وحدة صف المجتمع المملوكي، إذ إن البعض لم يكن راضياً عن نصرة الشيعة على السنة، ولهذا ظهر التذبذب في سياسية السلطان المملوكي إزاء الصراع الصفوي العثماني، وفي نهاية الأمر عمد إلى انتهاج سياسة الحياد إزاء الصراع العثماني الصفوي([2])، بيد أنه لم يهمل حفظ حدود بلاده الشمالية من أيّ أخطار محتمله، حيث حرص على حشد أعداد كبيره من قواته بها([3])، والذي يجدر تأكيده هنا هو أن نيابات الشام الشمالية، وخاصة حلب وحماة، قد اضطلعتا بهذه المهمة لقربها من مواطن الخطر العثماني الذي بدأت نذره تلوح في الأفق بعد انتهاج السلطان قايتباي لسياسية الحياد تجاه الصراع العثماني الصفوي، وهو ما لم يكن يتوقعه العثمانيون لما بين الدولتين من توافق في العرق والمذهب.

([1]) عباس إسماعيل صباغ ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص١٢٨-١٢٩؛ بديع جمعة، تاريخ الصفويين وحضارتهم، ج١،ص٧٩.

([2]) عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية، ص٧٣-٧٥؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٧، ص٩٠؛ عمر بابكور، حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري ، ص١٣٣؛ هنالك من أرجع سبب الصراع بين الدولتين الصفوية والعثمانية إلى رغبة الأخيرة في السيطرة على طريق الحرير "وموئله في فارس"(انظر روبرت دبليو.أولسن، حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية(١٧١٨م-١٧٤٣)دراسة عن الثورة في العاصمة والحرب في اقاليم الامبرطورية العثمانية،ص٥٩).

([3]) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٣٧٦، ٣٨٢؛ ابن طولون، متعة الأذهان، ج١، ص٣٢٣.

وعلى كلّ حال فقد شرعت القوات العثمانية في اكتساح الأراضي الصفوية، حيث اصطدمت مع قوات الشاة إسماعيل في موقعة جالدايران سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م، وتمكنت من إلحاق هزيمة شنيعة به وقواته، بحيث لم يتمكن بعدها من مقاومة زحف العثمانيين نحو تبريز فدخلوها في١٤ رجب من ذات العام، وقد رغب السلطان سليم الأول في الإقامة فيها حتى ينقضي الشتاء ليتعقّب الشاه وفلول جيوشه المنهزمة(١)،غير أنه لاحظ تناقص وصول الميرة إلى قواته، فخاف من أن تحجب الثلوج خط الرجعة إذا ما قطعت الميرة عن الجند، ويقع عندها فريسة لهجوم مضاد من قبل الشاه وجنوده، ففضل الانسحاب إلى مقر سلطنته(٢)، وهنالك أخذ يبحث في أسباب عدم وصول الإمدادات الغذائية بانتظام إلى قواته، ووجهت أصابع الاتهام إلى وحدات من القوات المملوكية بأنها قامت بقطع الطريق على قوافل الإمدادات العثمانية التي كانت في طريقها إلى ميدان المعارك مع الصفويين(٣)، كما اتهم السلطان المملوكي بأنه قد اتصل بالشاه وأوعز إليه بتوزيع قواته على طرق قوافل الإمدادات لمنعها من الوصول إلى تبريز(٤).

وعندئذ رأى السلطان سليم الأول ضرورة الردّ على ذلك التطاول المملوكي، والعمل على تأديب إمارة بني دلغادر التركمانية لرفضها الوقوف إلى الجانب العثماني وتفضيلها التزام الجانب المملوكي المحايد، وقد أدت الأوضاع

---

(١) عن سير معركة جالدايران(انظر الديار بكري، تاريخ الخميس، ج٢، ص٣٩٠؛ إبراهيم بك حليم، التحفة الحليمية، ص٨١-٨٢؛ إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، ص٦٧-٦٨؛ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص١٩٠؛جرجي زيدان، مصر العثمانية، ص٦٩؛ عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، ص١٢٩-١٣٠)؛ **وجالدايران**: سهل يقع في الشمال الغربي من تبريز (انظر حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، ص٦٢).

(٢) الأسحاقي، أخبار الأول، ص١٤٢؛ إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية، ص٥٦-٥٧؛ عبد العزيز سليمان أنوار، الشعوب الإسلامية،ص٧٥.

(٣) الإسحاقي، أخبار الأول، ص١٤٢.

(٤) الدويهي،تاريخ الأزمنة،ص٣٩١؛ خلف الونيناني، ولاية جان بردي الغزالي على الشام(٩٢٣-٩٢٧هـ/١٥١٧-١٥٢٠م)، ص٤٨٣-٤٨٤؛ **وتبريز**:بلدة شهيرة بأذربيجان ساقها المقدسي ضمن المدن التابعة لإقليم الرحاب، وكان بها كرسي بيت هولاكو،وهي تقع في الشمال الغربي من إيران(انظر، أحسن التقاسيم،ص٢٩٠؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٤٠٠؛ القلقشندي،صبح الأعشى،ج٤، ص٣٥٧؛ محمد فريد بك المحامي، الدولة العلية العثمانية،ص١٨٩، حاشية١).

السياسية المضطربة التي مرت بها إمارة بني دلغادر بسبب النزاع الذي احتدم بين أبناء شاه سوار ومتولي الإمارة من قبل السلطنة المملوكية، حيث استنجد الطرف الأول بالسلطان العثماني سليم إلى إتاحة الفرصة له لفرض السيطرة العثمانية على الإمارة التركمانية ، ونزع تبعيتها من حظيرة السلطنة المملوكية ، الأمر الذي زاد من حدة الخلاف بين الدولتين ، خاصةً بعدما تسلم السلطان قانصوه الغوري في يوم الخميس الأول من محرم سنة ٩٢١هـ/فبراير ١٥١٥م، طلباً صريحاً من قبل السلطان العثماني لإعادة عرش شاة سوار السليب إلى ابنه وتقليده إمارة أبيه، ثم أعقبها ورود خبر تمكن ابن سوار من استعادة الحكم بمساعدة عسكرية من السلطان العثماني(١).

وقد أثار هذا الخبر مخاوف السلطان الغوري الذي عمل على إرسال الكشافة من قبله إلى الأراضي المتاخمة لإمارة بني دلغادر ليتقصّى نوايا السلطان سليم الأول، لمعرفة إن كان قد عقد العزم على مهاجمة الأراضي الشامية، وفي الوقت ذاته أصدر أوامره إلى كافة وحداته العسكرية في الشام للتصدي لأي اعتداء قد يشنه السلطان العثماني على أراضي السلطنة المملوكية، فأصدر لأجل ذلك أوامره الصارمة بجباية الأموال من عامة الأراضي الشامية، ومن ضمنها الأراضي التابعة لنيابة حماة، حيث أسهمت بنصيب وافر في تجييش القوات المملوكية، فحصل لسكانها من الفلاحين بالغ الضرر من جراء التعسف الذي اتبعه نائبها جان بردي الغزالي عند تنفيذ الأوامر(٢).

وبينما هم على ذلك، كان الشاه إسماعيل الصفوي يبحث عن حليف جديد يساعده للثأر من العثمانيين ، فلم يجد من يعادل قوتهم العسكرية سوى البرتغاليين الذين انتشروا في البحار الجنوبية للجزيرة العربية بعد اكتشافهم رأس الرجاء الصالح في سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٧م، فأرسل الصفوي مبعوثه للقائد البرتغالي الفونسو البوكيرك الذي كان يتمركز آنذاك بهرمز، ليبرم معه معاهدة تعاون

---

(١) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٤٣٥-٤٣٦؛ ابن طولون، متعة الأذهان ، ج١، ص٣٢٣؛ انظر أيضاً إسماعيل سرهنك، تاريخ الدولة العثمانية، ص٦٨، ٧٠؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٧، ص٩٠-٩١.

(٢) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٤٤٥، ٤٦٦.

عسـكري مشترك فيما بين الدولتين ضد العثمانيين ، وتمّ ذلك في سنة ٩٢١هـ/ ١٥١٥م(١).

والحقـيقة أن هذه المعاهدة تُعدُّ آخر مسمار دق في نعش الدولتين الصفوية والمملوكـية، إذ بـدأ مـنذ هذا التاريخ قائد الأسطول البرتغالي البوكيرك مرحلة السـيطرة علـى مداخـل البحار الجنوبية بشبه الجزيرة العربية، من أجل فرض حصـارٍ اقتصـادي علـى دولة المماليك من هذه الناحية، فضلاً عن عزمه تهديد الأماكـن المقدسة في الحجاز، وسعيه لتحقيق الحلم الصليبي بإتمام مشروع الحلف الصـليبي المشـترك بيـن ملكـي البرتغال والحبشة ومحاولة العودة مرة أخرى للسـيطرة علـى الأماكـن المقدسة للصليبيين في فلسطين، فضلاً عن طعن الأمة الإسلامية في أقدس بقاعها مكة المكرمة والمدينة المنورة(٢).عندها وجدت السلطنة

---

(١) بديـع جمعـة، تـاريخ الصـفويين وحضـارتهم، ج١، ص٩٧؛ جمـال زكـريا، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصـر(إمارات الخليج العربي في عصر التوسع الأوربي الأول(١٥٠٧-١٨٤٠م)، ص٦١-٦٣؛ تفنانت كولونيل ويلسون، تاريخ الخليج العربي، ص٧٧؛ عمر بابكور، حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري، ص٦٣؛ نبيل عبد الحي رضوان، جهود العثمانيين لاسترداد الأندلس، ص١٦٥؛ نوال حمزة الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي القرن ١٠هـ/ ١٦م،ص١٥٤؛ و **هرمز** : ميناء ساحلي ساعد موقعها على مدخل الخليج العربـي، لاسـتقبال المراكـب الـتجارية القادمة من بحر الهند(انظر القلقشندي ، صبح الأعشى، ج٤، ص٣٤٩)؛ **والبوكـيرك:** من رواد مؤسس حركة الاستعمار البرتغالي على الطريق البحري بين الهند ورأس الرجاء الصالح عينه ملك البرتغال في سنة ٩١٢هـ، نائباً للملك في الهند ، وباشر بعدها بتنفيذ خطته العسكرية لسد منافذ التجارة الإسلامية في كلٍّ من الخليج العربي والبحر الأحمر، توفي سنة ٩٢١هـ/١٥٠٦، وعن منجزاته العسكرية (انظر غسان الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين،ص٩٦-١٠٢؛ نوال حمزة الصيرفي، النفوذ البرتغالي، ص١١٧-١٢٨).

(٢) محمد حسن العيدروس، دراسات في الخليج العربي، ص٢٥-٥٥؛ عمر بابكور،حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشـريفين في القرن العاشر الهجري ، ص٣٥-٤٢؛نوال حمزة الصيرفي، النفوذ البرتغالي، ص١٧٤؛ تمكن الأسطول البرتغالـي من تسديد عدة ضربات قاصمة للأسطول المملوكي التجاري ومن بعده العسكري، استمرت من سنة ٩٠٧-٩١٥هـ/١٥٠١-١٥٠٩م، كان لها بالغ الأثر على دولة المماليك وخاصة في المجال الاقتصادي، بعد فشلها في الحفاظ علـى طـرق الـتجارة مـع الهند،ناهيك عن محاولات البرتغاليين لإقامة تحالف مع الأحباش، والذي كان من ضمن مخططاته ضد المماليك تحويل مجرى النيل لضرب النشاط الزراعي في مصر والقضاء على أبرز مقومات الاقتصاد المملوكي(للمزيد انظر نعيم زكي فهمي،طرق التجارة الدولية ومحطاتها، ص١٤٤؛ أحمد فؤاد متولي، البحرية العثمانية والبرتغالـية فـي القـرن العاشـر الهجـري " السادس عشر الميلادي" على ضوء الوثائق التركية، مجلة كلية العلوم الاجتماعـية،جامعة الإمـام محمـد بـن سـعود الإسـلامية، ع٤، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٣٨٢-٣٨٤؛ حسن أحمد محمود،الـتهديد البرتغالـي لسواحل جزيرة العرب ومصادر دراسته، مجلة العرب،ج٧و٨س ١٢محرم وصفر ١٣٩٨ هـ/ك٢شباط (يناير/فبراير١٩٧٨م، ص٥٩٨-٦٠٧؛ حسنين ربيع، بحر الحجاز في العصور الوسطى،مجلة كلية العلوم الاجتماعية،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،ع١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م،ص٤٠٨-٤٠٩)

العثمانية نفسها مسؤولة عن حماية الأماكن المقدسة من مؤامرات الصليبيين خاصةً بعدمـــا أثبتت الحوادث العسكرية مدى عجز السلطنة المملوكية عن حماية تجارتها مـــن الغارات الصليبية، بل وضح عجز السلطان المملوكي قانصوه الغوري مادياً لتغطية تكاليف بناء أسطوله البحري في سنة ٩١٦هـــ/١٥١١م، من أجل استكمال مهمـــة دفـــع البرتغاليــــن عن البحر الأحمر، فأرسل في حينها مستنجداً بالسلطان العثمانـــي بايـــزيد لإمداده بالأسلحة والخامات الطبيعية لبناء السفن، فلبى السلطان العثمانـــي طلـــبه، وأرســـل سفينة محملة بالأخشاب والحديد والمراسي والبارود وغـــيرها من مواد صناعة الأسطول، فوصلت السواحل المملوكية في مصر، في شوال من ذات العام([١]).

بيد أن البرتغاليين كانوا أسرع تحركاً من المماليك فتمكنوا من دخول البحر الأحمر في سنة ٩١٧هـــ/١٥٥١م، وبعد عامين تمكنوا من الاستيلاء على جزيرة كمران وشرعوا في متابعة خرقهم لمياه البحر الأحمر من أجل الوصول إلى ينبع للإغـــارة على المدينة المنورة ونبش قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكن الله ﷻ أفشـــل مســـاعيهم بإرســـال ريـــح عاتية أجبرتهم على التراجع إلى جزيرة كمران([٢]).

([١]) ابن إياس، بدائع لزهور، ج٤، ص٢٠١؛ أحمد فؤاد متولي، البحرية العثمانية والبرتغالية في القرن العاشر الهجري " السادس عشر الميلادي" على ضوء الوثائق التركية، ص٣٨٣؛ حسن أحمد محمود، التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب ومصادر دراسته، ص٦٠٦؛ و**البارود**: من الأسلحة الحربية، التي نال شرف اختراعها المسلمون، الذين ركبوها من مادة النطرون،فكان أول استخدام لها من قبل المماليك بمصر،ثم أخذت في الانتشار إلى بقية أصقاع العالم(انظر عبد المنعم ماجد ، طومان باي آخر سلاطين المماليك،ص١٢٨؛ نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر،ج١، ص ١٧٢؛عبد الله سعيد الغامدي،جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين،ص٣٢١،حاشية١).

([٢]) أحمد الدراج، المماليك والفرنج، ص١٣٧؛ نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية، ص١٤٥؛ إبراهيم حسن سعيد، الـــبحرية في عصر سلاطين المماليك، ص١٨٢-١٨٥؛ حسنين ربيع، بحر الحجاز في العصور الوسطى ، ص٤٠٨؛ و**ينبع**: ميناء ساحلي يطل على البحر الأحمر ويقع بين مكة والمدينة لها حصن منيع تشتهر بكثرة النخيل والزرع(انظر المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٨٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص٤٥٠) ؛ وجزيرة **كمران**: قبالة زبيد باليمن بها حصن لملك اليمن اتخذه حبساً للسجناء (المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص ١٣٩).

وبالـــرغم من تدارك السلطنة المملوكية للخطر المحدق بالأراضي المقدسة في مكة والمدينة، ونجاحهم في تطهير مداخل البحر الأحمر من الوجود البرتغالي بجهـــود قائد الأسطول المملوكي الأمير حسين الكردي سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م،إلا أنها فشلت في إعادة سيطرتها على طريق التجاري البحري المؤدي إلى الهند([1]).

وقـــد أدّى تســـارع الحـــوادث بعد ذلك إلى دفع السلطان العثماني للتحرك الســـريع لمواجهة الخطر، الذي بات يهدد المنطقة بعد أن وقع الصفويون في العام التالي معاهدة تحالف عسكري مشترك مع البرتغاليين– كما سبق أن أشرنا– إضافةً إلـــى مـــيل السلطان المملوكي لدعم موقف الشاه إسماعيل الصفوي ونصرته على بنـــي عثمان،بالرغم من عدم مجاهرته بذلك،إلا أن السلطان سليم الأول كان يدرك مدى عمق الصداقة القائمة بين الدولتين،وأنّ السلطان الغوري لن يستمر في ارتداء قناع الحياد طويلاً،كما أنه لم يكن يستبعد من قوات المماليك التي تجرأت في المرة الأولـــى على قطع طرق الإمدادات العثمانية، في الوقت الذي ادعى فيه سلطانهم محايدة موقفه من الصراع العثماني الصفوي،أن تكرر هذا العمل مرة أخرى.

وهـــذا ما حدث فعلاً حيث شرع السلطان الغوري في استنفار قواته للسفر نحـــو الأراضي الشامية بحجة إصلاح ذات البين فيما بين الصفويين والعثمانيين،

([1]) ابـــن طولون، متعة الأذهان، ج١، ص٣٢١-٣٢٢؛ أحمد الدراج، المماليك والفرنج، ص١٣٧؛ نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية، ص١٤٥-١٤٦؛ غسان الرمال، صراع المسلمين والبرتغاليين، ص١٠١- ١٠٢؛ ؛ حسن أحمد محمـــود ، التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب ومصادر دراسته ، ص٦٠٤-٦٠٨؛ حسنين ربيع، بحر الحجاز في العصور الوسطى،ص٤٠٩)**وحسين الكردي:** تولى مهمة العمليات الجهادية في البحر الأحمر والمحيط الهندي فقاد ثلاث حمـــلات بحرية ، كما أوكل إليه تحصين الثغور الساحلية المطلة على البحر الأحمر، وفي مقدمتها جدة التي كانت من الأولويـــات التـــي تعهد بتحصينها ، فبدأ الأعمال في بناء منشأتها العسكرية سنة ٩١١هـــ، وزيد عليها في سنة ٩١٧ هـــ(انظر غسان الرمال، صراع المسلمين مع البرتغاليين، ص١٠٠-١٠٢).

وليظهر حسن نواياه ويموه عن خطته العسكرية الرامية إلى إيقاع القوات العثمانية بيـــن فكي كماشة الصفويين من جهة والمماليك من جهة أخرى، ولكي يسبغ على حملـــته هذه صفة شرعية، فقد حرص على اصطحاب الخليفة العباسي المستمسك بالله يعقوب بن عبد العزيز للخروج معه إلى الشام([1])، لكي يبين للناس هناك مدى صدق نواياه، إضافة إلى أنه أراد بهذا الإجراء أن يؤكد للطرفين المتخاصمين بأنه صـــاحب الشـــرعية الكاملة في حكم البلاد، إذ إنه الحاكم الوحيد حتى ذلك الوقت يحظى بتأييد ودعم الخلافة العباسية الشرعية في ذلك.

وكـــان النائب الحموي جان بردي الغزالي، أول من بادر بالإعداد لاستقبال السـلطان الغوري في مقر نيابته، رغم معارضة نائب الشام الأمير سيباي، ونائب حلـب الأمير خايربك، لفكرة خروج السلطان الغوري على رأس فلول من قواته نحـــو بـــلاد الشام، ومحاولتهما إثناؤه عن الخروج بتهوين أمر العثمانيين، وإبداء تخوفهمـــا مـــن حدوث ضائقة اقتصادية في البلاد الشام، نتيجة قلة الأقوات التي اصـــطحبتها هذه الجموع الغفيرة من القوات القادمة من مصر، غير أن مساعيهما فشـــلت فـــي تغيير رأي السلطان الغوري([2])، كما فشلت رسالة السلطان العثماني سليم التي بعث بها إلى السلطان المملوكي في ربيع الأخر من ذات العام، في إثنائه عـــن موقفـــه هذا رغم ما تضمنته من تودد ورقة في الخطاب، إضافة إلى إبداء استعداده للتنازل عن الإمارة التركمانية ، وإعادتها للتبعية المملوكية([3]).

([1]) ابـــن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٢٦؛ ابن طولون، متعة الأذهان ، ج١، ص٣٢٤؛ ابن زنبل ، آخرة المماليك، ص٩٢؛ ابـــن الغـــزي، الكواكـــب السائرة، ج١، ص٢٩٦-٢٩٧؛ عمر بابكور، حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشـــريفين في القرن العاشر الهجري، ص١٣٦؛ **والمستمسك بالله يعقوب بن عبد العزيز** بن يعقوب بن محمد ، بويع بالخلافـــة بعهـــد من أبيه عام ٨٩٣، وقد شهد عهده سقوط السلطنة المملوكية،تنازل عن الخلافة لابنه محمد سنة ٩١٤ هـــ،وظل في القاهرة حتى وفاته سنة ٩٢٧هـــ(انظر محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج٧، ص٨٥-٨٦).

([2]) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٢٢،٢٦؛ أحمد متولي، الفتح العثماني، ص١٢١؛ **وخير بك :** تقلد نيابة حلب في عهـــد السلطان الغوري ، وبعد زوال الدولة المملوكية عينه السلطان سليم الأول نائباً على مصر سنة ٩٢٣هـــ، فظل علـــيها قائماً حتى توفي سنة ٩٢٧هـــ(انظر ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج٣، ص٤٥؛ ابن زنبل، آخرة المماليك ، ص٢٨٣؛ عبد المنعم ماجد، طومان باي آخر سلاطين المماليك في مصر، ص٢١٦-٢١٧).

([3]) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٤٥.

خـــرج الســـلطان المملوكـــي مع قواته نحو دمشق ومنها إلى حلب فوافاه النائب الحموي عند القطيفة([1])، ويبدو بأنه كان على قناعة تامة بهذا التحرك نحو الشام، بدليل حجم الاستعدادات التي بذلها في حفل استقبال السلطان الغوري بحماة بُعيد منتصف جمادى الآخرة سنة ٩٢٢هـ/يوليه ١٥١٦م، حيث وصفت المدة التي قضـــاها للإعداد لهذه المناسبة بأنها (مّدة حافلة أعظم من مّدة نائب الشام)، ومن المؤكـــد بـــأن هذا الاستقبال كان له وقع في نفس السلطان ظهرت آثاره فيما بعد، وبانتهاء حفل الاستقبال استخلف السلطان الغوري بحماة الأمير قاسم بك العثماني، في حين بدأ هو ومن معه من النواب بمن فيهم نائب حماة جان بردي الغزالي في التحرك نحو حلب([2]).

وهناك استقبل رسولي السلطان سليم الأول، حيث أخبراه بوصول السلطان ســـليم الأول على رأس قواته إلى قيسارية من أجل قتال الشاه الصفوي، فأكرمهما الســـلطان الغوري، وعرض عليهما الإصلاح بين السلطان العثماني والصفويين، وأرسل معهما وفد سلطاني لإتمام الصلح جعل عليه الأمير مغلباي دودار([3]).

ورغـــم تكرار السلطان العثماني لإرسال سفاراته من أجل تهدئة مخاوف الســـــلطان الغوري، إلا أن خيبته كانت كبيرة عندما قبض جنوده سنة ٩٢٢هـــ / ١٥١٦م ، علـــى رســـول السلطان الغوري متوجهاً إلى الشاه إسماعيل الصفوي ليســـلمه رسالة يطلب فيها التعاون المشترك لحرب السلطان العثماني([4]). فأثارت

([1]) ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج٢، ص٢٨٤؛ **والقطيفة**: قرية في طرف البرية من ناحية حمص دون ثنية العقاب للمتوجه إلى دمشق(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٤، ص٣٧٨).

([2]) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٥٤.

([3]) ابـــن إيـــاس، بدائع الزهور، ج٥، ص٦٠-٦١؛ ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج٢،ص ٢٨٥؛ ابن زنبل، آخرة المماليـــك، ص٩١-٩٢؛ ابـــن طولون، متعة الأذهان، ج١، ص٣٢٤؛ القرماني، أخبار الدول، ج٢، ص٣٢٥-٣٢٦؛ الغزي، الكواكب السائرة، ج١، ص٢٩٦؛ إبراهيم حليم بك، التحفة الحليمة، ص٨٣؛خلف الونيناني، ولاية جان بردي الغزالي، ص٤٨٥؛ **والأمير مغلباي الدودار**: لم أجد له ترجمة فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

([4]) ابـــن طولـــون، مفاكهـــة الخـــلان، ج١، ق٢، ص٢٣؛ ابن الغزي، الكواكب السائرة، ج١، ص٢٩٧؛ انظر أيضاً عـــبدالعزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية، ص٨٦؛ عمر بابكور، حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري، ص١٣٦؛ خلف الونيناني، ولاية جان بردي الغزالي، ص٤٨٥.

هذه الرسالة حفيظة السلطان العثماني، فصبَّ جام غضبه على المبعوث المملوكي مغلباي الذي وصل إلى المعسكر العثماني بكامل حلته مع أصحابه ، فازداد السلطان غضباً إذ شعر بأنها رسالة عسكرية لا يراد منها السلم لأن مبعوثهما ينتمي للسلك العسكري، وأن الغوري رمى من ورائها ترهيب الجيش العثماني من القوات المملوكية، فكاشف الأمير مغلباي بذلك، ثم ختم حديثه قائلاً:"ولكن أنا أكيده بمكيده أعظم من مكيدته"([١]).

وأمر السلطان العثماني بعدها بقتل جميع أعضاء الوفد المملوكي بما فيهم رئيس الوفد ، بيد أن تدخل وزيره يونس باشا حال دون قتل الأمير مغلباي، ولكنه لم يحل دون الإهانة التي أصابته على يد السلطان سليم الأول، الذي أمر بحلق ذقنه وإلباسه طرطور وإعادته إلى السلطان الغوري على حمار أعرج يحمل رسالة شفوية جاء فيها" قل لأستاذك يلاقيني على مرج دابق"([٢]).

وما أن وصل الأمير مغلباي على تلك الحالة إلى حلب حتى أصدر السلطان الغوري أمره بالاستعداد للرحيل إلى مرج دابق لصدّ التقدّم العثماني، وأثناء تحرك القوات نشب خلاف بين نائبي دمشق وحلب على أثر توسيط نائب عينتاب الذي ظهرت خيانته وميله للسلطان العثماني، فاتهم عندها الأمير سيباي بخيانة نائب حلب وطالب السلطان الغوري بقتله، وكاد أن يكون ما أراد لولا تدخل نائب حماة الأمير جان بردي الغزالي الذي ذكَّر السلطان الغوري بالعدو المتربص بهم الدوائر فقال: " يا مولانا السلطان لا تفتن العسكر وتبدأ في قتال بعضهم بعضاً، وتذهب أخباركم إلى عدوكم،ويزداد طمعه فيكم، وتضعف شوكتكم والرأى

([١]) ابن زنبل، آخرة المماليك، ص٩٣.

([٢]) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٦٨؛ ذكرت بعض المصادر أن سليم الأول نعت الغوري بـ(الخارجي)، انظر القرماني، أخبار الدول،ج٢،ص٣٢٦؛ ابن الغزي،الكواكب السائرة،ج١،ص٢٩٧؛ انظر أيضاً خلف الونيناني، ولاية جان بردي الغزالي، ص٤٨٥؛ **يونس باشا**:كان ممن تقلد عدة وظائف في الدولة العثمانية، والتي منها ترأس الإنكشارية في عهد السلطان بايزيد الأول، والوزارة على عهد السلطان سليم الأول ثم تولى منصب الصدر الأعظم سنة ٩٢٣هـ، ولكنه لم يهنأ بها طويلاً حيث قتله السلطان سليم بعد خروجه من مصر من ذات العام(انظر ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٢١٠؛ ابن زنبل، آخرة المماليك، ص٢٦٩؛ حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، ص٢٥٤-٢٥٥).

لكـــم"(1). ولعـــل هـــذا الموقف الذي أبداه النائب الحموي كان سبباً لاتهام بعض المؤرخين له بالخيانة والتواطؤ مع النائب الحلبي والسلطان سليم الأول(2).

وفـــي اعتقادي بأن أمر الخيانة لم يكن وارداً من قبل جان بردي حتى ذلك الحيـــن، حيث لم تُظهر الحوادث التاريخية أنه على اتصال بالسلطان العثماني قبل ذلك التاريخ، أو أنه تصرف بما يثير الريبة في نفس السلطان المملوكي، ولو كان خائـــناً كنائـــب حلب لخشي الغوري على الأمير العثماني قاسم بك من إقامته في حماة ولأبعده عنها، بل لما سمع منه –الغوري– وأبقى على خايربك.

ولكن هذا لا يمنع بأن تكون الريبة قد أُثيرت في صدر الغوري من جانب جـــان بردي عقب مداخلته السابقة، ولذا عزم على تقديم القوات الحموية والحلبية علـــى العســـكر السلطاني حتى يتخلص منهما دفعة واحدة(3)، ويبدو أنّ هذه هي الـــثغرة التـــي مكنت النائب الحلبي من استدراج الغزالي إلى المعسكر العثماني، وبعدمـــا تأكد من موقفه المناصر للسلطان العثماني بعث كلاهما إلى السلطان سليم الأول يطلـــبان مـــنه الأمـــان، وأن" لا يقـــتلهما بل يكرمهما وينعم عليهما فأرسل الســـلطان سليم الأول لهما الأمان وعهد لهما بان يطيب خاطرهما وان يعطي خير بك مصر والغزالي الشام فقبلا منه"(4). فكان هذا التصرف من قبل السلطان سبباً قوياً دفع الغزالي للاستمرار في نصرة السلطان العثماني، وبذلك تكون نية النائب الحمـــوي قـــد انعقـــدت علـــى الخيانة طيلة مدة إقامته في مرج دابق مع العسكر الغـــوري، حـــتى كان يوم السبت ٢٤ رجب، حيث وصل الجيش العثماني إلى تل جيش وبدأ كلا الفريقين إعادة تنظيم فرقهما العسكرية، وتقسيم المهام على الأمراء،

---

(1) ابن زنبل، آخرة المماليك، ص٩٦.

(2) ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٦٩.

(3) خلف الونيناني، ولاية جان بردي الغزالي، ص٤٨٦-٤٨٧.

(4) الأســـحاقي ، أخـــبار الأول، ص١٤٢؛ انظر أيضاً ابن طولون ، متعة الأذهان ، ج١، ص٣٥٤؛ الدويهي، تاريخ الأزمـــنة، ص٣٩١؛ ابـــن الحنبلـــي، شذرات الذهب، مج٨، ص١٩١؛ انظر أيضاً خلف الونيناني، ولاية جان بردي الغزالي، ص٤٨٧.

فجعل السلطان المملوكي النائب الدمشقي على الميمنة ومعه نائب حماة وعساكره، وعلى الميسرة النائب الحلبي وقواته، وفي القلب الأمير سودون العجمي ومن بعده السلطان([1]).

أما القوات العثمانية فكان على ميمنتها الصدر الأعظم سنان باشا وعددٌ من نواب الإمارات التركمانية،وعلى الميسرة الوزير يونس باشا وأمير ديار بكر،وفي القلـب عـدد من البكوات والأغاوات وعساكر الأنكشارية يتقدمهم السلطان سليم الأول([2]).

وفي صبيحة يوم الأحد ٢٥ رجب من سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، شنَّ السلطان سـليم الأول هجوماً مباغتاً على المعسكر المملوكي، استهدف من ورائه استدراج جـيش المماليـك إلى ساحة المعركة التي اختارها، وبالفعل نجحت هذه الغارة في اسـتدراج الغوري وقواته نحو زغزغين وتل الغار، وهنالك شرع السلطان يرتب العسـكر والأمـراء علـى النحو السابق، وبعد اكتمال تنظيم الجيش بدأ المماليك المعركة بهجوم خاطف اشترك فيه الأمير الغزالي بغرض التمويه عن خيانته، إلى

([1]) ابن إياس، بدائع الزهور،ج٥،ص٦٩؛ الإسحاقي، أخبار الأول،ص١٤٢؛**سودن العجمي:** تقلد عدة مناصب عسكرية في عهد السلطان الغوري منها أمير مجلس سنة ٩١٦هـ، ثم أصبح أمير كبير في سنة ٩١٨هـ(انظر ابن الحمصي، حوادث الزمان، ج٢، ص١٩١-٢٣٠)؛ **وتل جيش:** لم أجد تعريف له فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

([2]) أحمد متولي، الفتح العثماني، ص١٥٨؛ **والصدر الأعظم:** أعلى منصب إداري في الدولة العثمانية يلي السلطان في المكانـة، ويمكـن أن يعـد بمنزلة رئيس الحكومة(انظر حسين مجيب المصري، معجم الدولة العثمانية، ص١١٨)؛ **وسنان باشا:** وقيل اسمه(يوسف)،قتل في معركة الريدانية بمصر سنة ٩٢٣هـ(انظر ابن إياس، بدائع الزهور،ج٥، ص١٤٥؛ الإسـحاقي، أخبار الأول،ص١٤٣؛ابن الغزي،الكواكب السائرة،ج١، ص٢١٠؛ الدويهي،تاريخ الأزمنة، ص ٣٩٣)؛ **والـبكوات:** جمع(بك) كلمة تركية بمعني الكبير،وهو لقب من ألقاب التشريف في الدولة العثمانية يطلق على ممـن ينتسب لسلالة الملوك أو يلتحق بأعلى الهرم الوظيفي في الدولة(انظر حسن الباشا،الألقاب الإسلامية، ص٢٢٥؛ حسين مجيب المصري،معجم الدولة العثمانية،ص٤٧)؛**الأغوات:**جمع (أغا) وقد اختلف في أصلها فمنهم من أعدها تركية المـورد وتعنـي الأخ الكبير،وأخرون قالوا بأنها فارسية الأصل وتعني السيد وكلا الفئتين أجمع على أنها تطلق على الضباط العسكريين(محمد فريد بك المحامي،تاريخ الدولة العلية العثمانية،ص١٧٧؛جرجي زيدان، مصر العثمانية،ص٦٤ ؛محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية،ص١٨)؛**الأنكشارية:**جيش المشاة الذي أنشأه السلطان أورخان العثماني،ويتألف من أبناء النصارى الذين ربوا على التعاليم والآداب الإسلامية،وقد أباده السلطان محمود الثاني سنة ١٨٢٦م(نبيل عبد الحي رضوان، القوة العثمانية بين البر البحر، ص٢٧-٢٨؛ محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٢٥).

أن احتدم القتال وكاد أن يكسر العثمانيين، عندها سرت شائعة بين عساكر المماليك بأن السلطان يريد التخلص من المماليك القرانصة ، ولذلك أمر جلبانه من المماليك بـــأن لا يقاتلوا([1])، فجاءت تلك الإشاعة التي لا يستبعد أن يكون مصدرها الغزالي وخايـــر بك ، أقوى وأنجع سلاح استخدم ضدّ السلطان الغوري وقواته حيث أدت إلـــى أضعاف الروح المعنوية للمماليك القرانصة، الأمر الذي مكن العثمانيين من اختراق صفوف المماليك، وقتل سيباي وسودون العجمي، عندها كشف الغزالي ما أضـــمرته سريرته من غدر فتراجع بقواته مع النائب الحلبي إلى وطاق السلطان الغوري و" نادوا بأعلى أصواتهم" الفرار ، الفرار، فان السلطان سليما أحاط بكم ، وقتل الغوري ، والكسرة علينا"([2]). فولت العساكر المملوكية هاربة، باستثناء عدد قليل من الأمراء والجند، فلما رأى الغوري الكسر لم يتمكّن من الهرب فقتل تحت حوافر الخيل([3]).

أمـــا الأمـــير جانبردي الغزالي فقد فرّ بمن معه إلى دمشق فدخلها في يوم الاثنيـــن ٤ من شعبان/ أغسطس، وفي اليوم التالي نصبه الأمراء نائباً على دمشق مؤقـــتاً إلـــى أن يُعاد تنظيم هيكلة الدولة بتوزيع المناصب الإدارية على الأمراء، وأمـــلاً في تقلد السلطنة من بعد الغوري، ولكن المماليك عارضوا ذلك ورأوا بأن يخلـــف الســـلطان ابـــنه على عرش السلطنة، وأن يتم تنصيبه في حاضرة الدولة المملوكية القاهرة([4]). ويبدو أنه في تلك الأثناء، وتحديداً في يوم الأحد ١٧ شعبان

([1]) ذكر ابن إياس بأن أسمها تل الفار،بدائع الزهور،ج٥، ص٦٨-٦٩؛ ابن طولون،مفاكهة الخلان،ج١، ق٢،ص٢٣؛و **زغرغيـــن:** لـــم أجد لها تعريف فيما توفر لي من المصادر اطلعت عليها؛ **وتل الغار:**هو مرج لطيف فوق أرض مرج دابق،أما **الفار:** بلدة من نواحي أرمينية(انظر ياقوت الحموي،معجم البلدان،ج٥، ص٢٢٥؛ ابن طولون،مفاكهة الخلان، ج١، ق٢، ص٢٣-٢٤)؛ و**المماليـــك القرانصـــة:** ويسمون بالأوغاد "هم قديمو الهجرة الموصلون بالديوان، أصحاب الأرزاق الكبيرة المتعينون إلى الإمرة،ويكونون في منزلة أمراء الخمسوات ، وكانت عدتهم مائة نفس " (انظر ابن زنبل ،آخـــرة المماليـــك، ص١٠٠، حاشـــية★)؛و**الجلـــبان:**هم المماليك الذين جلبوا حديثاً(انظرمحمد دهمان،معجم الالفاظ التاريخية، ص٥٣)

([2]) ابن زنبل، آخرة المماليك،ص١٠١؛ ابن طولون، متعة الأذهان، ج١، ص٣٥٤؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص٣٩١؛ ابن الحنبلي، شذرات الذهب، مج٨، ص١٩١.

([3]) الديار بكري، تاريخ الخميس، ج٢، ص٣٩٠؛ خلف الونيناني، ولاية جان بردي الغزالي، ص٤٨٨.

([4])ابن طولون ،أعلام الورى، ص٢٣٠؛ خلف الونيناني، ولاية جان بردي الغزالي، ص٤٨٩-٤٩٠.

ولـــى علـــى نيابة حماة شخص لم تذكر المصادر اسمه، وأرسله ليتسلم زمام أمر نيابـــته، بـــيد أن النائـــب الجديد لم يمكن من دخول حماة، فرجع في ذات الشهر مـــنهزماً إلـــى دمشـــق، ليخـــبر من بها بأن حماة أضحت ضمن ممتلكات الدولة العثمانـــية بعـــد أن دخلها السلطان سليم الأول مع قواته، وعين عليها متسلماً من جهـــته(١)، ويبدو بأنها لم تبد أي مقاومة تذكر، بل بادر أهلها -على ما يبدو- إلى إعـــلان التبعية للعثمانيين كما فعل أهل حلب(٢)، ودخلت بذلك حماة مرحلة جديدة من تاريخها .باتت تأتمر فيها بأمر السلطان العثماني.

---

(١) ابـــن طولـــون، مفاكهة الخلان، ج١، ق٢، ص٢٦؛ "اما حماة فقد ربطت حينئذ بولاية طرابلس حيث كان الامير منصور بن عساف والياً عليها، وقد انبسطت رقعتها من نهر الكلب في لبنان إلى حمص فحماة، وغدا من يدير شؤون حماة يعرف بالمتسلم" (انظر مؤيد الكيلاني، محافظة حماة، ص٢٢).

(٢) الدويهـــي ، تاريخ الأزمنه ، ص٣٩٢؛ إبراهيم حليم بك، التحفة الحليمة، ص٨٣؛ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولـــة العلـــية العثمانـــية، ص١٩٢؛ محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، ص١١١؛ تاج السر أحمد حران، المؤتمـــر الدولى لتاريخ بلاد الشام ، بلاد الشام في علاقات المماليك والعثمانيين منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي وحتى الفتح العثماني،ص٤٢٧.

الفصل الرابع

أهم مظاهر التطور الحضاري

في نيابة حماة

- المظاهر العمرانية «التحصينات الحربية - المرافق العامة الأخرى»
- الحياة الاقتصادية «الزراعة - الصناعة - التجارة»
- الحالة الاجتماعية «عناصر السكان - السلوك الاجتماعي العام - دور المرأة في نيابة حماة - الأمن الداخلي - الصحة والنظافة العامة»
- الحياة العلمية «العلوم الشرعية - العربية - الاجتماعية - التطبيقية»

المظاهر العمرانية:

التحصينات الحربية:

حظيت حماة بكثير من التحصينات الطبيعية التي زادت من منعتها، تمثلت في تلك السلاسل الجبلية التي تحمي جهاتها الشمالية والغربية،أما الجهة الشرقية فهي عبارة عن صحراء مكشوفة يسهل مراقبة العدو من خلالها،وحفظها نهر العاصي من الجهة الجنوبية، ومما زاد من حصانة حماة أنها تقع على وَهْدَةٍ من الأرض([1])، اتصفت بالعرض والاستطالة والعمق السحيق-حتى إن ابن جبير شبهها بـ"خندق عميق"([2]) يخترقها نهر العاصي الأمر الذي وفّر لها مخزوناً مائياً ساعدها على المقاومة والصمود في فترات الحصار الطويلة،وإلى جانب هذه الحصانة الطبيعية التي حظيت بها حماة وغيرها من أعمال النيابة، فقد سعى حكام هذه المدينة على مر التاريخ إلى إقامة التحصينات المختلفة لحمايتها،والمتمثلة في الأسوار والقلاع والأبراج وغيرها، وتأتي في طليعة هذه التحصينات قلعة حماة الشهيرة والتي يعود بنائها إلى العهد السلوقي الذي يرجع إليه الفضل في بناء عددٍ من القلاع على الأراضي الشامية، وتعود قصة بنائها إلى أن الملك سلوقلس رأى ببصيرته النافذة بأن أحد الجبال المطلة على حماة ونهر العاصي يصلح أن تكون قاعدة تبنى عليها قلعة حصينة تكون على غرار قلعة حلب، فأمر عندها رجاله بتسوية الجبل على شكل مستدير،ومن ثم الشروع في بناء القلعة([3])، فجاءت مستديرة الشكل([4])،وقد دلت التنقيبات الأثرية التي أجرتها بعثة كشف دانمركية بين سنتي١٣٥٠-١٣٥٨هـ/١٩٣١-١٩٣٨م،بأنها سُكِنَت منذ الألف الخامس ق. م، وتعاقب بعد ذلك الملوك عليها،فأخذوا في الاعتناء بالنواحي الجمالية فيها،حيث

([1]) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٩٥؛ ابن جبير ، رحلة ابن جبير، ص٢٠٧؛ ذكر ابن الشحنة اسمها (وحدة)، ويبدو أنه قصد وهدة، انظر الدر المنتخب، ص٢٦٧؛ والوَهْدَةُ: الهوة تكون في الأرض، وتطلق على الأرض المنخفضة، وهي النقرة المُنْتَقِرةُ في الأرض، وتكون أشد دخولاً في الأرض ليس لها حرف وعرضها رمحان وثلاثة لا تبين شيئاً(أنظر ابن منظور ، لسان العرب، ج٣، ص٤٧١؛ المنجد في الأعلام، ص٩٢٠).

([2]) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٠٧.

([3]) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص١٤؛ وانظر أيضاً ول ديوارنت، قصة الحضارة ج٨، م٢، ص٤٤.

([4]) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٠٧؛ انظر الملحق لوحة رقم (١).

عكـف بعضهم على تحسين مداخلها،فزادوا عليها تماثيل على شكل أسود لإرهاب الجيوش المعادية(١)،ولزيادة تحصيناتها حُفِرَ خندق مستدير الشكل يحيط بالقلعة من جمـيع جوانبها(٢)،ويصل عمقه إلى حوالي ١٠٠ ذراع(٣)،كما زودت بقناة مائية تنتهـي عـند محلـة باب الجسر في مكان يسمى جسر الهوى حيث يتصل بنهر العاصـي، ويعلـو الخـندق من جهة القلعة حجارة مرصوفة من الحجر الأملس موصول أعلاها بسور القلعة،ووظيفة تلك الحجارة إعاقة تقدم العدو والحيلولة بينه وبيـن تسلق سورها،ويعلو منتصف الخندق خمسة جسور مرتفعة عليها مشمخرة مبنـي بحجارة عظيمة متصلة ببوابة القلعة" ثم يدخل الى منعطفات الابراج فيرى البلد من النوافذ المفتوحة للحراسة الواسعة من الداخل والضيقة من الخارج ومن فوقها النوافذ الواسـعة التـي سدت بشبك من الحديد عظيم وبعد قطع المدخل بنايات عظيمة من دار الحكومة ومحل الذخائر وبيوت السكن يحيط بها سور عظيم مرتفع"(٤).

وقد اهتم الأيوبيون بقلعة حماة وأولوها العناية الخاصة بسبب حركة الجهاد العسكرية التي شنوها ضد الوجود الصليبي في المنطقة، فعمل حكام الأسرة التقوية على زيادة تحصين سورها بهدم ما كان مبني من اللبن واستبداله بالحجر والجس، كمـا عملوا على تعميق خندقها وتوسيعه، مما أكسب القلعة متانة ومنعة(٥)، وهي على ذلك كما وصفها ياقوت الحموي بأنها" قلعة عظيمة عجيبة في حصنها وإتقان عمارتها"(٦)، ملونة الحجارة -حسب تعبير العمري(٧).

---

(١) محمد أبو الفرج العش، آثارنا في سورية العربية، ص٩٩، حاشية ١.

(٢) صفي الدين البغدادي، مراصد الاطلاع، ج١، ص٤٢٤.

(٣) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٢، ص٣٠٠.

(٤) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص١٥؛ ويبدو من وصف النوافذ الأولى بأنها وفرت حماية للجنود المتحصنين فيها من سهام العدو وقذائفهم، وأنها أعطت فسحة للقناصة الحمويين لضرب العدو الذي يحاصرهم دون عناء، وأما النوافذ الأخـرى ذات الحجم الواسع، فكانت وظيفتها توفير التهوية والإنارة لمن في داخل الأبراج مع مراعاة شروط السلامة والأمـن بسـد تلك النوافذ بشبك من الحديد لمنع تسلل العدو؛**ومشمخرة:** لم أجد لها تعريف فيما توفر لي من مصادر اطلعـت عليها؛ **ومحلة باب الجسر:** يقصد بها المدينة السفلى، وسميت بذلك لإطلالتها على الجسر الكبير ،وهي ذات أسواق عامرة(انظر أحمد الصابوني، المرجع السابق، ص٥٨،حاشية١)

(٥) ابن العديم، بغية الطلب، ج١، ص١٤٩؛ متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص٤٤٤.

(٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان ، مج ٢، ص٣٠٠.

(٧) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٩٦؛ انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٤٠.

وعلـــى الـــرغم مـــن منعة أسوار قلعة حماة، فقد تعرضت للخراب بسبب الزلـــزال الذي ضرب المدينة سنة ٧٠٢هـــ/١٣٠٣م(١)، ومما لاشك فيه بأن نائب حمـــاة قد تكفّل بترميم وإصلاح ما هدم منها خاصة، وأن البلاد كانت تمر في تلك الفترة بمرحلة حرجة من المواجهات العسكرية مع القوى المغولية، ويبدو بأن من تعاقـــب علـــيها من نواب لم يهملوا العناية بها بدليل تمكنها من الصمود في وجه القوى التيمورية، وعدم تمكنهم من دخولها حتى بعد سقوط المدينة، وظلت صامدةً إلـــى أن استســـلم رجالها لتيمورلنك حقناً لدمائهم، ومن المؤكد بأن حصانتها تلك دعـــت تيمورلنك لدكّها، فحرمت الأجيال اللاحقة من التعرُّف على طرز العمارة المختلفة للحضارات التي تأثرت بها، فضلاً عن أنها حجبت عنهم قراءة صفحات للـــتاريخ الحي على سطور جدران تلك القلعة المهيبة، ومن المؤسف عدم محاولة مـــن تقلّد نيابة حماة بعد ذلك الغزو إعادة إعمارها، ويبدو أن الأسباب قد تعددت لمنع ذلك، منها انعدام الاستقرار الوظيفي للنائب الحموي، إضافةً إلى تورُّط نائب حماة في عدد من حركات العصيان التي عصفت بالبلاد الشامية، كما أن الضعف الذي أصاب الدولة التيمورية كان لـــه أثره في إهمال النواب لعملية إعادة إعمار قلعة حماة.

أمـــا بالنســـبة لأسوار مدينة حماة، فيبدو من خلال الحديث عنها أن المدينة كانـــت مقســـمة إلى قسمين، قسم عُرف بالمدينة العليا ويحيط به سور أطلق عليه **ســـور المديـــنة العليا**، وهو على الجانب الآخر من القلعة، ويطوف حول المدينة المتصلة بسفح تل العريصة وأعلى نقطة فيه توجد على رأس ذلك التل(٢)، فأضفى ذلـــك الموقع أهمية استراتجية له حيث مكن القوات الحموية من كشف موقع العدو وتحـــركاته الهجومية وعدته وعتاده، وبناء على تلك المعلومات مكنت من بداخله

---

(١) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٤٤.

(٢) ويبدو أن ذلك التل من التلال المرتفعة في المنطقة ولذا وصفه ابن جبير بالجبل(انظر رحلة ابن جبير، ص٢٠٧؛ وأنظر أيضاً صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ج١، ص٤٢٣؛ غرس الدين الظاهري، كشف زبدة المسالك، ص ٤٨؛ أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٥٧، حاشية ٢).

مـن تحديـد المـدة الزمنـية التـي سيفرض عليهم فيها الحصار، وبالتالي أخذ الاحتـياطات اللازمـة للصمود والمقاومة، الأمر الذي حال دون فرض الحصار الكـامل والطويـل على المدينة. أما صفة ذلك السور فكان مبنياً بحجارة بيضاء اللـون، ولـه عدة أبواب منها الباب القبلي، والباب الغربي، وباب العميان، وباب النهر، وباب المغار، وباب النصر([1]).

أمـا القسـم الثاني من المدينة فيعرف بالجزء السفلي، ويحيط به سور كان يعـرف **بسـور المديـنة السـفلى**، وهو مختلف عن سابقه الذي كان يأخذ شكل الاستدارة والإحاطة بالمدينة من جميع الجهات، أما هذا السور، فقد أحاط بالمدينة السـفلى مـن ثلاث جهات فقط، أما الرابعة فهي محمية بنهر العاصي الذي شكل حاجـزاً طبيعياً يحول دون تقدم العدو نحوها([2])، وقد أشار صفي الدين البغدادي إلـى وجـود قلعة في هذا الجزء من المدينة، وهذا ما لم يذكره معظم المؤرخين الذيـن اكـتفوا بالحديث عن قلعة حماة سالفة الذكر([3])، ولعل البغدادي قصد بهذه القلعـة قصـور ملوك بني أيوب التي كانت تشرف على نهر العاصي، أو القلعة القابعة على قمة الجبل والمشرفة على المدينتين العليا والسفلى.

التحصينات العسكرية في بارين:

قلعة بارين

وهي من مخلفات الاحتلال الصليبي على الأراضي الشامية التي تم بـناؤها فـي سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م([4])، وقد زودت بسور محكم البناء مستقل عن

([1]) أحمـد الصابوني، المرجع السابق، ص٥٧؛ باب المغار: وتعرف حالياً بمحلة الجراجمة ولعلها سميت بذلك لوقعها علـى تـل كبـير نحتت فيها البيوت للسكنى(انظر أحمد الصابوني، المرجع السابق، ص٦٥،حاشية١)؛ وباب العميان والنصر:لم أجد لهما تعريف فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها .

([2]) صـفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع ، ج١، ص٤٢٣؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٠٧؛ وانظر أيضاً ابن العديم، بغية الطلب، ج١، ص١٤٩.

([3]) صفي الدين البغدادي، مراصد الإطلاع، ج١، ص٤٢٤.

([4]) فولفغانغ مولر– فينز، القلاع، ص١٥.

قلعتها(١)، وقد استمرت تؤدي وظائفها الدفاعية منذ ذلك التاريخ(٢)، إلى أن خربت بيد المسلمين بعد استرجاعهم لها من يد الصليبيين بمدة، وفقاً لما ذكره أبو الفداء، الأمـــر الـــذي يعني بأنها قد توقفت عن مهامها الدفاعية قبل إحياء الملكية التقوية بحماة في سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م(٣).

قلعة الرفنية:

اســـتخدمها الصـــليبيون فـــي مرحلة الصراع المسلح مع المسلمين باعتـــبارها قـــاعدةً عسكرية لضرب القوى الإسلامية المجاورة لها(٤)، ويبدو أنها استمرت تؤدي مهامها العسكرية مدة من الزمن، ثم أهملت حيث لم يشر أبو الفداء إليها باعتبارها منشأة عسكرية، وإنما اكتفى بالحديث عن الآثار التي انتشرت على أراضيها(٥).

وإلى جانب التحصينات العسكرية سالفة الذكر فقد اشتهرت نيابة حماة بعدد من **المرافق العامة الأخرى**، ويأتي في طليعتها المساجد، ومنها ما يلي:

١- الجامع الكبير(٦):

كـــان يسمى بالجامع الأعلى نسبة إلى موقعه في المدينة العليا(٧)، ويقع في وســـط مديـــنة حماة، أنشأه الرومان معبداً يمارسون فيه طقوسهم الدينية، ثم حوله البيزنطـــيون إلـــى كنسية، وظل على ذلك ردحاً من الزمن حتى تحول إلى مسجد جامع بموجب المصالحة التي تمت بين أهل حماة وقائد القوات الإسلامية أبو عبيدة عامـــر بـــن الجراح ﷺ، وقد ترتب على هذا التعاقب اختلاف طرز البناء، حيث تظهر أثاراً رومانية على الجدار الخارجي الشرقي في الرضام الأسفل والدعامات والمحاريـــب الصغيرة، وفي باحة الجامع وعلى وجه التحديد في تيجان الأعمدة،

---

(١) الصابوني ، تاريخ حماة، ص٢٥، حاشية١.

(٢) شيخ الربوة الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٧٤.

(٣) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٥٨-٢٥٩.

(٤) فولفغانغ مولر- فينز، القلاع، ص١٥.

(٥) أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٥٨-٢٥٩.

(٦) انظر الملحق اللوحة رقم (٢).

(٧) ابـــن جبير، رحلة ابن جبير،ص٢٠٧؛ أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٦٨،٥٧؛ حماد السالمي، أوراق الأوراق عجائب وغرائب، من تراثنا حلب وحمص وحماة، ص٢٧.

إضافةً إلى أجزاء من قبة الخزانة، التي تقع في الجنوب الغربي من الصحن، وقد بنيـت على ثمانية أعمدة أسطوانية لها تيجان كورنثية ذات نقوش فنية، أما العهد البيزنطي فتظهر آثاره في الجدار والباب وزخارفه الفنية(١)، كما تألف هذا الجامع مـن صـحن ينقسم إلى ثلاثة أقسام، اثنان منها مصليان صيفيان، ولحرم الجامع مخطط مستطيل أبعاده ٥ ,٣١× ٩٠ ,٢٠م، مسقوف بخمس قباب كبيرة إلى جانب عقود متصالبة(٢)، وبفضل الجهود التي بذلها المسلمون للمحافظة على ذلك الجامع فقـد تمكّن من الصمود لفترة طويلة من الزمن، حيث سجلت المصادر الإسلامية إحداث إصلاحات وتجديدات له في عهد الخليفة المهدي العباسي ١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٤-٧٨٥م(٣).

ثـم شيد له مِئذنة في الجهة الجنوبية، وذلك في العهد السلجوقي سنة ٥٢٩ هـ/١١٢٤م، وقـد أبرزت تلك المئذنة تميز العمارة الإسلامية في تلك المرحلة حيث جاءت مربعة الشكل، ومحلاة بالزخارف الإسلامية ومرصعة بكتابات بالخط الكوفـي. كما حظي هذا الجامع بعناية فائقة من قبل السلطنة المملوكية خاصةً في عهـد الأمـير زيـن الدين كتبغا الذي أمر بصنع منبراً لـه من الخشب المزين بزخارف هندسية بارزة مطعمه بالعاج في سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م، كما زود الجامع فـي سـنة ٨٢٥هـ/ ١٤٢١م، بمـئذنة بنيت في شماليه تنوعت فيها الزخارف والـنقوش، وزين القسم الأوسط من بدنها بثمانية محاريب ذات أقواس منحنية(٤)، وفي سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م، عمل على توسيع الجامع ببناء حرم صغير في الجهة الشرقية، كما زود برواق جديد(٥).

---

(١) أحمد فائز الحمصي،روائع العمارة العربية والإسلامية في سورية،ص٢٨؛محمد أبو الفرج العش،آثارنا في سورية، ص١٠٠؛**والرِّضام**:صخور عظام يرضم بعضها فوق بعض في الأبنية (أنظر ابن منظور،لسان العرب،ج١٢،ص٢٤٣).

(٢) أحمد فائز الحمصي، روائع العمارة العربية والإسلامية في سورية، ص٢٨.

(٣) أحمـد الصابوني، تاريخ حماة، ص٦٧؛ حماد السالمي، أوراق الأوراق عجائب وغرائب، من تراثنا حلب وحمص وحماة، ص٢٧.

(٤) أحمد فائز الحمصي، روائع العمارة العربية الإسلامية في سورية، ص٢٩.

(٥) أحمـد الصـابوني، تاريخ حماة، ص٦٨،حاشية١؛ **والرواق**: هي الأجنحة التي تحاذي جنبات المسجد وتكون عادة تحت قبة مرفوعة على أعمدة عالية، حتى ولو كانت هذه الأجنحة تشكل جزءاً فعلياً مما يسمى " بيت الصلاة" أو الحرم الداخلي للمسجد(للمزيد انظر طه الولي، المسجد في الإسلام، ص٣٠٤-٣٠٥).

٢- جامع القلعة:

يقــع فــي قلعة حماة مقابل جامع أبي الفداء، وعرف بمنارته الشامخة([١])، ويبدو أنه ظل يؤدي وظيفته الدينية إلى أن هدمت القلعة على يد تيمورلنك([٢]).

٣-جامع نور الدين زنكي([٣]):

يقــع في محلة باب الناعورة([٤])، والتي تعرف اليوم باسم حي الكيلانية([٥]). بــناه نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي سنة ٥٥٨هــ/١١٦٢م([٦]) ، فجعل له بابيــن أحدهما من جهة الشرق والآخر في الغرب والذي امتاز بارتفاع بنائه([٧]). والبناء بأكمله من الحجر، وصحنه يميل إلى الاستطالة، وبه ميضأة تتوسطه وتأخذ في الامتداد نحو الغرب، وهي تميل للاستطالة أيضا، وتحيط بصحن الجامع ثلاثة أروقــة إلــى جانــب بيت الصلاة المبني في الجهة الجنوبية للجامع، وتطل تلك الأروقة على الصحن بعقود مخموسة البناء مختلفة العرض، تقوم على أعمدة مبنية مــن الحجــر وهــي غير متساوية الحجم، يبلغ إجماليها تسعة أعمدة وثلاثة عشر عقــداً، ســتة من تلك العقود في الرواق الشمالي وثلاثة منها في الرواق الغربي، والباقــي فــي الرواق الشرقي الذي اختلف عن غيره من أروقة الجامع بسقفه ذي القبتين، قامت الأولى منها على ثلاثة عقود مخمسة من ضمنها عقد الواجهة المطل علــى صحن الجامع، والقبة الثانية قامت على عقدين مدببين، أما وجهتها ا لمطلة على الصحن فتنقسم إلى عقدين مخمسين يقومان على عامود من رخام، ويلي تلك القــبة قــباء طويل قائم على ثلاثة عقود مخمسة، امتاز عقد واجهته المطل على

([١]) أحمد الصابوني، المرجع السابق ، ص١٥.

([٢]) ذكر ابن العماد الحنبلي عدداً ممن تولوا الخطابة في ذلك الجامع، انظر شذرات الذهب، ج٧، ص٦٢ ،١٨٧.

([٣]) انظر الملحق اللوحة رقم (٣).

([٤]) أحمــد الصــابوني، تــاريخ حمــاة، ص٧٠؛ **محلة باب الناعورة:** يطلق عليها حالياً جسر بيت الشيخ(انظر أحمد الصابوني،المرجع السابق،ص٧٠،حاشية٤).

([٥]) أحمد فائز الحمصي، روائع العمارة العربية الإسلامية في سورية، ص٤٣.

([٦]) ابن واصل مفرج الكروب، ج١، ص٢٨٣.

([٧]) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٧٠.

صحن الجامع بعرضه، وقد اشتركت تلك العناصر المعمارية في ارتكازها على جدار الجامع الخارجي من ناحية الشرق، وأما بيت الصلاة فيفصله عن الصحن ثلاثة أبواب يعلو الباب الأوسط منها فتحة على شكل محراب مبني من الرخام الأبيض والأسود، ويتوسط الباب الأوسط والغربي نافذة تطل على بيت الصلاة من الداخل والصحن من الخارج، في حين يتوسط الباب الشرقي والأوسط محراب مبني من الرخام الأبيض، ويعلو جدار بيت الصلاة المطل على الصحن فتحات للتهوية والإنارة، وعلى الرغم من أن سقف بيت الصلاة متواضع البناء في مجمله(١)، إلا أن طرفه الشرقي تعلوه قبة قائمة على عقود مدببة، وهذا القسم من بيت الصلاة يفصله عن الرواق الشرقي باب من الخشب، وكذلك الحال في الرواق الغربي الذي يفصله عن بيت الصلاة باب آخر(٢).

وقد زود نور الدين محمود هذا الجامع بمنبر مصنوع من خشب الأبنوس مزين بزخارف إسلامية متنوعة الأشكال الهندسية والنباتية والكتابية(٣)، وضعه على يمين المحراب الذي يكتنفه عامودين رخاميين نُحتت قاعدتهما على شكل زخارف نباتية يعلوها نقش كتابي، ويليها نحت بزخارف هندسية يعلوها نقش كتابي آخر ضم معلومات عن هوية الباني والبناء، ويلي البدن تاجين تزينهما زخارف نباتية(٤).

وأهم ما يميز جدار الجامع الشمالي وجود الكتابات الأثرية، نقشت "أولها باليونانية تتحدث عن إباء أهل حماة ضد الرمان، وثانيها بالعربية، وتشير إلى الباني، وثالثها أيضاً بالعربية وتتحدث عن إقامة مركز في الجامع للطلاب المنقطعين لدراسة العلم على نفقة الأوقاف الإسلامية"(٥).

---

(١) انظر الملحق اللوحة رقم (٥)؛ **والقبة:** نوع من البناء الحدودب الذي له شكل كرة مشطورة عند وسطها كما قد تكون القبة في شكل بيضاوي أو مخروطي أو حلزوني(للمزيد انظر طه الولي،المسجد في الإسلام،ص٢٧٤)؛ **وميضأة:** هي المكان المخصص في كل مسجد لعملية الوضوء(انظر طه الولي،المرجع السابق، ص٣١٠).

(٢) انظر الملحق اللوحة رقم (٦).

(٣) أحمد فائز الحمصي، روائع العمارة العربية الإسلامية في سورية، ص٤٣؛ محمد أبو الفرج العش، آثارنا في سورية، ص١٠٠.

(٤) انظر الملحق اللوحة رقم(٤).

(٥) رفاه محمد كامل، حماة مدينة الآثار، ص١٤.

وخـــصّ نور الدين محمود زنكي الجامع بأوقاف عقارية كثيرة من بساتين ودكاكيـــن موزعة في حماة والقرى المجاورة لها([1])، ثم زاد عليها النائب الحموي كمشـــبغا فـــي سنة ٧٠٨هـــ/١٣٠٨م، فبلغ حصيلة تلك الزيادة ١٥٠٠درهم، وفي سنة ٨٢٣هـــ/ ١٤٢٠م، بنيت له مئذنة([2]) في جهتها الشمالية الغربية، وتألفت من عـــدة أبراج أعلاها برج السقف العلوي، ولكّل برج ميزة زخرفية، فيه أربع نوافذ من جهاتها الأربعة متساوية، ونوافذ البرج الأوسط تختلف عن بقية النوافذ إذ إنها جاءت دائرية الشكل([3]).

٤-جامع ابن ياروق:

ويقـــع على كتف العاصي عند باب حمص من محلة الباشورة قرب بســـتان الجبل ، بناه الأمير نجم الدين التوتان بن ياروق سنة ٥٨٤هـــ/ ١١٨٨م، بجوار المدرسة العصرونية، وهو ما جاء ضمن رسم كتابي عليه" بسم الله الرحمن الرحيم أمر بعمل هذا المسجد المبارك العمري الأمير الأجل الكبير الفقير إلى الله تعـــالى النجم التوتان ابن ياروق وذلك في سنة ٥٨٤ أربع وثمانين وخمسماية"([4]). ورغم أن المصادر والمراجع التي تسنّى لي الاطلاع عليها لم تشر إلى التطورات المعماريـــة لهـــذا الجامع. إلا أنه قد حظي- على ما يبدو- بعناية مملوكية خاصة شأنه في ذلك شأن بقية جوامع النيابة.

([1]) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٧٠، حاشية٥.

([2]) أحمد فائز الحمصي، روائع العمارة العربية الإسلامية في سورية، ص٤٣.

([3]) انظر الملحق اللوحة رقم(٧).

([4]) أحمد الصابوني، تاريخ حماة،٧٤، حاشية ٢؛ انظر أيضاً متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي،ص٣٧٨؛ **نجم الدين التوتان ابن ياروق:** لم أقف على ترجمة له فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها؛ **وباب حمص:**أحد أبواب ســـور المدينة السفلى(أنظر أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ٥٧)؛ **ومحلة الباشورة:** تقع على مدخل قلعة حماة على تل مشرف على البلد (أحمد الصابوني، المرجع السابق،ص٦٤،حاشية٥).

٥-جامع العزي([1]):

بـــناه محمد بن حمزة العزي سنة ٦٢٣هــ/١٢٢٦م، في محلة باب الجسر علـــى طريق الحلوانية، وقد خصص لـــه العديد من الأوقاف التي قدرت بـــ"١٥" ألـــف درهم في كل سنة([2])، والجامع صغير يتكون من إيوانين متقابلين تعلوها قبة محمولة على أسطوانة بها نوافذ([3]).

٦-جامع أبي الفداء([4]):

يقع في محلة باب الجسر، وهو من بناء الملك المؤيد أبي الفداء سنة ٧٢٧هــــ/١٣٢٦م، وقـــد عرف بأسماء أخرى منها جامع الدهيشة أوالدهشة([5])، وجـــامع الحـــيات نسبة لوجود عمود كبير من الرخام على شكل أفاعي ملتقية بين شباكيه الكبيرين في حرم الجامع من جهة الشرق،وعمل له في الغرب شباكين مثل مـــا في الشرق([6])، ويأخذ شكل المستطيل وفيه أربعة مداخل، وتزين جدران بيت الصـــلاة نقوش كتابية مختلفة إضافةً إلى زخارف من الذهب والفسيفساء والرخام الملـــون([7])، أمـــا محـــرابه فجاءت واجهة جداره أعمق من الجدارين اللذين على جانبـــيه، وزينـــت حنـــية المحراب بالرخام الملون والمحمول على رخام أبيض،

([1]) انظر الملحق اللوحة رقم(٨-٩).

([2]) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٧١.

([3]) انظـــر الملحق اللوحة رقم(١٠-١١)؛ لازال النقش واضحاً على الجامع ويحمل اسم بانيه(بسم الله الرحمن الرحيم انشا هذا المسجد المبارك العبد الفقير الى رحمة الله محمد بن حمزة العزي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة) انظر الملحق اللوحة رقم(١٢).

([4]) انظر الملحق اللوحة رقم(١٤).

([5]) أحمـــد الصـــابوني، تاريخ حماة، ص٦٩، حاشية١؛ أحمدغسان سبانو ، مملكة حماة الأيوبية، ص١٨٢؛ ويبدو أنه أستمد تلك التسمية من محلة بحماة (انظر ابن طولون ، القلائد الجوهرية، ج١، ص١٢٧، حاشية١)؛ وأورد السيوطي أسماء بعض من تولوا الخطابة في هذا الجامع، انظر بغية الوعاة، ج١، ص٣٨٩.

([6]) انظر الملحق اللوحة رقم(١٣).

([7]) أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٢٩-١٣٠، ١٨٢؛ انظر أيضاً أحمد الصابوني،تاريخ حماة، ص٦٩؛ أحمد فائز الحمصي، روائع العمارة الإسلامية في سورية، ص٤٨؛ ذكر محمد أبو الفرج العش بأن التسمية تعود (من أجل وجود زخرفة بالحيات على بابه) ، وهذا مخالف إذ إن تلك الزخرفة جعلت بين شباكين في حرم الجامع وليس على بابه، انظر آثارنا في سورية، ص١٠٠؛ وانظر كذلك الملحق اللوحة رقم(١٦).

وتعلـــوه لوحـــة مرصـــعة بقطع من الفسيفساء والرخام الصغير الملون تحيط به مـــزررات مـــن الـــرخام الملـــون، وزُخرف قلب المحراب بقطع الرخام الملون المســـتطيل وتعلوه خمسة أقواس زُيّنَتْ بالرخام الملون الصغير الحجم وهي أشبه بالمحاريـــب الصـــغيرة، و تـــلا ذلك شريط من الزخارف الهندسية المذهبة التي أحاطـــت بحـــدود المحراب الكروي من الداخل، و يقع عن يمين ويسار المحراب شـــباكان جعلت عضاتهما من الرخام الأبيض وعلتهما لوحة مربعة من الزخارف الرخامـــية الملونة والفسيفساء والذهب، وعلت واجهة المحراب شريط من النقش الكتابي ثم علاه شباك مزين بالأربسك، وقد بني فوق إيوان القبلة قبة مرفوعة على أســـطوانة فـــيها أثنتا عشرة نافذة حملت على أكتاف مثلثة قائمة على ثلاثة عقود مرتكـــزة علـــى عاموديـــن مبنييـــن مـــن الحجر تفصل بلاطة القبلة عن بلاطة المدخـــل(١)، والأخـــيرة تعلوهـــا ثلاثة عقود مخموسة ،ويفصل بيت الصلاة عن الصحن بابان يعلوهما عقدين مدببين(٢)، وقد زينت جدران بيت الصلاة الخارجية المطلـــة على نهر العاصي بحجارة ملونة اعتمدت في توزيعها على شكل هندسي معروف بالمعينات(٣).

٧-**جامع السلطان:**

يقـــع فـــي محلـــة الدباغة، بناه السلطان بدر الدين حسن شقيق أبي الفداء، وقد حرص على أن يكون على غرار جامع أبي الفداء(٤).

٨-**جامع ابن الولي:**

أمـــر ببـــنائه زيـــن الدين عبد الرحمن بن علي بن إسماعيل ابن البارزي المتوفى سنة ٧٣٣هـــ(٥).

---

(١) انظر الملحق اللوحة رقم(١٦)؛ **والحَنِيَّةُ:** القوس (أنظر ابن منظور، لسان العرب، ج١٤، ص٢٠٣).

(٢) انظر الملحق اللوحة رقم(١٥).

(٣) انظر الملحق اللوحة رقم (١٤).

(٤) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٦٩؛ **محلة الدباغة:** يقع بالقرب من تل صفرون ، وقد سميت بذلك لوجود مدبغة لدباغة الجلود فيها(أحمد الصابوني، المرجع السابق، ص٦٤،حاشية ٦).

(٥) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١٠٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٩٣؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٢، ص٢٤٥.

٩-الجامع العمري:

ويقـــع في باب المغار بمحلة المدينة العليا، وقد جدد بناؤه في ســـنة ٩١٩ هـــــ/١٥١٣م([1])،وذلك على ما يبدو في عهد النائب الحموي جان بردي الغزالي.

١٠-الجامع الكبير بالمعرة:

وهـــو من المساجد التي اشتهرت خارج نطاق مدينة حماة ويتوسط المعرة من الجنوب والشمال، وكان في الأصل معبداً وثنياً للرومان، ثم تحوّل إلى كنيسة كبيرة في العهد البيزنطي، وبعد الفتح الإسلامي أُعيد تخطيطه من جديد وحُوّل إلى مســـجد ، ويـــبدو أن ذلك بموجب مصالحة أبرمت مع أهل المعرة كما هو الحال بالنسبة للجامع الكبير في حماة، ونتيجة للظروف السياسية التي مرّت بها المنطقة خـــلال الحـــروب الصليبية، وما أعقبها من زلازل وحرائق، فقد تعرض الجامع لشـــيء مـــن الخراب والدمار، ولذلك حظي بجهود كبيرة لإعماره وترميمه، وهو عـــبارة عـــن صحن به مزولة تقوم على ستة أعمدة تعلوها قبة متوسطة الحجم، ويتوســـط الصـــحن ميضأة تقوم على عشرة أعمدة فوقها سقف بمثابة قبة نصف كـــروية، وحرم الجامع مستطيل الشكل تبلغ أطواله٥١ ,٥٨× ٥ ,١١م ، مسقوف بست قباب تقوم على عقد مصلب يقوم على إحدى عشرة دعامة مربعة، ومئذنته مبنـــية فـــي العهـــد الأيوبـــي، وهي مربعة الشكل مقسمة إلى ستة أبراج مختلفة الزخـــرفة، فـــي كـــلّ واحدة منها أربعة نوافذ تفتح كلّ واحد منها على جهة من الجهات الأربعة، ويعلو البرج السادس برج آخر يعرف السقف العلوي([2]).

ومـــن المســـاجد التي بنيت في العهد المملوكي بمدينة المعرة مسجد صارم الدين أزبك المنصوري، وقد بني في شرقي المعرة([3]).

([1]) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٧٢-٧٣، حاشية٣.

([2]) أحمد فائز الحمصي، روائع العمارة العربية والإسلامية في سورية، ص٣٧-٣٨.

([3]) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١١٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٣٠٤.

ومن المرافق العمرانية التي شهدتها نيابة حماة **الأسبلة:** وهي الأماكن المخصصة لإرواء عطش المارة، وتتوزع في طريق المارة أو الأماكن العامة أو ملحقة بمنشأة دينية من مساجد أو كتاتيب([١])، ومن الأسبلة التي عرفت في نيابة حماة تلك التي كانت ملحقة بمسجد سبيل الأمير صارم الدين أزبك المنصوري في شرقي معرة النعمان([٢]).

ومن هذه المرافق أيضاً **البيمارستان،** وقد عرفت نيابة حماة وجود بيمارستان واحد يقصده السكان طلباً للعلاج من الأسقام التي تصيبهم، وهو البيمارستان النوري نسبة إلى الذي شيده وهو الملك العادل نور الدين محمود زنكي، ويقع جنوبي الجامع النوري، وهو ملاصق لجدار قبلته، وتطل واجهته الشرقية على ضفة نهر العاصي([٣])، كما يحوي عدداً من القاعات والغرف التي دثر بعضها([٤])، ولم يبق منها سوى غرف القسم الجنوبي وغرف القسم الشمالي، والتي تطل على قاعة متسعة([٥]).

أما عن التقسيم الفني للبيمارستان النوري في حماة فكان كغيره من البيمارستانات التي عرفت في ذلك العصر، حيث قسم إلى قسمين منفصلين إحداهما للذكور والآخر للإناث، وفي كلّ قسم منهما قاعات تخصص لمعالجة عدد من الأمراض ، فكان هنالك قاعة للأمراض الباطنية وأخرى للجراحة وثالثة للكحالة ورابعة للتجبير، وقد خضع كلّ قسم منها لرئيس يشرف على علاج

([١]) أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي، ص١٢٤؛ محمود وصفي محمد ، دراسات في الفنون والعمارة العربية والإسلامية ، ص٢٠٧؛ للمزيد من التفصيل عن الأسبلة بنائها ووظيفتها والأدوات المستخدمة فيها(انظر سعاد ماهر محمد، العمارة الإسلامية على مر العصور، ج٢، ص٢٠٧-٢١١).

([٢]) أبو الفداء،المختصر، ج٤، ص١١٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٣٠٤؛ والذي يجدر ذكره هنا أن السبيل كان يتكون من ثلاث طبقات الأولى الصهريج، وهو في باطن الأرض لتخزين المياه ، والثانية أعلى من مستوى سطح الأرض وبها المزملة ولصدرها سلسبيل يقوم بتوزيع المياه على أحواض الشبابيك، في حين خصصت الطبقة الثالثة مكتباً أو كتاباً(انظر أبو الحمد محمود مزغلي،الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة، ص٣٧).

([٣]) انظر الملحق اللوحة رقم (٣).

([٤]) أحمد الصابوني ، تاريخ حماة، ص٧٦.

([٥]) انظر الملحق اللوحة رقم(١٧).

المرضـــى، كمـــا شمل هذا التقسيم وجود صيدلية سميت بالشرابخاناه ، وكان لها رئـــيس يسمى "شيخ صيدلي"، وكان الجميع يعمل تحت رئاسة الساعور([1])،وكان نظـــر البيمارستان مناط بأسرة بني قرناص([2]). ويبدو أن هذا المنصب كان محط نظـــر الكثـــير الذيـــن سعوا لنيله بدفع مبالغ مالية كما فعل أبو السعود ابن قاضي الحنيفـــية بحلب جمال الدين يوسف بن اسكندر الحنفي، الذي قدّم مائة دينار وتعهَّدَ بلبس الكسوة الرومية من أجل توليته على البيمارستان([3]).

كمـــا شـــهدت نـــيابة حماة عدداً من **الأضـــرحة**، وهي عبارة عن طراز معمـــاري استحدثه سلاطين السلاجقة لحفظ رفاتهم، ونقلت معهم باعتبارها طرازاً معمارياً إلى بلاد الشام، وكان محور ارتكاز تلك المنشأة يقوم على قاعة الضريح التـــي توجـــد بهـــا رفـــاة الشخص المتوفى، وهي عبارة عن بهو تقوم عليه قبة القبر([4])،كما عرفت أيضاً بالتربة([5]).

وفـــي العصـــر الأيوبـــي ارتبط الضريح ببناء المدرسة أو المسجد، وزاد الممالـــيك من بعدهم في الاهتمام بالأضرحة وزخرفتها، والعناية بالقباب، فظهرت ابـــتكارات معماريـــة دلت على عظمة ومهارة هندسية للمعماريين المسلمين، كما تنوعـــت التراكيب التي وضعت فوق القبر، والتي يمكن تشبيهها بالتوابيت، فجاء بعضـــها من الخشب المنقوش أو الحجر أو الرخام أو الجص([6]). وغالباً ما كانت

([1]) أحمـــد عيسى،تاريخ البيمارستانات في الإسلام،ص١٨-٢٠؛انظر أيضاً أحمد رمضان،المجتمع االإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ص١٥٩؛سعاد ماهر محمد، العمارة الإسلامية،ج٢، ص١٧٠-١٧١؛ و**الشرابخاناة:** كلمة من لفظين شراب وخانه ويقصد منها بيت الشراب(أنظر محمد دهمان،معجم الألفاظ التاريخية،ص٩٧).

([2])أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٤٩، حاشية٤٩.

([3]) الحنبلـــي،تاريخ أعيان حلب، ورقة١٢٢/ب؛ **أبو السعود ابن قاضي الحنيفية بحلب جمال الدين يوسف بن اسكندر الحنفـــي**، ســـبط الأمير الكبير رمضان بن صاورخان أحد أمراء حلب، كانت وفاته في سنة ٨٤٩هـــ(انظر المصدر السابق، ورقة١٢٢/ب).

([4]) أرنست كويل، الفن الإسلامي، ص٦٠.

([5]) محمود وصفي محمد، دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية، ص٣٩.

([6])أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي، ص١٢٣؛ أحمد فائز الحمصي، روائع من العمارة العربية والإسلامية في سورية، ص١١٩-١٢٠؛ محمـــد محمـــد الكحلاوي، آثار مصر الإسلامية، ص١١٩؛محمود وصفي محمد، دراسات في الفنون والعمـــارة العربية الإسلامية، ص٣٩؛ والذي يجدر ذكره هنا أن تجصيص القبور أو تزيينها أو بناء القباب عليها يعد مخالفـــة عقديـــة، يحـــذر منها الشرع الإسلامي الحنيف(انظر عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ،فتح المجيد شرح كاب التوحيد، ص١٨٧، ١٨٨).

تغطـــى بقـــباب ذات أشكال مختلفة منها النصف كروي والمدبب، وكان سطحها الخارجـــي أملـــس أو ذات تضليعات مستقيمة أو منحنية، وأحياناً كانت رقبة القبة تزين بزخارف من الخارج ، ثم تطورت زخرفة القباب من الخارج، بحيث أخذت تكسو سطح القبة كلها([1]).

ومـــن الـــترب التي أُنشئت بحماة في العصر المملوكي، تربة الأمير قبجق المنصـــوري([2])، وأما أشهر الأضرحة بحماة فهو ضريح الملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، والذي يقع في الجانب الأيمن لمدخل جامعه الشهير، ويتكون البناء من بهو القبر الذي يعلوه قبة قائمة على أسطوانة بها ثماني نوافذ قائمة على أربعـــة مثلـــثات كـــروية وأربعـــة عقود، وله شباك يطل على صحن الجامع([3])، وتـــابوت الملـــك أبي الفداء يتكوّن من قطعتين قاعدة رخامية منحوت عليها نقش كتابـــي مذهب ورأس التابوت من الخشب المحفور بزخارف هندسية بديعة، وباب الضـــريح من الخشب وبه أشرطة من النحاس في أعلاه وأسفله([4])، وعلى الجدار الشـــمالي الخارجي من الضريح يوجد لوحة رخامية ذات إطار مزخرف ومنقوش عليها

" هذا

مرقد العالم الكبير

اسماعيل أبي الفداء

ملك حماة سنة ٧٢٧"([5]).

أمـــا عن الطرز المعمارية **للدور السكنية** في نيابة حماة فهي متشابهة في أقســـامها الرئيسة التي تكونت من القسم الخارجي، ويحوي غرفاً للحارس والخدم الـــرجال، وقسماً لاستقبال الرجال ويسمى"المقعد"([6])، وقد حظي بأهمية بالغة لأنه

([1]) أبو الحمد محمود فرغلي، الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية، ص٤١.

([2]) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٥١.

([3]) انظر الملحق اللوحة رقم(١٩).

([4]) انظر الملحق اللوحة رقم(٢٠).

([5]) هذا ما وقفت عليه بنفسي؛ انظر الملحق اللوحة رقم(١٨).

([6]) أحمد رمضان ، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ص١٥٧.

مخصص لاستقبال الضيوف والزوار، فبني على مساحة واسعة، وروعي فيه الناحية الجمالية بتزويده بالزخارف الفنية الخشبية والرخامية، والقسم الثالث خاص بالحريم، وهو مخصص للحياة العائلية،وكان يقابل إيوان الرجال، وإذا كانت الدار ضيقة فإن إيوان النساء يعلو إيوان الرجال، أي إن المنزل يكون من طابقين، ووفقاً لهذه الأقسام فقد جاء المخطط العام للدور السكنية كالآتي: دهليز طويل يفتح على صحن الدار، وهو فسحة سماوية مزينة بالأشجار والورود، ويتوسطها بركة ماء تعمل على ترطيب وتبريد الصحن الذي يطل عليه إيوان محاط بثلاثة جدران، ووظيفتها أشبه بوظيفة غرف المعيشة في عصرنا الحاضر حيث يجتمع فيه أهل الدار، كما تضم الدار قاعتين إحداهما صيفية والأخرى شتوية([١]).

ومن الدور التي اشتهرت في نيابة حماة **دار الضيافة:** وتقع شرقي الجامع النوري وكان يطلق عليها أيضاً " الطيارة الحمراء "؛ **ودار السعادة:** التي أنشأها الملك المظفر محمود غرب العاصي جانب حمام السلطان، والتي يبدو بأنها استمرت مقراً للحكم في ظل النظام النيابي بدليل سكنى أبي الفداء لها بُعيد إحيائه للمملكة التقوية سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، وكذلك من دور حماة **قصر الدهيشة أو الدهشة**، والذي يعرف أيضاً بالمنزل المربع، وهو قصر خصص للسكنى في فصل الربيع باعتبارها مصيفاً للبيت الملكي التقوي، ولتلك الميزة فقد عُمل على انتقاء موقعه بدقه من قبل بانيه أبي الفداء حيث شيده في منطقة تجمع النهر والنواعير، وتوفر الغطاء النباتي، وألحق به قبة أشار البعض بأنها قد تكون ضمت لذات البناء أو أنها شيدت بالمقربة منه، وكان تاريخ بناء هذه المجموعة في سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م([٢])، وقد كانت هذه المنشأة محطَ إعجاب السلطان الملك الصالح أبي إسماعيل ابن الملك الناصر محمد، الذي أمر بأن تكون التجديدات في قلعة

([١]) أحمد فائز الحمصي، روائع من العمارة العربية الإسلامية في بلاد الشام، ص١٠٠؛ انظر متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص٤٤٦؛ أحمد رمضان ، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ص١٥٧؛ للمزيد من التفصيل عن إيجابيات وجود صحن الدار(انظر مجدي محمد عبدالرحمن حريري، المسكن في العمارة الإسلامية صحن الدار والتطلع إلى السماء، ص٣٢-٥١).

([٢]) أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٢٨- ١٢٩ ،١٩٨.

القاهرة على غرار الدهيشة بحماة، وذلك في رجب سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م، فخرج شاد العمائر مع أحد المهندسين المعماريين البارعين إلى حماة لمعاينة طرز البناء والزخرفة فيها، وبإتمام مهمتهما كتب السلطان إلى حلب بطلب ألفي حجر أبيض، وألفي حجر أحمر من دمشق، ويُعد حجم المبالغ التي أنفقها الملك الصالح على تلك التجديدات، والتي حدّدها المقريزي بقوله:" فبلغت أجرة الحجر منها ثمانية دراهم من دمشق واثنى عشر درهماً من حلب.ووقع الاهتمام في العمل، فكان المصروف في العمارة كل يوم عشرة آلاف درهم"(١)، دليلاً على مدى تطور العمارة في حماة، والتي حاول سلطان المماليك نقلها إلى القاهرة، كما عرفت نيابة حماة **دار النيابة** وتقع في المدينة السفلى وتطل على نهر العاصي(٢).

كما اشتهرت نيابة حماة **بحماماتها**، والتي لا تختلف عن حمامات بقية المدن الشامية في تخطيطها العام، حيث انقسمت إلى ثلاثة أقسام تحكمت درجة حرارة المياه في كل قسم منها، أطلق على القسم الأول القسم البارد، ويتكوّن من قاعة للاستقبال وغرف لخلع الملابس، وتكون درجة حرارته فاترة بعض الشيء، ويليها القسم المعتدل وتكون فيه درجة الحرارة معتدلة، ووظيفتها التدرج في نقل الجسم البشري من البرودة إلى السخونة أو العكس، وهي بذلك تعمل للمحافظة عليه من التعرض للأمراض التي قد تصيبه إن لم يتوخ الحذر، والقسم الثالث يعرف بالقسم الحار، وتكون درجة حرارة المياه والغرفة فيها مرتفعه(٣)، و كانت عملية تسخين مياهها تتم في قبو البناء حيث تشعل النار تحت قدر من النحاس

---

(١)المقريزي، السلوك، ج٣، ص٣٨٧؛ **وشاد العمائر:** هو المسؤول عن إحداث وتجديد العمائر السلطانية من قصور ومنازل وأسوار يختارها السلطان(انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢).

(٢) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٦٨.

(٣)ابن الأخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، ص٢٤٠؛ أحمد رمضان ، المجتمع االإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ص١٥٧؛ أحمد فائز الحمصي، روائع من العمارة العربية الإسلامية، ص٩٢؛ محمود وصفي محمد، دراسات في الفنون والعمارة الإسلامية، ص٤٠؛ يوسف درويش غوانمه، تاريخ نيابة بيت المقدس، ص١٣٧؛ والحمام من المنشأة الرومانية، التي تمكن المعمار المسلم الاستفادة منها وتطويرها وتطويعها لخدمة الواجبات الدينية، فأخرج بذلك لفن العمارة الإسلامية ما عرف باسم الحمام العربي الذي ظهر في عهد الدولة الأموية، وظل محط عناية الدول الإسلامية اللاحقة(انظر توفيق عبد الجواد، تاريخ العمارة ، ص٣٣٤)

مملـــوء بالماء، ثم تنقل في أنابيب فخارية داخل الجدار، و تصب من فتحات فيها إلـــى أحـــواض وزعت في أطراف القاعات([1]). وكان سقف غرفة المياه الساخنة يغطـــى بقـــبة مرتفعة، أما سقف الحمام فعادة ما كان يغطى بقباب ضحلة أو أقباء مـــتقاطعة([2]). وقـــد خضع الحمام لإشراف مباشر من قبل المحتسب المخول لـــه مراقـــبة ما يجري فيه سواءً كان على الصعيد الأخلاقي أو المهني المتعلق بتأدية المســـؤولين عنه من قومة وموظفين لمهامهم الوظيفية المتخصصة بخدمة الزوار وتنظيف الحمام كلّ يوم([3]).

ومـــن الحمامات التي اشتهرت بها نيابة حماة **حمام الذهب:** ويقع في محلة المدينة، ويبدو أنه بناء قديم وقد جرى تطويره في العهد المملوكي، **وحمام الشيخ أو الســـلطان** بـــناه الملك المنصور الثاني واتخذه حماماً خاصاً لـــه، ويقع جنوبي الجـــامع الـــنوري، و**حمام العرايس:**وهو بمحلة العليليات السفلى، و**حمام الزهور** الواقع في طريق رحى العونية بمحلة الجسر، **وحمام الحسام:** بمنطقة باب الجسر، و**حمام القاضي:** بناه القاضي سراج الدين مغلي في محلة جورة حوا، وهو الحمام الذي يمكن أن يكون قد تم بناؤه في ظل وجود النظام النيابي بحماة([4]).

كمـــا عرفـــت حماة في هذا العصر عدداً من **الخانات**، ومفردها خان وهي كلمـــة فارســـية الأصل تطلق على المنشأة المخصصة لإقامة المسافرين والقوافل الـــتجارية، وهـــي أشبه بالمجمعات التجارية السكنية الضخمة في يومنا الحاضر، وتخطـــيطها العـــام يضـــم مجموعة من الحوانيت الكبيرة والصغيرة ومستودعات

([1]) ابـــن الأخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، ص٢٤٠؛ أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي، ص١٢٤-١٢٥؛ محمد وصـــفي محمـــد، دراســـات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية، ص٤٠؛ يوسف درويش غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس، ص١٣٧.

([2]) أحمد رمضان ، المجتمع االإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية،ص١٥٧.

([3]) أبن الأخوة، معالم القربة في أحكام الحسبة، ص٢٤١؛ ؛ يوسف درويش غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس، ص١٣٧

([4])أحمـــد الصـــابوني، تاريخ حماة، ص٧٧-٧٨؛ متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي ، ص٤٤٨؛ **ومحلة المدنية:**هي ماكانت تعرف بالمدينة العليا(انظر أحمد الصابوني،تاريخ حماة،ص٦٤،حاشية٧،ص٥٧)؛**ومحلة جورة حوا:** كانت تسمى محلة الصفصافة(أحمد الصابوني، المرجع السابق،ص٦٥،حاشية٦).

للبضـــائع وصحن يتوسط البناء تربط فيه الدواب، كما حوى على مداخل ضخمة، وأدوار عليا بها غرف للسكنى والإقامة([1]).

أما المهام التي كانت تؤديها فهي توفير أماكن لإقامة التجار وحفظ أموالهم ودوابهـــم وبضـــائعهم،كما كان بها أقسام للبيع بالجملة وأخرى بالتجزئة،وتتكفل بـــتوزيع ما يرد إليها من بضائع([2])،ومن الخانات التي عرفت في نيابة حماة خان معرة النعمان،والذي بناه الأمير صارم الدين أزبك المنصوري في شرقها([3])، كما أشـــارت بعـــض كتب الآثار إلى وجود خان شمالي المعرة، يعود تاريخ بنائه إلى ســـنة ٧٣٣هـــــ/١٣٧٢م،ويظهر من وصف بوابته التي امتازت بالحصانة وعلته آثار روشن دفاعي على مدى ما تمتع به الخان من متانة وإتقان([4]).

أمـــا عـــن تخطيط **المـــدارس** وعمارتها في نيابة حماة فإنها لا تختلف عن مثـــيلاتها من مدارس موزعه على المدن الشامية، حيث اشتركت جميعا تقريباً في وجود المصلى والميضأة وقاعات التدريس وحجرات المعلمين والطلاب وإيوانات للـــتدريس الصيفي، بيد أن الاختلاف جاء في أساليب الزخرفة المستخدمة([5])،ولا تمدنـــا المصادر بتفاصيل التنظيمات التي كانت تحكم هذه المؤسسة التعليمية ولكن مـــن المـــرجح بأنهـــا لا تخرج عما كان شائعاً في المدارس الإسلامية من أنظمة وشـــروط وقوانيـــن تطـــبق على الملتحقين بها من طلاب ومدرسين وقد وفرت للمغتربيـــن منهم أماكن للسكنى ضمن نطاق هذه المنشأة، كما تولت مهمة صرف

([1]) أبو صالح الألفي،الفن الإسلامي، ص١٤٢؛ محمد محمد الكحلاوي، آثار مصر الإسلامية، ص١٤٣؛ عادل بن محمد خضر عبد الهادي، عسقلان ، ص٣٧٠.

([2]) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج٢، ص٩٣؛ نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية، ص٢٨٧.

([3])أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١١٩؛ ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٠٤.

([4]) أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٩٨؛**والروشن**: كلمة فارسية الأصل، تطلق على الفتحة أو النافذة أو الكوة للإضاءة أوالمشربيات، وقد يقصد بها الخرجات في العمائر(انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص ٤٤٣؛ محمد دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص٨٤).

([5]) المقريـــزي، المواعـــظ والاعتبار، ج٢، ص٣٦٣؛ توفيق عبد الجواد تاريخ العمارة، ص٣٢٨-٣٢٩؛ طه الوالي، المسجد فـــي الإسلام، ص٨٤؛محمود وصفي محمد، دراسات في الفنون والعمارة العربية الإسلامية، ص٤١؛ نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط في الإسلام، ص١١٧؛ آرنست كونل، الفن الإسلامي، ص٦٣-٦٥.

المرتبات والجرايات عليهم، والتي كان يتم تمويلها من قبل الأوقاف التي خصصت لها([1]).

ومـــن المـــدارس التي اشتهرت بها مدينة حماة، ما يرجع بناؤها إلى عهد الدولة الزنكية المدرسة **النورية الحنيفية** والتي أنشأها نور الدين زنكي، في بستان الـــنوريات الواقـــع غرب الجامع النوري، وقد مرّ بها الرحالة ابن جبير في سنة ٥٨٠هـــــ([2]). كما أنشأ **المدرسة النورية الشافعية** و ذكر بأنها كانت بالقرب من جـــامع نور الدين([3])، مما يعني وقوعها في حي الكيلانية والتي كانت تعرف سابقاً باســـم محلة باب الناعورة، وأيضاً شيد **المدرسة العصرونية** إكراماً للعالم الجليل أبـــي عصـــرون ليـــتولى الـــتدريس فـــيها([4])، وكانت عند باب حمص من محلة الباشـــورة([5]) علـــى كتف العاصي قرب بستان الجبل، وقد أضاف لها الأمير نجم الديـــن الـــتوتان ابن ياروق داراً في سنة ٥٨٤هـــ/١١٨٨م. ويبدو أن شهرتها في تعلـــيم القرآن، وزيادة عدد طلابها، كانت سبباً في قيام الشيخ محمد بن محمد بن أبي بكر الشافعي على تزويدها بدارٍ أخرى في سنة ٧٢٥هـــ/١٣٢٥م، وقد ضمت تلك الدار بياناً بعدد شيوخها والمادة التي تدرس بها، وشروطاً للالتحاق بها، كتبت على حجر ووضعت على جدار الدار، وجاء على ذلك الرقيم ما نصه:

"أمر بعمل هذه الدار المباركة السيد الفقير إلى الله تعالى محمد بن محمد بن ابـــي بكر الشافعي خلا قبلها وما استثنى جعلها دار قرآن واوقف لها اوقافاً كثيرة لتسكن في هذه الدار من فقراء المسلمين الغراب((الغرباء)) مقيمين بها ليلا ونهاراً يـــتلون كتاب الله ويتذاكرونه بينهم ويدعون للواقف ولوالديه وللمسلمين وقرر بها

([1]) أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي، ص١٢٢؛ أحمد فائز الحمصي،روائع العمارة العربية والإسلامية ، ص٦٠.

([2]) ابـــن جبير،رحلة ابن جبير، ص٢٠٧؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج١، ص٢٨٢؛أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٨١.

([3])أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٧٥.

([4]) النعمي، الدارس، ج١، ص٤٠١.

([5])أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٨١.

شيخين يعلمونهم القرآن الكريم ويكون مقام كل فقير بها مدة خمس سنين فان ختم القــرآن او مضت المدة المعينة فيكسى ثوبا اوجبة وتبرره عوضه ان وجد فان لم يوجـد فيسـتمر جعلهـا الله خالصـة لوجهه الكريم في شوال سنة خمس وعشر وسبعماية"(١).

وهـنالك مدارس تمّ بناؤها في عهد الدولة الأيوبية واستمرت على ما يبدو تؤدي دورها في العهد المملوكي منها **المدرسة المظفرية** التي بناها الملك المظفر تقـي الديـن عمر في محلة المدينة بجوار الجامع الكبير من جهتة الغربية وكانت ذات شـأن عظـيم، وخصـص لها أوقافاً كثيرة من قرية الدجاجية(٢). والمدرسة المنصـورية وأنشأها الملك المنصور محمد بظاهر حماة، وكانت تضم رفاة والده الملـك المظفر تقي الدين(٣)، ويبدو بأنه لذلك سميت **بمدرسة التربة**(٤)، وقد أنشأ المنصـور مدرسة أخرى بالقرب من باب الجسر، وهو الباب الشمالي لحماة(٥)، ومـنها أيضاً **المدرسة الطواشية** والتي تنسب إلى مؤسسها الطواشي مرشد عتيق الملـك المظفر الثاني محمود، وتقع في محلة المدينة شمالي الجامع الكبير بجانب حمـام الذهب الشرقي، وقد كان لها أوقاف كثيرة، وظلت تؤدي وظيفتها التعليمية إلى ما بعد الألف للهجرة، ثم هدمت بعدها، ولم يبق منها إلا آثار الجدران في أحد البسـاتين(٦). وكذلك **مدرسة العزي** والتي بناها محمد بن حمزة العزي في محلة بـاب الجسر بجوار الجامع العزي من جهة الشرق، وذلك بعد بناء الجامع بأربع سنين في سنة ٦٢٧هـ/١٢٢٩م، وقيل بأنها كانت متسعة البناء، ولكنه لم يبق منها

---

(١) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٧٤،حاشية٢؛ متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص٣٧٨-٣٧٩.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص٨٧٩؛ النعيمي، الدارس، ج١، ص٢١٦؛ أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٧٥-٧٦؛ أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٨١؛ متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص٣٧٧ ؛ **والدجاجية**: قرية قريبة من حماة تقع على كتف نهر العاصي(أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٦٠).

(٣) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٤، ص٨٠؛ متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص٣٧٧.

(٤) أحمدغسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٨١.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب، ج٤، ص٧٨؛ متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص٣٧٧؛ أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٨١.

(٦) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص٤٦٦؛ العيني، عقد الجمان، ج٢، ص٨٨؛ أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص ٧٣-٧٤؛ أحمدغسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٨٢؛ متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص٣٧٩.

في الوقت الحاضر إلا ما هو مرسوم على الجدار، والتي توضح اسم البناء وتاريخ الإنشاء([1]).

ومن المدارس التي شُيدت في العصر المملوكي، وتحديداً إبان إحياء النظام الملكــي علــى يــد الملــك أبي الفداء إسماعيل سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، **المدرسة الخاتونية:** نسبة إلى مؤسستها مؤنسة خاتون بنت الملك المظفر محمود، وعمة أبي الفــداء، وكانــت تقــع في محلة المدينة، ثم تحولت إلى بستان عرف باسم بستان الخاتونــية، وهــي شــرقي أول مدخــل محلة الجراجمة، وعينت لها العديد من الأوقــاف، وذلك في عهد الملك أبي الفداء([2]). **والمدرسة المؤيدية:** أنشأها الملك المؤيــد عمــاد الدين أبي الفداء إسماعيل، واشتهرت باسم المدرسة الخطيبة، كما عمــل المؤيد إسماعيل على بناء القطعة الشرقية الملاصقة لحرم جامع نور الدين وتحويلها إلى مدرسة ألحقت بالجامع، وكان الشكل العام للبناء على هيئة مستطيل أبعــاده ١٥،٥× ١٠م، وهو ذو بلاطتين متلاصقتين يرتفع فوقهما قباب متباينة في الشــكل والهندســة، أربعــة في النصف الأول، وثلاثة في النصف الثاني، وجعل للمدرسة محراباً تقوم واجهته على عامودين نقش على تاج أحدهما (أمر بعمارة هذا الروشــن المبارك مولانا السلطان الملك المؤيد)، وعلى التاج الآخر (عماد الدينا والدين بن مولانــا الملــك الأفضــل صاحب حماة خلد الله ملكه)([3])، وقد ألحق بالبناء حوض ماء ســبيل، كمــا أوقف عليها العديد من الأوقاف التي بلغ عائدها ١٥ ألف درهم([4]). وكذلــك **المدرسة البارزية** وكانت متخصصة لتدريس الفقه الشافعي، ومنها أيضاً **المدرســة الشــيخية** بــناها القاضــي نجم الدين عبد الظاهر السفاح الحلبي في الموقــف، وقد أوقف حولها أوقافاً كثيرة عنيت ذريته من بعده بإرسال وكيل منهم

([1]) أحمــد الصابوني، تاريخ حماة، ص٧٥؛ أحمدغسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٨٢؛ متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص٣٨٠.

([2]) أبو الفداء،المختصر،ج٣،ص١٤٤؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي،ج٢، ص٢٤٥؛ الزبيدي،ترويح القلوب، ص٧٩؛ أحمــد الصابوني، تاريخ حماة، ص٧٣؛ أحمدغسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية،ص١٨٢؛ **ومحلة الجراجمة:** نسبة إلى من سكنها من قرية جرجومة، وقد كان يطلق عليها سابقاً باب المغار(أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٦٥،حاشية١)

([3]) انظر الملحق اللوحة رقم(٣- ٢١).

([4]) أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٣٠، ١٨٢

يخـــرج مـــن حلب لتحصيل إيجار عقاراتها في كل سنة، وعرفت أيضاً بالزاوية السفاحية([1]).

أما الطراز المعماري **للمكتبات** فقد انقسم إلى قسمين أولهما المكتبات العامة التـــي فـــي العـــادة ما كانت تلحق بمنشأة تعليمية نظامية سواء أكانت مسجداً أو مدرسة، مثل مكتبة المدرسة الخاتونية و مكتبة الروشن التي كانت في مدرسة أبي الفـــداء القائمـــة فـــي الجناح الشرقي للجامع النوري ، والتي كانت تحوي ٧٠٠٠ كـــتاب، والثانية المكتبات الخاصة مثل مكتبة قاضي حماة ابن البارزي والتي قدر ثمـــنها بمائة ألف درهم([2]). ويبدو أن هذا النوع من المكتبات قد انقسم بدوره إلى قســـمين، الأول مـــا كـــان علـــى شـــكل حوانيت في الأسواق أو بجوار المساجد والمـــدارس لبـــيع الكتب على مريديها، والثاني ما كان داخل الدور، وخاصة دور الأسر الثرية التي كانت تحرص في ذلك على التنافس فيما بينها على اقتناء الكتب، فضـــلاً عـــن أن العلماء أنفسهم كانوا يحرصون على اقتناء الكتب داخل منازلهم لـــتكون فـــي متـــناول أيديهم في كلّ الأوقات، فضلاً عن إتاحة الفرصة لتلاميذهم للإطلاع عليها عند زيارتهم لهم.

([1])أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٧٤-٧٥؛ **والزواية:** جمعها زاويا، وزاوية البيت ركنه،وهي الأماكن التي ينزوي فيه أشخاص معينين طلباً للعبادة، وتكون لهم حرية استقبال من يريدون، وهي بذلك المنظور تمثل مركزاً تصوفياً لمن يرغـــب فـــي الانصراف للعبادة والزهد والانقطاع عن المجتمع،وغالباً ما كان اسمها يرتبط بشخصيات دينية معروفه بالفضيلة والخير والصلاح ومشهورة بالفقه، وقد اتخذها البعض منهم للوعظ وتدريس طلابهم ومريديهم، فكانت كخليه مصـــغرة لترويج الأفكار والتيارات الدينية الخاصة،ومن الزوايا التي عرفت بها حماة **زاوية السعدية**، وتقع في محلة جورة حرا، وعمل على تجديد بنائها في سنة ٩١٩هـــ/ ١٥١٣م، وكذلك **الزاوية الكيلانية** وتنسب إلى مشيدها من بني الكيلاني الذين سكنوا حماة في حدود القرن السابع الهجري، وأيضاً **الزاوية الحريرية** شيدها الأمير طرباي الشريفي في حدود القرن الثامن الهجري،وهي تابعة للحريريين،وممن اشتهر في الاعتكاف بالزوايا نجم الدين عبد الرحمن بن حسين اللخمي، وأيضاً **الزاوية القادرية**(انظر عماد الدين الحنبلي،شذرات الذهب، ج٦، ص٢٧٦؛أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٧٣؛حياة ناصر الحجي،صور من الحضارات العربية الإسلامية، ص١٦٢-١٦٣؛انظر أيضاً أحمد رمضان،المجتمع الإســـلامي فـــي بـــلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ص١٥٥؛ أحمد فايز الحمصي، روائع من العمارة العربية والإسلامية في سورية، ص٧٦؛ متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص٤٤٦).

([2]) أحمد غسان سبانو ، مملكة حماة الأيوبية، ص١٨٣.

الحياة الاقتصادية:

الزراعة:

شـــكلت الـــزراعة عمـــاد الحياة الاقتصادية في نيابة حماة، وقد دعم ذلك عـــاملان أولاهمـــا **جغرافي** تمثل في طبيعة أراضي حماة التي حباها المولى ﷻ قـــدراً كبيراً من خصوبة التربة واعتدال في المناخ، فضلاً عن التباين الواضح في تضاريســـها، حيث تحيط بها عدد من الجبال العالية التي تتساقط عليها الثلوج في فصـــل الشـــتاء، ثـــم تذوب بسرعة عند اعتدال الجو فتعمل على ري الأراضي الزراعية([١])، الأمر الذي ساعد أهلها على استصلاح الكثير من أراضيها الجبلية ، واســـتغلال مواســـم الأمطار وزراعة المحاصيل المتنوعة وفقاً للظروف المناخية المخـــتلفة([٢])، وثانيها **بشري** ظهرت مقدماته في العصر الروماني إبان وعي أهلها بطبـــيعة أراضـــي حماة المرتفعة عن مستوى نهر العاصي، والذي كان يمر في بعـــض الأوقات بمرحلة انخفاض لمستوى المياه فيه، فكان عليهم التدخل لحلّ هذه المعضلة التي كادت تودي بالمحاصيل الزراعية، وبما أن الحاجة هي أم الاختراع فقـــد تمكّن الرومان من صنع ما عرف **بـــالنواعير** التي عرفها البعض بأنها "أداة لـــرفع الماء من نهر العاصي إلى مناطق أعلا من مستوى النهر تقع على ضفتيه لإرواء حقولها وبساتينها التي تسمى بالازوار"([٣])، ومن هذا التعريف يظهر حاجة

([١]) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٩٧؛ ابن شحنه، الدر المنتخب، ص٢٦٩.

([٢]) أشـــار جل من تحدث عن حماة إلى كثرة بساتينها ومزارعها وغيطانها(انظر شيخ الربوة الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٧٤؛ العمري، مسالك الأبصار ،ج٤، ص١٩٦؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٨٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٩٩).

([٣]) ممدوح الزوابي، نواعير حماة أوابد تشهد على ازدهار هذه المدينة ، ص٢٦؛ ذكر ابن العديم أن أهل حماة في ذلك الوقـــت كـــانوا يسمونها " الحنّانات " ومنها الحنانة المعروفة نام حسن(انظر بغية الطلب ، ج١، ص١٤٩)؛ وقد ذكر سهيل زكار في تعليقه عليها ، بأن هذه الحنانة أو الناعورة مازالت حتى اليوم لم يتبدل موقعها وتعرف بناعورة الجسر (انظر المصدر نفسه، حاشية ٢)؛ **والازوار:**جمع (زور) أو (زارة) ،وهي الأجمة ذات الماء والحلفاء والقصب، وتكثر على اطراف الفرات (أنظر محمد دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص١٤)

حمـــاة لتوفير نظام للري وشبكة من القنوات تساعد في عملية نقل المياه، فجاءت عـــبارة عـــن أحواض مقامة فوق السواري المبنية بجانب النواعير، والتي تتصل بقـــنوات تمتد من أول السواري إلى ضفة النهر، ومنها تنساب نحو قنوات توزع مياه العاصي على المزارع والمرافق العسكرية والمدنية([1])، وقد استمرت النواعير منذ ذلك التاريخ تؤدي مهامها لتوفير قدر كاف من المياه المتدفقة طوال العام.

ونظـــراً لأهمـــية هذه النواعير فقد أولاها المماليك عناية فائقة بالعمل على صيانتها وحفظها، و شرعوا في زيادة عددها حيث سجلت الدراسات الأثرية وجود ناعورتيـــن تـــمّ بناؤهما على يد نواب حماة، إحداها عرفت **بـــالناعورة المحمدية** والتـــي يـــبدو بأنها استمدت تسميتها من اسم السلطان المملوكي محمد بن المظفر حاجي، الذي تمّ في عهده وضع حجر أساس مشروع بناء الناعورة المذكورة، غير أنه لم يتمكّن من حصاد ثمار ذلك المشروع لخلعه من الحكم سنة ٧٦٢هـــ/١٣٦٠م، فـــتمّ افتتاحها تحت إشراف نائب حماة الأمير أيدمر الشيخي في سنة ٧٦٣هـــ/١٣٦١م، وبلغ طول قطر الناعورة ٢١م، فكانت أكبر نواعير حماة، ولم تكن تلك هي الناعورة الوحيدة التي بناها المماليك في حماة بل قام أحد أمراء حماة ويدعى الأمير الحاج بلباك بإنشاء ناعورة أخرى عرفت باسم **المأمورية** بلغ قطرها ٢٠م، وتم بناؤها في شهر جمادى الأولى سنة ٨٥٧هـــ/١٤٥٣م([2]).

ولـــم يقـــف اهتمام المماليك بنظام الري في حماة على النواعير فقط، بل تعـــداه إلـــى تجديد القناطر التي كانت تتوزع بين حمص وحماة ، والتي كُلف بها الأمـــير جقمق الظاهري([3])، أما المعرة فقد انحصرت مقومات الزراعة فيها على الآبـــار ومنســـوب مـــياه الأمطار، ولهذا فقد لجأ أهلها لتخزين مياه الأمطار في صـــهاريج، ونظراً لشحّ مصادر المياه بها، فقد اتبع أهلها أسلوباً لترشيد استهلاك

([1]) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٦٢، حاشية ٣، ١٢؛ انظر الملحق اللوحة رقم(٢٢).

([2]) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٦٢، حاشية ٣، ١٢؛ مصطفى أطلاس، المعجم الجغرافي للقطر العربي السورين ج٣، ص١٢٨-١٢٩؛ممدوح الزوابي، نواعير حماة أوابد تشهد على ازدهار هذه المدينة،ص٢٦.

([3]) السخاوي ، الضوء اللامع، ج٣، ص٧١-٧٣.

مـــياه الأمطـــار تمثل في التخزين والرش المدروس في سقي بعض المزروعات، وكذلك سقي أشجار بساتينها الغناء([١]).

أمـــا عـــن المحاصيل الزراعية التي اشتهرت بها حقول هذه النيابة، فهي القمـــح، والحمص، والشعير، والذرة بنوعيها الأصفر والأبيض، والبطيخ، بنوعيه الأصـــفر، والأخضـــر، كمـــا اشـــتهرت بزراعة أشجار التين والفستق والزيتون والرومان والتفاح، وغير ذلك من الفواكه والخضراوات([٢]).

ومن أسماء تلك المحاصيل السابقة، والخصائص التي امتازت بها يمكن أن نتوصل إلى مواسم وطرق زراعتها، حيث إن بعضها يستهلك كميات من المياه في زراعتها ولهذا فهي لا تزرع إلا في مواسم الشتاء، مثل القمح والشعير والحمص والفـــول، فـــي حين أن البعض الآخر امتاز بتحمُّل الجفاف وعدم احتياجه لكميات كبـــيره مـــن المياه عند الري، مع حاجته الماسة لأجواء دافئة عند الزراعة، ولذا اقتصـــرت زراعـــته على مواسم الصيف و يسقى بمياه الري، مثل الذرة بنوعيها والخضراوات والقطن والبطاطا والبصل والطماطم([٣]).

أمـــا عـــن مستوى الإنتاج الزراعي في حماة فلم يكن مستقراً، لتدخل عدة عوامل منها الأثر السلبي للأوضاع السياسية لدولة المماليك، وهذا يظهر جلياً بُعيد كلّ طَرْق مغولي لبلاد الشام والذي يتسبب في خراب الأراضي الزراعية لانعدام الأيـــدي العاملة لحرثها وزراعتها، إضافة إلى نفوق الثروات الحيوانية([٤])، ناهيك عـــن إطـــلاق بعض القادة المغول أيديهم في حصاد القمح وسائر أنواع الحبوب

([١]) شـــيخ الـــربوة، نخبة الدهر، ص٢٧٢؛ انظر أيضاً ياقوت الحموي، المشترك وضعاً، ص٤٠١؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ص٢٦٤-٢٦٥؛ ابن كنان، المواكب الإسلامية، ج٢، ص١١٠-١١١.

([٢]) انظر شيخ الربوة الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٧٢ ،٢٧٤؛ العمري، مسالك الأبصار ،ج٤، ص١٩٦؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٨٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٩٩؛ أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٨١؛ أحمد سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٧٠؛ على موسى،محمد حربه، محافظة حماة، ص٣٢٤-٣٣٢؛ متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص٤٤٨).

([٣]) على موسى، محمد حربه، محافظة حماة، ص٣١٤-٣٢١.

([٤])ابن الفوطي، التجارب النافعة، ص٥٤٥؛ بيبرس المنصوري، التحفة المملوكية، ص١٦٠؛ أبو الفداء، ج٤، ص٤٥؛ النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص٤١٥؛ ابن أيبك،كنز الدرر، مج٩، ص٤٦-٤٧؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٣٣٧؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص١٢٨.

والشعير والتبن وجمع الأخشاب والمؤن الأخرى لسد احتياجات الجيش(١)، فكانت النتيجة النهائية انعدام الموارد الغذائية، وارتفاع أسعارها، الأمر الذي اضطر معه الأهالي أحياناً لصيد الجراد وبيعه(٢).

كمـا كـان للكوارث الطبيعية أثر بالغ في تدهور الإنتاج الزراعي بنيابة حمـاة، ويأتي في طليعة ذلك تأخر هطول الأمطار، مثلما حدث في السنة الحمرا ٧٢٣هـ /١٣٢٣م(٣)، أو زيادة منسوبها عند هطول الأمطار الغزيرة المصحوبة بـزخات الـبرد المتنوعة الحجم، والتي غالباً ما تؤدي إلى حدوث فيضانات تدمر المحاصيل الزراعية(٤)، كما حدث في سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م، عندما ضربت نيابة حماة موجة برد شديدة مصحوبة بأمطار غزيرة خلفت وراءها أضراراً بالغة على المحاصيل(٥)، كما كان لزيادة منسوب نهر العاصي عن معدله، وفيضانه في سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م، ضرره البالغ على الأراضي الزراعية بشكل عام والمحاصيل بشـكل خـاص(٦)، ففـي سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م، أدت موجة برد مماثلة لطرح محصول المشمش الحموي قبل أوانه، أما في سنة ٨٩٦هـ/١٣٩١م، فقد تعرضت نـيابة حمـاة لموجـة بـرد أعـنف من سابقتها حيث أد ت إلى تدمير أشجار الزيـتون(٧)، إضافة إلى تعرضها للزلازل بين آونة وأخرى(٨)، كما أدى اجتياح الجـراد لـبلاد الشام ومنها حماة في سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، إلى إتلاف كثير من المحاصيل الزراعية(٩).

---

(١) أحمد عبد الكريم، تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، ص١٣.

(٢) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٤، ص٢٠٩؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٩٣.

(٣)أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٩٢.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص١٣، ٢٣١؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص٢٣٩.

(٥) المقريزي، السلوك، ج٧، ص٣٥٢؛ انظر أيضاً الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٤٠١.

(٦) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢، ورقة٢٨٨.

(٧) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج١، ق١، ص٦٨، ١٣٤-١٣٥.

(٨) ابن الوردي، تاريخ بن الوردي، ج٢، ص٢٤٤؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٠٥.

(٩) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٦٣؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٤، ص٢٠٨؛ ابن عربشاه، عجائب المقدور، ص٢٩٥-٢٩٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٢، ص٢٥٣.

ونظـــراً لوفـــرة أماكـــن الرعي في حماة التي اشتهرت ببرها ذي المروج الخضراء، فقد نشطت بها تربية الماشية([1])، ولقد أشار المؤرخ المعاصر أبو الفداء إلى أن حماة وأعمالها امتازت بالمحافظة على بعض فصائل الخيول التي تعرضت للفناء في بعض الفترات بسبب الأوبئة كما حدث في سنة ٧٠٣هـ/٠٣-١٣٠٤م، عندما هلكت غالبيتها في حماة حتى خلت غالب أسطبلات الأمراء والجند([2])، وكما تعرضـــت نيابة حماة مع غيرها من نيابات الشام الأخرى لانخفاض معدل الإنتاج الحيواني في سنة ٨٣١هـ/٢٧-١٣٢٨م، وكذلك سنة ٨٤١هـ/٣٧-١٤٣٨م،وذلك لتفشـــي وبـــاء خطير أدى إلى نفوق أعداد كبيرة من دوابها([3])، ومن المرجح بأن يُؤدي اختراق نهر العاصي لحماة إلى فرضية وجود ثروة سمكية به.

الصناعة:

ترتـــب على ثروة حماة الزراعية قيام عدد من الصناعات التقليدية منها صناعة تجفيف الفواكه من تين ومشمش وعنب، وصناعة خل العنب والتفاح، وصناعة النسيج،وتُعد المنتجات القطنية من أجود ما قدمته حماة على ساحة السوق المحلـــية، والتـــي عرفت باسم البياض، وهو يشمل الشراشف والمناشف وغيرها، تلـــيها المنســـوجات الحريـــرية كالصايات الملونة والبيضاء، وهي خامات جيدة

([1]) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٩٧.

([2])أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٥١.

([3]) المقريزي، السلوك، ج٧، ص١٧٠، ٣٥٢.

لصناعة الألبسة[1]، كما لا يمكن إهمال صناعة عصر الزيوت خاصة وأن المعرة كانت مشهورة بزراعة أشجار الزيتون[2].

ومـــن الصناعات التي اشتهرت بها نيابة حماة وذاع صيتها في بلاد الشام صـــناعة الــورق، وقــد استخدمت أجود منتجاتها في ديوان الإنشاء في النيابات الشـــامية، فعـــرف باسم قطع نصف الحموي، ويبلغ عرض درجه عرض نصف الطومار الحموي وطوله بطول الطومار[3].

كمـــا اشـــتغل ســـكان هذه النيابة بعمل المصنوعات الخشبية وقد تصدرت قائمـــتها صناعة النواعير التي ارتكز بناء هيكلها العام على القطع الخشبية، فكان مـــن المفترض أن تمرّ تلك النواعير بمراحل من الترميم والصيانة المستمرة حتى تتمكن من تأدية وظائفها دون أن يصيبها العطل أو التلف، وبناءً عليه كان لابد من وجود أمكنه خاصة وصناع مهره تخصصوا في صيانة المنشأة المائية، وأيضاً من المصنوعات الخشبية التي برعت بها البلاد الشامية قاطبة والتي لا يمكن أن تخلو مـــنها حماة، صناعة النحت على الخشب والتي ظهرت جلياً في اللمسات الجمالية فـــي الزخـــرفة وتزييـــن القصور والدور، والأدوات المستخدمة في المساجد مثل المـــنابر والمحاريـــب، وكذلك الأثاث المنزلي من خزائن لحفظ الألبسة والأطعمة

---

(1) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٨٢؛ أحمد سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٧٠؛ متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص٤٣٩؛ **والصايات**:مفردها الصاية، وهي لفظة تركية تطلق على الزي المصنوع من الجوخ الخشن (انظر محمد دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص١٠١)

(2) شيخ الربوه الأنصاري، نخبة الدهر، ص٢٧٢.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٦، ص١٩٢؛ يعود تاريخ صناعة الورق في حماة إلى عهد الدولة الأموية التي عملت علـــى نقل ونشر هذه الصناعة في كافة البلاد الشامية بما فيها حماة(انظر زكي النقاش، العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصـــادية بيـــن العرب والإفرنج خلال الحروب الصليبية، ص٩٧)؛**والطومار**:الورقة الكاملة المعبر عنها في زمن القلقشندي ، بالفرخة(انظر القلقشندي ، صبح الأعشى، ج٦، ص١٨٩، ١٩٢).

ومقاعد للجلوس([1]). وممن عمل في صناعة الخرط محمد بن سلمان الحراني الحموي المتوفى في سنة ٨٠٦هـ/ ٠٣-١٤٠٤([2]).

ونظراً لوفرة الثروات الحيوانية في نيابة حماة فقد نشطت بها صناعة الجلود وخاصة الأحذية والتي كانت تعرف باسم الإسكافة، وكذلك من الصناعات التي لا يمكن تجاهل وجودها في ذلك العصر الحدادة([3])، وصناعة الأسلحة الخفيفة من سيوف وخناجر وأقواس وسهام ورماح وغيرها، والتي كانت تستخدم على الصعيد العسكري والترفيهي للقيام برحلات الصيد([4]).

وقد مرت الصناعة الحموية بهزة عنيفة إبان الغزو التيموري لبلاد الشام ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، وذلك بسبب اقتياد تيمورلنك كثيراً من الحرفيين والصناع إلى حاضرة دولته سمرقند([5])، مما يعني انخفاض الإنتاج الصناعي وتدني الجودة الحرفية في السوق المحلية.

التجارة:

رغم أن الصناعات التي عرفتها نيابة حماة تُعدّ تقليديه وبسيطة إلى حدّ ما، إلا أن التُّجار في هذه النيابة تمكّنوا من استغلال موقعها القابع في قلب البلاد الشامية والقريب من أهم الموانئ البحرية(طرابلس)، والبرية (دمشق وحلب)، لتنشيط ودفع حركة التبادل التجاري فيما بينها([6]).

([1]) عن الزخارف التي برع فيها صناع دولة المماليك(انظر توفيق أحمد عبد الجواد، تاريخ العمارة، ج٢، ص٢٥٢-٢٥٤؛ أرنست كونل، الفن الإسلامي، ص١١٤-١١٥).

([2]) ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٥، ص١٨٦-١٨٧.

([3]) الذهبي، ذيل تاريخ الإسلام، ص٤٢٧؛ أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٨٢.

([4]) الذهبي، ذيل تاريخ الإسلام، ص٤٢٧.

([5]) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٩٢؛ أحمد عبد الكريم سليمان، تيمورلنك ودولة الجراكسة، ص٤١، حاشية٦٧؛ السير وليم، تاريخ دولة المماليك في مصر١٣٥؛ **وسمرقند:** من مدن بلاد ما وراء النهر ، تقع جنوبي وادي الصغد (انظر ياقوت الحموي ، معجم البلدان، ج٣، ص٢٤٦-٢٤٧).

([6])أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٧١.

ومـــن المـــرجح اســـتمرار أسواق نيابة حماة في أداء وظيفتها في العصر المملوكـــي كما كان عليه الحال في العصر الأيوبي، فقد أشار ابن جبير إلى كثرة الأســـواق التـــي شـــهدتها حمـــاة في مدينتيها السفلى والعليا وتميز الأخيرة حيث قـــال:"وأسواق المدينة العليا أحفل وأجمل من أسواق المدينة السفلى، وهي جامعة لجميع الصناعات والتجارات"(١).

وممـــا يؤيد ما وصلت إليه حماة من نماء تجاري وتطور حضاري، وجود أسواق متخصصة بها منها:

سوق القطن.

سوق الطحين.

سوق الخيل.

سوق الحطب.

سوق الدق.

سوق الحدادين.

سوق الأقوسة.

سوق الاسكافة.

كمـــا عرفـــت أيضـــاً أسواقاً مركزية مثل سوق المنصورية، وكان تنظيم المحـــلات فـــيه وفقـــاً لحـــرفة كلّ بائع، وسوق ابن قريع وهو بالقرب من جامع السحور، وسوق حميد في المدينة العليا قرب الجامع الأعلى، وسوق العدل وسوق المتولي قرب جامع السلطان(٢).

---

(١) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٠٦-٢٠٧.

(٢) أحمـــد غســـان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٧٢؛ متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص٤٤٢؛ **وســـوق الـــدق:** يحتمل أنه سوق للطحانين أو بائعي البهارات، والدق مصدر قولك دققت الدواء، والدقاقة ما اندق من الشـــيء، والدقـــاق كـــل شئ دق، أهل مكة يطلقون على توابل القدر دُقة(البهار)(انظر عواطف محمد يوسف نواب، الـــرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنيين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية مقارنة، ص٢٤٥).

وقد أورد الذهبي إرهاصات تؤيد استمرار التخصص التجاري للأسواق تحت ظل الحكم النيابي، حيث أشار إلى وجود بعض الأسواق في حماة في سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٤م، منها:

سوق متخصص لبيع السلع الخاصة بالنساء وعرف باسم سوق التجار.
سوق العطارين.
سوق الغزل.
سوق الكتانين
سوق الحريرين([1]).

وقد شهدت تلك الأسواق رواجاً لتجارة المنتجات المحلية من المنسوجات الحريرية والقطنية كالأعبئة والكوفيات والزنانير والملاءات والشراشف و البرانس والطاليسة والمبازرة والبرقع والأزر والجلاليب والقطائف، إضافةً إلى المنتجات الإقليمية من مصنوعات زجاجية وأدوات وأوان وأسلحة مصنوعة من المعدن والخشب ومصوغات ذهبية مطعمة بالجواهر، وكذلك السجاد والبسط والحصر، والمصنوعات الجلدية([2])، فضلاً عن البضائع الخارجية من عطور وبخور وتوابل ومنسوجات وعقاقير طبية([3])، ومما لاشكّ فيه أن التجار الحمويين كثيراً ما

([1]) الذهبي، ذيل تاريخ الإسلام، ص٤٢٧.

([2]) أحمد رمضان المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، ص١٢٢-١٢٨؛ **والطيالسة**: جمع **طيلسان**: **وهو** لباس يوضع على الكتف والرأس فوق العمامة شكله مربع يغطى به أكثر الوجه ثم يلف طرفاه من تحت الحنك إلى أن يحيط بالرقبة ثم يلتقيان على الكتفين ويتدلى طرفاه الآخران على الظهر ويعتبر في العادة من الملابس الخاصة بالقضاة والفقهاء(انظر صلاح الدين حسين العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني، ص٢٦٩؛ ل.أ.ماير، الملابس المملوكية، ص٩٤)؛ **والزنانير**:جمع زنار وهو حزام أو وشاح تميز بلبسه أهل الذمة في العصور الوسطى(سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي، ص٤٤٦)؛ وأما البرانس والمبازرة والقطائف :فلم أجد لهم تعريف فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

([3]) أحمد رمضان، المرجع السابق، ص ١٢١؛ نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية، ص١٩١.

استغلوا المناسبات المتنوعة لترويج بعض البضائع المصنوعة محلياً مثل الحلوى، والأقـراص، والكعـك، والمشـاعل، والشموع، والنفط، والبارود، وتأجير الخيام والمراكب([1]).

والجديـر بالذكـر أن السلطنة المملوكية لم تهمل العمل على تيسر أمور التجارة في نيابة حماة، فسعت إلى توفير السيولة النقدية للتجار، وذلك عن طريق سـك الـنقود بهـا، والتي عرفت **بالدراهم الحموية**، والتي طغت على العملات الأخـرى فـي سوق الصرافة المحلية بدليل الأضرار البالغة التي خلفتها في سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م، بعد تعرضها للغش والزيف في عملية سكها فكانت سبباً لكثرة "تعنت الناس منها"([2]).

أمـا عن الأوزان والصنوج والمقاييس والمعاملات التي استعملت في نيابة حمـاة ، فقـد وضع القلقشندي بياناً وافياً عنها، حيث قال:" أما معاملاتها فعلى ما تقـدم فـي غـيرها من الممالك الشامية من المعاملة بالدينار والدرهم؛ وصَنْجتها كصَـنْجة دمَشْـقَ وحَلَبَ وطَرَابُلُسَ، تنقص عن الصَّنْجة المصرية كل مائة مثقال مـثقالُ وربـع ، وكـل درهـم درهم وربع ؛ ورِطْلُها سبعمائة وعشرون درهما بصَـنْجتها؛ ومَكِـيلاتها معتبرة بالمكُّوك كما في حَلَبَ وبلادها، ومَكُّوكها مقدّر كل مكوكيـن وربـع مكوك غِرارة بالدِّمَشْقِيِّ؛ وقياس قماشها بذراع، وقياس أرضها بذراع العمل المعروف"([3]).

([1]) شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٣٦٨-٣٦٩.

([2]) الأب أنسـتاس الكرملي، النقود العربية والإسلامية، ص٦٧، ١٦١؛ أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص ١٦٩.

([3]) القلقشـندي، صـبح الأعشى، ج٤، ص٢٣٦-٢٣٧؛ **والصنوج:** مفردها صنجة، بالصاد أو سنجة بالسين، وأصلها فارسي محرفة من كلمة سنكة، أي الحجر، ويراد به في الاصطلاح العيار، والصنجة بزنة مائة من حب الخردل(انظر الأب أنسـتاس الكرملي، النقود العربية والإسلامية، ص٣٤، حاشية١)؛ **والمكوك:** جمعه مكاكيك، وهو مكيال للحبوب يسـع صاعاً ونصف ، والصاع قدر وبية، والوبية ثلاث كيلات(انظر محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٣٢٥)؛ **والغرارة:** "مكيال أهل الشام ، يتألف من ١٢ كيلاً و٧٢ مداً"(انظر ضيف الله الزهراني، وعادل غباشـي، تـاريخ مكـة المكـرمة التجاري، ص١٢٢)؛ **وذراع العمل:** طوله ثلاثة أشبار بشبر الرجل المعتدل(انظر القلقشندي، صبح الأعشى، ص٤٤٢).

ويلحـــظ أن هذا الرخاء لم يدم طويلاً لتعرض نيابة حماة والطرق المؤدية إلـــيها للمخاطر، حيث تعرضت لهزة عنيفة عندما هاجم خان المغول غازان بلاد الشـــام في سنة ٧٠٠هـــ/١٣٠٠م، إضافة إلى تعرض أسواق حماة في سنة ٧٣٤ هـــ/١٣٣٤م، لحـــريق كبير قضى على أسواق الكتان والغزل والحرير وسوق الـــتجار وســـوق العطارين، حيث شمل ما بين ٢٣٥ إلى ٢٥٠ دكاناً بما فيها من بضـــائع وســـلع([1])، كما أدّى هجوم تيمورلنك على بلاد الشام إلى تناقص حركة التبادل التجاري في المنطقة وأصيبت طرق التجارة الداخلية بالشلل، وطال النهب الأسواق والخانات التجارية([2]). وعلى هذا فمن غير المتوقع أن تزدهر التجارة في حمـــاة، بيد أن تدمير المغول طريق التجارة البرية الذي كان يربط أوربا بأواسط آســـيا، ســـاعد في تنشيط حركة التبادل التجاري في الغرب الأوربي وخاصة مع البندقية، فأضحت حماة من أهم المدن الداخلية الخمس في بلاد الشام المستفيدة من عـــودة الحـــركة الـــتجارية مع الغرب([3]). غير أن الاحتكار الذي فرضه بعض سلاطين المماليك على بعض السلع التجارية، كان لـــه أثره السلبي الواضح على حـــركة التـــبادل الـــتجاري، كما حدث في سنة ٨٣٢هـــ/١٤٢٩م، عندما احتكر الســـلطان الأشـــرف برسباي الثياب المنسوجة من القطن التي جلبت من الموصل

([1]) ابـــن الجـــزري، تاريخ الجليل، ص٢٤٠؛ وردت قصة الحريق الكبير في حماة عند الذهبي في موضعين مختلفين أحدهـــا ذكـــر بأنها كانت في سنة ٧٣٤هـــ، وفي الموضع الآخر ذكر بأنها كانت في سنة ٧٣٥هـــ(انظر، ذيل تاريخ الإسلام، ص٤٢٧؛ ذيل العبر، ج٤، ص ١٠٠).

([2]) محمد سالم بكر باعامر، صلة الدولة التيمورية، ص٣٧٧.

([3]) ف.هايد ، التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج٢، ص٢٩٦-٢٩٧؛ وانظر أيضاً ، عفاف سيد صبره، العلاقات بين الشرق والغرب، علاقة البندقية بمصر والشام، ص٢٤٢؛ وعن تدمير المغول لطرق التجارة(انظر محمود ســـعيد عمـــران، المغول، ص٧٣؛ جون. ل.لامونت، الحروب الصليبية والجهاد، بحث منشور ضمن كتاب دراسات إسلامية، ص١٣٥) ؛ أما عن طريق التجارة البري ، فهو أحد أهم طرق التجارة العالمية التي عرفتها العصور الوسطى ، وكان يعرف بطريق الحرير وهو يصل الشرق الأقصى ببخارى ومنها يتفرع إلى فرعين، الأول يتجه إلى بحر قزوين ونهر الفلجا وبلاد البلغار، والثاني يتجه إلى البحر الأسود وموانئه ثم القسطنطينية وأوربا وتخرج منه فروع جانبية إلى حلـــب وســـاحل الـــبحر المتوسط وآخر على بغداد وديار بكر، وقد كان جلّ طرق التجارة العالمية تتحكم فيها الدول الإســـلامية، كـــان مـــنها دولة المماليك التي عُدتْ مفتاحاً لإحدى تلك الطرق وهو الطريق البحري الذي يصل الشرق الأقصى بالبحر الأحمر، للمزيد من التفصيل عن طرق التجارة العالمية (انظر نعيم زكي فهمي ، طرق التجارة الدولية، ص١١٧-١٦٢؛ محمود سعيد عمران، المغول وأوربا، ص٧٣؛ أرشيبالد.ر.لويس، القوى البحرية التجارية في حوض البحر المتوسط، ص٥٢، ٦٤).

وحمـــاة ودمشق إلى القاهرة، فألزم السماسرة بعدم بيعها إلا للسلطان، فأضر ذلك بالتجارة الحموية حتى أن ذلك العمل وُصِفَ بأنه من إحدى المفاسد([1])، كما مارس السلطان المملوكي قايتباي العنف ضدّ تجار حماة حين أمر بنفي جماعة منهم، غير أن تدخـــل الأهالي وبعض الأمراء أثني السلطان المملوكي عن قراره في المحرم سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م([2])، وقد تأثرت نيابة حماة كغيرها من المدن الشامية بحركة الحصـــار الاقتصادي الذي فرضته سفن الأسطول القبرصية على الموانئ الشامية عـــن طـــريق عمليات القرصنة المتتالية، وذلك في أواخر القرن ٨هـ/١٤م، كما انعكـــس علـــى أســـواقها آثار الركود الاقتصادي الذي أصاب كافة مدن السلطنة المملوكـــية فـــي مصـــر والشام، نتيجة لتحويل طريق التجارة الأوربية إلى رأس الـــرجاء الصـــالح، إضافةً إلى الحصار الاقتصادي الذي فرضته السفن البرتغالية على طرق التجارة البحرية القديمة، ومما لا شكّ فيه بأنها لم تكن بأفضل حالاً من باقي أسواق السلطنة([3]).

ومن أبرز تجار حماة ابن معشوق محمد بن ناصر الدين الحموي والمتوفى في سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م، وابن المغيزل محمد بن محمد العبدي المتوفى في سنة ٨٦٧هـــــ/٦٢-١٤٦٣م، وابـــن الصواف الحسن بن علي بن محمد الحموي الذي يـــنحدر من أسرة ذات خبرة بالإبل وأنواعها وأسعارها فورث عنهم المهنة وكانت وفاته في سنة ٨٦٨هـ/٦٣-١٤٦٤م([4]).

([1]) المقريزي، السلوك، ج٧، ص١٨٥-١٨٦؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص١٤٦.

([2]) ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٨، ص١٧٢.

([3])ف.هايد ، التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج٢، ص٢٩٥.

([4]) السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص١١٣، ج٧، ص١٢٧، ج٩،ص٢٤٨؛ التبر المسبوك، ص١٩٦.

الحالة الاجتماعية:

عناصر السكان:

منذ أن نجح المسلمون في فتح حماة لم يعرف المجتمع الحموي سوى سيادة العنصر العربي الذي شكلت قبيلة قيس المضرية غالبية السواد الأعظم فيها، والتي ظلـت تـنعم بالاستقرار الداخلي، وانعدام المشاحنات فيها ردحاً من الزمن، وذلك لعـدم مجاورتها لقبيلة يمنية، إلى أن احتل الأكراد المراكز السياسية فيها في ظل الحكـم الأيوبـي[1]، وداموا على ذلك حتى بعد إنهاء الحكم الأيوبي فيها، حيث اسـتمر بعـض أفراد الأسرة التقوية يتقلّدون مراكز سياسية مرموقة، في حين أن زمـام السـلطة العليا سُلّم لنواب الدولة المملوكية الذين سعوا إلى تعزيز الوجود التركي فيها إلى جانب الجركسي، وذلك عن طريق ضخّ أفواجٍ من المماليك إليها سـواء كان بهدف التوظيف أو العقاب، حيث فتحت حماة أبوابها للأمراء المنفيين إلـيها[2]، وبذلـك يمكـن تحديد التنوع العرقي الذي شهدته حماة في ظل الوجود المملوكي، إلى أربعة أعراق عرب، وأكراد، وتُرك، وجراكسة.

وقـد شهدت نيابة حماة تدفق دماء جديدة، حيث استوطنتها أسر من الشمال الأفريقـي مثل أسرة شعيب بن محمد بن جعفر بن محمد التونسي والذي توفى بها فـي سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م[3]، وكذلك بعض الأسر الأندلسية مثل أسرة القاضي سري الدين أبي الوليد إسماعيل بن محمد اللخمي الغرناطي الأندلسي والذي توفي بالقاهرة سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م[4]، وشهاب الدين أبي العباس أحمد بن عبد الله بن مهاجـر الأندلسي، والذي كانت وفاته في سنة ٧٣٩هـ/١٣٦٧م[5]،و شمس الدين

---

(1) أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٥٧.

(2) ممن نفي إلى حماة الأمير موسى بن الأزكشي والأمير أرغون ططر الناصري والأمير ملكتمر بن عبدالله السعدي (انظر المقريزي، السلوك، ج٤، ص٢٦١؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٣٣٢، ج١١، ص٦٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١،ق٢،ص١١٦).

(3) ابن القاضي ، درة الحجال، ج٣، ص٣١٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٤١٦.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٧٥١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج١، ص٤٠٦؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج ٣، ص٣٣٠؛ المقريزي ، السلوك ، ج٤، ص٣٣٧؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة ،ج١، ص٤٠٦؛ السخاوي ، الذيل التام، ج٢٤٤؛ ابن إياس ، بدائع الزهور،ج١، ق٢، ص٩٨؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ، ج٦، ص٤١٩

(5) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢، ورقة ٢٦٢ب؛ تذكرة النبية، ج٢، ص٣٠٦.

أبـي عـبد الله محمـد بن محمد الحكمي المتوفى في سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٧م(١)، وسـكنها كذلـك بعض الأسر الدمشقية مثل القاضي أمين الدين عبد الوهاب بن وهـبان الدمشـقي،الذي توفى بحماة في ذي الحجة سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٧م(٢)، وعلـم الدين محمد بن محمد الدمشقي، الذي توفي في سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٥م(٣)، والقاضـي نجـم الدين عمر بن حجي بن موسى الحسباني، والذي توفي في سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٧م(٤)، وكذلك سكنها بعض الأسر المصرية مثل بيت محمود بن محمد الفيومي الهمذاني المتوفى سنة ٨٣٤هـ/١٤٣٠م(٥).

ووفقاً لتصنيف ابن خلدون للمجتمع الإسلامي إلى حضر وبدو(٦)، فإن من الأعـراق العربية والكردية والتركمانية مَنْ فَضَّل حياة البداوة على الاستقرار في المدينة، وممارسة حرفة الزراعة، فكان اعتمادهم لتأمين قوت حياتهم اليومية، إمّا عـن طـرق مشروعة مثل ممارسة الرعي، والتجارة، وحماية القوافل التجارية، ومراقـبة تحـركات القوى المعادية لصالح السلطنة، أو عن ممارسة طرق غير مشـروعة مـن سلب، ونهب، وإغارة على القوافل التجارية، وتتبع فلول القوات المـنهزمة، ولذلـك فكثـيراً مـا يلجأ الحكام إلى مهادنتهم وكسب ودهم ببعض الامتيازات والهبات(٧)، ومن أهم القبائل التي سكنت براري نيابة حماة آل عيسى

---

(١) ابن حجر ، إنباء الغمر ، مج٨، ص٤٤٧؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٦؛ وجيز الكلام، ج٢، ص٥٤٩؛ الذيل التام ، ج١، ص٦٠٣.

(٢)انظر ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٣، ص٣٠٣؛ ابن العراقي ،ذيل العبر ،ج١،ص٢٣٢؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص ٣٠٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة ، ج٣، ص٣٧؛ ابن تغري بردي، النجوم ، ج١١، ص ٩٢؛ الدليل الشافي، ج١، ص ٤٣١؛ السـخاوي، الذيـل الـتام ، ج١، ص٢٢٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور ، ج١، ق٢، ص٦٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٤٠٩.

(٣) انظر ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٥، ص١٢٢-١٢٣؛ ابن طولون، قضاء دمشق، ص٢٤٩-٢٥٠.

(٤)انظـر ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص١٣٠؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٥، ص١٤٤؛ الدليل، ج١، ص٤٩٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٧٨؛ ابن طولون، قضاء دمشق، ص١٤٣-١٤٤.

(٥)انظر ابن حجر ، إنباء الغمر ، ج٨ ، ص٢٤٩؛ تغري بردي ، الدليل،ج٢،ص٧٢١؛ السخاوي، الضوء اللامع ، ج ١٠ ، ص١٢٩-١٣٠؛ الذيل التام ، ج١، ص٥٧٠ ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٣٤٢.

(٦) ابن خلدون ،المقدمة، ج٢، ص٤٦٧ وما بعدها.

(٧) أحمد رمضان، مجتمع الشام، ص١٨٤-١٨٥.

الذين امتدت مساكنهم من براري سلمية إلى حماة وتدمر، وقد خص السلطان قلاوون إمارة عرب الشام في أبنائها من آل مهنا، وقد فجر وفاة شيخهم الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى سنة ٧٣٥هـ/ ٣٤-١٣٣٥م، نزاعاً عنيفاً بين أبناء آل مهنا وأبناء آل فضل حول الإمارة، تأثرت من جرائه نيابة حماة، فطالت معاركهما المتوالية تخريب القرى والمزارع حول المعرة وحماة، وكان أعنفها سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م، ولم يهدأ الوضع بين أبناء العمومة إلا بعد أن تمكن آل مهنا من طرد آل فضل، وقد نشأ من آل مهنا فرع جديد عرف بآل حيار نسبة إلى حيار بن مهنا الذي سكن معرة النعمان، وتقلّد إمارة عرب الشام، فخلف من بعده فيها ابنه محمد الملقب بنعير، وذلك في سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م،فدام عليها حتى ثار على السلطنة المملوكية سنة ٧٩٤هـ/١٣٩٢م، ثم أعيد إليها عقب وفاة السلطان برقوق، وكان مقتله في سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م، وتقلّد إمارة عرب الشام من بعده ابنه العجل إلى أن قتل هو الآخر بسبب عصيانه في سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م، فكسرت بمقتله شوكة آل مهنا(١)، أما آل فضل فلم يكونوا بأقل منزلة من أبناء عمومتهم عند سلاطين المماليك، فقد وصل تكريم البعض منهم مثل السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى درجة إقطاعهم ضياعاً واسعة في حماة، في سبيل الحصول على بعض من خيولهم الأصيلة، بل وزاد السلطان الناصر محمد في إكرامهم بتلبية طلب بعضهم بإعطائهم إقطاعات بعض أمراء حماة(٢).

أما عن التقسيم الطبقي الذي شهدته البنية السكانية لنيابة حماة، فقد جاء مطابقاً لما في المدن الشامية الأخرى،حيث اشتمل على عدة طبقات،أعلاها الطبقة الحاكمة،وكان يمثلها نواب المماليك، ثم تليهم طبقة أصحاب الإقطاعات،وهم

---

(١) انظر ابن حجر،أنباء الغمر،ج٥، ص٣٤٩،ج٧، ص١٣٤؛ ابن حجر،الدرر الكامنة،ج٢،ص١٦٩؛ أحمد وصفي زكريا،عشائر الشام، ص٩٤-٩٦؛ **وحيار بن مهنا**:كان شديد الخوف من الناصر محمد الذي طلبه مراراً إلى القاهرة ولكنه لم يفعل حتى توفي الناصر فقدم إليها في عهد السلطان الكامل شعبان فأكرمه وذلك في سنة ٧٤٧هـ،وعقب وفاة أخيه أحمد بن مهنا تقلد إمرة عرب الشام وظل عليها حتى وفاته في سنة ٧٧٦هـ(انظر ابن حجر،الدرر الكامنة، ج٢، ص١٦٩).

(٢) أحمد رمضان، مجتمع الشام، ص١٨٤-١٨٥، ١٨٧.

الأمـــراء والأجـــناد وأصـــحاب الامتيازات في النيابة،ويأتي بعدهم طبقة العلماء والقضـــاة والـــذي ينحدر أكثرهم من بيوتات حموية أصيلة،وتليهم طبقة التجار،ثم طـــبقة الحـــرف والصناعات والعوام، وأخيراً طبقة الفلاحين الذين شكلوا السواد الأعظم([١]).

كمـــا شهدت نيابة حماة تعدداً في الطوائف الدينية حيث وجد النصارى بها، وكـــان لهم دير في نواحي المعرة عرف باسم دير سمعان([٢])، فضلاً عن أن حماة كانـــت مقصداً لجميع نصارى النيابات الشامية لقضاء بعض الأعياد الخاصة بهم فـــيها([٣])، كمـــا وجد في نيابة حماة بعض الفرق الصوفية من أهمها فرقة القادرية الذين اتخذوا لهم زاوية في حماة([٤])، وقد فرض قرب النيابة من بلاد الإسماعيلية، وجود تعاملات متنوعة معهم.

ومـــن أشهر بيوتات حماة **بيت بني البارزي** الذين ينتسبون إلى قبيلة جهينة العربـــية، وكانت مساكنهم في محلة سوق الشجرة([٥])، ولمع منها أسماء كثيرة في مجـــالات عـــدة، مـــنهم زيـــن الدين عبد الرحمن بن على بن إسماعيل البارزي المعروف بابن الولي، والذي توفي في سنة ٧٣٣هـــ/١٣٣٣م([٦])،وشرف الدين هبة الله بـــن عبد الرحمن بن إبراهيم بن هبة الله قاضي حماة والمتوفى سنة ٧٣٨هـــ/

([١]) أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٥٧-١٥٨.

([٢]) الحميري، الروض المعطار، ص٥٥٥.

([٣])شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٣٦٩.

([٤])الســـخاوي،الذيل الـــتام، مج٣، ص٣٩٦-٣٩٧؛ و**القادرية:** من طرق الصوفية التي ترجح بأنها أول طريقة منظمة لأهـــداف الصوفية،أنشـــأها عـــبد القادر الجيلاني المتوفى سنة ٥٦١هـــ،ويبدو أن أبناء هذا البيت توارثوا مشيخة هذه الطـــريقة، واتخذوا لهم زاوية في حماة غدت أشبه بمؤسسة تعليمية مروجه لأفكار الصوفية،ألبست خريجيها ما عرف بالخـــرق القادرية، ومن أشهر شيوخ القادرية عبد الرزاق بن محمد بن حسن المحيوي القادري،والذي كانت وفاته في سنة ٩٠١هـــ،للتعرف على تلك الطريقة عن كثب(انظر الحلبي، تاريخ أعيان حلب، ورقة٩ب/١٠أ؛ عبد القادر الجيلاني الحســـني، الغنـــية لطالب طريق الحق في الأخلاق و التصوف و الأداب الإسلامية؛ السفينة القادرية شرح الصلاة مع شرح حزب الوسيلة؛ والأوراد القادرية؛ والفتح الرباني والفيض الرحماني؛ صابر طعيمة، دراسات في الفرق الشيعية، النصيرية، الباطينة، الصوفية، الخوارج، ص١١٤، ا لسخاوي، الذيل التام، مج٣، ص٣٩٦-٣٩٧؛ طه الولي، المسجد في الإسلام، ص٩٦-٩٧).

([٥]) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص١١٣.

([٦])ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢، ورقة ٢٣٧ب؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١٠٩؛ ابن حبيب، تذكرة النبية، ج٢، ص٢٤٥؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٤٦.

١٣٣٨م[١])، وشــهاب الديــن البارزي الذي كان وزيراً للمؤيد إسماعيل، وكانت وفاته في سنة ٧٥٥هــ/١٣٥٤م[٢])، و نجم الدين عبد الرحمن بن إبراهيم البارزي المــتوفى فــي ســـنة ٧٦٥هــ/١٣٦٤م[٣])، و ناصر الدين هبة الله بن عمر بن إبراهــيم بن هبة الله البارزي كانت وفاته على الأرجح سنة ٧٧٥هــ/١٣٧٣م[٤])، وصدر الدين محمد بن محمد البارزي[٥])، وكمال الدين محمد بن محمد بن عثمان البارزي المتوفى في سنة ٧٨٦هــ/١٣٨٤م[٦]). وناصر الدين محمد ابن البارزي ولــد بحمــاة في شوال سنة ٧٦٩هــ/١٣٦٨م، تولى القضاء بها سنة ٧٩٦هــ / ١٣٩٣م، ثــم كتابة السر بها، توفي سنة ٨٢٣هــ/١٤٢٠م[٧])، وقد نال ابنه كمال الدين محمد مكانة ورفعه في عهد صهره السلطان جقمق حيث قلّده كتابة السر في القاهرة وكانت وفاته في سنة ٨٥٦هــ/١٣٥٥م[٨])، و صدر الدين محمد بن هبة الله بن عمر البارزي ولد بحماة سنة ٨٠٧هــ/١٤٠٥م، ولّي قضاء بلده سنة ٨٤٢ هــــ/١٤٣٨م، ثم كتابة السر، وانفصل عن القضاء وظل على كتابة السر إلى أن نقــل إلى حلب ليتقلد كتابة السر بها، توفي سنة ٨٧٥هــ/١٤٧٠م[٩])، ومن أبنائه

([١])الذهبي، العبر، ج٤، ص١١٠؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٣٠٩.

([٢])أنظر ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج١، ص٣٥٧-٣٥٨، السخاوي ، وجيز الكلام، ج١، ص٧٩.

([٣])انظــر ابــن حبيــب ، تذكرة النبيه، ج٣، ص٢٧٨؛ ابن العراقي ، ذيل العبر ، ج١، ص١١٧-١١٨؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص٢٧٥؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج٢، ص٤٦٢؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٧، ص٢٤١؛ النجوم، ج١١، ص٨٤؛ الدليل، ج١، ص٤٠٩؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢،ص١٣-١٤

([٤]) السخاوي، الضوء الآمع، ج١٠، ص٦٩.

([٥]) السخاوي ، الضوء اللامع، ج١٠، ص٢٤؛ وجيز الكلام، ج٢، ص٨٢٦.

([٦])ابن الكاتب الموصلي ، البرد الموشى، ص٢٢١.

([٧]) ابــن حجر ، إنباء الغمر ، ج٦،ص٩٤؛ المقريزي، السلوك، ج٧، ص٢٢؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١٤، ص ١٦١؛ ابــن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٤١ ؛ انظر ابن حسن الكاتب، البرد الموشى، ص٢١٥-٢١٦؛ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٢٩٢.

([٨]) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٦، ص١٣ -١٧؛ حوادث الدهور، ج٢، ص٣٨٦-٣٨٨؛ ابن إياس بدائع الزهور، ج ٢، ص٢٩٣-٢٩٤.

([٩]) الســخاوي، الضوء اللامع،ج١٠، ص٢٤؛ وجيز الكلام،ج٢،ص٨٢٦؛ انظر ابن حسن الكاتب، البرد الموشى،ص ٢٧٧-٢٧٨؛ البقاعي، إظهار العصر، ق١،ص٢٢١-٢٢٢؛ ابن الحمصي،حوادث الزمان،مج١،ص١٩٥).

سـراج الديـن عمـر الذي خلف أبيه صدر الدين محمد البارزي في كتابة السر بحماة([1]).

ومـنها أيضاً **بيت بني جماعة**، وينحدر نسبهم إلى قبيلة كنانة التي سكنت حماة ، في محلة الباشورة([2])، ومن مشاهير هذا البيت عبد الرحمن بن إبراهيم بن سـعد الله والذي كانت وفاته في سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م([3])، ومحمد بن إبراهيم بن سـعد الله ابن جماعة المتوفى سنة ٧٢٨هـ/١٣٣٣م([4])، وكذلك الشيخ بدر الدين محمـد بن إبراهيم ابن جماعة، المتوفى سنة ٧٣٣هـ/١٣٢٨م([5])، وعبد الرحمن ابن محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة، توفي سنة ٧٣٩هـ([6])،وعبد العزيز ابن محمد بن إبراهيم المتوفى سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٦م([7])، وغيرهم.

وبيـت بني السابق ومن مشاهير ذلك البيت صلاح الدين خليل بن محمد الشـافعي والـذي كانت وفاته سنة ٨٥٩هـ/١٤٥٥م([8])، الزين فرج ابن السابق الحموي، المتوفى سنة ٨٩٦هـ/١٤٩١م([9]).

وأيضاً قطنتها أسرة أبن أبي جراد العقيلي، التي اشتهرت **باسم ابن العديم**، مـثل القاضي ابن العديم عز الدين عبد العزيز بن أبي جرادة العقيلي الذي توفي

([1]) السخاوي ، الضوء اللامع، ج٦، ص١٣١، ج١٠، ص٢٤.

([2])أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص١٠٨.

([3]) الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٧٠٠هـ،ص٤٨٠.

([4]) الصفدي، الوافي ، ج٢، ص١٨.

([5]) ابن حبيب، درة الإسلاك، ج٢، ورقة ٢٣٦ب؛ الذهبي، العبر، ج٤، ص٩٦؛ ذيل تاريخ الإسلام، ص٣٦٦؛ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٥٨٢-٥٨٣؛ العبادي، ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين ، ج٣، ص٢٠٠-٢٠١.

([6]) ابن تغري بردي، النجوم، ج٨، ص٣١٨-٣١٩.

([7]) السيوطي، ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، ص٢٤٠؛ **وعبد العزيز بن محمد بن إبراهيم:** ولد في المحرم من سنة ٦٩٤ هـ، تلقى علومه الشرعية على يد عدد من كبار العلماء ، ولي قضاء الديار المصرية، ثم جاور في مكة المكرمة حتى توفي سنة ٧٦٧هـ(انظر السيوطي، المصدر السابق، ٢٤٠)

([8])انظر ابن تغري بردي ، النجوم ،ج١٦، ص١٧٨؛ حوادث الدهور، ج٢،ص٥٥٩؛ السخاوي ، الذيل التام ،مج٢،ص ١٠٦؛ وجيز الكلام ،ج٢،ص٦٩٣.

([9]) السخاوي ، الضوء اللامع، ج٦، ص١٦٩؛ التبر المسبوك، ص٣٠٨، الضوء اللامع ، ج٦، ص١٦٩؛ الذيل التام ، مج٢، ص٦٢٠.

سنة ٧١١هـ/١٣١١م[1]، والقاضي ناصر الدين محمد بن أبي جرادة العقيلي والمتوفى سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م[2]، و نجم الدين عمر بن محمد بن أبي جرادة العقيلي الذي توفى في سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٤م[3]، وجمال الدين عبد الله بن عمر ابن العديم توفي سنة ٧٨٣هـ/١٤٣٠م[4].

وبيت **بني المغيزل** الذي اشتهر منهم يوسف بن محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن نصر الله خطيب حماة وفقيهها المتوفى سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م[5]، وأبي بكر بن عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن المغيزل، المتوفى سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م[6].

وبيت **بني العطار** وهم من قبيلة تنوخ،تقلّد أفرادها مناصب إدارية وعسكرية جليلة في حماة وخارجها،ومنهم محمد بن أحمد بن يوسف بن عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم التنوخي عمل والده إستاداراً في حماة وانتقل إلى الكرك مع مأمور القلمطاوي، وعقب وفاة والده قلّده الظاهر برقوق الحجوبية بحماة،ثم انتقل للعمل دواداراً بدمشق، إلى أن أقره المؤيد شيخ نائباً على الإسكندرية،وأخيراً ناظراً على القدس،وكانت وفاته سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٥م[7]، وقد أعطي ابنه أحمد

---

[1] انظر ابن حبيب ، درة الأسلاك ، ج١، ورقة ١٨٠؛ الذهبي ، ذيل تاريخ الإسلام ، ص١٢٨-١٢٩؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه،ج٢، ص٤١؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢،ص٤٩٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص١٠٧.

[2] انظر ابن حبيب ، درة الأسلاك ، ج٢، ورقة ١٩٠ب؛ ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج٢، ص٥،ج٣، ص١٥١-١٥٢؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج٤، ص٢٢٤؛ ابن تغري بردي ، النجوم، ج١، ص٢٥١؛ الدليل ، ج٢، ص٦٦٧.

[3] انظر ابن حبيب، درة الأسلاك ، ج٢، ورقة ١٩٠ب؛ الصفدي، أعوان النصر ، ج٣، ص٦٥٣-٦٥٤؛ ابن حجر الدرر الكامنة ، ج٣، ص٢٦٥؛ابن حبيب ،تذكرة النبيه ، ج٢، ص١١٥، ٢٥٤-٢٥٥؛ ابن تغري بردي، النجوم،ج١٠، ص٣٠٢.

[4] انظر ابن حبيب ، تذكرة النبيه ، ج٣، ص٣٠٢-٣٠٣؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص٢٩٧؛ ابن تغري بردي ، المنهل ،ج٧، ص١١٠؛ الدليل ، ج١، ص٣٨٨.

[5] ابن حبيب، درة الاسلاك ، ج٢، ورقة ١٨٥ب؛ ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج٥، ص٢٤٥؛ العبادي، ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين ج٣، ص١٩٥-١٩٦.

[6] ابن حبيب، درة الاسلاك، ج٢، ورقة ٢٠١ب؛ الذهبي، دول الإسلام، ج٢، ص٢٨٤؛ ابن حبيب، تذكرة النبية، ج٢، ص١٤٩؛ العبادي، ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين ج٣، ص١٩٨-١٩٩.

[7] المقريزي، السلوك، ج٧، ص١٢٥-١٢٦؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١٣١؛ المنهل، ج٥، ص٥٩٦؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٧، ص٣٢؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٠١؛ تقلد نيابة الأسكندرية سنة ٨٢١هـ/١٤١٩م(انظر آمال رمضان ، الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي، ص٥٧٦).

الدوادرية وظل عليها إلى أن توفي في سنة ٨٤٥هـ/١٤٤١م([1])، وكذلك على بن شمس الدين محمد بن العطار الذي كانت وفاته في سنة ٩٠٠هـ/٩٤-١٤٩٥([2]).

ومـــن ذلك بيت إبن الرسام وممن لمع منهم أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن على بن إسماعيل الحموي المتوفى في سنة ٨٤٤هـ/١٤٤١م([3])، وابنه عبد القادر المتوفى في سنة ٨٦٠هـ/١٤٥٦م([4])، وحفيده عبد الكافي بن عبد القادر والمتوفى في سنة ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م([5]).

وبيــت ابــن قــرناص وهم من قبيلة خزاعة العربية وكانوا قد نالوا منزلة رفــيعة عــند حكام حماة([6])،وكانت لهم أملاك كثيرة وبساتين تنسب إليهم وتعرف بالقرناصــيات نســبة إلــيهم، وامتدت مساكنهم من البيمارستان النوري إلى باب حمــص عند رحى المسرودة، كما سكنوا محلة الباشورة([7])، ونزل بعض أفرادها فــي حلب واستقروا بها مثل على بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قرناص الذي توفي في سنة ٧٨٧هـ/١٣٨٥م([8]).

وبيــت ابــن حجة وكانت لهم مدافن في باب الجسر([9])، وقد لمع منهم أبو بكــر بن على بن عبد الله التقي الحموي الحنفي الأزراري المتوفي في سنة ٨٣٧ هـ/١٤٣٤م([10]).

([1]) ابن تغري بردي، المنهل، ج٢، ص١٧٥؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص٢٥؛ الضوء اللامع، ج٢، ص٨٢-٨٣.

([2]) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٨، ص٢٩.

([3]) المقريزي، درر العقود الفريدة، ج٢، ص١٣١-١٣٢؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص٢٤٩

([4]) السخاوي، المصدر السابق، ج٤، ص٢٦٢.

([5])السخاوي، الذيل التام، مج٢، ص٣٢٤؛ الضوء اللامع، ج٤، ص٣٠٣.

([6]) ابن واصل ، مفرج الكروب، ج٥، ص٢٢٧؛ متعب القثامي، مملكة حماة في العصر الأيوبي، ص٤١٦.

([7]) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص٤٩، حاشية١.

([8]) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص١٩١.

([9]) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص١٣٤.

([10]) ذكر المقريزي بأن وفاته كانت في سنة ٨٣٩هـ،وهو مخالف لما أجمع عليه بعض المؤرخين بأن وفاته كانت في سنة ٨٣٧هـ(انظر العقود الفريدة،ج٢، ص١٩٥-١٩٦؛السلوك،ج٧،ص٢٧٣؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٣١٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس،ج٣،ص٢٩٥؛ السخاوي، الذيل التام، ج١، ص٨٥٧؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص١٦٤.

وبيـــت بني البهراني نسبة إلى القاضي حمزة البهراني المتوفى سنة ٦٦٣ هـ/٦٤-١٢٦٥([1])، وممن اشتهر من نسله عبد الله بن عبد الوهاب بن حمزة بن محمد بن الحسين المتوفى سنة ٧١٥هـ/١٤٢١م([2]).

وبيـــت ابـــن خطيـــب المنصورية والذين ينسبون إلى الحسن بن محمد بن الحســـن بن مسعود بن علي بن عبد الله الحموي، ومن نسله يوسف، المتوفى في ســـنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م([3])، ومن أسباطه محمد بن صلاح بن يوسف الشمس بن الصلاح الحموي، المتوفى سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م([4]).

وبيت ابن خطيب الدهشة، ويعدون من بقايا الأيوبيين في حماة وكانت لهم كلمـــة نـــافذة ، وأوقـــاف كثيرة بحماة([5])، **وكذلك بيت الشيخ علوان** بن علي بن عطـــية، وكانـــت مســـاكنهم في محلة باب الجسر، ثم انتقل بعض منهم إلى محلة العليليات([6]).

والذي يجدر ذكره أن الطَرْقَ المغولي لبلاد الشام أدى إلى تهجير عددٍ من بـــيوتات حماة، من ذلك ما حدث مع موفق الدين محمد بن أبي المعالي المعروف بخطيـــب جامع حماة ، والذي قدم دمشق هرباً من التتار في سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩ م([7])، وكذلـــك القاضي شمس الدين محمد بن أحمد بن مبارك الحموي الذي خرج مـــن حمـــاة عشـــية مقدم تيمورلنك إلى بلاد الشام، فاستقر في مصر قاضياً على

([1]) الذهبي ، تاريخ الإسلام، وفيات ٦٦٣هـ، ص١٤٥-١٤٦؛ العيني، عقد الجمان، ج١، ص٤١٢.

([2]) ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج٢، ص٢٧٨.

([3]) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٦، ص٥١-٥٢؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص٣٠٨-٣٠٩؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٢١٢-٢١٣؛ الشوكاني، البدر الطالع ، ج٢، ص٣٥٢.

([4]) السخاوي، الضوء اللامع ، ج٧، ص٢٧٣.

([5]) أحمد الصابوني، تاريخ حماة، ص١٣٢،حاشية ١.

([6]) ابن الغزي، الكواكب السائرة، ج٢، ص٢٠٤؛ أحمد الصابوني، تاريخ حماة،ص ١٣٧؛ **و علوان علي بن عطية بن علوان الحموي:** من العلماء الذين عرف عنهم التصوف بحماة ، تلقى علوم الشريعة بها ، وأخذ التصوف عن علي بن ميمون المغربي ، له عدة مؤلفات في الفقه والأصول والتصوف، وكان مقصداً لطلاب العلم، صاهره الشيخ حسين بن عمـــر بن محمد ابن النصيبي، وكانت وفاته بحماة في جمادى الأولى سنة ٩٣٦هـ(للمزيد انظر الحلبي، تاريخ أعيان حلـــب، ورقة ١٩٧/ب، ابن الغزي، الكواكب السائرة، ج٢، ص٢٠٤-٢١١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٨، ص٢٦٣-٢٦٤).

([7]) الصفدي، الوافي، ج١، ص٢٨٤-٢٨٥.

الحنفية([1]).وكذلك أسرة الأدمي عبد الرحيم بن أبي بكر بن محمود الحموي الذي ترك بلاد الشام كلياً إلى القاهرة إبان الهجوم التيموري، وظل بها إلى أن توفى سنة ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م([2]). وقد تعدت آثار الغزو التيموري ذلك لتطال البنية السكانية، حيث قضى جند تيمورلنك على بعض أهالي المدن والقرى إما بالأسر، أو القتل، أو الحرق([3])، أو "من الجوع والعرى والبرد"([4])، فلم يبق غير من سببت لـه الحرب الإعاقة والعجز والفاقة([5])، حتى إنه "لم يحج أحد من طريق الشام ولا من العراق بسبب تخريب تمرلنك بلادهما"([6])، "ودام انقطاع الحجاج الشاميين في هذا الطريق سنيين ثم حجوا"([7]).

وإلى جانب هذا فقد هجرت بعض الأسر نيابة حماة إلى أماكن أخرى طلباً للرزق وسعياً لتحسين موقعها الإداري، مثل أحمد بن عبد الرحمن بن رواحة الأنصاري الحموي الذي انتقل إلى نيابة طرابلس ليتولى كتابة الإنشاء فيها، وظل مقيماً بها حتى سنة ٧٠١هـ، حيث عاد إلى حماة وعين مكانه نور الدين ابن المغيزل الحموي الذي انتقل هو أيضاً إلى طرابلس([8]) ، وكذلك شهاب الدين أحمد ابن عمر بن محمد الشهير بابن الرضا الذي انتقل إلى حلب في سنة بضع وسبعين وسبعمائة، وتقلد القضاء فيها ثلاث مرات، وكانت وفاته في سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م([9])، وأيضاً القاضي عبد اللطيف بن أيوب الحموي الذي ولي قضاء طرابلس، في سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، ثم انتقل إلى حلب، حيث توفي بها سنة ٧٧٦

([1]) الصيرفي ، نزهة النفوس، ج٤، ص٢٦٨؛ النعيمي، الدارس، ج١، ص٥٥٣-٥٥٤؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج١٠، ص٣١١.

([2]) السخاوي،التبر المسبوك، ص٨٤٨؛ الضوء اللامع، ج٤، ص١٧٠، ج١٠، ص١٣٧.

([3]) القلقشندي، مآثر الأنافة، ج٢، ص١٩٢-١٩٣؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج١، ص٤٨، ج٤، ص١٢٥؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٤٨.

([4]) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢، ص٩٣.

([5]) أحمد عبد الكريم سليمان، تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة، ص٣٣-٣٤.

([6]) الصيرفي، نزهة النفوس،ج٢،ص١١٩؛ وكذلك كان الحال عند غزو غازان لبلاد الشام، بشهادة ابن فهد الذي نفى وفود الحجيج من بلاد الشام في سنتي ٦٩٩هـ-٧٠٠هـ(انظر إتحاف الورى بأخبار أم القرى،ج٣،ص١٣١-١٣٢).

([7]) ابن فهد ، المصدر السابق، ج٣، ص٤٢٣.

([8]) الصفدي، الوافي، ج٧، ص٥٦-٦٧.

([9]) ابن تغري بردي، المنهل، ج٢، ص٤٠-٤٢؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٦٢.

هـ/١٣٧٤م([1]). وكذلك شمس الدين محمد الحموي الذي ارتحل إلى القدس ليتولى نظر القدس الشريف، ومات وهو على هذه الوظيفة في سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م([2])، وأيضاً أبو بكر بن عثمان بن محمد الحموي، الذي انتقل إلى القاهرة في عهد السلطان المؤيد شيخ ليتولى"إفتاء دار"، وكانت وفاته في سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م([3]).

وقد سعى بعض أفراد الأسر الحموية ممن نالوا منزلة رفيعة في الدولة المملوكية، إلى نقل المقربين منهم لمناصب إدارية رفيعة، كما فعل البارزي الذي نقل ابن العيار محمد شمس الحموي إلى دمشق بعد أن رتب له وظيفة في إحدى جوامعها، وكانت وفاته في سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٥م، كما سعى البارزي لتعيين محمد التنوخي نائباً على الإسكندرية في عهد صهره السلطان المؤيد شيخ([4]).في حين فضل البعض الأخر مجاورة الأماكن المقدسة في مكة المكرمة أو المدينة المنورة أو بيت المقدس مثل إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن سعد الله ابن جماعة، والذي انقطع في بيت المقدس وكانت وفاته في سنة ٧٩٠هـ/١٣٨٨م([5])، وكذلك الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعد الله بن جماعة، الذي جاور في المساجد الثلاثة وكانت وفاته في سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م([6])، وأخيراً كان للرحلات العلمية دور كبير في نقل بعض البيوت الحموية عن حماة.

دور المرأة في نيابة حماة:

برغم قلة ما جاء عن المرأة الحموية في المصادر والمراجع، إلا أنه يبدو واضحاً بأنها نالت قسطاً وافراً من الاحترام في عهد الدولة المملوكية وعلى وجه

([1]) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١٤٦؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج١، ص١٠٦.

([2]) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج١، ص٤٢٠.

([3]) المقريزي، درر العقود الفريدة، ج١، ص١٦٦-١٦٧؛ **وإفتاء دار:** لم أجد له تعريف فيما توفر لدي من مصادر اطلعت عليها.

([4]) السخاوي، الضوء اللامع، ج١٠، ص١٠٥، ج٧، ص٣٢.

([5]) ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٩؛ إنباء الغمر، ج٢، ص٢٩٢-٢٩٣؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج١، ص ١٧٩؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج١، ص١٧٩.

([6]) الذهبي، نيل العبر،ج٤، ص٢٠٢؛ العراقي، الذيل على العبر،ج١، ص١٤٣؛ الفاسي ،العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين،ج٣،ص٢٣٠.

الـــتحديد في ظل الحكم النيابي، بدليل الألقاب التي خصصت لنساء الطبقة الحاكمة مـــثل خـــاتون، وخونـــد([1])، كما حظيت المرأة بين سائر طبقات المجتمع بنعوت التقدير والتبجيل مثل الجليلة وغيرها([2])، غير أنها مع ذلك الموقع المرموق لم يكن لهـــا أثـــر في الحياة السياسية، إنما اقتصر نشاطها في العمل على مكافحة الجهل والفقر برعاية المؤسسات التعليمية من مدارس ومكتبات، وتخصيص أوقاف كثيرة لها لضمان استمرارية باكورة العمل فيها إلى ما بعد وفاتها ومن تلكم الشخصيات الـــبارزة فـــي هذا المجال مؤنسة خاتون ذات اليد البيضاء في فتح مراكز تعليمية بحمـــاة([3])، وكذلك عمل بعضهن على إعالة الفقراء والمساكين مثل فاطمة خاتون التـــي عُـــرف عـــنها كثرة الإحسان إلى ذوي الحاجة([4])، كما كان للمرأة الحموية مشـــاركة فاعلـــة في رعاية العلوم الشرعية، ويسجل التاريخ أسماء كثيرات ممن اشتغلن بالعلوم الدينية ليس في حماة فقط بل امتد إلى أمهات المدن الشامية وقاعدة الدولـــة المملوكـــية فـــي القاهرة،مثل فاطمة بنت النفسي التي حدثت في القاهرة وطـــرابلس([5])، ومنهـــن أيضاً خديجة بنت عمر بن أحمد بن العديم([6])،وهدية بنت خمـــيس([7])، ونخـــوة بنت محمد بن النصيبي([8])، أيضاً عائشة بنت الخطيب عبد

([1]) أبـــو الفداء،المختصر، ج٤، ص٥١، ٩٠؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٢، ص١٧٦،ج٤، ص٣١١؛ **وخوند:** وهي تعني في الفارسية السيد العظيم أو الأمير ، وقد أصبح في العصر المملوكي لقباً خاصاً يطلق على زوجات السلاطين. (انظر غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص١٢١؛ محمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص٧٠).

([2]) الذهبي، العبر، ج٤، ص١٩.

([3])أبو الفداء،المختصر،ج٣، ص١٤٤؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي،ج٢، ص٢٤٥؛ الزبيدي،ترويح القلوب،ص٧٨

([4]) **فاطمـــة خاتون بنت الملك المنصور صاحب حماة** توفيت في مستهل جمادى الأولى سنة ٧٢١هـــ(انظر أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٩٠).

([5]) انظر الذهبي، العبر، ج٤، ص٤٥؛ اليافعي، مراة الجنان،ج٤، ص٢٥٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص١٨٧،و **فاطمة بنت النفسي محمد بن الحسين بن رواحة** توفيت في سنة ٧١٦هـــ(انظر الذهبي، العبر، ج٤، ص ٤٥؛ ذيـــل تاريخ الإسلام، ص١٦٨؛ اليافعي، مراة الجنان، ج٤، ص٢٥٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص١٨٧).

([6])الذهبي العبر، ج٤، ص١٩؛ **خديجة بنت عمر بن أحمد بن العديم** وتعرف بأم عمر روت عن الركن إبراهيم وتوفيت في سنة ٧٠٨هـــ(انظر الذهبي، المصدر السابق، ج٤، ص١٩).

([7]) لم أجد لها ترجمة سوى أن القاضي عز الدين عبد العزيز بن محمد بن العديم قد سمع منها(انظر الذهبي، ذيل تاريخ الإسلام، ص١٢٨-١٢٩).

([8]) الذهبي، العبر، ج٤، ص٥٤؛ تاريخ الإسلام، ص١٩٢؛ **ونخوة بنت محمد بن عبد القاهر بن النصيبي**، روت عن يوسف بن خليل وكانت وفاتها في سنة ٧١٩هـــ(انظر الذهبي، العبر، ج٤، ص٥٤).

الرحـــيم ابن جماعة([1])، ومن المرجح بأنهن اتخذن من بيوتهن مقراً للتدريس، أما عـــن مشـــاهير النساء الحمويات اللواتي وردت أسمائهن في كتب التراجم، فمنهن حليمة بنت محمود الحموي والتي جاورت في مكة وزارت القاهرة([2])، وسارة بنت عمر بن عبد العزيز بن سعد الله([3]).

ورغـــم عدم مشاركة المرأة الحموية في الأمور السياسية غير أنها لم تهمل واجـــبها في مساعدة بني جلدتها في العمل على تسلم بعض الوظائف الهامة، كما فعلـــت الخوند مغل بنت ناصر الدين البارزي، التي سعت لتوظيف أحمد بن محمد ابن العطار دوداراً في الدولة المملوكية([4]).

السلوك الاجتماعي العام:

الأعياد والاحتفالات([5]):

شـــهدت نيابة حماة كغيرها من النيابات الشامية احتفالات متعددة المناسبات مـــنها الاحـــتفال بالعيدين **الفطر والأضحى**، وأخرى مبتدعة مثل الاحتفال بـــ**رأس السنة الهجرية** والذي كان يتم في أول ليلة من ليالي المحرم، وذلك بخروج موكب النائب ومن معه من الأمراء بزيهم الفاخر، إضافة إلى تقديم مطبخ النائب الحموي للعديـــد مـــن أنـــواع الطعام والحلوى ، وتوزيعها على عامة الأهالي([6])، وأيضاً

([1]) ابن حجر ، إنباء الغمر، ج٢، ص٢٤٠؛ وعائشة **بنت الخطيب عبد الرحيم بن بدر الدين بن جماعة**، أخت القاضي برهان الدين ، توفيت في سنة ٧٨٨هـــ(انظر ابن حجر ، المصدر السابق، ج٢، ص٢٤.).

([2]) الســـخاوي، الذيـــل الـــتام، مج ٢، ص٦٣٨؛ الضوء اللامع، ج١٢، ص٢٢؛ و**حليمة بنت محمود بن عبد الرحيم الحموي** شقيقة الشيخ إبراهيم ، توفيت في سنة ٨٩٦هـــ(انظر السخاوي، الذيل التام، مج ٢، ص٦٣٨؛ الضوء اللامع، ج١٢، ص٢٢).

([3]) الســـخاوي، التبر المسبوك، ص٣٥٩؛ **وسارة بنت عمر بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله**، تعرف باسم أم محمد ، توفيت في سنة ٨٥٥هـــ(انظر السخاوي، المصدر السابق، ص٣٥٩).

([4]) ابن تغري بردي، المنهل،ج٢، ص١٧٦؛ **وخوند مغل بنت ناصر الدين البارزي**، تزوجها الأتابك جقمق، وظلت معه حتى تسلطن فغدت الخوند الكبرى، وصاحبة القاعة، إلى أن طلقها في سنة ٧٥٢هـــ، فنزلت القاهرة،وقد أنجبت للسلطان جقمق بنتاً تزوجها الأمير أزبك بن ططخ الظاهري(انظر ابن تغري بردي، المصدر السابق،ج٤،ص٣١١-٣١٢).

([5]) الذي يجب تأكيده هنا أن هذه الاحتفالات، وخاصة ما يتعلق منها بالاعياد لا أساس له في الشرع الإسلامي الحنيف، باستثناء مناسبتي عيدي الفطر والأضحى.

([6]) أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، ص٢٣٩-٢٤٠.

الاحــتفال بــيوم **عاشوراء**، والذي أحياه المسلمون بمظاهر من البهجة والسرور نكايــة بالشــيعة الذين اتخذوا منه يوم حزن تعطل فيه الأسواق، وبحكم أن الشيعة الإســماعيلية كــانوا مجاورين لحماة وبارين في كلّ من مصياف وحصن الأكراد وغــيرهما، فكــان من البدهي أن يعبر الحمويون عن سرورهم في هذا اليوم أشد وضــوحاً بصــنع الحلوى، وتوزيعها، واتخاذ الأواني الجديدة، والاكتحال وإعمار الحمامات بمرتاديها([1]). كما احتفل الناس بحماة بــ**المولد النبوي** في الثالث عشر من ربيع الأول، والذي تبدأ مراسيمه باستهلال شهر ربيع الأول ويستمر إلى آخر الشــهر، وكذلك من الاحتفالات المبتدعة ليالي الوقود التي يعود تاريخ ابتدائها إلى عهــد الدولــة الفاطمية، وقد استمرت تقام بحماة باعتبارها نوعاً من الاستعدادات المقامــة للترحيــب بشــهر رمضــان، حيث زودت المساجد والجوامع بالوقود، ووضــعت القناديل والشمع حول صحونها، كما يحرق البخور في مجامر الذهب والفضــة، فــي ليالي الوقود الأربعة، وهي ليلة مستهل رجب، وليلة نصفه، وليلة مســتهل شعبان، وليلة نصفه، وكان يتم إحياء تلك الليالي بالأناشيد، وتقدم خلالها سلال الحلوى ، والطعام على الحاضرين([2]).

وإلــى جانب هذا فقد كان للنصارى احتفالاتهم وأعيادهم الخاصة، من ذلك **عــيد الفصــح**،والــذي كان يدوم الاحتفال به في حماة مدة ستة أيام، يبدأ من يوم الخميس، وينتهي بيوم الثلاثاء، وكانت تقام فيه مظاهر احتفالية متميزة، من إعداد أنــواع خاصة من الحلوى تعرف الأقراص والكعك، والعمل على صباغة البيض بعد سلقه بالألوان المختلفة، كما كان للنساء طريقتهن في الاحتفال حيث كنّ ينتقشن بالحــناء، ويلبســن الكســاوي الفاخــرة ابتهاجاً بهذه المناسبة، أما الرجال فكانوا يخــرجون إلــى ضــفاف نهر العاصي لإعداد المراكب ونصب الخيام استعداداً لاســتقبال المحتفلين القادمين ليس من حماة وأعمالها فحسب بل من جميع النيابات الشــامية مــن حلــب وأعمالهــا وبعض أعمال دمشق وبعض أعمال طرابلس،

([1]) عن مظاهر الاحتفال الذي كان يمارسه المسلمين في هذا اليوم (انظر المقريزي، المواعظ والاعتبار،ج١ ص٤٩٠؛ أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، ص٢٤٠).

([2]) أحمد رمضان، المرجع السابق، ص٢٤١.

وبوصـــولهم تبدأ ألوان من الأغاني تصدح على ضفاف العاصي وتمتلئ المراكب بالـــرجال والنساء للرقص، إلى أن يسدل الليل ستاره فينزلون في الخيام للمبيت، ويظلـــون هكـــذا حتى تنقضي الأيام الستة، وإضافة إلى ذلك اليوم فقد كانت حماة تعطل في **يوم نزول الشمس برج الحمل** ابتهاجاً بهذا اليوم، ومن أعياد النصارى التـــي احـــتفل بها أهل حماة **عـــيد الميلاد**، الذي يحيي فيه أهل حماة على مختلف أعمـــارهم وطبقاتهم عشية الأحد ليلة ميلاد المسيح، بإيقاد القناديل فوق الأسطحة، كما كانت توقد البارود النفط ليلتها، وهي أشبه بالألعاب النارية في يومنا الحاضر، وتكون أعظم شأناً في **عيد الختان**، أو الميلاد الصغير، وأيضاً من أعياد النصارى الكبيرة عيد الغطاس ، وهنالك من الأعياد الصغيرة مثل عيد الهيكل، وعيد النور، وأحد الأحود، وعيد التجلي، وعيد الصليب وغيرها من الأعياد([1]).

([1]) ومما تجدر الإشارة إليه أن سكوت أهل حماة ونوابها عن بعض السلوكيات الخاطئة التي تضمنتها أعياد النصارى مـــن اختلاط النساء مع الرجال، كانت مشجعه لأهالي الأقاليم المجاورة لارتياد حماة لإحياء مثل تلك المناسبات(انظر شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٣٦٨-٣٦٩؛ ؛ **عيد الفصح:** اسم عبري لمعنى عبور ، ويعرف عند اليهود بعيد الفطير، أُنشئ في مصر تذكاراً لخروج بني إسرائيل وخلاصهم من فرعون مصر، أما عند النصارى فيعرف بعيد القيامة ، وهو مـــن أعظم أعيادهم ، يزعمون أن فيه كانت قيامة المسيح من قبره من بين الأموات في اليوم الثالث من بعد صلبه في يـــوم الجمعـــة ، ويكون الاحتفال به في يوم الأحد ، الذي يعد البدر الأول من الربيع (انظر المقريزي، تاريخ الأقباط المعـــروف بـــالقول الإبريـــزي، ص٢٣٠-٢٣٣)؛**عيد الميلاد:** وهو اليوم الذي ولد فيه المسيح ، ويزعمون أنه ولد يوم الاثنيـــن، ويحـــتفلون عشية الأحد ليلة الميلاد(انظر شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٣٦٨)؛ **عيد الختان:** يقام في سادس شـــهر" بـــئونه" ويزعمون أن المسيح عليه السلام ختن في هذا اليوم ، هو الثامن من الميلاد(انظر المقريزي، تاريخ الأقـــباط المعروف بالقول الإبريزي، ص٢٣٩)؛ **عيد الغطاس:** ويقام بمصر في الحادي عشر من شهر "طوبه" أصله عـــند النصارى أن يحيى بن زكريا عليهما السلام، المعروف عندهم بيوحنا المعمداني عّمد المسيح أي غسله في بحيرة الأردن "طـــبرية" وعندما خرج المسيح عليه السلام من الماء اتصل به روح القدس، فصار النصارى يغمسون أولادهم فـــي المـــاء وينزلون بهم بأنفسهم ، ولا يكون ذلك إلا في شدة البرد ويسمونه يوم الغطاس، **وعيد الهيكل:** ويسمى عيد الأربعيـــن، يقام في ثامن شهر" أمشير" ويزعمون أن سمعان الكاهن دخل بالمسيح مع أمه بالهيكل وبارك عليه، **وعيد الـــنور:** ويسمى بسبت النور ، ويقام قبل الفصح بيوم ويزعمون فيه أن النور يظهرعلى قبر المسيح في هذا اليوم في كنيسة القيامة فتشتعل مصابيح الكنيسة كلها، ويقام غالباً يوم السبت، **وأحد الأحود:** ويقام بعد الفصح بثمانية أيام ، فيعمل أول أحـــد بعد الفطر لأن الآحاد قبله مشغولة بالصوم ، وفيه يجددون الآلات والأثاث واللباس ويأخذون في المعاملات والأمـــور الدنيوية والمعاش، **وعيد التجلي:** ويقام في ثالث عشر شهر" مسرى" يزعمون فيه أن المسيح تجلى لتلاميذه بعدمـــا رُفـــع وتمـــنوا عليه أن يُحضر لهم إيليا (إَلياء النبي)، وموسى عليهما السلام ، فأحضرهما إليهم بمصلى بيت المقـــدس ، ثـــم صـــعد إلى السماء وتركهم، **وعيد الصليب:** ويكون في سابع عشر من شهر " توت" وهو من الأعياد المحدثـــه، وسببه ظهور الصليب- بزعمهم- على يد هيلانه أم قسطنطين(انظر شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٣٦٨-٣٦٩؛ المقريزي، تاريخ الأقباط المعروف بالقول الإبريزي، ص٢٣٧، ٢٣٩-٢٤٢).

وإضـافةً إلى تلك الاحتفالات فقد شهدت حماة المناسبات الاجتماعية التي كانـت تقـام في دار للأفراح وهو عبارة عن وقف من العصر الأيوبي عند محلة بـاب الجسر لمثل تلك المناسبات، ويتكون من ٣٥ غرفة، فمن أراد الزواج يأخذ مفتاحها من متوليها مدة ثلاثة أيام يعمل فيها ما يريد([١]).

وهـنالك مـن الاحـتفالات ما يتعلق بالمناسبات السياسية مثل الاستقبالات الرسـمية للشخصـيات السياسـية الهامـة والتي على رأسها السلطان ثم النائب الحمـوي، ويلـيه بقـية النواب الشاميين والوفود، وقد جرت العادة عند استقبال السـلطان المملوكـي خروج النائب الحموي إلى دمشق للترحيب به، ثم مصاحبته فـيما تـبقى من الطريق إلى حماة للقيام بخدمته إلى أن يصل إلى الرستن، عندها يـتوقف السلطان للراحة في حين يكمل النائب الحموي سيره إلى حماة للإشراف علـى مجرى الاستعدادات بها من تزيين المدينة، وإعداد السماط والموائد، وعند قـرب السـلطان من حماة يخرج النائب الحموي وفي معيته كبار موظفي النيابة وأعيان البلد والوجهاء ثانية لاستقبال السلطان والترحيب به في حماة، أما إذا كان السلطان راجعاً من حلب إلى دمشق فإن استقبال النائب الحموي له يكون من عند سرمين، فإذا ما وصل المعرة مدّ السماط على شرف السلطان ومن معه من كبار أمـراء السـلطنة([٢])، وأما الأهالي فيكونون في انتظار السلطان المملوكي للفرجة علـى الموكب السلطاني عند دخوله حماة، حيث يدخل إليها وعلى رأسه القبة([٣])، وقـد يعامل بعض كبار القادة العسكريين عند دخولهم حماة بنفس مظاهر الاحتفال التـي يقـابل بهـا السلطان، كما حدث مع الأمير الصارمي إبراهيم ابن السلطان المؤيد شيخ، في سنة ٨٢٢هـ/١٤١٩م([٤])، والأمير يشبك البجاسي في سنة ٨٧٥

([١]) أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٦٢-١٦٣.

([٢]) ابن الجيعان، القول المستظرف في سفر الملك الأشرف، ص٧٥-٧٧؛ انظر أيضاً ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج١، ق٤، ص٣٢٨.

([٣]) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١١.

([٤]) المقريـزي، السـلوك، ج٦، ص٤٩١؛ العيني ، عقد الجمان ، حوادث سنة ٨٢٢هـ، ص٣٤٤؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٤،ص٧٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٢،ص٤٣٨.

هـ/١٤٧١م[١]، أما استقبال النائب الحموي وبقية النواب الشاميين، فكانت تتم عند الرسـتن، ولم يقتصر نصب الزينة على استقبال الشخصيات الهامة ، إنما شملت الانتصارات العسكرية التي كانت تحققها القوات المملوكية على أعدائها في الخارج أو على الخارجين على السلطان في الداخل[٢].

الألبسة:

علـى الـرغم مـن الأثر الذي خلفه التمايز الطبقي، وتعدد الفرق الدينية والمذهبـية، فـي إثراء مجال الألبسة بالأراضي الشامية قاطبة، والتي أشادت بها بعـض المصادر الإسلامية، إلا أن الحديث عن الشكل العام لألبسة الناس في نيابة حمـاة قد شابه نوع من الشحّ والندرة، ولعلّ ذلك يعود إلى التشابه الكبير فيما بين الألبسة في معظم المدن الشامية، وعدم حاجة تلك المصادر لتكرار وصفها، بيد أن مـا فرضته السلطنة على موظفيها من توحيد اللباس الرسمي للبعض، وتخصيصه للبعض الآخر خدم الدراسة في التعرف على الألبسة التي اختصت بها طبقة ذوي السـيوف، وطـبقة القضاة والعلماء، والتي جاءت على النحو التالي: يكون **لباس الـرأس** لأربـاب السيوف الكلوتات ذات الحجم الصغير والمنسوجة من الصوف المصـبوغ بالأحمر،ومن فوقها عمائم صغار[٣]،وفقاً لأوامر السلطان خليل، وقد اسـتمروا علـى ذلك حتى حلق السلطان محمد رأسه بعد أدائه فريضة الحج في أواخـر دولته، فحلقوا رؤسهم اقتداءً به، وفي عهد السلطان شعبان بن حسين زِيْدَ في حجم العمائم عن ما كانت عليه في السابق، وقد اختلفت عمائم القضاة والعلماء عنهم، حيث تكونت من الشاشات الكبيرة الحجم، كما اختص بعضهم بوضع طرح تستر العمامة وتسدل على الظهر[٤]،ولم يقتصر وضع العمائم على تلك الطبقات، وإنمـا ارتداها عامة الأهالي مع اختلاف ألوانها وتنوع خامة صنعها،وقد فرضت

---

(١) محمد دهمان، العراك بين المماليك والعثمانيين الاتراك، ص٧٩.

(٢) أحمد غسان سبانو، مملكة حماة الأيوبية، ص١٦٢.

(٣) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص٩٩.

(٤) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٤، ص٤٠، ٤٢؛ **والشاشات**: مفردها شاش وهو ما يلف حول غطاء الرأس من قماش رقيق(انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص٤٤٩).

السلطنة المملوكية لوناً موحداً لعمائم النصارى في سنة ٧٠٠هـ/١٣٠١م، فخصص لهم العمائم الصفراء([1])، وفي سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م، منعوا من وضع العمائم فوق العشـرة الأذرع، كما قرر عليهم لبس أزر زرقاء اللون، وأن يكون الخف لونين مختلفين كما فرض عليهم وضع الصليب على رقابهم إذا ما دخلوا الحمام([2]).

أمـا لـباس البدن الخارجي للرجال فقد كان مؤلفاً عند أرباب السيوف من ثـلاث قطـع أولهـا الأقبية التترية، وتأتي فوقها التكلاوات ثم يضع عليها القباء الإسلامي، الذي يُشَدُّ بالمنطقة والسيف من جهة اليسار،والصولق والكزلك من جهة اليميـن، وقـد زيد للأمراء والمقدمون وأعيان الجند عليه لبس أقبية فوق السابقة تكون أكمامها أقصر وأوسع من القباء الداخلي([3])، وقد لبس القضاة والعلماء فوق ثيابهم دلقا متسع الأكمام، والطويل منها تكون مفتوحة فوق كتفيه بغير تفريج سابلاً علـى قدمـه، والـبعض الآخر يلبس بدل الدلق فرجية مفرجة من قدامه مزررة بالأزرار من أعلاها إلى أسفلها، كما كانوا يضعون على أكتافهم ذؤابة طويلة تلحق قـربوس سرجه إذا ركب، أو يستبدلونها بالطيلسان، ومما تجدر الإشارة إليه بأنهم اختصوا عن غيرهم بلبس اللون الأبيض حتى إن أرديتهم الشتوية الفوقانية نسجت من الصوف الأبيض، وهم لا يرتدون الملون إلا في بيوتهم([4]).

([1]) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٤٦.

([2]) القرماني، أخبار الدول، مج٢، ص٢٨٧.

([3]) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص٩٩؛ **التكلاوات:** نوع من الملابس التي كان يرتديها الأمراء المماليك لايعرف وصفها بالضبط(انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص٤٢٤)؛**القباء:** نوع من الملابس المملوكـية، وهـي قفطان ضيق الأكمام مثل العباءة والبرنس(انظر محمد دهمان،معجم الألفاظ التاريخية، ص١٢١)؛ **والصـولق:** الجمع صوالق ، وهي عبارة عن حقيبة كبيرة يعلقها المملوك في الجانب الأيمن من حياصته التي يشدها على وسطه ويثبت فيها منديلاً (انظر محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٤٤٤؛ عبد المنعم، نظم دولة المماليك، ج١، ص١٦٢-١٦٣)؛**والكزلك:** لم أجد لها تعريف فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

([4]) القلقشـندي، صبح الأعشى، ج٤، ص٤٢؛ **الدلق:** لفظ فارسي معرب، دوبية تقرب من السمور(انظر محمد قنديل البقلـي، الـتعريف بمصـطلحات صبح الأعشى، ص١٣٧) ؛ **وقربوس:** لم أجد لها تعريف فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

الأمن الداخلي:

حـــرص سلاطين المماليك منذ مولد النظام النيابي بحماة على توفير الاســـتقرار الداخلـــي فيها، وهذا ما أثبتته الدراسة في مطلع فصلها الثالث، حيث أشارت إلى محاولات السلطنة الجادة للحدّ من عسف وظلم النواب، فضلاً عن أن تعيينهم للقضاة على المذاهب الأربعة،شكل دليلاً آخر على سعي سلاطين المماليك لنشـــر العدل بين الأهالي، بإعطائهم الحرية للاحتكام تبعاً لمذهبهم، وعلى الجانب الآخـــر فقـــد حرص أولئك القضاة على القيام بواجبهم الوظيفي والضرب بيد من حديـــد على كلّ من تسوّل له نفسه زعزعة أمن واستقرار النيابة، وهذا ما برهنت عليه أحداث سنة ٧٣٧هـــ/١٣٣٦م، حيث حكم على الحموي الحجار، بالقتل بعد أن ثبتـــت تهمة الزندقة عليه ، وقيامه بنشرها بين الأهالي، فانضم إليه عدد منهم، فضلّ وأضلّ([1]).

وقد تعدّى حرص القضاة على نشر العدل بين الناس وحفظ دمائهم وأموالهم وأعراضـــهم وأفكـــارهم، إلى تسجيل الغرائب من الأمور التي تعرّضت لها نيابة حمـــاة، وإثبات ذلك بأقوال شهود العيان الذين حضروا الواقعة، من ذلك ما حدث فـــي ربيع الأول سنة ٧٠١هـــ/١٣٠١م، عندما أثبت محضر بارين حادثة وقوع برد كبير الحجم جاء على هيئة صور حيوانات مفترسة وطيور وزواحف، فأخطر بذلـــك قاضي حماة الذي بدوره أرسل إلى القاهرة بكتاب يبين الواقعة([2])، وكذلك الحادثـــة التـــي تعرضت لها بارين ذاتها في شعبان سنة ٧٠٦هـــ/١٣٠٧م، والتي

([1]) الذهبي، العبر، ج٤، ص١٠٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص٢٨٥.

([2]) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٤٢٦؛ ورغم أن طابع الأسطورة يغلف هذه المعلومة، إلا أن ذكر ابن كثير لها – وهو المفسر قبل أن يكون مؤرخاً– جعلتنا نثبتها هنا، كما يبدو من هذا مدى اهتمام الناس في نيابة حماة بهذه الأمور الغريبة، والتي غالباً ما تنم عن شعورهم بأن هذا قد يكون نذير غضب من الله جراء ارتكاب بعض المخالفات الشرعية، وحرصهم على محاسبة النفس.

أوردت صــوراً لتغــير شكل التضاريس بها دون إحداث أضرار مادية([١])، ولعل المغــزى مــن ذلك العمل التوثيقي حفظ نيابة حماة من نشر الأكاذيب التي تخدم المنتفعيــن مــن تلك الظواهر، وحماية أهلها من استغلال الدجالين، بالإضافةً إلى إضفاء المصداقية القضائية لنقل صور قدرة الله ﷻ في صنعه دون زيف أوتلفيق.

ومن مساعي دولة المماليك الحثيثة لنشر الأمن والاستقرار في جنبات نيابة حمــاة العمل على محاربة الفساد الخلقي الذي انتشر فيها، والذي يوحي بأن الدولة قد أقرته رسمياً، وذلك بأخذ ضمان مادي عليها، غير أن الإدارة المملوكية عملت علــى إبطــال ذلك الضمان، مما يعني حجب إقرار الدولة الرسمي لممارسة تلك الأعمــال في نيابة حماة، وذلك ما برهنت عليه بعض المراسيم التي صدرت في ذي الحجــة مــن سنة ٧٨٢هـ/مارس ١٤٧٨م، والتي تضمنت أوامر من الأمير برقوق لإبطال ضمان المغاني بحماة([٢]).

الصحة والنظافة العامة:

وصف الرحالة ابن بطوطة جمال مدينة حماة وعناية أهلها بها بأنها" احدى أمهات الشام الرفيعة، ومدائنها البديعة، ذات الحسن الرائق، والجمال الفائق، تحفها البســاتين والجــنات"([٣])، وقــد زاد ابــن الجيعان على ذلك عند زيارة السلطان الأشرف قايتباي لها بأن "أرضها مرصفه بالحجر الأسود"([٤])، مما يدل على العناية التــي خصصــت لشــوارعها وطرقاتها، أما غرس الدين الظاهري فقد عبر عن نظافــتها بقولــه:" وهي مدينة حسنة الى الغاية"([٥])، ودعم ابن الشحنه رأي سابقيه بأن" حماة مدينة حسنة كثيرة الخيرات نزهة الحنيئات"([٦]).

([١]) الــنويري، نهاية الأرب، ج٣٢، ص١٢٢-١٢٣؛ انظر أيضاً ابن حبيب، تذكرة النبية، ج٢، ص٢٧٤؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٤٠٥.

([٢]) المقريزي، المصدر السابق، ج٥، ص٩٧؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٢، ص١٦.

([٣]) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج١، ص٨٥.

([٤]) ابن الجيعان، القول المستظرف في سفر الملك الأشرف، ص٧٧.

([٥]) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص٤٨.

([٦]) ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٦٨؛ **والحنيئات:** لم أجد لها تعريف فيما توفر لي من مصادر اطلعت عليها.

وقـــد تعـــدّى اهتمام أهل حماة بالنظافة العامة لمدينتهم إلى العناية بتنسيق حدائقهـــا وبســـاتينها،وهذا مـــا عـــبّر عنه العمري بقوله:" وفي بساتينها الأشجارُ والغِـــرسُ المفنَّنُ الأفنان"([1])، وشاطره القلقشندي في الرأي وزاد عليه فقال:"وفي بساتينها الغِرَاسُ الفائق والثمار الغريبة"([2])، كما حظيت أعمال حماة بذات العناية، فهـــذا غـــرس الديـــن الظاهري يشيد بنظافة المعرة في عصره قائلاً:"وهي الآن لطـــيفة"([3])، وإن كانت حماة رصفت بالحجارة السوداء فقد فرشت أرض المعرة بالـــرمل([4])، ولعـــل ذلـــك يعود لكثرة بساتينها، ونظافتها فلم تكن بحاجة لرصفها بالحجر.

وعلى الرغم من النظافة التي تميزت بها حماة إلا أن موقعها في وهدة من الأرض أثر على جوها العام، حيث أصبحت عرضه للارتفاع في درجات الحرارة مع توقف للتيارات الهوائية في فصل الصيف، أما في فصل الخريف فكان يصيبها الوَخَـــمُ([5])، الأمر الذي ترتّب عليه ظهور بعض الأمراض، ناهيك على أنها كانت ســـبباً مباشراً في طول بقاء الأوبئة بحماة، ومن الأمراض التي ظهرت بها والتي كانـــت سبباً في هلاك بعض من أهلها مرض السل([6])، كما عرفت حماة الحميات والأوبئة والتي كان أشدها في خريف سنة ٧٩٤هـ/١٣٩٢م([7])، وكذلك الطاعون الـــذي أصـــاب حماة في سنة ٨١٢هـــ/٠٩-١٤١٠م، فمات على أثره العديد من الـــناس([8])، كمـــا انتشر السعال والنزلات والطاعون في حماة في سنة ٨١٦هـــ/

([1]) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٩٦.

([2]) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٤٠.

([3]) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص٤٩.

([4]) الحميري، الروض المعطار، ص٥٥٥.

([5]) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٩٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص١٤٠؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص٢٦٨؛ **والوَخَمُ**: داء كالباسور (انظر ابن منظور، لسان العرب، ج١٢، ص٦٣٢).

([6]) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص٩٤.

([7]) أبـــو الفداء، المصدر السابق، ج٤، ص١٥٢؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٣٣٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٢٠٣.

([8]) المقريزي، السلوك، ج٦، ص٢٣٠؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٦، ص١٦١.

١٤١٣م([1])، غير أن وباء سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م([2])، كان له أثره في القضاء على كثير من الأطفال لأنهم أضعف مناعة، كما تأثرت حماة بالوباء الذي أصابها خلال سنتي ٨٣١هـ/١٤٢٧م، و سنة ٨٣٣هـ/٢٩-١٤٣٠م، والذي أدى إلى هلاك عدد كبير من الأهالي([3]).

ولم يرد بعد ذلك خبر عن هذا الوباء مما يعطي فرضية جلائه، لبعض الوقت بيد أنه -على ما يبدو- سرعان ما عاد بطريقة أعنف من سابقيه فأصاب الأطفال ومن ثم العبيد ومن بعدهم الأهالي، فكان سبباً لهلاك عدد كبير من أهل حماة في ربيع الأول سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م، فقد" تجاوز عدد من يموت في كل يوم مائة وخمسين إنسانا"([4])، و زادت حدة الوباء في جمادى الأولى" حتى تجاوز عدّة من يموت بها على الثلاثمائة إنسان، وما عهد قبل ذلك بحماة في الموت من هذه الأزمنة"([5]).

والواقع أن وجود البيمارستان النوري بحماة، والذي حرص سلاطين الأيوبيين ومن بعدهم المماليك على تطويره، قد ساهم بشكل واضح في علاج المرضى ومواجهة الأوبئة التي تعرضت لها حماة، وذلك بتطبيب المصابين وإرشاد الناس إلى تفادي حدوث الأوبئة أو الإصابة ببعض الأمراض التي عادة ما تنتشر بين سكان النيابة، ويظهر ذلك جلياً من خلال عمل النواب باعتبارهم مراقبين لعملية تنظيم صرف إيراد أوقاف البيمارستان في الأوجه المستحقة لها، ومنع التلاعب في تلك الإيرادات، وهذا ما حدث في سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م، عندما أمر النائب الحموي الأمير يخشباي" بإبطال ما كان يؤخذ من البيمارستان بغير طريقة، وأن وقفه يصرف على ما وقفه الواقف على السكر والأشربة وذلك بأمر السيفي"، كما كان للسلطة العليا في حماة لفتة كريمة بالتبرع للبيمارستان النوري

([1]) ابن حجر، المصدر السابق، ج٧، ص١١٤.

([2])المقريزي، السلوك، ج٧، ص٥٧؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٢٥-٢٦.

([3]) المقريزي، السلوك، ج٧، ص ١٧٠، ٢٠٨، ٢١٣.

([4]) المقريزي، السلوك، ج٧، ص٣٤٣؛ انظر أيضاً الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٣٩٨، ٤٠٣.

([5]) ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٥، ص١٦.

في محاولة منها -على ما يبدو- لتخفيف العبء المادي عن البيمارستان، والشاهد على ذلك الحجارة الموجودة بالجانب الغربي من أعلى البنيان للبيمارستان النوري والمكتوب فيها" لما كان بتاريخ الشهر المحرم سنة ثلاث وثمانمائة حضر الجناب العالي السيفي المارستان النوري بحماة المحروسة داود بن المقر السيفي درداس الخاصكي كافل المملكة الحموية أعز الله أنصاره وتبرع بمعلومه على الضعفاء المقيمين به وهو في كل شهر مائة درهم لاغتنام الأجر والدعاء اهـ"([١]).

ومن الجدير بالذكر أن على كثرة الأوبئة التي أصابت حماة فإن المعرة كانت في مأمنٍ منها وهذا ما أشادت به بعض المصادر الإسلامية([٢])، وهو يعطي انطباعاً عاماً عن النظافة التي تميزت بها تلك البلدة، إضافةً لتوفر عوامل أخرى من عوامل الوقاية من العدوى، ألا وهي تخصيص استخدام مصادر المياه لكلّ أسره باعتمادهم على الصهاريج التي تجمع فيه مياه الأمطار، على خلاف حماة التي شكّل مرور نهر العاصي بها سبباً آخر لنشر الأمراض فيها، كما ساعد فرش أرض المعرة بالرمل في امتصاص مياه الأمطار، فحماها من تكوين المستنقعات المائية وتجمع بؤر للبعوض.

الحياة العلمية:

العلوم الشرعية:

شهدت نيابة حماة نشاطاً علمياً واسع النطاق في جميع فروع الشريعة الإسلامية، وذلك نتاج الدور الذي لعبته المؤسسات التعليمية في نشر علوم الشريعة الإسلامية، والشغف الذي أولته الأسر الحموية لتدريس أبنائها القرآن الكريم وما يعقبه من تدرج في التحصيل العلمي في بقية العلوم الشرعية، والحوافز التي يترتب عليها التخصص في تلك العلوم، من الحصول على وضع اجتماعي مرموق

([١]) محمد كرد على، خطط الشام، ج٦، ص١٦١-١٦٢.

([٢]) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١٥٢؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٣٣٩؛ ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص١٩٧.

وتعدد المجالات الوظيفية لعلماء الشريعة في الدولة المملوكية، إضافةً إلى ذلك فإن فتح النيابة أبوابها لاستقبال العلماء الوافدين إليها، عمل على إثراء الجانب العلمي في حماة.غير أن سيطرة بعض الطرق الصوفية وعلى وجه التحديد الطريقة القادرية على الناحية العلمية، كانت لها نتائجها السلبية، حيث غدا لبس الخرقة القادرية أعلى شهادة علمية يحصل عليها طالب العلم، وهذا ما برهنت عليه العناية الخاصة التي أولّها بعض المؤرخين لمن يتم إلباسهم تلك الخرق وبيد مَن مِنْ مشايخ الطريقة([١]).

أما عن علماء حماة الذين فضّلهم الله ﷻ بهذا العلم فمنهم:

-عماد الدين أحمد بن شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي الصالحي:

الذي ولد سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م، وسمع من عدد من الشيوخ ، فأجازوا له، وحدّث في الحجاز وحماة ودمشق ، عرف بالمسند ، وكانت وفاته المحرم سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م([٢]).

-عز الدين عبد العزيز بن محي الدين محمد الحموي الشهير بابن العديم:

أحد المحدثين البارزين بحماة، أسندت إليه مهام قضائها، وكانت وفاته بحماة في ربيع الأول سنة ٧١١هـ/١٣١١م([٣]).

-كمال الدين إسماعيل بن محمدبن سعدالله السعدي ابن الفقاعي الحموي:

فقيه حموي، ولد في رجب سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م، واشتهر بمعرفته بالقراءات وحسن الأداء في القراءة وخبرته بالتجويد، عمل خطيباً بحصن صهيون، كانت وفاته في جمادى الأولى سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م([٤]).

([١]) الحنبلي، تاريخ أعيان حلب، ورقة ١٤٦/أ-ب، ١٥٨/ب.

([٢])الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات سنة ٧٠٠هـ، ص٤٦٨-٤٦٩؛ الصفدي، أعيان النصر، ج١، ص٣٢٦-٣٢٧؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٢، ص٨٤؛ العيني، عقد الجمان، ج٤، ص١٤٨-١٤٩.

([٣]) الذهبي، العبر ، ج٤، ص٢٨؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص١٧٠.

([٤]) تقى الدين بن عبد القادر التميمي الداري،الطبقات السنية،ج٢،ص٢٠٤-٢٠٥؛ السيوطي،بغية الوعاة،ج١،ص٤٥٤.

-صـــلاح الديـــن بـــن عز الدين محمد بن بدر الدين عبد اللطيف العبدي الحموي الشهير بابن المغيزل:

ولد سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م، سمع من عدد من الشيوخ، فاق أقرانه في الفقه، أفــتى ودرس واشــتغل في التصنيف ، عمل خطيباً بجامع حماة، كانت وفاته في جمادى الآخرة سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م([1]).

– معين الدين أبو بكر بن بدر الدين محمد بن عبد الطيف ابن المغيزل:

ولـــد فـــي حماة سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٣م، وتلقى بها العلوم الشرعية على يد علمائهـــا، عمـــل خطيـــباً بجـــامع حمـــاة، كما درس وروى، ثم رحل إلى الديار المصـــرية، فأقـــام بها مدة، ثم عاد إلى دمشق ليباشر التدريس بالمدرسة التقوية، وصـــفه ابـــن حبيب بأنه" كان إماما عالما فاضلا،حسن الهيئة جليل القدر؛ فصيحا بليغا،رئيسا كبيرا،رحل وحصل"([2])، كانت وفاته بدمشق سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م([3]).

– فخر الدين عثمان بن كمال الدين محمد بن عبد الرحيم ابن البارزي:

ولـــد في ذي الحجة سنة ٦٦٨هـ/١٢٧٠م، أخذ العلوم الشرعية عن جده، وعدد من علماء بلده، ناب في قضائها، تولى قضاء حمص، ثم خطابة جامع حماة ، وأخـــيراً قضـــاء حلب،حجّ عدة مرات، شرح الحاوي في ستة مجلدات، وحدث بمسند الشافعي، توفي بحلب في صفر سنة ٧٣٠هـ /١٣٢٩م([4]).

([1]) ذكـــر البعض أن ولادة الشيخ يوسف كانت سنة ٦٦٨هـ،ولعل الراجح ما ذكر في المتن لكون البعض الأخر حدد عمر الشيخ عند وفاته بإحدى وأربعين سنة(انظر ابن حبيب، درة الأسلاك،ج٢،ورقة ١٨٥/ب، ابن حجر،الدرر الكامنة ، ج٥، ص٢٤٥؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه،ج٢،ص١٠٥؛ العبادي، ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين، ج٣، ص١٩٥-١٩٦).

([2]) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص١٤٨.

([3]) ابن حبيب، درة الأسلاك،ج٢، ورقة ٢٠١/ب.

([4]) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١٠٠؛ انظر أيضاً النويري، نهاية الأرب، ج٣٣، ص٣١٧؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٨٣؛ العبادي، ذيل طبقات فقهاء الشافعيين ، ج٣، ص١٨٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦، ص٢٥٧.

- زين الدين يوسف بن محمد النصيبي الحلبي:

ولـد في رمضان سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م، سمع من عدة شيوخ بحماة، من تلامذته عبد القادر المقريزي، وعبد الرحمن بن محمد العبلي، كانت وفاة في ربيع الآخر سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣١م(١).

- يوسف بن محمد بن مظفر بن هبة الله التنوخي الحموي:

بـرع فـي العلوم الشرعية من الفقه والأصول، واللغة العربية من النحو ونظم الشعر، عمل مفتياً بحماة وخطيباً بجامعها الكبير(٢).

- بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله الكناني الحموي الشهير بابن جماعة:

ولـد بحماة سنة ١٢٤١/٦٣٩(٣)، تتلمذ على يد عدد من علمائها، ثم انتقل إلـى دمشق ومنها إلى القاهرة لتحصيل العلم، أجاز لـه عدد كبير من العلماء بعد أن شـهدوا براعـته فـي العلـوم الشرعية واللغة العربية(٤)، تقلد عدة وظائف حكومـية(٥)، ثم عكف على التدريس في آخر عمره بعد أن عمي(٦)، كانت وفاته بمصر في جمادى الأولى سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م(٧)، ومن نظمه:

---

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٥، ص٢٤٨.

(٢) يُعد من العلماء الذين تضارب الأقوال حول تاريخ ولادتهم ووفاتهم، حيث ذكر ابن حجر بأنه ولد في سنة ٦٦٧هـ/ ١٢٦٩-٨م، وتوفي في سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م، في حين أورد العبادي بأنه ولد في سنة ٦٦٩هـ/١٢٧١-٠م، وأن وفاته كانت في سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٦م(انظر ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج٥، ص٢٤٩؛ العبادي، ذيل طبقات فقهاء الشافعية، ج٣، ص١٧٦).

(٣) العبادي، ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين، ج٣، ص٢٠٠-٢٠١؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، ج١، ص٣٨٦؛ ابن فهد المكي، لحظ الألحاظ بذيل الحفاظ، ص٧٣-٧٤.

(٤) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢، ورقة ٢٣٦/ب؛ الذهبي، العبر، ج٤، ص٩٦؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ٢٣٦.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٥٨٢-٥٨٣؛ العبادي، ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين، ج٣، ص٢٠١؛ الأسنوي، طبقات الشافعية، ج١، ص٣٨٦-٣٨٧.

(٦) الذهبي، العبر ، ج٤، ص٩٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٧) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٢، ص١٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٤، ص٥٨٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص ٢٧٣-٢٧٤؛ ابن فهد المكي، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ،ص٧٤.

لم أطلبِ العلمَ للدنيا التي اتفقتْ　　من المنــاصبِ أو للجاهِ والحالِ
لكنْ متابعة الأســلافِ فيه كما　　كانوا فقدر ما قد كانَ من الحالِ([1]).

- تاج الدين أحمد بن المحدث إدريس بن محمد بن مريزالتنوخي الحموي

ســمع من عدة علماء في حماة ودمشق، وأجاز له البعض، كانت وفاته في سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م([2]).

- ناصر الدين محمد بن طغريل بن عبد الله الصيرفي الخوارزمي:

ســمع من علماء حماة، وحدّث فيها([3])، كانت لــه رحلات عدّة إلى البلاد الشمالية للتدريس([4])، توفي بحماة في ربيع الأول سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٦ م([5]).

- بدر الدين محمد بن قاضي بارين الشافعي:

تتلمذ على يد شرف الدين القاضي ابن البارزي، عمل بالإفتاء، وسافر إلى اليمن، كانت وفاته في شوال سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٨م([6]).

- سري الدين هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم ابن البارزي:

عمــل فــي قضاء حماه حتى كف بصره، فتفرغ عندها للعلوم والكتابة،من مصنفاته (توثيق عرى الإيمان في تفضل حبيب الرحمن)، (السرعة في قراءات الســبعة)، (الدراية لأحكام الرعاية للمحاسبي)، كما كتب في التفسير مصنفاً يتألف مــن اثنى عشر مجلداً أسماه(روضات جنان المحببين)، ومصنف آخر يتألف من مجلديــن أسماه(البستان في تفسير القرآن)، ولــه كذلك في الحديث عدة مصنفات

([1]) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص٢٣٦.

([2]) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢، ورقة ٢٣٧/ب؛ الذهبي، العبر، ج٤، ص٩٧.

([3]) الذهبي، العبر، ج٤، ص١٠٧.

([4]) تقي الدين السلامي، الوفيات، ج١، ص١٤٢.

([5]) الذهبي، العبر، ج٤، ص١٠٧؛ تقي الدين السلامي، الوفيات، ج١، ص١٤٢.

([6]) ابن الوري، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٣٠٨.

منها(الوفا في أحاديث المصطفى)، و(المجتبى مختصر جامع الأصول)، و(المجرد من المسند)، وغيرها من التصنيفات([1])، كانت وفاته في ذي القعدة سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٨م([2]).

– **إبراهيم بن عيسى بن عبد السلام :**

من علماء المعرة، برع في بعض فروع العلوم الشرعية كالقراءات والتفسير، ويبدو أنه كان مولعاً بجمع الكتب التي أوقفها على الزوايا، وبعض الأماكن، اشتهر بالزهد وكثرة العبادة، كانت وفاته في شهر رجب سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م([3]).

– **زين الدين عبد الرحمن بن هبة الله المعري:**

عالمٌ من علماء المعرة، برع في علوم الشريعة كالقراءات والفقه والحديث، وكان يعرف بإمام الزجاجية، توفي في ذي القعدة سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٩م([4]).

– **شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم البارزي الحموي:**

ولد في شوال سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٦م، تقلد عدة وظائف حكومية منها وزارة حماة، ونظر الأوقاف بدمشق، كانت وفاته في شوال سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م([5]).

– **الشيخ شرف الدين يوسف بن عثمان بن محمد الأعزازي:**

سكن بارين، ويعد من علمائها البارزين، تتلمذ على يديه عدد من طلاب العلم، وكانت وفاته في سنة ٧٦٠هـ/١٣٥٩م([6]).

([1]) ابن الوردي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٠٩-٣١٠.

([2]) الذهبي، العبر، ج٤، ص١١٠؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٣١٠.

([3]) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١٢٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٣١٤.

([4]) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١٥٤.

([5]) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص١٩٠؛ تقي الدين السلامي، الوفيات، ج٢، ص١٧٤-١٧٥.

([6]) ابن حجر ، الدرر الكامنة، ج٥، ص٢٤٠.

- زين الدين عمر بن عيسى بن عمر الباريني الشافعي:

ولـــد ببارين سنة ٧٠١هـ/١٣٠١-١٣٠٢م، تلقى العلوم الشرعية بحماة على يــد علمائهـــا، ثم انتقل إلى حلب في سعيه لنشر العلم خارج نطاق بلده، درّس في عـــدد من المدارس، ولـــه مصنفات في الفرائض والعربية، كانت وفاته في شوال سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م(١).

- عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقي الحنفي :

نـــبغ في العلوم الشرعية واللغة العربية، درّس بحماة، وولي قضاءها توفي في ذي الحجة سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٧م(٢).

- أمين الدين عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقي الحنفي:

ولـــد بحمـــاة قبيل ٧٣٠هـ/١٣٢٩م، وتلقى العلوم الشرعية والعربية فيها، فبرع في الفقه والأصول والقراءات وفي اللغة العربية والأدب، درّس وأفتى بها، ثم تقلد قضاء حماة أكثر من مرة(٣)، من مصنفاته (شرح درر البحار)، و نظم في الفقه قصيدة رائية تشتمل على ألف بيت أطلق عليها"الشرائد"(٤).

- أحمد بن محمد الفيومي الحموي:

قطـــن حماة، وعمل خطيباً في جامع الدهشة، برع في الفقه واللغة العربية، من مصنفاته (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير)، توفي سنة نيف وسبعين وسبعمائة(٥).

---

(١) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٣٩٥.

(٢) السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص١٢٣.

(٣) ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٧ن ص٣٧٨؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج٣، ص١٥١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٤٠٩.

(٤) ابو الفداء زين الدين، تاج التراجم، ص١٩٨-١٩٩.

(٥) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٣١٤؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج١، ص٣٨٩؛ السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص٣٨٩.

- زين الدين عمر بن على بن أبي بكر خطيب طرابلس:

مـــن علماء الحديث الذين كان لهم عناية بضبط الرجال، كانت وفاته بحماة في المحرم سنة ٧٨٤هـــ/١٣٨٢م([1]).

- أحمد بن عبد الرحمن المرداوي الحموي:

ولـــد بمردا سنة ٧١٢هـــ/١٣١٢م، وأخذ علومه من دمشق، ثم حدث بها ، ولـــي قضـــاء حماة، وباشر الإفتاء والتدريس، كانت لـــه محاولات جادة في نظم الشعر والنثر، توفي في سنة ٧٨٧هـــ/١٣٨٥م([2]).

- علاء الدين على بن محمود بن أبي بكر بن المغلي السليماني الحنبلي:

ولـــد بحماة في سنة ٧٧١هـــ/١٣٧٠م([3])، نشأ بها وأتم حفظ القرآن الكريم وهـــو ابن تسع سنين، أخذ علوم الشريعة الإسلامية واللغة العربية من علماء حماة ودمشـــق، فـــبرع فـــي الحديث والفقه والنحو، اشتهر بسرعة حفظه ونبوغه، تقلد قضـــاء عـــدد من المدن منها حماة وحلب والقاهرة، توفي في الأخيرة في المحرم سنة ٨٢٨هـــ /١٤٢٤م([4]).

- نور الدين محمود بن أحمد بن محمد الهمذاني الفيومي الشافعي:

ولد بحماة سنة ٧٥٠هـــ/١٣٤٩م، بعد أن استوطنها والده ، نشأ بها وحفظ القرآن الكريم، و استقى العلوم الشرعية واللغة العربية من علمائها، فبرع في الفقه و الأصول واللغة العربية، أفتى ودرَّس بحماة، وكانت لـــه تصانيف عدة، منها ما جـــاء فـــي مجلـــدات مثل(مختصر القوت للاذرعي) المكون من أربعة مجلدات،

([1]) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٢٥.

([2]) المقريزي، درر العقود الفريدة، ج٢، ص٣٧٠؛ ابن حجر، الدرر الكامنه، ج١، ص١٧٩؛ ومردا:قرية قرب نابلس (انظرياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٥، ص١٠٤).

([3]) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١٢٦-١٢٧؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٢٤.

([4]) المقريزي، السلوك، ج٧، ص١٢٤؛ انظر أيضاً ابن تغري بردي، النجوم، ج١٥، ص١٢٧-١٢٨؛ السخاوي، ذيل رفع الأصر، ص١٩٠؛ االضوء اللامع، ج٦، ص٣٤-٣٦؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٩٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٣١٦.

و(تكملة شرح منهاج النووي) في ثلاثة عشر مجلداً، كما صنّف في النحو(تحرير الحاشية في شرح الكافية لابن مالك)، وفي اللغة(تهذيب الطالع)، توفي بحماة في شوال سنة ٨٣٤هـ/ ١٤٣١م([1]).

– ناصر الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد الحموي الدمشقي:

ولـد بدمشـق فـي المحرم سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م، ونشأ بها وأخذ علوم الشـريعة الإسلامية من علمائها، فبرع في القراءات والحديث، ثم شرع في طلب العلم من عدة مدن، منها بعلبك وحلب ومكة المكرمة، لـه عدة مصنفات، منها ما جُعِـلَ علـى أسفار مثل(جامع الآثار في مولد المختار) ويتألف من ثلاثة أسفار، وكذلـك (توضـيح المشـتبه في أسماء الرجال)، ومنها ما جعل على كراسة مثل (المـورد الصادي في مولد الهادي)، و(اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق) في أقـلّ من كراسة، ومن مصنفاته (منهاج الأصول في معراج الرسول)،و(مجلس فضل يوم عرفة)،و(افتتاح القارئ لصحيح البخاري)، كما كانت لـه عدة أراجيز منها(عقود الدرر في علم الأثر)، وأخرى في الحفاظ، كانت وفاته في ربيع الثاني سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م([2]).

– أحمد بن أبي بكر بن أحمد ابن الرسام الحموي:

ولـد بحماة واستقى علوم الشريعة واللغة العربية من علمائها، ثم انتقل إلى القاهـرة ليسمع من علمائها فأجاز لـه عدد منهم، من مصنفاته (عقد الدرر اللالي فـي فضـل الشـهور والأيام والليالي) ويتألف من أربعة مجلدات،و(المتباينات)، (وتحفة العابد في فضل بناء المساجد)([3])، تقلد القضاء في عدة نيابات شامية أولها حماة ثم طرابلس ثم حلب، كانت وفاته في ذي القعدة سنة ٨٤٤هـ/١٤٤١م([4]).

([1]) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٣٤٢.

([2]) الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص١٩٨-١٩٩.

([3]) عبد الله بن محمد الطريقي، معجم مصنفات الحنابلة، ج٤، ص٣١٩-٣٢٠.

([4]) السخاوي، الضوء اللامع، ج١، ص٢٤٩-٢٥٠.

–عبد الرحيم بن أبي بكر بن محمود الحموي الشافعي الشهير بابن الآدمي:

ولد بحماة في سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦١م، استقى العلم من علمائها، ثم انتقل إلى دمشق للسماع من علمائها ومن بعدها إلى القاهرة، تقلّد عدة وظائف منها خطابة المسجد الأقصى، ثم عكف على الوعظ بالأزهر، فذاع اسمه، كانت وفاته في ذي القعدة سنة ٨٤٨هـ/١٤٤٥م(١).

– ناصر الدين محمد بن أحمد الحموي المشهور بابن المعشوق:

ولد في حماة سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٧م، حفظ القرآن الكريم فيها، وأخذ علوم الشريعة الإسلامية واللغة العربية من علمائها، كانت وفاته في رجب سنة ٨٥١ هـ/١٤٤٧م(٢).

– إبراهيم بن عمر بن إبراهيم السوبني الحموي:

ولد بقرية سوبين من قرى حماة، تلقى علوم الشريعة اللغة العربية من علماء حماة، زار القاهرة عدة مرات، تقلد قضاء عدة مدن منها مكة المكرمة وحلب ودمشق له عدة تصانيف، كانت وفاته في دمشق سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م(٣).

– محمد بن محمد بن مرضي الحموي الشهير بابن المغيزل :

تردّد على القاهرة لتحصيل العلوم والمعارف، كانت وفاته في سنة ٨٦٧ هـ/١٤٦٣م، اشتهر عنه بأنه "كان عظيم الهمة في تحصيل الفوائد والعلم مثابراً على ذلك"(٤).

---

(١) السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٥٩٧؛ الضوء اللامع، ج٤، ص١٧٠؛ التبر المسبوك، ص١٠٦ ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،ج٧، ص٢٦٢.

(٢) السخاوي ، الضوء اللامع، ج ٧، ص١٢٧.

(٣) السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٦٨٣ –٦٨٤؛ الضوء اللامع، ج١، ص١٠٠–١٠١.

(٤) السخاوي ، المصدر السابق،ج٩، ص٢٤٨.

- بـدر الديـن الحسـن بن على بن محمد بن أحمد الحصني الحموي المعروف بابن الصواف:

ولـد بحصن الأكراد في سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م، ونشأ بحماة امتهن التجارة مع حرصه لتحصيل علوم الشريعة الإسلامية من علماء حماة، تردد على القاهرة لسماع علمائها، كانت وفاته في المحرم سنة ٨٦٨هـ/١٤٦٣م([١]).

- سراج الدين عمر بن محمد العيني الحموي النجار:

ولد بحماة في شعبان سنة ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، ونشأ بها حفظ القران الكريم ، وتـتلمذ على يد علمائها سكن في بيت المقدس ثم القاهرة لمدة ثلاثة سنوات، ثم أنتقل لمجاورة البيت الحرام بمكة المكرمة، برع في القراءات فعد من أحد مشايخ الإقراء والقراءات([٢]).

- ناصر الدين محمد بن محمد الجمال المعروف بابن السابق:

ولـد فـي المعرة في ذي القعدة سنة ٨١١هـ/١٤٠٩م، ونشأ بحماة فتتلمذ علـى يد علمائها في فروع الشريعة واللغة العربية ، ثم انتقل إلى القاهرة، كانت وفاتـه فـي رمضان سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٣م، وصفه السخاوي بأنه" ممَّن تميَّز في الفضـائل،مع لطـف العشـرة، وحسن المُحَاضَرَة، ومزيدِ التودّد، والتواضع مع أحـبابه، والرياسة،و الكياسة، والكرم، والفتوة، وكثرةِ الأدب والبهجة، والمتانة لما يحفظـه مـن التاريخ والأدب الذي هو أغزر معارفه، والمحاسن الجمّة، وهو من خواصّ أحبابنا"([٣]).

([١]) السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٧٦١؛ الضوء اللامع، ج٣، ص١١٣؛ ذيل رفع الأصر، ص١٢٣.

([٢]) السخاوي ، الضوء اللامع،ج٦، ص١٢٤.

([٣]) ذكر السخاوي في وجيز الكلام بأنه مغربي المولد ولعل ذلك خطأ مطبعي لأنه ولد في المعرة(انظر وجيز الكلام، ج٢، ص٨٤٣؛ الضوء اللامع، ج٩، ص٣٠٥).

- عبد الرحمن بن الكازروي الحنبلي:

كانت وفاته في سنة ٨٩٥هـ/١٤٩٠م، وصفه ابن العماد الحنبلي بأنه "الامام العلامة المقرئ المحدث كان من أهل ومشايخ القراءة وله سند في الحديث الشريف"([١]).

اللغة العربية:

كان لفروع اللغة العربية نصيبُ وافر من العناية والاهتمام من قبل أهل حماة، الذين حرصوا على تعليم أبنائهم منذ نعومة أظفارهم أصول اللغة العربية مفتاح فهم كتاب الله الكريم وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والتسليم، فنبغ منهم العلماء في اللغة والأدباء والشعراء.

ومما تجدر الإشارة إليه تدخل بعض العوامل التي ساعدت في تخريج حماة لتلك الأعداد من علماء اللغة، فكان منها الجهود المحلية لعلماء حماة في دفع عجلة تعليم اللغة العربية، ودور حركة التوظيف في نقل عدد من علماء اللغة العربية إلى حماة مما كان له أثره الإيجابي على هذا المجال العلمي، كما استقطبت أوابد حماة ونواعيرها ألباب الشعراء الذين تغنوا بجمالها وتنافسوا في وصف مفاتنها حتى أصبحت في موضع تنافس فيه دمشق، فكان مما قيل في ذلك:

والله إن حماة شامة شامكم ... وعروسها بمحاسن متزايده
ودمشقكم بعدارها الثلج فقد ... ولَّت شبيبتها وامست بارده([٢]).

ومن علماء حماة في اللغة العربية:

([١]) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٨، ص١٩.

([٢]) ابن شحنه، الدر المنتخب، ص٢٧٠.

- محمد بن مرشد بن هبة الله المعروف بابن بارين:

ولد بحماة في سنة ٦١٣هـ/١٢١٦م، كانت له مشاركات شعرية، توفي في ربيع الأول سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م([1]).

- سراج الدين عمر بن مسعود الحلبي المعروف بالمحار:

من العلماء المتخصصين في الأدب، كان يطلق عليه صاحب الموشحات المشهورة، كانت وفاته في سنة ٧١١هـ/١٣١١م،ومن نظمه :

لمّا تـألّق بارقٌ مِنْ ثَـغْـرِةِ   جاءتْ جُفوني بالسّحاب المُمْطِرِ
فكأنّ عقْدَ الدَّمعِ حُلَّ قلائدُ الـ   ـعِقْبانِ منه على صِحَاحِ الجَوْهِرِى([2]).

- نور الدين أحمد بن عبد الرحمن بن رواحة الأنصاري الحموي:

ممن كان لـه مشاركات شعرية،توفي بحماة في سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م([3]).

- جمال الدين محمد ابن نباته:

من الشعراء الذين سكنوا حماة طلباً لعطاء الملك المؤيد أبي الفداء إسماعيل، وبعد وفاته حافظ وريثه الملك الأفضل محمد على استمرار جمال الدين محمد في منزلته المرموقة كما كان فرتب لـه الأفضل عطاءً ثابتاً، كانت وفاته في سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م، وقد وصفه الصفدي بـ" الأديب الناظر الناثر"([4]).

- نجم الدين موسى بن على بن محمد الشهير بابن البصيص:

ولد بحماة سنة ٦٥١هـ/١٢٥٣م، تلقى علومه الشرعية واللغة العربية فيها، كانت له مشاركات شعرية، توفي في ذي القعدة سنة ٧١٦هـ/١٣١٧م([5]).

([1]) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٥، ص٢٣.

([2]) ابن تغري بردي، النجوم، ج٩، ص٢٢١.

([3]) الصفدي، الوافي، ج٧، ص٥٦-٥٧؛ للتعرف على مشاركاته الشعرية (انظر ابن القاضي ، درة الحجال، ج١، ص ٢٧-٢٨).

([4]) الصفدي، الوافي، ج١، ص٣١١-٣١٢.

([5]) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٥، ص١٤٧.

- فخر الدين عثمان بن محمد بن عبد الرحيم البارزي الحموي:

ولد سنة ٦٦٨هـ/١٢٧٠م، تلقى العلم على يد جده وعمه وعدد من علماء حمــاة، تقلد مناصب حكومية عدة منها قضاء حمص وخطابة حماة وقضاء حلب، كما عمل مدرساً للعربية ، كانت وفاته في صفر سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م([1]).

- جمال الدين يوسف بن محمد بن مظفر بن هبة الله الحموي :

ممــن كانــت لــه مشاركات في نظم الشعر وكتابة النثر ، توفي عن نيف وستين سنة بحماة، وذلك سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م([2]).

- نجم الدين عمر بن كمال الدين العقيلي الشهير بابن العديم:

ممن اشتهر في معرفة فروع اللغة العربية من خط وأدب وشعر،من نظمه:

قد كانَ نجمُ الدينِ شمساً أشــرقَتْ   بــحماةَ للدَّانــي بها و القاصي

عَدِمتْ ضياءَ ابنِ العديمِ فأنشدَتْ   ماتَ المطيعُ فيا هلاكَ العاصي([3]).

- شهاب الدين أحمد بن عبد الله الشهير بابن المهاجر الحنفي:

ممــن برع في فروع اللغة العربية من نحو وعروض وغيرهما، كما كانت لــــه مشــاركات شــعرية متخصصــة([4])،وصــفه ابن حبيب بأنه" إماماً عالماً فاضــلاً،بارعاً فــي العربــية والأدب،مجــيداً في النظم،ديناًصيناً متوضعاً، حسن الأخلاق والمحاضر، متصدياً لإفادة الطلبة "([5])، كانت وفاته بحماة سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٩٩م([6]).

([1]) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٨٣؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٣، ص٦٣.

([2]) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢، ورقة ٢٣٣/ أ- ب.

([3]) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٩٤-٢٩٥.

([4]) أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١٢٩؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الودي، ج٢، ص٣١٤-٣١٥.

([5]) ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج٢، ص٣٠٦.

([6]) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢، ورقة ٢٦٣/أ ؛ أبو الفداء، المختصر، ج٤، ص١٢٩.

- شمس الدين محمد بن على بن محمد المعروف بابن أبي طرطور:

استوطن حماة بعد دمشق، ذاع صيته في مدح الأكابر والأعيان، كانت وفاته في سنة ٧٦٢هـ/١٣٦١م، ومن نظمه في مدح شخص يدعى يعقوب أشتهر بجماله قوله:

يا مليحاً حازَ وجهاً حسناً	أوردْتَ الصبَّ البكا والحزنا
غلطوا في اسمِكَ إذ نادوا بِهِ	يوسفُ أنتَ ويعقوبُ أنا([1]).

- رضي الدين شعيب بن محمد بن جعفر بن محمد التونسي:

ولد في شعبان سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م، نشأ بحماة، وتتلمذ على يد علمائها في علوم الشريعة واللغة العربية، والحساب، والمنطق، زار القاهرة سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م، ثم عاد إلى حماة، عُدَّ من النحويين البارزين بها، كانت وفاته سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م([2]).

- شهاب الدين أحمد بن يوسف الماريني المعروف بابن خطيب الموصل:

ممن برع في الأدب، توفي بحماة عن عمر يناهز الستين في سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م([3])، من نظمه:

لِيَهْنِكَ ما نلْتَ من منصبٍ	شريفٍ له كنتَ مُستوجبا
وما حسنٌ أنْ تهني بِهِ	و لكن نهي بك المنصب([4])

- سري الدين إسماعيل بن محمد بن هانئ اللخمي الأندلسي:

ممن برز في علم النحو، سكن حماة مدة لتدريس طلبة العلم فيها، ثم انتقل إلى دمشق لتسلم قضاء المالكية بها، ثم عاد إلى حماة ليباشر القضاء فيها، سكن القاهرة بعد عزله، وكانت وفاته في ربيع الآخر سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م([5]).

([1]) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٠، ص٩.

([2]) ابن القاضي ، درة الحجال، ج٣، ص٣١٦؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٤١٦.

([3]) المقريزي، درة العقود الفريدة، ج٢، ص١٥٧؛ ابن تغري بردي، المنهل، ج٢، ص٢٧٣.

([4]) ابن تغري بردي، النجوم، ج١١، ص١١٠.

([5]) المقريزي، درر العقود الفريدة، ج٢، ص٢٦٥-٢٦٦.

- يحي بن محمد بن زكريا بن الخباز العامري الحموي:

كانت وفاته في سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م، وصفه ابن إياس بأنه " من فحول الشعراء"([١]).

- جمال الدين يوسف بن الحسن بن محمد بن الحسن ابن الخطيب المنصوري الحموي:

ولد سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٧م، درس علوم الشريعة الإسلامية واللغة العربية في مدارس حماة ودمشق، حتى"فاق أقرانه في العربية وغيرها من العلوم"([٢])، وغدا مقصداً لطلاب العلم من شتَّى الأقطار ، كانت وفاته بحماة في شوال سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٧م([٣]).

- أبو بكر بن عثمان بن محمد الجبيتي الحموي:

كانت وفاته في ربيع الأول سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م، وصفه ابن حجر بأنه "أحد فضلاء أهل حماة عارف بالعربية حسن المحاضرة"([٤]).

- محمد بن محمد بن سلمان بن عبد الله المروزي الحموي ابن الخراط:

تتلمذ على يد والده ، فنبغ بالشعر وأجاده ، توفي بالطاعون سنة ٨٢٣هـ/ ١٤٣٥م([٥])، من نظمه:

شكونا للمؤيّد سوءَ حالٍ ... وأجريْنا الدموعَ فما تــأَثَّر

فأضحَكَهُ بُكانا إذ بَكينَا ... وأَنزلنَا على كَختا وكَرْكر([٦])

([١]) ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ق٢، ص١١٠.

([٢]) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٦، ص٥١.

([٣]) ابن حجر، المصدر السابق، ج٦، ص٥١؛ انظر أيضاً ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٢١٢-٢١٣.

([٤]) ابن حجر، أنباء الغمر، ج٧، ص٢٣١.

([٥]) ابـن حجـر، نيـل الدرر الكامنة، ص١٤٩-٢٧٥؛السخاوي، الضوء اللامع، ص٩، ص٨٤؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٢٩٢.

([٦]) السخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص٨٣-٨٤.

- محمد بن الشمس الحموي المشهور بابن العيار:

ممـــن مهر في اللغة العربية، فكانت لـــه مشاركات شعرية، توفي في ذي القعدة سنة ٨٢٨هـــ/١٤٢٥م[١].

- أبو بكر بن على بن عبد الله الحموي الأزراري المشهور بابن حجة:

ولـــد بحمـــاة سنة ٧٦٧هـــ/١٣٦٦م، نشأ بها وحفظ القرآن الكريم، وطلب العلم بها[٢]،دخل مجال اللغة العربية بنظم الأزجال،ثم تحول إلى الأدب،ونثر ونظم الشعر،فمدح كبار الأعيان في الدولة المملوكية والأمراء[٣]، من مصنفاته "الحجة في سرقات ابن حجة"[٤]، توفي بحماة في سنة ٨٣٧هـــ/١٤٣٤ م[٥] ، من نظمه:

سِرْنا وليلٌ شعرُهُ يَنْسَدِل وقَـــد غَـــدا بِنَـــومنَـــا مُسْـــفِرا
فقالَ صبحٌ ثغرةُ مُبتسِماً عندَ الصباحِ يَحْمَدُ القومُ السُّرى[٦].

وكذلك:

ناشدتكَ اللهَ يا شيخَ القريضِ ومَنْ شاعتْ مناقِبُهُ في العجمِ والعربِ
محمـــدٌ و أبو بـــكرٍ إذ اجتـــمَعَا من المـــقدّم في عـــلمٍ و أدبٍ[٧]

---

(١) السخاوي، المصدر السابق، ج١٠، ص١٠٥.

(٢) المقريـــزي، السلوك، ج٧، ص٢٧٣؛ درر العقود الفريدة ، ج٢، ص١٩٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٣١٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٢٩٥؛ السخاوي، الذيل التام، ج١، ص٥٨٧؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٧، ص٣٥٣؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص١٦٤.

(٣) ابـــن حجـــر، إنباء الغمر، ج٨، ص٣١٠؛ السخاوي، الضوء اللامع، مج٦، ص٥٣؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٣٥٣.

(٤) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٢٩٦؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص١٦٥.

(٥)المقريـــزي، السلوك، ج٧، ص٢٧٣؛ درر العقود الفريدة ، ج٢، ص١٩٥؛ ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٣١١؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣، ص٢٩٦؛ السخاوي، الذيل التام، ج١، ص٥٨٧؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٧، ص٣٥٤؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص١٦٥.

(٦) ابن حجر، إنباء الغمر، ج٨، ص٣١٠.

(٧) الصيرفي، نزهة النفوس، ج٣،ص ٢٩٥.

- تقي الدين أبو بكر بن على بن عبد الله المشهور بابن حجة:

ولد بحماة في سنة ٧٦٧هـ/٦٤-١٣٦٥، تلقى العلوم الشريعة ببلده، برع فـــي نظم الشعر وكتابة النثر، توفي في شعبان سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٤م([1])، ووصف بأنه كان" فاضلاً في فنون الأدب والإنشاء"([2])، من نظمه:

في سُوَيْدا مقيلة الحبّ نادى جفنهُ	وهو يقنصُ الأســد صيدا
لا تقولوا مَا في السُّــويدا رجالٌ	فأنا اليومَ من رجالِ السُّوَيْدا([3]).

- عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن عبد الله المروزي بابن الخراط:

ولـــد بحماة سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م، نشأ بحلب، وأخذ من والده وغيره من علمـــاء حلب علوم الشريعة واللغة العربية، اشتهر عنه كثرة مدحه لأعيان حلب، تقلّـد عدة وظائف منها كتابة السر بطرابلس، وكتابة الإنشاء بالديار المصرية([4])، من نظمه:

من قال أنا فقيه بشر لقد فشر	عندي جلود بلا ورق
كتـــب عتـــق مـــن درســـها	قلبي احترق بنار فكر([5]).

كمـــا نظم قصيدة يمدح فيها السلطان برسباي بُعيد نجاحه في السيطرة على جزيـــرة قـــبرص، وأسره لملكها جانوس، كانت وفاته في المحرم سنة ٨٤٠ هـ/ ١٤٢٦م([6]).

([1]) ابـــن حجـــر، إنـــباء الغمر، ج٨، ص٣١٠؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٢، ص٨١٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج١١، ص٥٣.

([2]) ابن شاهين الظاهري، نيل الأمل، ج٢، ق٤، ص٣٥٤-٣٥٥.

([3]) الســـخاوي، وجـــيز الكلام، ج٢، ص٥٣٣؛ **والسويدا**: لعل المقصود بها قرية بحوران من ضواحي دمشق (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص٢٨٦).

([4]) ابـــن حجـــر، إنباء الغمر، ج٨، ص٤٣٨؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص١٣٠؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٣٦٩.

([5]) السخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص١٣٠.

([6]) السخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص١٣١؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٣٦٩.

- **كمال الدين محمد بن محمد بن عثمان الشهير بابن البارزي:**

ولد بحماة في سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٤م، ونشأ في كنف والده فحفظ القرآن الكريم، وتلقى علوم الشريعة واللغة العربية بها، ثم انتقل إلى الديار المصرية مع والده سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، ولم يطل مقامه بها حيث عاد إلى حماة ليكمل تحصيله العلمي، وفي سنة ٨١٥ هـ/١٤١٢م، توجه مع والده مرة أخرى إلى الديار المصرية، فتتلمذ على يد علمائها، وبرع في الفقه والأصول والبيان والمعاني وغيرها من فروع اللغة العربية، تقلد عدة وظائف حكومية في مصر وبلاد الشام([١])، وصفه ابن تغري بردي بأنه" كان من محاسن الدنيا علماً وفضلاً وكرماً وسؤدداً وسياسية وتواضعاً وحلماً"([٢])، وأشاد به في موضع آخر فقال:"وهو أعظم من رأينا وأدركنا ولله الحمد والمنة على إدراكنا لمثل هذا الرجل الذي مات ولم يخلف بعده مثله"([٣])، كانت وفاته في سنة ٨٥٦هـ/١٤٥٢م([٤]).

وإذا ما انتقلنا إلى الحديث عن **العلوم الاجتماعية**، فإن الأمر يكاد ينصب على مؤرخ حماة وجغرافيها الملك المؤيد أبو الفداء إسماعيل التقوي الذي يمكن أن يقال عنه بأن موسوعة حماة في ذلك الوقت، حيث وصفه البعض بأنه "كان جامعاً لأشتات العلوم أعجوبة من أعاجيب الدنيا ماهراً في الفقه والتفسير والأصلين والنحو وعلم اليقين والفلسفة والمنطق والطب والعروض والتاريخ وغير ذلك من العلوم شاعراً ماهراً كريماً إلى الغاية، صنف في كل علم تصنيفاً أو تصانيف"([٥]).

([١]) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص٣٨٦-٣٨٧؛ النجوم، ج١٦، ص١٣-١٧؛ انظر أيضاً السخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص٢٣٦-٢٣٧؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٤٢٥.

([٢]) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص٣٨٨.

([٣]) ابن تغري بردي، النجوم، ج١٦، ص١٧.

([٤]) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج٢، ص٣٨٨؛ النجوم، ج١٦، ص١٧؛ انظر أيضاً السخاوي، الضوء اللامع، ج٩، ص٢٣٧؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٤٢٥.

([٥]) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٢٦٤؛ للوقوف على أقوال العلماء عنه(انظر ابن حجر، الدرر الكامنة،ج١، ص٣٩٨؛ الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٢٨).

مــن مصــنفاته فــي الجغرافيا كتاب تقويم البلدان([1])، والعروض والأطوال على الــبلدان([2])، فــي مجلد واحد، وفي التاريخ([3]) كتاب المختصر في أخبار البشر، وغيرها من المصنفات.

وممن برع في مجال العلوم الاجتماعية:

- فرج بن محمد بن الزين بن الأمير ناصر الدين الحموي ابن السابق:

ولد بحماة في شوال سنة ٨١٣هـ/ ١٤١١م، وتلقــى بهــا علوم الشريعة واللغــة العربــية فيها، بعد أن حفظ القران الكريم، تقلد عدة وظائف حكومية منها كــتابة ســر حمــاة وقضــاء الشافعية، وكانت لــه زيارات متكررة للقاهرة، من مصــنفاته فــي التاريخ كتاب بلوغ الطالب مناه من أخبار حماة، وعمل كذلك ذيلاً لتاريخ المؤيد صاحب حماة، كانت وفاته في ربيع الأول سنة ٨٩٦هـ/ ١٤٦٤م، وقــد وصفه السخاوي بأنه" إنسان سليم الفطرة محب في الحديث وأهله راغب في مطالعة التاريخ والأدبيات"([4]).

العلوم التطبيقية:

أولــى أهــل حمــاة العلوم التطبيقية عناية فائقة في شتى فروعها غير أن تركــيزهم في ذلك المجال بدا واضحاً في الطب والصيدلة، وذلك يعود إلى وجود أحــد أكبر مراكز العلاج في بلاد الشام بها، وهو البيمارستان النوري الذي شهد تطــوراً ملحوظــاً خــلال العصر الأيوبي، ثم المملوكي حتى غدا منشأة معمارية متمــيزة فــي حماة، والذي لم يقتصر دوره على التطبيب بل تعداه إلى أن أصبح مركزاً لتعليم الطب بحماة خاصة وبلاد الشام عامة، و كانت الدراسة فيه تقوم على أســاس تقسيم الطلبة إلى فرق، تختصّ كل فرقة منها بمجال طبي معين، فمنها ما

([1]) الذهبي، العبر،ج٤،ص٩٢؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج٢، ص٢٨٧؛ الكتبي،فوات الوفيات، ج١، ص٢٩.

([2]) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٢٦٤.

([3]) الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٢٩؛ لبن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص٢٦٤.

([4]) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٧٠.

كـــان يركز على دراسة الأمراض الطبائعية(الباطنية)، وأخرى تخصصها التجبير (العظـــام)، وثالـــثة تعرف بالكحالة(علاج أمراض العيون)، ورابعة تدرس مجال الجـــراحة، كمـــا كانـــت هـــنالك فرقة مختصة بتعلم الصيدلة، حيث عنيت بكيفية تحضـــير العقاقـــير وطـــبخها وعمل المراهم والمعاجين وغيرها من الأدوية التي عرفت في ذلك العصر([1])، ومن المؤسف بأن المعلومات المتعلقة بمن تولوا مهمة الـــتدريس والتطبيـــب في ذلك البيمارستان كانت قليلة أو شبه معدومة فيما توفر للدراسة من مصادر.

أما عن أبرز العلماء الذين اشتهروا في مجال العلوم التطبيقية إضافة للملك المؤيد أبي الفداء، فمنهم:

- أميـــن الديـــن عـــبد الرحمـــن بن عمر بن محمد السيواس المعروف بالابهري:

من العلماء الذين حازوا منزلةً رفيعة بحماة في عهد الملك المؤيد إسماعيل، فأثرى المكتبة الحموية بمصنفاته، غير أنه انتقل إلى حلب بعد وفاة ملك حماة فظل بها إلى أن عاجلته المنية عن ثمان وأربعين سنة في عام ٧٣٣هـــ/١٣٣٣م، وصفه ابـــن حبيـــب بأنـــه" في الرياضيات ماهر في الطب والفلكيات بارع في المساحة والحساب مزيد"([2]).

- شهاب الدين أحمد بن عمر بن محمد الحموي الشهير بابن أبي الرضا:

تلقى علومه الشرعية بحماة،ثم انتقل للسماع من علماء دمشق والقاهرة جمع إلى جانب براعته في العلوم الشرعية وكتابة عدة مصنفات بها، معرفةً بالطب وطرق العلاج أو ما يمكن أن يسمى بالصيدله، كانت وفاته في حلب، ثم نقل جثمانه إلى حماة، حيث دفن في ذي القعدة سنة ٧٩١هـــ/١٣٨٩م([3]).

([1]) غرس الدين الظاهري، زبدة كشف الممالك، ص٤٥؛ يوسف درويش غوانمه، تاريخ نيابة القدس، ص١٣٢.

([2]) ابن حبيب، درة الأسلاك، ج٢، ورقة ٢٣٨/ب- ٢٣٩/أ.

([3]) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٧، ص٦٢.

الخاتمة

وأهم نتائج البحث

بحمـــد الله وتوفـــيقه، انتهى موضوع البحث الذي قام بدراسة شاملة **لنيابة حماة في عصر سلاطين المماليك** منذ نهاية القرن السابع حتى النصف الأول من القرن العاشر الهجري(**دراسة تاريخية حضارية**)، وقد أوضحت الدراسة الكثير من الحقـــائق أهمهـــا دور نـــيابة حماة في قلب موازين القوى داخل وخارج السلطنة المملوكـــية، وأن كونها نيابة داخلية لم يحُل دون تسييرها لدفة الحوادث، وحسمها للكثـــير مـــن الوقـــائع السياسية و العسكرية لصالح دولة المماليك أو العكس، كما أفـــادت الدراســـة مـــن خلال وضع الإطار العام لطبيعة التقسيمات الإدارية التي شـــهدتها الـــبلاد الشامية في عهد سلطنة المماليك انضمام نيابة بيت المقدس لهيئة التقســـيمات الإدارية، فغدا ترتيب النيابات كالتالي نيابة دمشق ثم حلب ثم حماة ثم صفد ثم طرابلس ثم الكرك ثم غزة، وأخيراً نيابة بيت المقدس.

وقـــد حـــددت الدراســـة المهـــام السياسية والعسكرية التي خطتها السلطنة المملوكـــية لحمـــاة بقصـــد الحفـــاظ على الأمن الإقليمي لبلاد الشام، إضافة إلى مشاركتها العسكرية في العمليات الجهادية التي خاضتها السلطنة في شتى الميادين ســـواءً البحرية أو البرية، ومن أجل ذلك فقد حرص بعض سلاطين المماليك على عـــدم المساس بنظامها الملكي التقوي، غير أن عجز الكيان الملكي المتداعي في حماة عن الوفاء بالتزاماته السياسية والعسكرية للسلطنة بسبب الصراعات الأسرية على عرش المملكة التقوية، وانعكاس ذلك على أمن المنطقة دفع دولة المماليك إلى تحويل الحكم الملكي في حماة إلى نظام نيابي، يخضع بشكل مباشر لسلطة الأبواب السلطانية في القاهرة.

كما أثبتت الدراسة من خلال تعامل الملك التقوي مع السلطان المملوكي بأن الملكـــية التـــي وهبـــت لأبي الفداء إسماعيل كانت صورية الشكل لا تمُت لحرية التصرف واســـتقلالية الحكم بصله، وكانت الأدلة على ذلك كثيرة منها عدم قدرته علـــى اســـتخدام الصلاحيات العسكرية والإدارية التي أُعطيت لـــه دون مراجعة

السلطان المملوكي وأخذ الأذن منه، شأنه في ذلك شأن بقية النواب في بلاد الشام، وكذلك التقادِيم التي كان عليه دفعها كل سنة للأبواب السلطانية في القاهرة، وإضافةً إلى التزامه العسكري لمشاركة القوات الحموية في العمليات العسكرية، وعدم انفصالها عن القوات المملوكية إلا بإذن مسبق من السلطان، ناهيك عن كونها ملكية مدعومة بسلطة الناصر محمد بدليل أنها لم تتمكن من الصمود عشية وفاته، حيث تحولت إلى نيابة، أُثبت اقتصار أعمالها على معرة النعمان وبارين، دون إلحاق سلمية ومصياف لها.

وقد أثبتت الدراسة إدراك سلاطين المماليك للدور المهم الذي لعبه موقع نيابة حماة في استراتيجيات الدفاع عن الأراضي الشامية، ومن أجل ذلك عملوا على تعزيز قوة حماة العسكرية عند اشتعال نار الأزمات السياسية بين السلطنة وإيلخانات فارس والعراق، وذلك بتقليدها لشخصيات عسكرية رائده في المجال الحربي، وقد أثبتت نيابة حماة بتلك الكفاءات العسكرية جدارتها في الصمود أمام القوات المغولية، فضلاً عن كونها وفَّرت غطاءً عسكرياً وملاذاً آمناً للقوات الحلبية عند عجزها عن صدّ هجمات المغول عليها.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال، أنّ القرار الغازاني الذي أعلن عقب انتصار القان المغولي غازان على المماليك سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م، والقاضي بتعيين الأمير بكتمر السلحدار نائباً على حماة، كان صورياً متمماً لبهرجة الانتصار المغولي، بدليل أن المصادر التاريخية لم تسجل دخول حامية مغولية لحماة في تلك المرحلة، وجاء على النقيض تدوين بعض المصادر للاضطرابات التي مرت بها نيابة حماة من تغلب عثمان السبيتاري على القلعة وإعلان تملكه لحماة وتلقبه بالملك الرحيم، فكان ذلك مؤيداً لعدم سيطرة الأمير بكتمر السلحدار النائب المعين من قبل دولة إيلخانات فارس والعراق على المناطق الداخلية لبلاد الشام والتي شملت حماة.

كما أثبتت الدراسة نجاح الجهود العسكرية التي بذلتها نيابة حماة، لإضعاف قوة مملكة أرمينية الصغرى، وتجريدها من أهم مواقعها العسكرية، وقد توجت تلك الجهـود بسـقوط المملكة الصليبية على يد نائب حلب، وكذلك أفادت بحتمية ضخ نـيابة حمـاة لأعداد من العساكر والمتطوعين المجاهدين إنفاذاً للأوامر السلطانية لاسـترداد جزر البحر المتوسط كأرواد وقبرص ورودس، وفيما يتعلق بالحملات التأديبية التي شنتها السلطنة المملوكية ضد الإمارات التركمانية، فقد أثبتت الدراسة الـدور الـبارز لنـيابة حماة في تلك العمليات العسكرية، والتي بدا واضحاً فيها الارتـباط الوثـيق بين تنامي قوة تلك الإمارات وضعف السلطنة المملوكية، كما تمكنـت الدراسة من التوصُّل للأسباب الخفية التي كانت وراء شن المماليك لتلك الحمـلات التأديبـية، والتـي فـي الغالب ما تبدأ بُعيد ظهور تدخل من قبل تلك الإمـارات في سياسة السلطنة الداخلية ، أو قيامهم بمحاولاتٍ لنشر الفوضى على الحـدود الشـمالية لنيابة حلب، إلى جانب تذبذب بعض تلك الإمارات بين التبعية المملوكـية، أو الخضـوع لسـلطة بعـض الـدول المنافسة للمماليك من مغول وعثمانييـن، كما أوضحت الدراسة جهود عساكر حماة وأهالها في صد الهجمات التيمورية، وإعمالهم للعقل من أجل إبطاء تقدُّم التيموريين نحو دمشق، ودفعهم ثمن ذلك غالياً معنوياً ومادياً.

وبيّنـت الدراسـة أنَّ حركات العصيان الداخلية في نيابة حماة التي ترجع أسـبابها فـي الغالـب إلى ظلم النواب واستبدادهم وسوء استخدامهم لصلاحياتهم الإدارية، أسهمت بشكل مباشر في إضعاف نيابة حماة، ومن ثَمَّ سقوطها في نهاية المطاف، كما أثبتت الدراسة النتائج التي تمخَّضت عن انضمام نائب حماة لنصرة قـادة حركات العصيان العامة في بلاد الشام، للإطاحة بحكم السلاطين و تنصيب غـيرِهم مكانَهُم، أو قلب النظام الإداري في القاهرة بتغيير مواقع كبار الموظفين العسـكريين في الدولة المملوكية، وقد لا حظنا من خلال تتبع دور نيابة حماة في إذكاء نار بعض الثورات، أو القضاء على البعض الآخر، بأن تلك الثورات كانت

معـــول هـــدم أضعفت الدولة المملوكية، ومكّنت أعداءها من التعدّي على حرمة أراضيها.

وقـــد أثبتـــت الدراسة دور نيابة حماة في حسم العمليات العسكرية لصالح دولة المماليك في بدايات صدامها المسلح مع السلطنة العثمانية، الذي نشب بسبب تضـــارب مصالحهم السياسية حول فرض الوصاية على إمارتي بني دلغادر وبني قـــرمان التركمانية، كما كشفت الدراسة النقاب عن حقيقة خيانة نائب حماة الأمير جـــان بـــردي الغزالي لدولة المماليك، والأسباب الخفية من مادية ومعنوية وراء دعمـــه توجُّـــه العثمانيين نحو الشام، وكشفت دوره في إنجاح العمليات العسكرية العثمانية على الأراضي الشامية.

كمـــا أثبتـــت الدراســـة الـــتطور الحضاري الذي شهدته نيابة حماة وأهم المـــنجزات التـــي خلّفـــتها من منشآت معمارية في المجال العسكري أو المدني، ووضـــحت الوضـــع العام للحالة الاقتصادية في نيابة حماة، وما شهدته من رخاء وازدهـــار في فترة من الفترات نتيجة لاهتمام النواب بتطوير المنشآت المائية بها ممـــا أدى إلـــى زيادة المحاصيل الزراعية التي وفرت بالإضافة للموارد الطبيعة خامـــات للصناعات الحموية، فضلاً عن تشجيع المماليك وتنظيمهم لحركة التبادل الـــتجاري داخـــل حمـــاة، والذي ظهر في بناء الخانات والحوانيت وحفظ الطرق الـــتجارية، وبينت الدراسة الأسباب التي أدت إلى انتكاس السوق المحلية في حماة مـــن أثـــر اضطراب علاقة دولة المماليك مع جيرانها، إلى جانب احتكار بعض ســـلاطين المماليـــك لأنـــواع من السلع طمعاً في الثروة المالية التي تضخها تلك المنـــتجات على التجار الحمويين، وتأثر نيابة حماة سلباً بالركود الاقتصادي الذي أصـــاب دولة المماليك إبّان اكتشاف رأس الرجاء الصالح، كما أثبتت الدراسة أثر التركيبة السكانية في حماة سلباً وإيجاباً على الموروثات الاجتماعية، والدوافع التي كانـــت وراء هجـــرة بعـــض الأسر الحموية من مسقط رأسها، من تكرار الطرق المغولـــي للبلاد الشامية، وسعي البعض منهم لتحسين موقعهم الإداري في الدولة،

ورغبة البعض الآخر لمجاورة الأماكن المقدسة في مكة المكرمة، أو المدينة المنورة، أو بيت المقدس، إضافةً إلى دور الرحلات العلمية في نقل بعض البيوتات الحموية عن حماة. كما أثبتت الدراسة دور المرأة الفاعل في دفع عجلة التعليم داخل حماة وخارجها سواء على صعيد إنشاء المؤسسات التعليمية أو تدريس العلوم الشرعية، وأخيراً أشادت الدراسة بالنتاج العلمي الذي طرحه رواد الفكر من أبناء نيابة حماة.

والكلمة الأخيرة التي يجب أن تُطرح من منظور كون دراستنا للتاريخ الإسلامي لاستخلاص العبر والعظات، فإن العبرة من هذه الدراسة التاريخية لنيابة حماة، هي ضرورة العمل على نبذ الفرقة والعصبية وتوحيد الجبهة الإسلامية، لمواجهة الأخطار والتحدّيات التي تحدق بالأمة من قبل أعدائها من صليبيين وصهاينة متربصين للفتك بالإسلام وأهله، وذلك لا يكون إلا بصحوة إسلامية، وعودة سريعة لحكام المسلمين لتحكيم الشريعة الإسلامية في حسم الخلافات، ولملمة الشتات المبعثر في دوامة المصالح الفردية والرغبات الدنيوية، والسمو عن ذلك كله بتقديم مصلحة الأمة الإسلامية، على المصالح الشخصية ، وعدم الركون إلى أعداء الأمة الذين يخفون في صدورهم حقداً على كلّ ما هو إسلامي وهذا ما أكده الحقُّ تبارك بقوله ﴿وَلَن تَرضَى عَنكَ اليَهُودُ وَلاَ النَّصَرَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهوَآءَهُم بَعدَ الَّذِي جَآءَكَ مِنَ العِلمِ مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾

سورة البقرة – آية ١٢٠

الملاحق

الملحق رقم (١)

نواب حماة (٦٩٨-٩٢٢هـ/١٢٩٩-١٥١٦م)

اسم النائب	تاريخ التولية	تاريخ العزل
(١) الأمير قراسنقر	٦٩٨هـ/١٢٩٩م	٦٩٩هـ/١٢٩٩م
(٢) العادل كتبغا	٦٩٩هـ/١٢٩٩م	٧٠٢هـ/١٣٠٤م
(٣) الأمير قبجق	٧٠٢هـ/١٣٠٤م	٧٠٩هـ/١٣١٠م
(٤) الأمير الحاج بهادر الظاهري	٧٠٩هـ/١٣١٠م	غير محدد
(٥) الأمير أسندمر الكرجي	٧٠٩هـ/١٣١٠م	٧١٠هـ/١٣١٠م
(٦) الأمير أبو الفداء إسماعيل	٧١٠هـ/١٣١٠م	٧١٢هـ/١٣١٢م

تحولت نيابة حماة إلى ملكية تقوية من سنة ٧١٢-٧٤٢هـ/١٣١٢-١٣٤١م حكمهـا الملـك أبو الفداء إسماعيل من سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م، إلى ٧٣٢هـ/١٣٣١م ثم أبنه الملك الأفضل محمد من سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م ، إلى ٧٤٢هـ/١٣٤١م، حيث أعيد إحياء النظام النيابي في حماة.

(٧) الأمير طقزدمر ٧٤٢هـ/١٣٤١م ٧٤٣هـ/١٣٤٣م

تم خلالها تعين الأمير الحاج آل ملك ٧٤٢هـ/١٣٤٢م، غير أن قرار التعين لم ينفذ.

(٨) الأمير سنجر الجاولي ٧٤٣هـ/١٣٤٣م في ذات العام

(٩) الأمير الطنبغا المارداني ٧٤٣هـ/١٣٤٣م في ذات العام

(١٠) الأمير يلبغا اليحياوي ٧٤٣هـ/١٣٤٣م ٧٤٤هـ/١٣٤٤م

(١١) الأمير طقتمر الأحمدي ٧٤٤هـ/١٣٤٤م ٧٤٧هـ/١٣٤٦م

(١٢) الأمير أسندمر العمري ٧٤٧هـ/١٣٤٦م في ذات العام.

(١٣) الأمير طيبغا المحمدي ٧٤٧هـ/١٣٤٧م في ذات العام.

(١٤) الأمير قطيلجا ٧٤٧هـ/١٣٤٧م ٧٤٨هـ/١٣٤٧م

(١٥) الأمير أسندمر العمري(٢) ٧٤٨هـ/١٣٤٧م في ذات العام.

(١٦) الأمير طنبرق ٧٤٨هـ/١٣٤٧م ٧٥١هـ/١٣٥٠م

(١٧) الأمير أصلان ٧٥٢هـ/١٣٥١م في ذات العام

(١٨) الأمير أحمد الساقي ٧٥٢هـ/١٣٥١م ٧٥٣هـ/١٣٥٢م

(١٩) الأمير طنبرق (٢) ٧٥٣هـ/١٣٥٢م غير محدد

(٢٠) الأمير أيدمر الشيخي ٧٥٥هـ/١٣٥٤م ٧٦٢هـ/١٣٦١م

(٢١) الأمير عمر شاه الركني ٧٦٤هـ/١٣٦٣م ٧٦٨هـ/١٣٦٧م

(٢٢) الأمير طيبغا الطويل ٧٦٨هـ/١٣٦٧م في ذات العام

(٢٣) الأمير عمر شاه(٢) ٧٦٨هـ/١٣٦٧م ٧٦٩هـ/١٣٦٧م

(٢٤) الأمير أيدمر الشيخي(٢) ٧٦٩هـ/١٣٦٧م ٧٧٣هـ/١٣٧٠م

(٢٥) الأمير كنجكلي ٧٧٣هـ/١٣٧٠م غير محدد

(٢٦) الأمير تمراز الطازي ٧٧٩هـ/١٣٧٧م في ذات العام.

(٢٧) الأمير منكلي بغا الأحمدي ٧٧٩هـ/١٣٧٧م في ذات العام.

(٢٨) الأمير أرغون الأسعردي ٧٧٩هـ/١٣٧٧م

اختلاف المؤرخين حول من تسلم مقاليد نيابة حماة من بعده الأمير كمشبغا الحموي أو حطط اليلبغاوي

(٢٩) الأمير كمشبغا الحموي ٧٨٠هـ/١٣٧٨م في ذات العام

(٣٠) الأمير تمرباي الدمرداشي ٧٨٠هـ/١٣٧٨م في ذات العام

(٣١) الأمير جنتمر ٧٨٠هـ/١٣٧٨م ٧٨١هـ/١٣٧٩م

(٣٢) الأمير حطط اليلبغاوي ٧٨١هـ/١٣٧٩م في ذات العام

(٣٣) الأمير طشتمر خازندار يلبغا ٧٨١هـ/١٣٧٩م **توفي٧٨٣هـ/١٣٨١م**

(٣٤) الأمير مأمور القلمطاوي	٧٨٣هـ/١٣٨١م	٧٨٤هـ/١٣٨١م
(٣٥) الأمير طشتمر العلائي	٧٨٤هـ/١٣٨١م	غير محدد
(٣٦) الأمير صنجق الحسيني اليلبغاوي	٧٨٥هـ/١٨٣م	٧٨٧هـ/١٣٨٥م
(٣٧) الأمير سودون المظفري	٧٨٧هـ/١٣٨٥م	في ذات العام
(٣٨) الأمير سودون العلائي	٧٨٧هـ/١٣٨٥م	قتل٧٨٨هـ/١٣٨٦م
(٣٩) الأمير سودون العثماني	٧٨٩هـ/١٣٨٧م	في ذات العام
(٤٠) الأمير علي ابن المهمندار	٧٨٩هـ/١٣٨٧م	٧٩٠هـ/١٣٨٨م
(٤١) الأمير كشلي القلمطاوي	٧٩٠هـ/١٣٨٨م	في ذات العام
(٤٢) الأمير سودون العثماني(٢)	٧٩٠هـ/١٣٨٨م	٧٩١هـ/١٣٨٨م
(٤٣) الأمير أحمد المهمندار	٧٩١هـ/١٣٨٨م	في ذات العام
(٤٤) الأمير طغتمر القبلادي	٧٩١هـ/١٣٨٨م	في ذات العام
(٤٥) الأمير تنكز الأعور	٧٩١هـ/١٣٨٨م	٧٩٢هـ/١٣٨٩م
(٤٦) الأمير مأمور القلمطاوي	٧٩٢هـ/١٣٨٩م	قتل في ذات العام
(٤٧)الأمير دمرداش المحمدي	٧٩٣هـ/١٣٩٠م	٧٩٥هـ/١٣٩٥م
(٤٨) الأمير أقبغا السلطاني	٧٩٥هـ/١٣٩٥م	غير محدد
(٤٩)الأمير دمرداش المحمدي(٢)	٨٠١هـ/١٣٩٩م	٨٠٢هـ/١٤٠٠م
(٥٠) الأمير دقماق المحمدي	٨٠٢هـ/١٤٠٠م	أسر في ذات العام
(٥١) الأمير عمر الهذباني	٨٠٣هـ/١٤٠١م	٨٠٤هـ/١٤٠١م
(٥٢) الأمير يونس الحافظي	٨٠٣هـ/١٤٠١م	٨٠٤هـ/١٤٠٢م.
(٥٣) الأمير قانباي الحسيني	٨٠٤هـ/١٤٠٢م	في ذات العام
(٥٤) الأمير يونس الحافظي(٢)	٨٠٤هـ/١٤٠٢م	في ذات العام
(٥٥) الأمير علان جلق	٨٠٥هـ/١٤٠٣م	٨٠٧هـ/١٤٠٤م
(٥٦) الأمير دقماق المحمدي(٢)	٨٠٧هـ/١٤٠٤م	قتل٨٠٨هـ/١٤٠٥م
(٥٧)الأمير دمرداش المحمدي(٣)	٨٠٨هـ/١٤٠٥م	٨٠٩هـ/١٤٠٦م
(٥٨) الأمير يونس الحافظي(٣)	٨٠٩هـ/١٤٠٦م	٨١٠هـ/١٤٠٧م
(٥٩) الأمير عمر الهدباني(٢)	٨١٠هـ/١٤٠٧م	في ذات العام
(٦٠) الأمير يشبك أزدمر	٨١٠هـ/١٤٠٧م	٨١٢هـ/١٤٠٩م
(٦١) الأمير جانم حسن	٨١٢هـ/١٤٠٩م	في ذات العام
(٦٢) الأمير بردبك الجكمي	٨١٢هـ/١٤٠٩م	غير محدد
(٦٣) الأمير قمش	٨١٥هـ/١٣١٢م	٨١٦هـ/١٤١٣م

(٦٤) الأمير تنبك البجاسي	٨١٦هـ/١٤١٣م	٨١٨هـ/١٤١٥م
(٦٥) الأمير جارقطلو	٨١٨هـ/١٤١٥م	٨٢٠هـ/١٤١٧م
(٦٦) الأمير نكباي	٨٢٠هـ/١٤١٧م	٨٢١هـ/١٤١٨م
(٦٧) الأمير شاهين الزردكاش	٨٢١هـ/١٤١٨م	٨٢٣هـ/١٤٢٠م
(٦٨) الأمير إنيال الأرغزي	٨٢٣هـ/١٤٢٠م	٨٢٤هـ/١٤٢١م
(٦٩) الأمير أق بلاط التمرداشي	٨٢٤هـ/١٤٢١م	في ذات العام
(٧٠) الأمير جارقطلو(٢)	٨٢٤هـ/١٤٢١م	٨٢٦هـ/١٤٣٣م
(٧١) الأمير جلبان المؤيدي	٨٢٦هـ/١٤٣٣م	٨٣٨هـ/١٤٣٥م
(٧٢) الأمير قانباي الحمزاوي	٨٣٨هـ/١٤٣٥م	٨٤٢هـ/١٤٣٩م
(٧٣) الأمير بردبك الجكمي(٢)	٨٤٢هـ/١٤٣٩م	٨٤٧هـ/١٤٤٤م
(٧٤) الأمير قاقبردي	٨٤٨هـ/١٤٤٤م	لم يباشر مهام النيابة
(٧٥) الأمير قانباي الأبو بكر البهلوان	٨٤٨هـ/١٤٤٤م	في ذات العام
(٧٦) الأمير شادبك الجكمي	٨٤٩هـ/١٤٤٥م	٨٥٠هـ/١٤٤٦م
(٧٧) الأمير يشبك الصوفي	٨٥٠هـ/١٤٤٦م	٨٥١هـ/١٤٤٧م
(٧٨) الأمير تنم من عبد الرزاق	٨٥١هـ/١٤٤٧م	في ذات العام
(٧٩) الأمير بيغوث الأعرج	٨٥١هـ/١٤٤٧م	٨٥٥هـ/١٤٥١م
(٨٠) الأمير سودون الأبو بكر المؤيدي	٨٥٥هـ/١٤٥١م	٨٥٦هـ/١٤٥٣م
(٨١) الأمير حاج إينال اليشبكي	٨٥٦هـ/١٤٥٣م	٨٥٩هـ/١٤٥٤م
(٨٢) الأمير إياس المحمدي الطويل	٨٥٩هـ/١٤٥٤م	٨٦٣هـ/١٤٥٩م
(٨٣) الأمير جانبك التاجي	٨٦٣هـ/١٤٥٩م	٨٦٦هـ/١٤٦٢م
(٨٤) الأمير جانبك الناصري	٨٦٦هـ/١٤٦٢م	٨٦٨هـ/١٤٦٤م
(٨٥) الأمير بلاط	٨٦٨هـ/١٤٦٤م	في ذات العام
(٨٦) الأمير سودن الأفرم	٨٦٨هـ/١٤٦٤م	٨٦٩هـ/١٤٦٥م
(٨٧) الأمير يشبك البجاسي	٨٦٩هـ/١٤٦٥م	٨٧١هـ/١٤٦٦م
(٨٨) الأمير تنم الحسيني	٨٧١هـ/١٤٦٦م	٨٧٢هـ/١٤٦٧م
(٨٩) الأمير محمد المبارك	٨٧٢هـ/١٤٦٧م	في ذات العام
(٩٩) الأمير إنيال الأشقر الظاهري	٨٧٢هـ/١٤٦٧م	في ذات العام
(١٠٠) الأمير محمد بن المبارك(٢)	٨٧٢هـ/١٤٦٧م	في ذات العام
(١٠١) الأمير يشبك البجاسي(٢)	٨٧٢هـ/١٤٦٧م	٨٧٤هـ/١٤٦٩م
(١٠٢) الأمير بلاط اليشبكي	٨٧٤هـ/١٤٦٩م	٨٧٥هـ/١٤٧٠م

(١٠٣) الأمير خير بك القروي	٨٧٥هـ/١٤٧٠م	توفي قبل المباشرة
(١٠٤) الأمير بلاط اليشبكي(٢)	٨٧٥هـ/١٤٧٠م	٨٧٨هـ/١٤٧٣م
(١٠٥) الأمير قراجا الطويل الأنيالي	٨٧٨هـ/١٤٧٣م	٨٨٤هـ/١٤٧٩م
(١٠٦) الأمير أزدمر بن أزبك	٨٨٤هـ/١٤٧٩م	قتل٨٨٥هـ/١٤٨٠م
(١٠٧) الأمير حمزة بن سفلسيس	٨٨٥هـ/١٤٨٠م	في ذات العام
(١٠٨) الأمير جانم الأعرج السيفي	٨٨٥هـ/١٤٨٠م	٨٨٦هـ/١٤٨٢م
(١٠٩) الأمير يشبك العلائي	٨٨٦هـ/١٤٨٢م	توفي٨٩٠هـ/١٤٨٢م
(١١٠) الأمير سيباي الطيوري	٨٩٠هـ/١٤٨٢م	توفي٨٩٣هـ/١٤٨٨م
(١١١) الأمير إنيال الخسيف الأشرفي	٨٩٣هـ/١٤٨٨م	٨٩٦هـ/١٤٩١م
(١١٢) الأمير يشبك من حيدر	٨٩٦هـ/١٤٩١م	توفي٨٩٩هـ/١٤٩٤م
(١١٣) الأمير آقباي الطويل	٨٩٩هـ/١٤٩٤م	في ذات العام
(١١٤) الأمير قانصوة الشامي	٩٠٠هـ/١٤٩٥م	٩٠٢هـ/١٤٩٥م
(١١٥) الأمير أركماس	٩٠٢هـ/١٤٩٥م	٩٠٣هـ/١٤٩٧م
(١١٦) الأمير دولتباي	٩٠٤هـ/١٤٩٨م	٩٠٥هـ/١٤٩٩م
(١١٧) الأمير يخشباي	٩٠٥هـ/١٤٩٩م	٩٠٦هـ/١٥٠٠م
(١١٨)الأمير قانصوة (ابن سلطان جركس)	٩٠٦هـ/١٥٠٠م	في ذات العام
(١١٩) الأمير قانصوة اليحياوي	٩٠٦هـ/١٥٠٠م	في ذات العام
(١٢٠) الأمير سيباي	٩٠٦هـ/١٥٠٠م	٩٠٨هـ/١٥٠٢م
(١٢١) الأمير قانصوة اليحياوي(٢)	٩٠٨هـ/١٥٠٢م	في ذات العام
(١٢٢) الأمير جانم بن قجماس	٩٠٨هـ/١٥٠٢م	٩٠٨هـ/١٥٠٣م
(١٢٣) الأمير قانصوة اليحياوي(٣)	٩٠٨هـ/١٥٠٣م	٩٠٩هـ/١٥٠٣م
(١٢٤) الأمير جانم (٢)	٩٠٩هـ/١٥٠٣م	٩١٠هـ/١٥٠٤م
(١٢٥) الأمير سودون الدوداري	٩١٠هـ/١٥٠٤م	٩١٦هـ/١٥١٠م
(١٢٦) الأمير يوسف الناصري	٩١٦هـ/١٥١٠م	في ذات العام
(١٢٧) الأمير جانم (٣)	٩١٦هـ/١٥١٠م	٩١٨هـ/١٥١٣م
(١٢٨) الأمير جان بردي الغزالي	٩١٩هـ/١٥١٣م	٩٢٢هـ/١٥١٦م.

الملحق رقم (٣)

النيابة الرابعة

(نيابة حماة، وظائفها التي تكتب بها من الأبواب السلطانية ما بحاضرتها خاصة، وهي على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

ولـــيس بها منهم إلا نائب السلطنة خاصة. ويكتب له تقليد في قطع الثلثين "الجناب العالي" مع الدعاء بمضاعفة النعمة

وهذه نسخة تقليد بنيابة حماة:

الحمـــد لله ذِي التَّدْبير اللَّطِيف ، والعَوْن المُطِيف، والحِياطَةِ التي تَستوعبُ كُل تَصرْيف وكلَّ تَكْليف.

بحمـــدُه بمحـــامَد جميلةِ التَّفْويف، حَسَنةِ التَّأْليف، مُكَّملةِ التَّكْيِيف، بَرِيَّةٍ من الَّطفِيف، حَرِيَّةٍ بكل شكرٍ مُنِيف، وذِكرٍ شريف، ونشهدُ أنْ لا إله إلا الَّلهُ وحدَه لا شـــريكَ له شهادةً خلص تحريرها عن كلِّ تَحْرِيف، وتَنَّزه، مقالُها عن تسويد تفنيد أو تســـويف؛ ونشـــهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسولُه صاحبُ الدِّين الحَنيف، والمبعوثُ بالـــرَّحْمة والتَّخْفـــيف؛ صـــلَّى الله عليه وعلى آله وصَحْبه صلاةً مُتناوِبَةً تناوُبَ الصَّرِير والصَّرِيف، والشِّتاء والمَصِيف، وسلَّمَ تسليماً كثيرا.

وبعـــدُ، فـــإنَّ مـــن شِيمَ الدَّولَةِ وسجاياها، وأحْكامِها وقَضايَاها؛ تَقْدِيمَ الأَهمِّ فـــالأهَمّ، وتَحْتِيمَ الأنَمِّ من الرَّأيِ وتَحْكِيم التَّدبير الأعَمّ؛ وفِعْلَ كلِّ ما يَحُوط الممالك ويَحْفَظُها، ويُذْكِي العيونَ لملاحظَتِها ويُوقِظُها: لِمَا أوْجبه اللهُ من حُقوقِها، وحَظَره مـــن عُقُوقِها؛ ولا يكونُ ذلك إلا باختيار الأوْلياء لضَبْطِها، والتَّعْوِيل على الأمْلِياء

بالقــيام شَرْطِها، والاستِناد من الزُّعماءِ إلى من يُوَفِّي من الخَرَّاجة والعُيون وَافِيَ قِسطِها.

ولمــا كانــت المملكةُ الحَمويَّةُ جديرةً بالالْتِفاف، حقيقةً بالحِياطَة من جميع الجِهــات؛ مُسْــتَدْعِيةً من جميل النَّظر كلَّ ما يحْرُس رَبْعَها، ويُديمُ نَفْعها، ويُحَفِّلُ ضَــرْعَها، ويَلُــمُّ شَــعَثَها ويَشْعَب صَدْعَها، ويَسُرّ سَمْعَها، ويُفْعم شِرْعَها، ويُعَظِّم شَــرْعها؛ ويكْتَــنِفُها اكْتِناف السُّور والسِّوار، والهَالَة للبَدْر والأكْمامِ للثِّمار؛ وكان فــلانٌ هــو المتقشِّــعُ ســحابُ هذا الوَصْف عن بَدْرِه المُنِير، المتَقَلِّع ضَبابُ هذا الــتَّفْويض عن نُور شَمْسِه المُنْعِشَة قُوى كلِّ نبت نضير؛ والذي بأهْليتَّه لُرتبة هذا التفويض ما خاب المستَخِير، ولا نَدِم المستَشِير، والذي يُفْرِدُه استحقاقُه بهذه الرتبة فــلا يَقُــول أحدٌ من كبيرٍ ولا صغيرٍ امتثالاً للمراسيم الشَّرِيفةِ في حقَّه:" منَّا أميرٌ ومــنكم أمِــير"- اقتضى جميلُ الرأيِ المُنيف، أن خرج الأمْر الشريف- لا برح يُحسِن التَّعْويل ، ويَهْدى إلى سواء السبيل، ويَمْضِي مَضاءَ القضاءِ المُنَزّل والسيفِ الصَّقيل- أن تفوضَ إليه نيابةُ السلطنة المعظمة في مملكة كذا وكذا.

فلْــيقَدِّمْ خيرةَ الله قَائِلا وفاعلا، ومُقيما وراحِلا ، ومُوجِّهاً ومواجِهاً ومُسَجلاً وســاجلا، وعالِماً وعاملا، ومعتمداً على الله في أمْرِه كلِّه. وليكُنْ من هذه المعرفة قريــباً، وعلــى كلِّ شيءٍ حتَّى على نفسهِ رقِيبا؛ وإذا اتَّقى الله كفاه اللهُ الناس، وإن اتقى الناس لَم يُغْنُوا عنه من اللهِ شيئاً فلْيَقِسْ على هذا القياس،ويقْتَبِسْ هذا الاقتباس.

وأما الوصايا فالعساكر المنصورة هم مِخْلبُ الظَّفَر وظُفْره، وبهم يُكْشَف من كل عَدوٍّ سِرُّه، ويُخلِّي وطنُه وَوكْره، ويضْرَبُ زيْدُه وعَمْره؛ ويبدَّدُ جَمْعه ، ويُساء صُــنْعه، ويعمــى بصَرُه ويُصَمّ سَمْعُه؛ وهم أسْوارٌ تُجَاه الأسْوار، وأمواجٌ تَنْدفعُ وتَــنْدَفِقُ أعظــم مــن اندفاق البحار، وما منهم إلا مَن هو عندنا لمن الُمصْطَفَيْنَ الأخْــيار؛ فَأحسنِ طاعاتهم في مواردِهم ومصادرِهم؛ وكُنْ عليهم شَفُوقا، وبهم في غير الطاعة والاستعباد رَفُوقا، وأوْجب لهم بالجهاد والاجْتهاد حُقُوقا، واصرف لهم حِمْــلا لأعباء المهِمَّات والملمَّات مُطِيقا؛ واستَشِرْ منهم ذوى الرأْيِ المصيب، ومن

أحْســن التَّجْرِيب، ومن تَتَحقَّقُ منه النُّصْحَ من الكُهُول والشِّيب، وممن كلل بغيرة مــنه ما شَبَّ فإنَّ المرْءَ كثيرٌ بأخيه، وإذا اجْتمعتْ غُصونٌ في يد أيِّد عَسَتْ على قَصْفِه وقَصْفُ كلِّ واحدَة فواحِدَة لا يُعْيِيه.

والجهــادُ فهو مِلاكُ كلِّ استِحواء واستِحواذ، وبه تتميزُ أفْعال الكُفَّار بالنّفاد وأفْعــالُ الدِّيــن الحنــيف بالنَّفاذ ؛ وما جعل اللهُ للمدافِعين عن دِين الله سواه، ولا مُزْجِي صَوْبِ صَواب إلا إيَّاه؛ وعلى ذلك جعل الله أرْزاقَهم، وهيَّا لهم به إرفْاقَهم ؛ فلْــيكْرِمّهم بأخْذِ الأُهْبَه، في الاعتلاء والانْصِابِ في كلِّ هَضْبَه، والاستعداد برباط الخَيْل وكلِّ قُوّة.

ومن الوصايا التي ينبغي أنها ترسَمُ في جبهات الفِكَر{دون توانٍ} أو ركون أن لا يسْــتَحْقِر عــدوا، ولا يَستهزِئَ بِقلَّته لا رَواحاً ولا غدُوًّا، وليكُنْ للاستظهار مُسْــتَوعبا، ولإعْمــالِ مسْــتَوثِبا، وللكَشْف بعد الكَشْفِ مُستَصْحِبا؛ وغير ذلك من الأوُر، التي بها صلاحُ الجُمْهور.

والشَّــرع الشريف وتنفيذ أحْكامِه، وتَقوِية أيْدى حُكَّامه؛ فهو ميزانُ الإسلام والسَّلامه، وقِوام الصَّلاح والاستقامه، وأخُوه المُرْتَضِعُ من ثَدْيِ الَحقِّ، العَدْلُ الذى كم شَاق وكثيرا ما على أهل الباطل شَقّ ؛ وعمَّ القريبَ والبعيدَ، والسائِق والشَّهيد، والمُرِيــبَ والمــريد، وكــلَّ ذى ضَعْف مُبِيد، وكلَّ ذِى بأْس شَدِيد، وكلَّ مُستَشِيرٍ ومُسْــتَزِيد ؛ فــإنَّ ذلــك إذا شَمِل حاط، وتمْ به الاتياذُ والاتْباط، وهدَى إلى أقْوَمِ صِراط.

والحدُود فهى حياةُ النفوس، وبها تُزَالُ البُؤس ؛ فأقِمْها ما لم تُدْرأْ بالشُبُهات الشرعيه، والأُمور المرْعِيةَّ.

والأمــوالُ فهــى مَجْلَبة الرِّجال، ومَخْلبةُ الآمال ؛ وبها يُشَدُّ الأزْر، ويقْوَى الاســتظهارُ{و} الظذَهْــر، فيَشُــدّ من الذين أمْرُها بهم معْدُوق، ويُقَوِّى أيْديهم بكلِّ طريق في كلِّ طُرُوق، بحيث لا يؤخَذ إلا الحق ولا يترك شئٌ من الحقوق.

والرعيةُ فهمُ عند وَالي الأمْر ودَائعُ : ينبغي أنَّها تكون مَحْفوظه، وبعين الاعتناء ملْحُوظَه؛ فأحسن جِوَارَهم، وأزِلْ نِفَارَهُم، واكْفُفْ عنهم مَضارَّهم، ولا تعامِلْهم إلا بما تُسْألُ عنه غداً بين يَدَى ربِّك فإنَّه يراك حِين تَقُوم، وأعْدِدْ جواباً لذلك فكلٌّ راعٍ مَسْؤُل.

وأمَّا غير ذلك فلا بدّ أن تُطْلِعَك المباشرةُ على خفايا تُغْنِيك عن المُؤامره، وستَوالَى إليك الأجْوِبةُ عند المُسافَرَة في المكاتبات الوَاردَةِ والصَّادره؛ والله يوفقك في كلِّ مَنْهجٍ تسلكُه وتقْتَفِيه، ويسدِّدُك فيما من ذلك تَنْتَحيه.

قلتُ: أمَّا سائر أرْباب الوظائف بها: كشَدِّ الدواوين ، وشدِّ مراكز البَرِيد وغيرهما، فقد جَرِت العادة أنَّ النائب يستقلٌّ بتوليتها. فإن قدرٌ كتابةُ شئٍ من ذلك لأحد بها، وكُتب لمن يكون طبلخاناه في قَطْع النصف؛"السامى" بغير ياء، ولمن يكون عشرة في قَطْع الثلث بـ" مجلس الأمير" كما في غيرها.

الصنف الثاني

(أرباب الوظائف الدينية، وهم على مرتبتين)

المرتبة الاولى – من يُكْتب لـه في قَطْع الثلث بـ" السامىّ بالياء" . وهم قُضاة القُضَاة الأرْبعة.

المرتبة الثانية – من يُكتب لـه في قَطْع العادة: إمَّا في المنْصُورىّ ، مفتتحَا بـ"أما بعدُ" وإما في الصَّغير مفتتحاً بـ"رُسِم" . وعلى ذلك تُكْتب تواقيع قضاةِ العَسْكر بها، ومفتى دار العَدْل، والمُحتَسِب، ووكيلِ بيْت المال، ووظائف التَّداريس والتصادير، ونظر إن كتب شئٌ من ذلك عن الأبواب السلطانية، وإلَّا فالغالبُ كتابةُ ذلك عن النائب بها.

القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الأنشا،ج١٢، ص٢٠٠-٢٠٥

الملحق رقم (٣)

خريطة مدن الشام

نقلاً عن الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي

في العصور الوسطى

خريطة (٥)

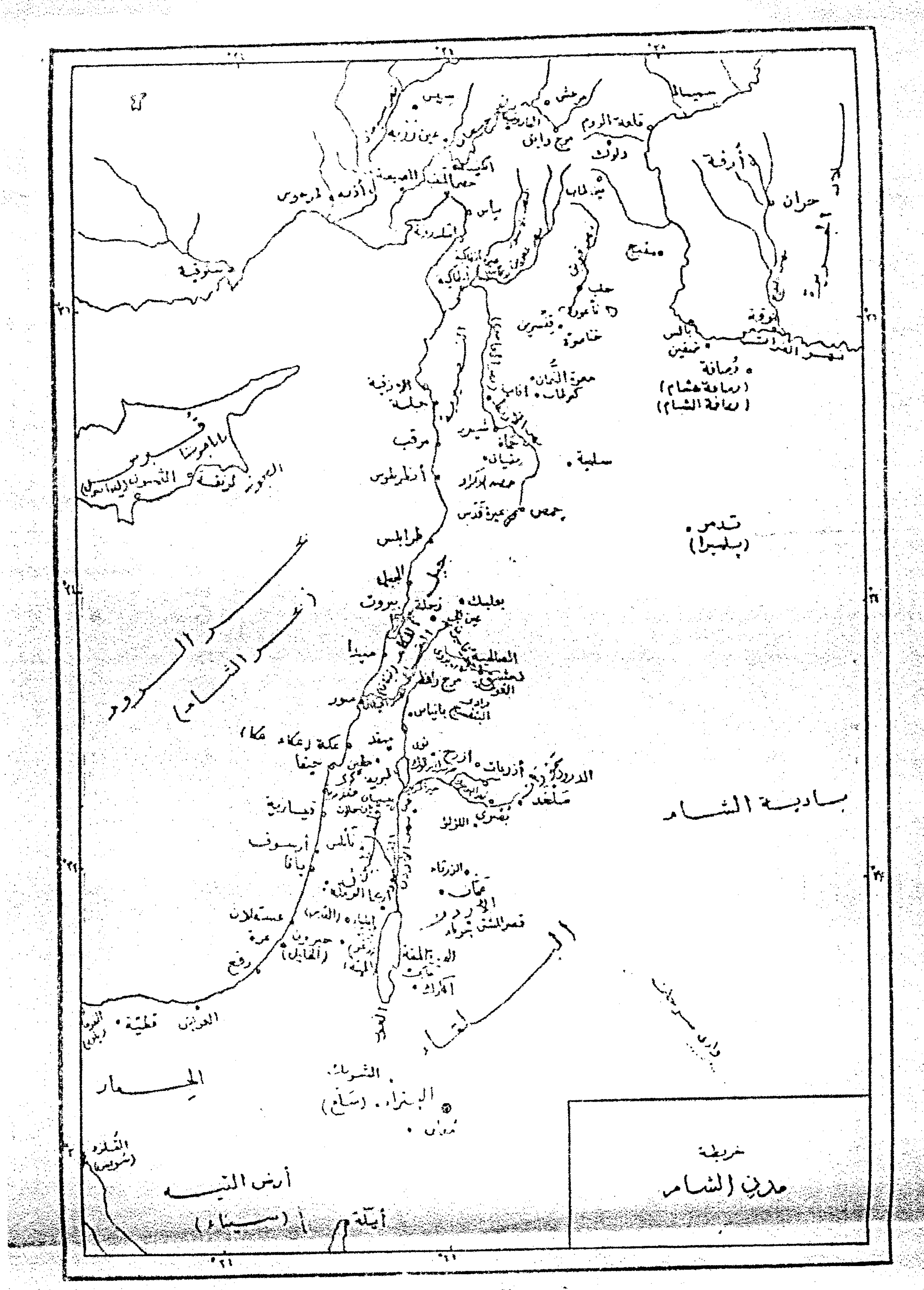

خريطة
مدن الشام
بحر الروم
بحر الشام
بادية الشام
قبرس
سميساط
قلعة الروم
مرعش
دلوك
منبج
حران
الرقة
حلب
قنسرين
بالس
رصافة
(رصافة هشام)
(رصافة الشام)
معرة النعمان
أنطاكية
اللاذقية
جبلة
مرقب
أنطرطوس
حماة
سلمية
حمص
تدمر
(بلميرا)
طرابلس
جبيل
بيروت
بعلبك
صيدا
دمشق
صور
بانياس
صفد
عكة (عكاء عكا)
حيفا
أذرعات
صلخد
بصرى
قيسارية
نابلس
أرسوف
يافا
أريحا
عمان
عسقلان
غزة
رفح
العريش
قطية
أيلة
أرض التيه
(سيناء)
القلزم
(السويس)

خريطة رقم (٥)

الملحق رقم (٤)

خريطة بلاد الجزيرة و أرمينية

نقلاً عن الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى

خريطة (٤)

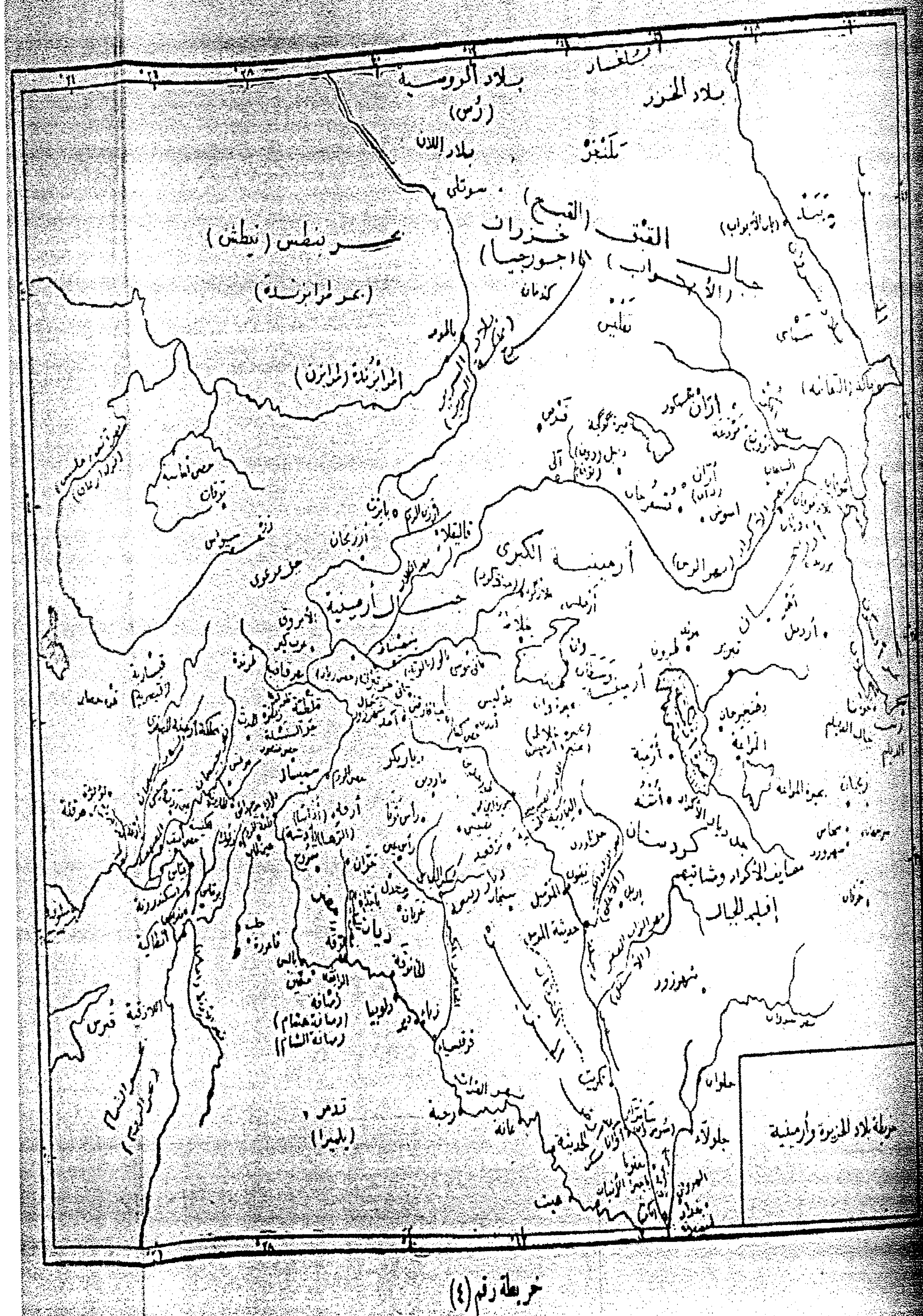

خريطة بلاد الجزيرة وأرمينية
بلاد الروسية
(روس)
بلاد الخزر
بلاد اللان
بحر بنطس (نيطش)
(بحر طرابزندة)
طرابزندة (طرابزن)
خزران
القبق
(القبج)
(جورجيا)
تفليس
أران
أرمينية الكبرى
جبال أرمينية
سيواس
أرزنجان
قاليقلا
ملطية
سميساط
ديار بكر
ماردين
ميافارقين
آمد
بدليس
وان
كردستان
إقليم الجبال
شهرزور
الموصل
سنجار
ديار ربيعة
حران
الرقة
تكريت
قرقيسيا
رحبة
عانة
هيت
الحديثة
تدمر
(بلميرا)
حلب
أنطاكية
اللاذقية
قبرس
حلوان
جلولاء
بغداد

خريطة رقم (٤)

الملحق رقم (٥)

خريطة جزيرة قبرص في العصور الوسطى

نقلاً عن سعيد عبد الفتاح عاشور ،

قبرص والحروب الصليبية

ص (٩٧)

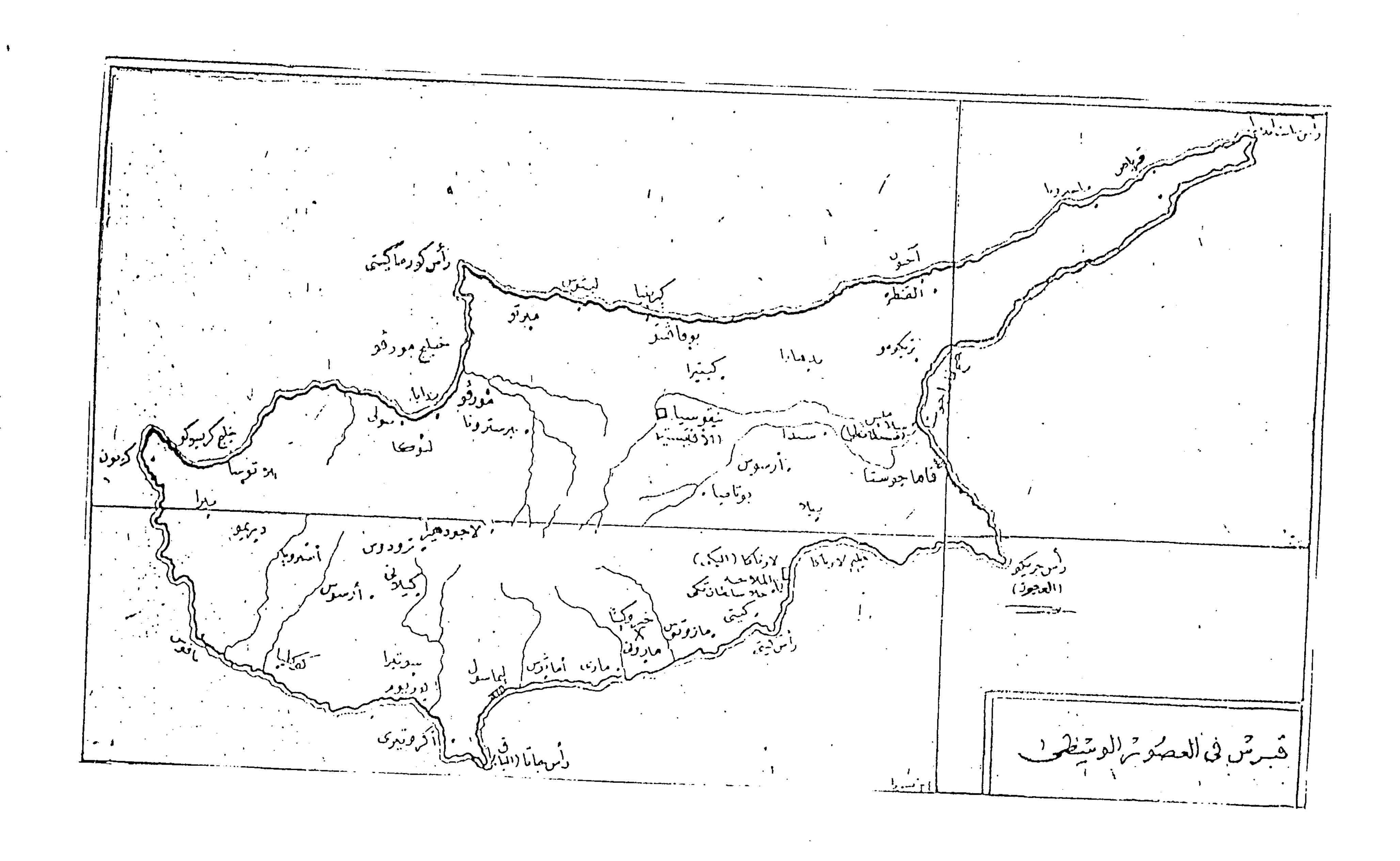
قبرص في العصور الوسطى
رأس كورماكيتي
خليج مورفو
مورفو
كرينيا
القنطرة
بوفافنتو
كيثيرا
نيقوسيا
(الأفقسية)
فاماجوستا
تروودوس
أرسوس
ليماسول
لارناكا
خليج لارناكا
رأس جريكو
(العجوز)
خليج كريسوكو
رأس أندريا

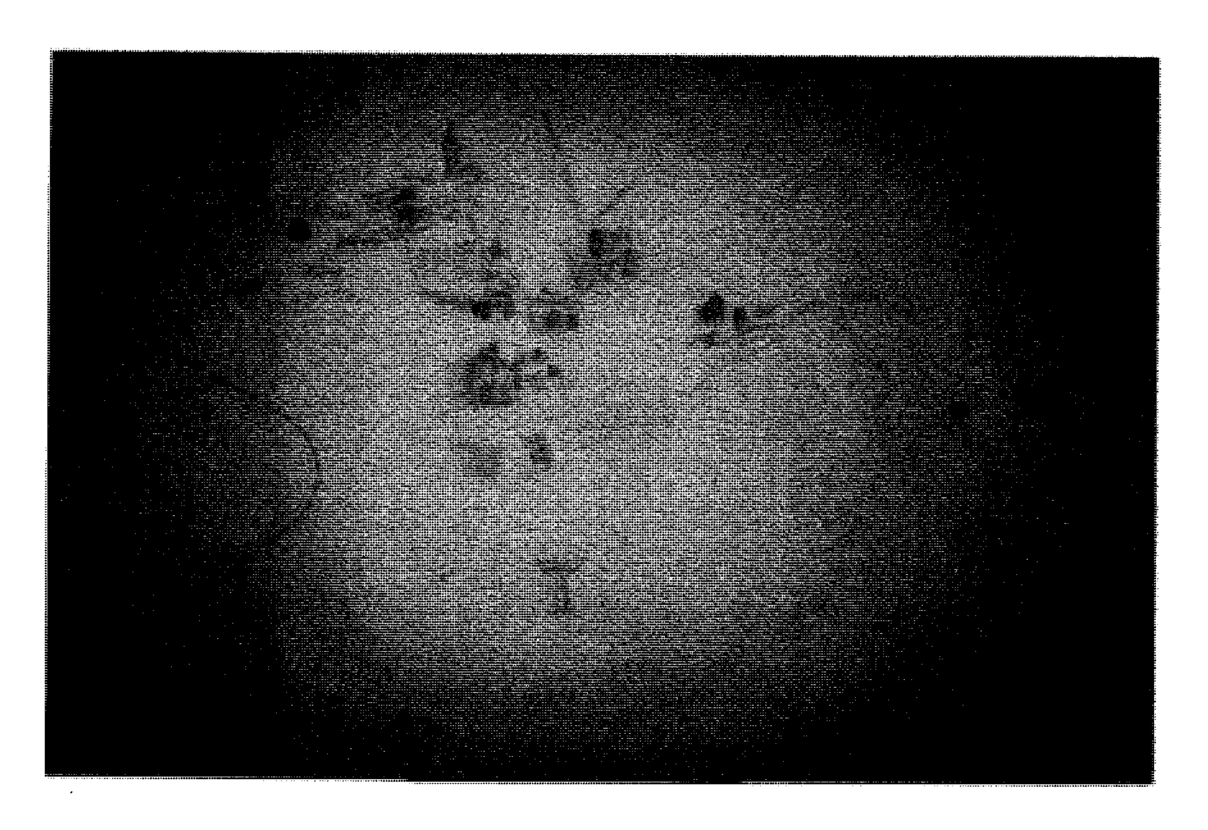

اللوحة رقم (١) توزيع المعالم الأثرية في مدينة حماة([1])

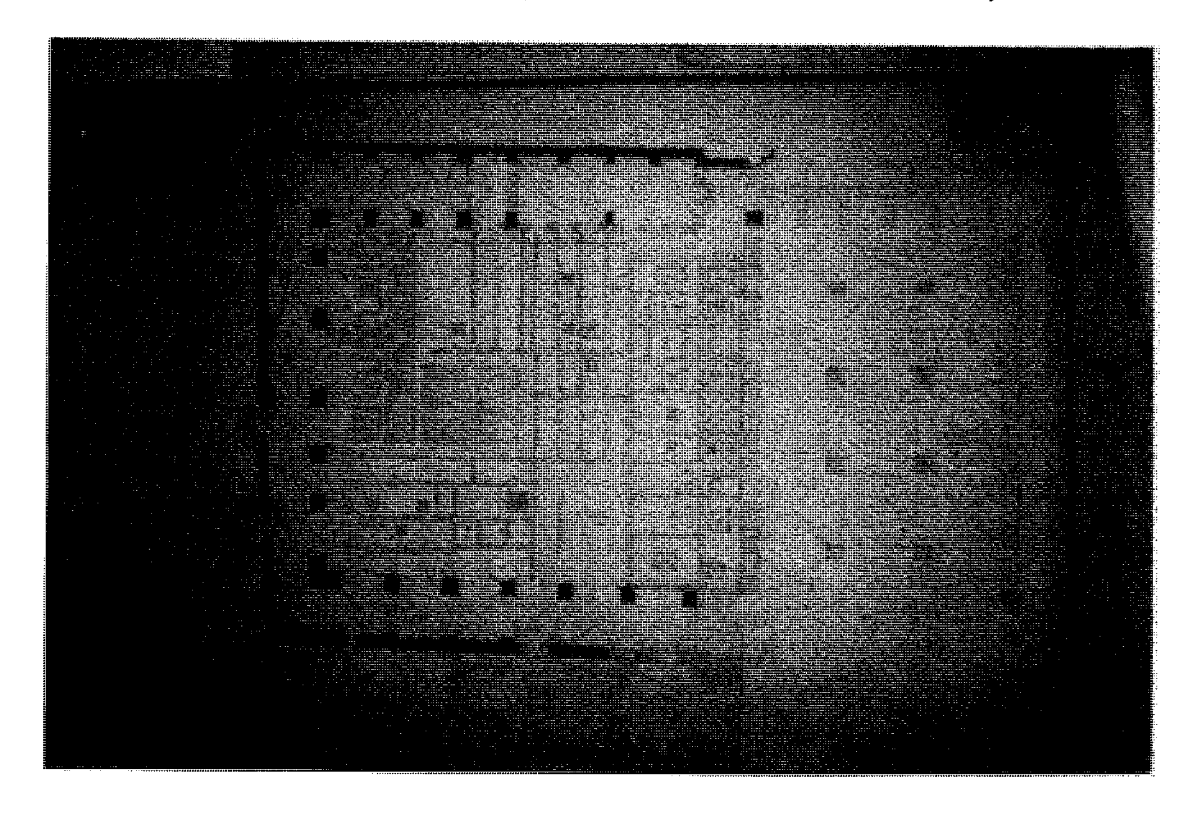

اللوحة رقم (٢) رسم تخطيطي للجامع الكبير في مدينة حماة([2])

([1]) المديرية العامة للآثار والمتاحف بمحافظة حماة.

([2]) المديرية العامة للآثار والمتاحف بمحافظة حماة.

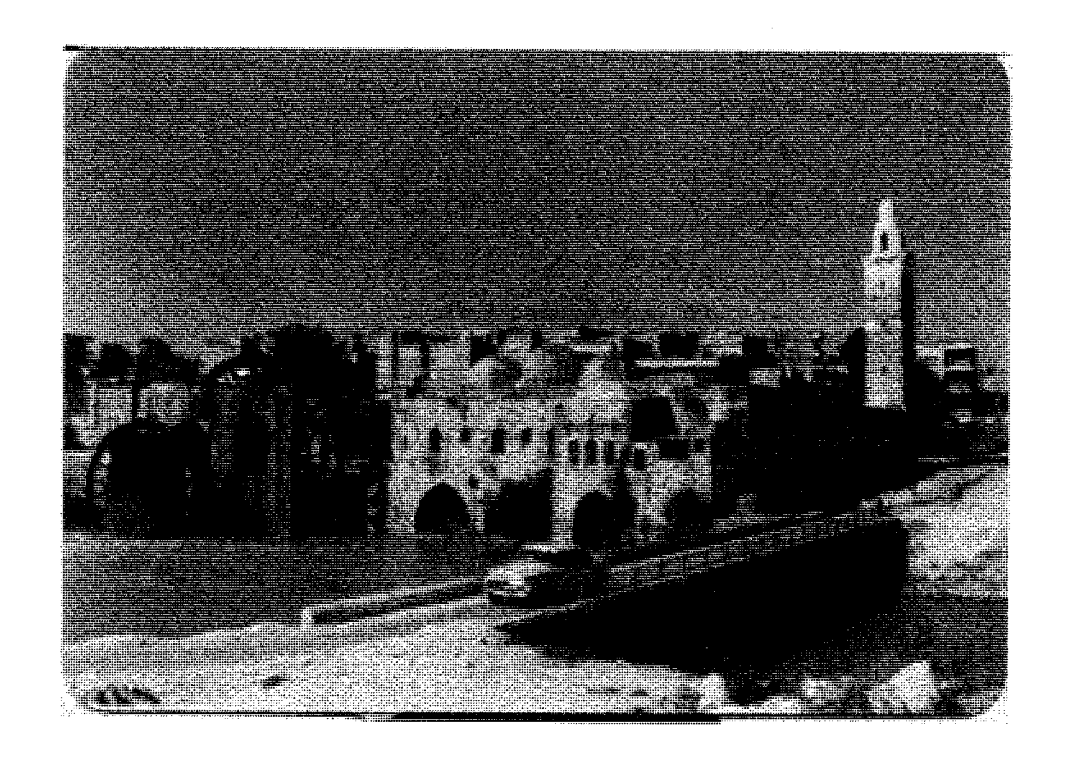

اللوحة رقم (٣)

تظهر جامع نور الدين زنكي بحماة والبيمارستان النوري الملتصق بجداره الجنوبي و المدرسة المؤيدية الملحق بالجامع في جهته الشرقية(١)

(١) المديرية العامة للآثار والمتاحف بمحافظة حماة.

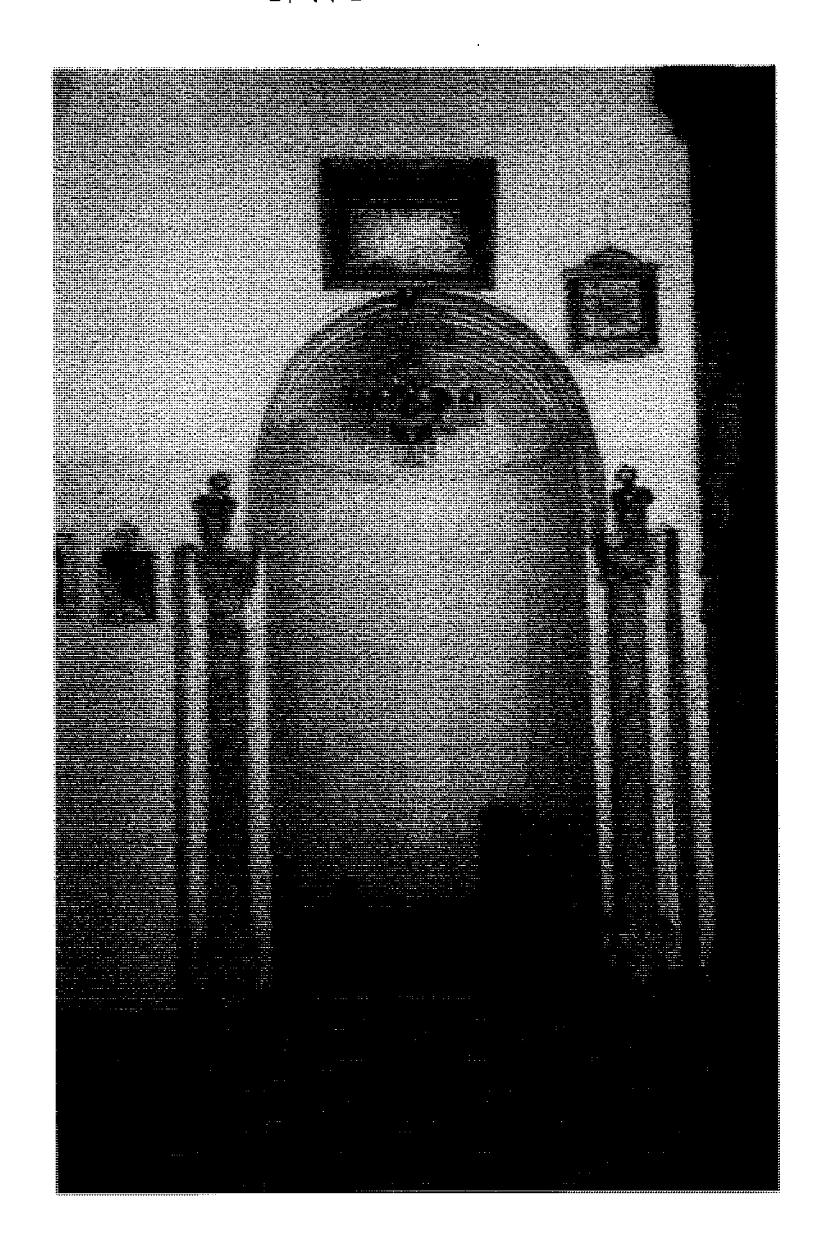

اللوحة رقم(٤)

تظهر محراب جامع نور الدين زنكي بحماة

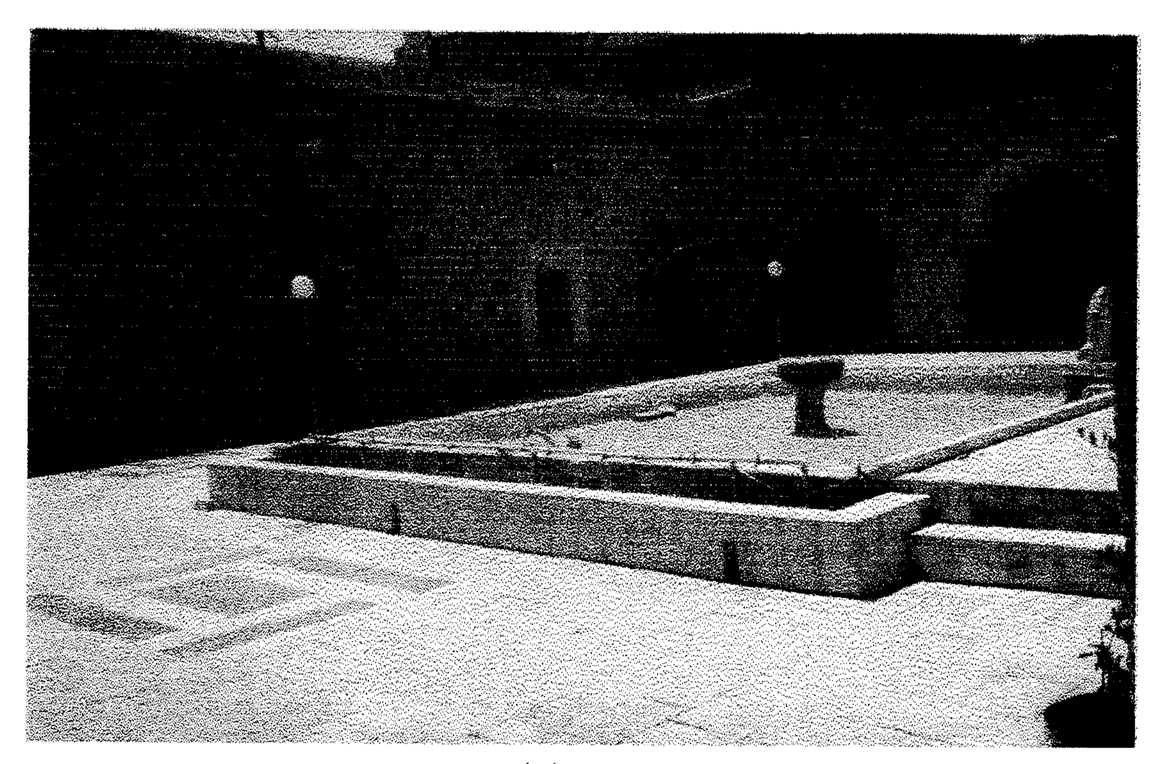

اللوحة رقم (٥)

تظهر صحن جامع نور الدين زنكي والميضأة ومداخل بيت الصلاة والرواق الغربي للجامع

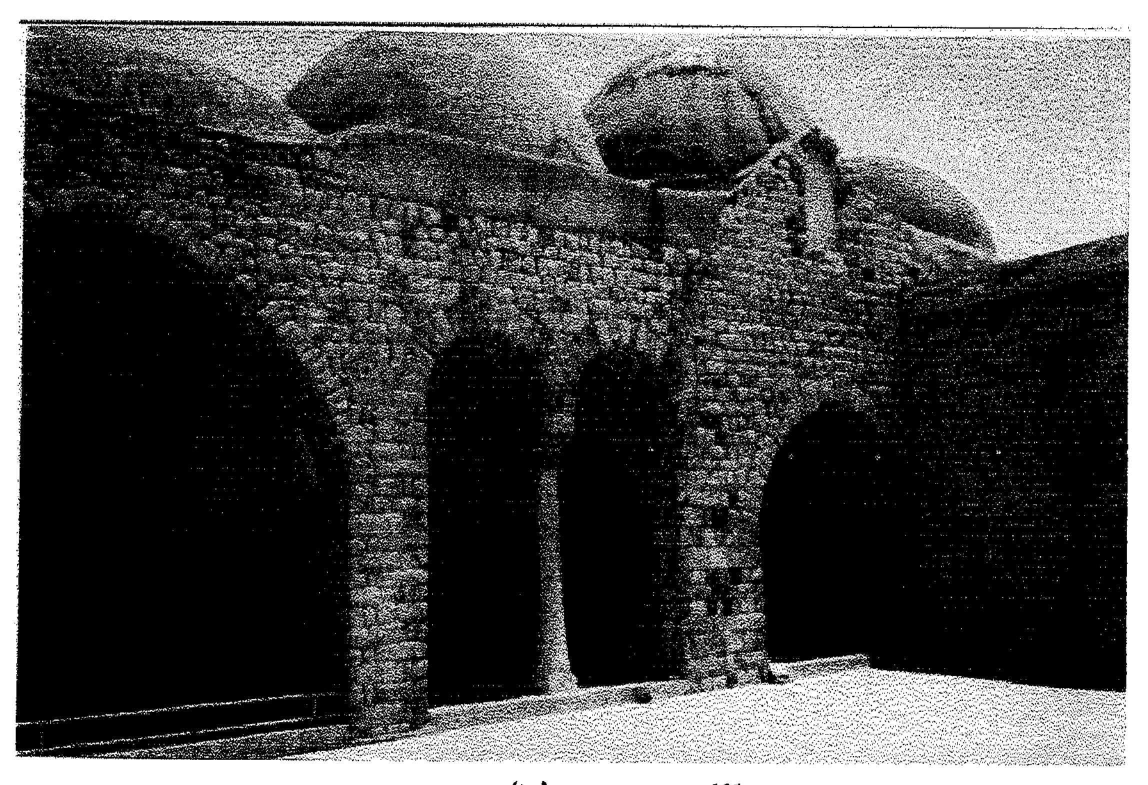

اللوحة رقم (٦)

تظهر سقف الرواق الشرقي لجامع نور الدين زنكي بحماة

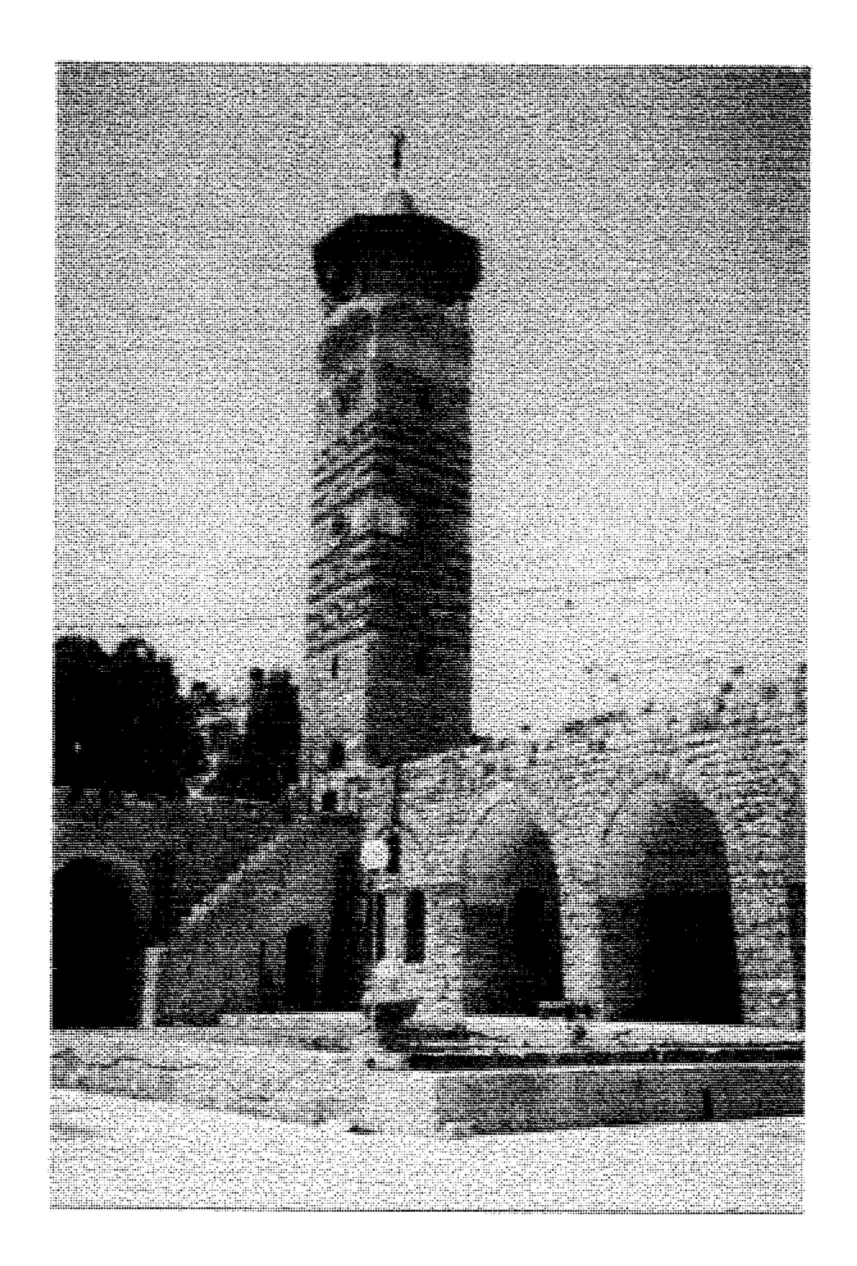

اللوحة رقم (٧)

تظهر الرواق الغربي والشمالي وميضأة ومئذنة جامع نور الدين زنكي بحماة

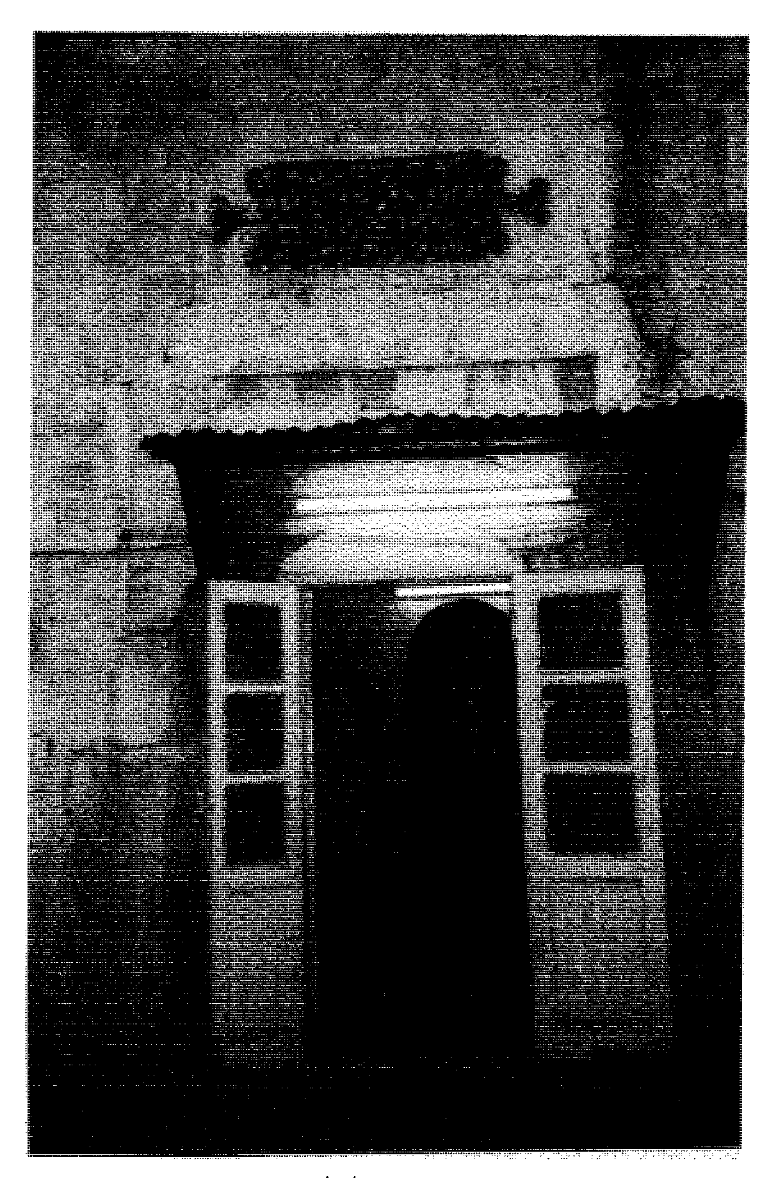

اللوحة رقم (٨)

تظهر مدخل الجامع العزي بحماة

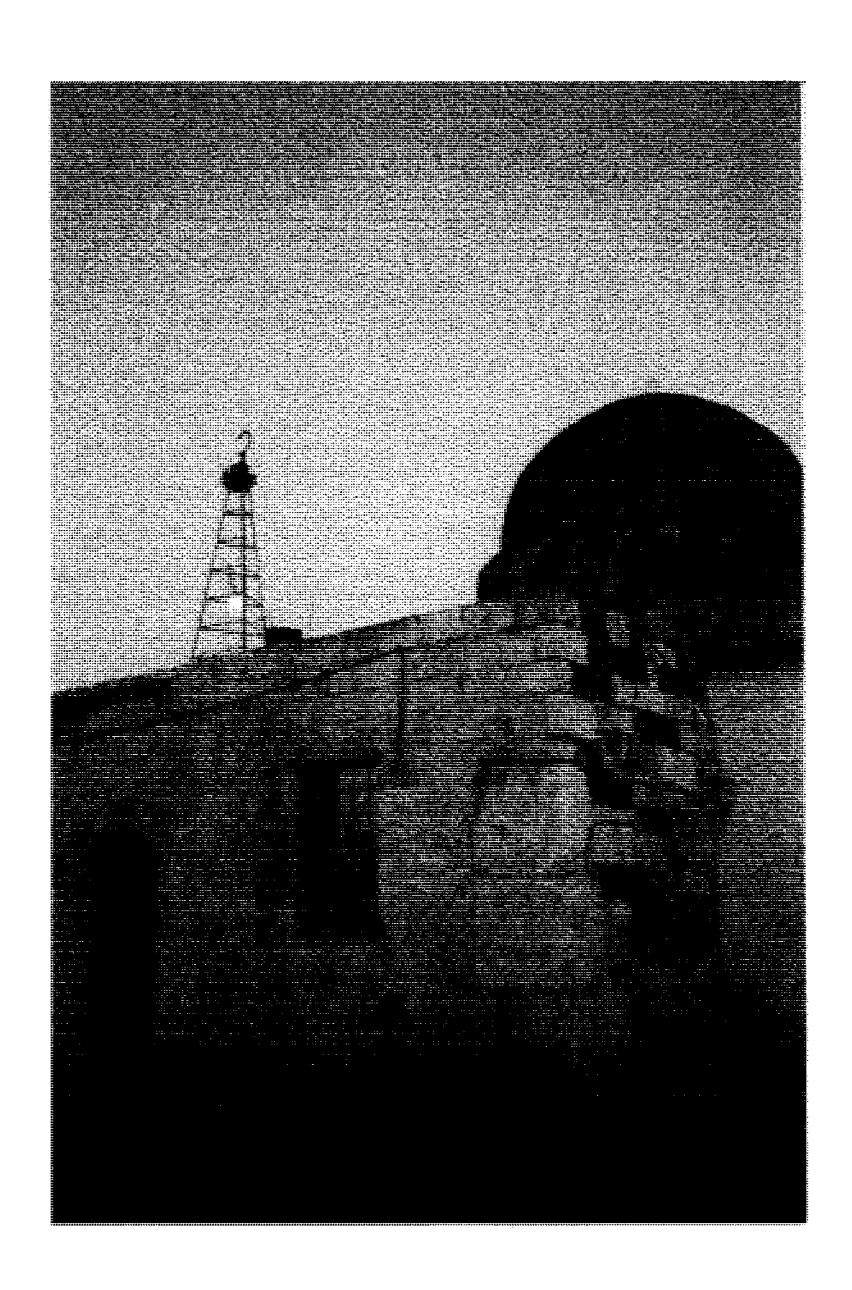

اللوحة رقم (٩)

تظهر طرز العمارة المستخدمة في الجامع العزي بحماة

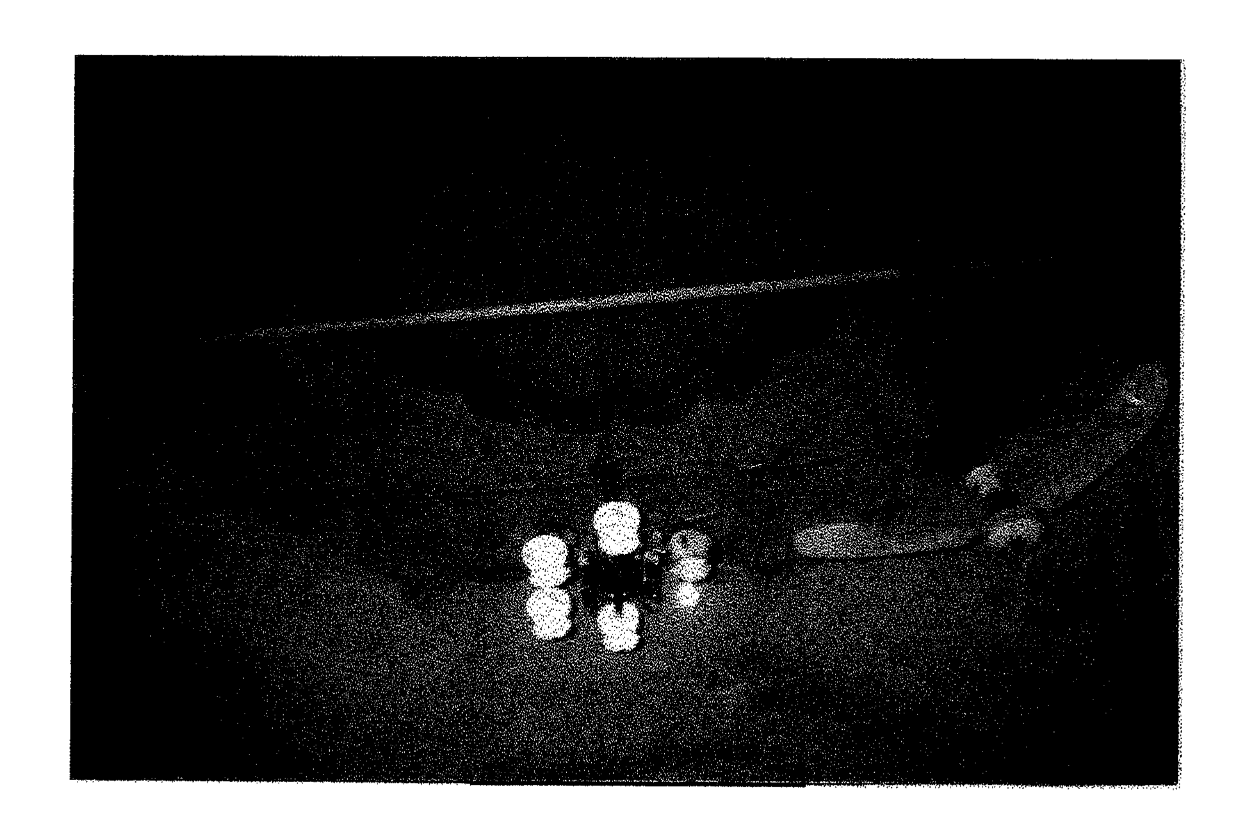

اللوحة رقم(١٠)

تظهر قبة الجامع العزي بحماة من الداخل

اللوحة رقم(١١)

تظهر بيت الصلاة للجامع العزي

اللوحة رقم(١٢)

تظهر الحجرين الموجودين في الجامع العزي والمنقوش على إحداهما

اسم منشأ المدرسة العزية وسنة البناء، وعلى الأخرى اسم منشأ الجامع وسنة البناء

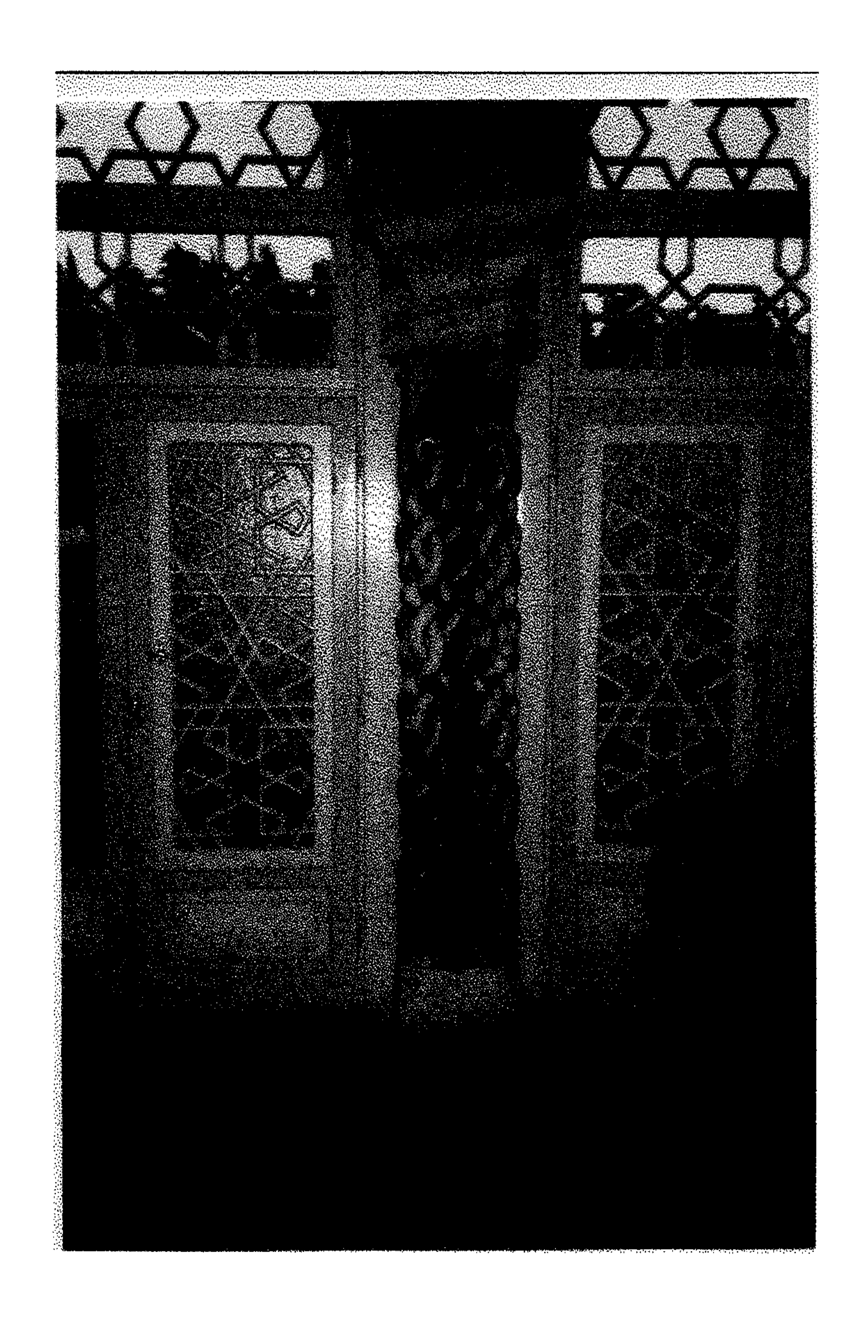

اللوحة رقم(١٣)

تظهر إحدى العامودين الرخاميين لجامع أبي الفداء بحماة

والذين نحتا على شكل حيتين

اللوحة رقم(١٤)

تظهر الجدار الجنوبي لجامع أبي الفداء بحماة والقبة التي علة الجامع

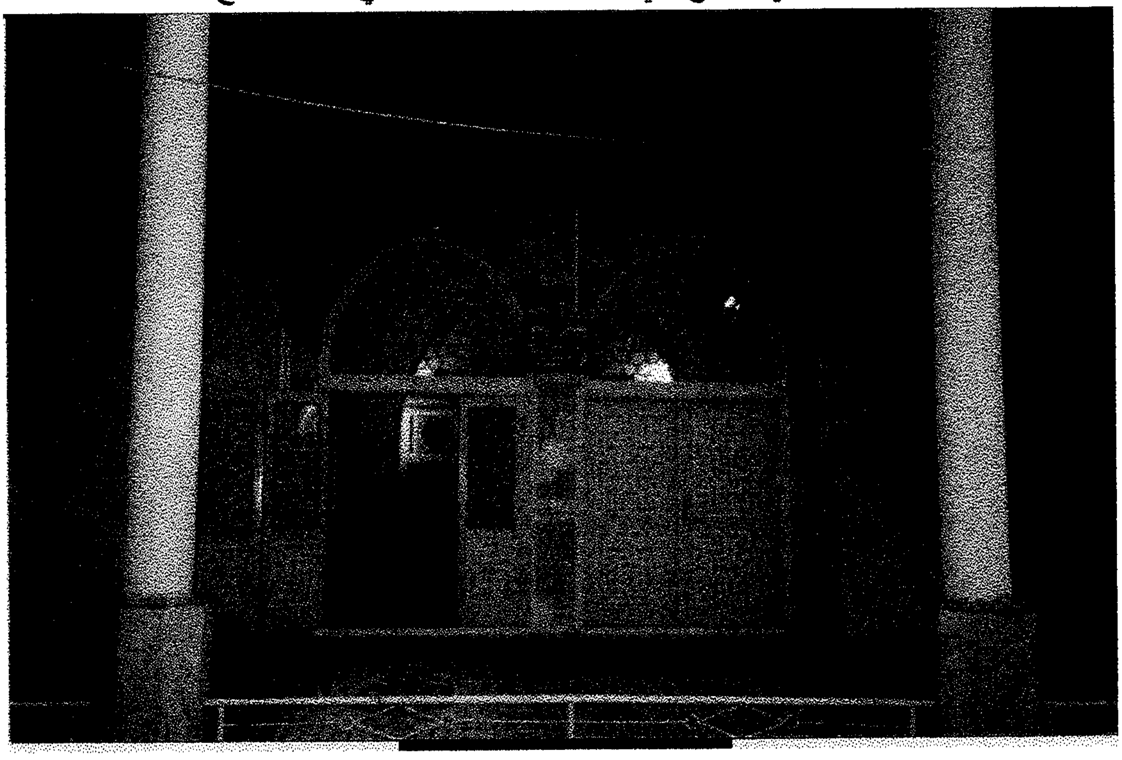

اللوحة رقم (١٥)

تظهر مدخلي بيت الصلاة لجامع أبي الفداء بحماة

اللوحة رقم (١٦)

تظهر الفنون الزخرفية التي زينت محراب
وقبة جامع أبي الفداء بحماة

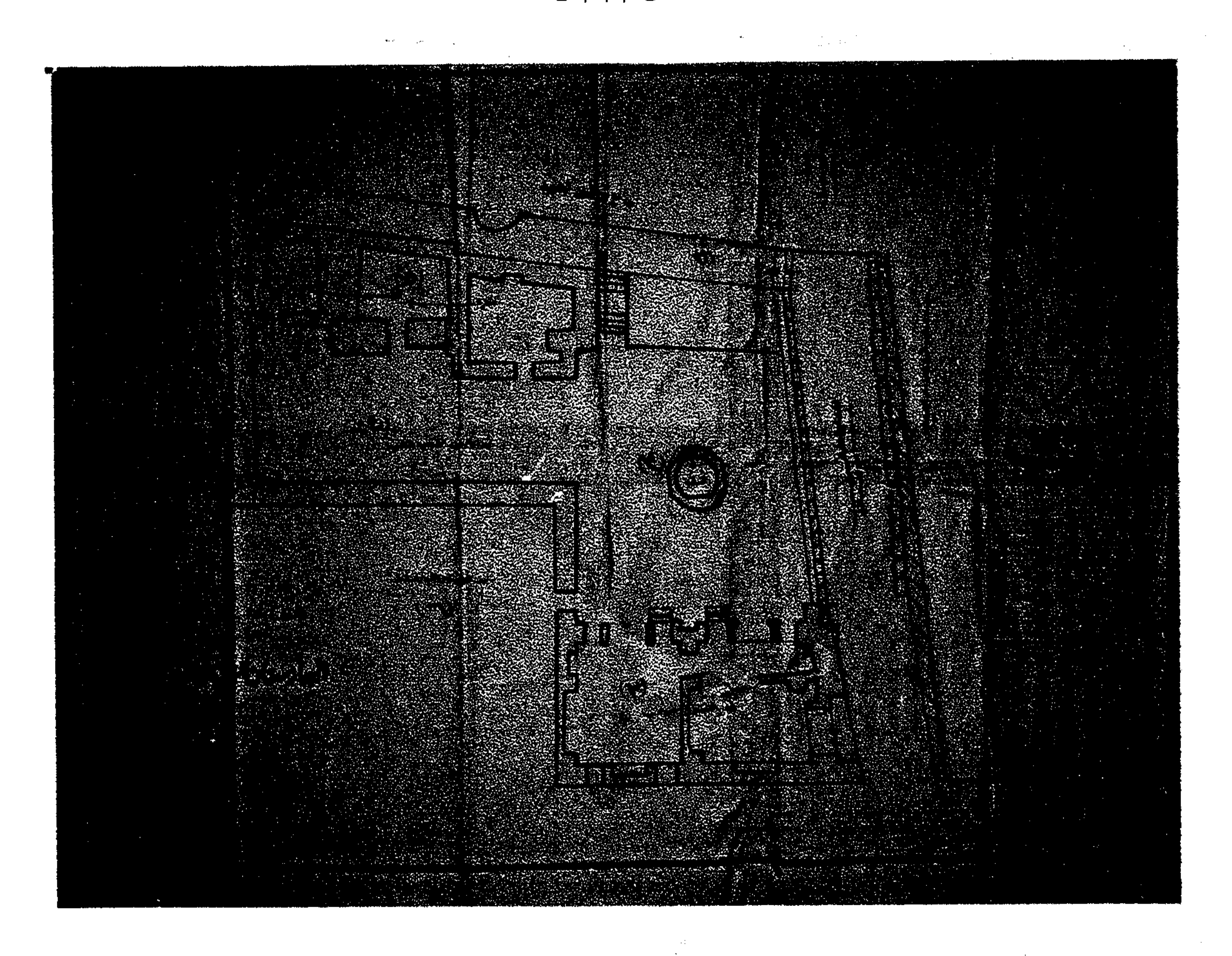

اللوحة رقم (١٧)

رسم تخطيطي للبيمارستان النوري بحماة

(١) المدخل.

(٢) فسقية.

(٣) غرف القسم الجنوبي.

(٤) قاعة أمام الغرف الشمالية المتبقية.

(٥) الغرف المتبقية.

(٦) الجهة المفقودة من البيمارستان.

(٧) جامع نور الدين الشهيد.

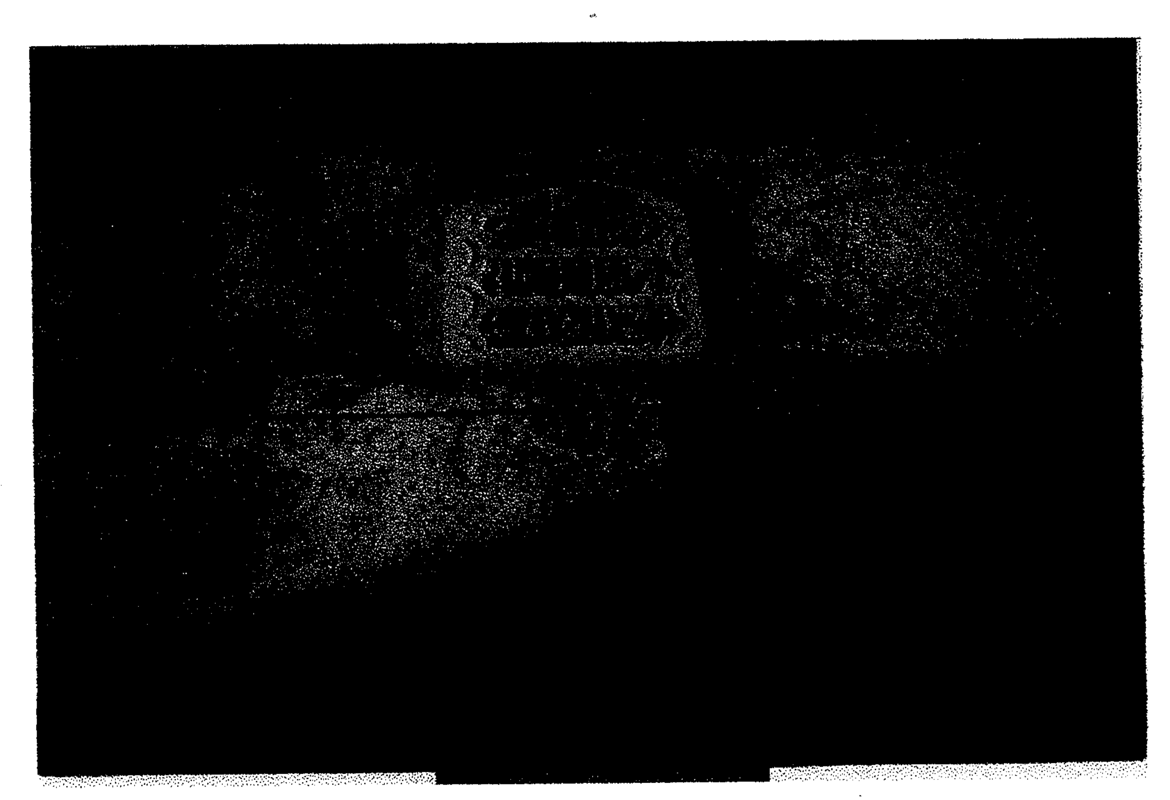

اللوحة رقم (١٨)

تظهر اللوحة الرخامية لضريح أبي الفداء بحماة

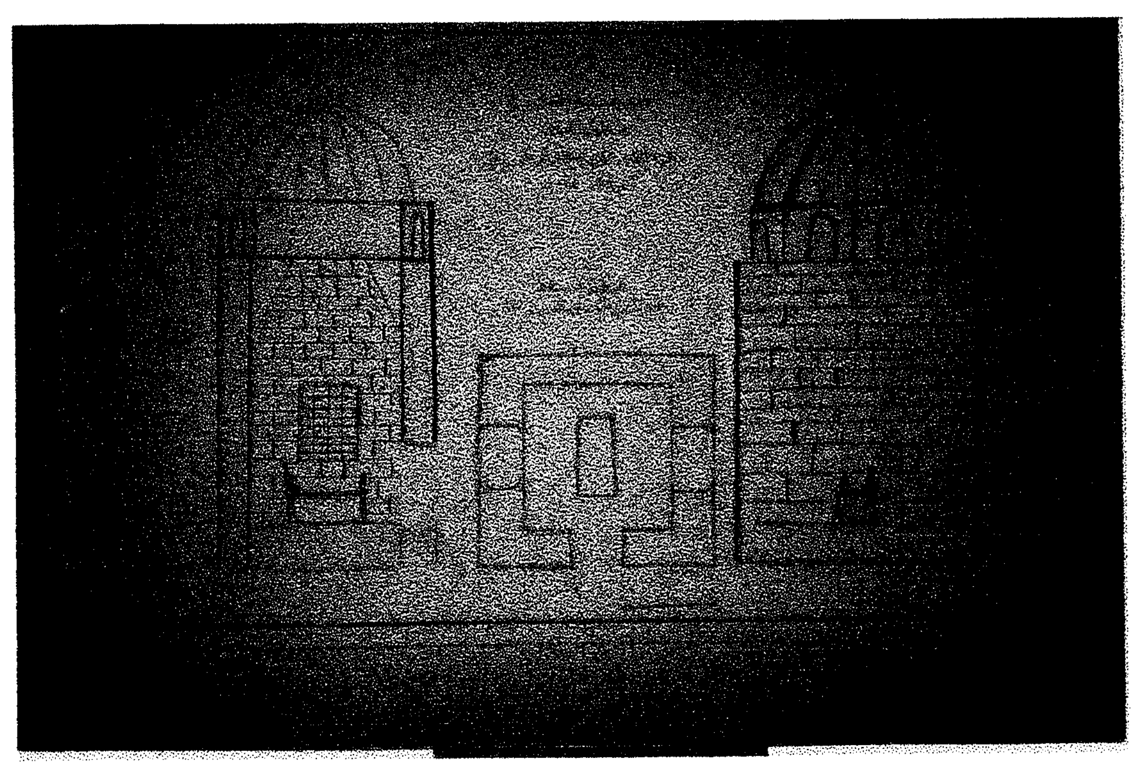

اللوحة رقم (١٩)

تظهر الرسم التخطيطي لضريح أبي الفداء في حماة(١)

(١) المديرية العامة للآثار والمتاحف بحماة.

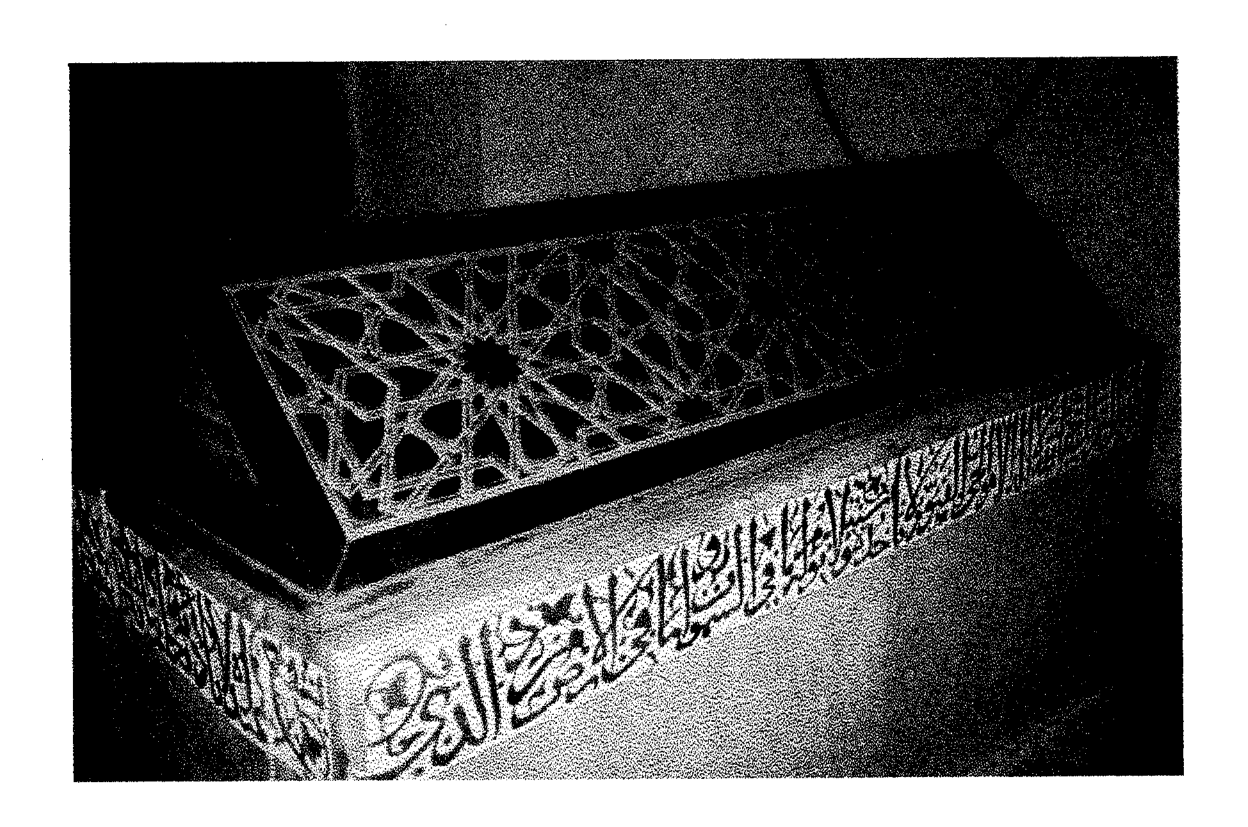

اللوحة رقم (٢٠)

تظهر الفنون الزخرفية التي زين بها ضريح أبي الفداء

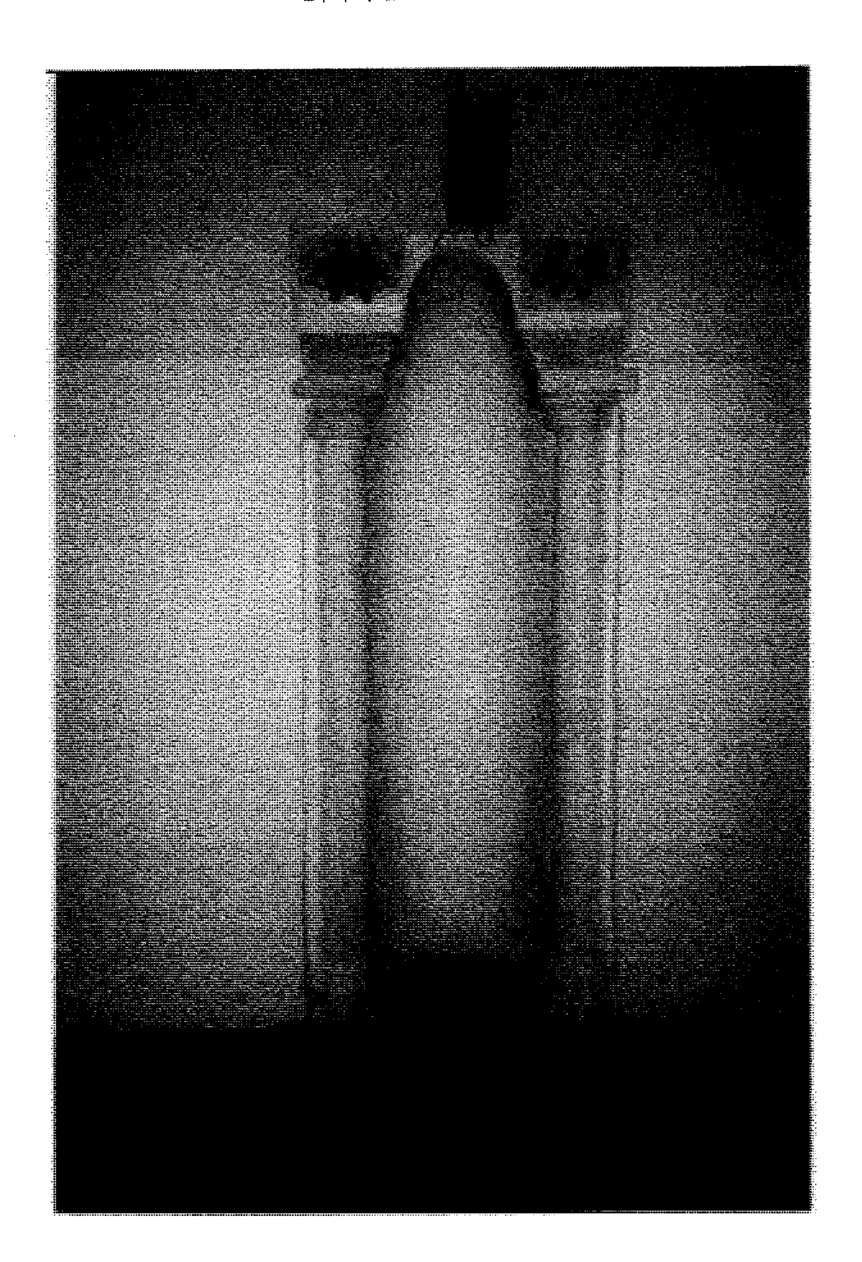

اللوحة رقم (٢١)

تظهر المحراب الذي توسط الجدار الجنوبي للمدرسة المؤيدية بحماة
والعامودين الذين نقش على تاجيهما اسم باني المدرسة

اللوحة رقم (٢٢)

تظهر إحدى النواعير التي وزعت في حماة ونظام الري المرفق بها من أحواض وسواري وقنوات.

ثبت المصادر والمراجع

ثبت المخطوطات:

- ابن حبيب:الحسين بن عمر بن الحسن بن حبيب الحلبي
درة الأسـلاك في دولة الأتراك ج١-٢ ، مخطوط بجامعة أم القرى ، رقم ٦ ٩٦٢, أ ح د .

- ابن الجزري:
تاريخ الجليل وفيه تاريخ دمشق والشام، مخطوط جامعة أم القرى،رقم ٤٣٣٠.

- ابن يوسف المقدسي:مرعي بن يوسف المقدسي الحنبلي
نـزهة الناظر فيمن ولي مصر من الخلفاء والسلاطين، ميكروفليم بجامعة أم القرى.

- الحنبلي:أبي عبد الله محمد بن إبراهيم
تاريخ أعيان حلب، مخطوط بجامعة أم القرى، رقم ٨٦٧.

- الرشيدي:
أحمـد الرشـيدي، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، مخطوط بجامعة أم القرى، رقم١٥١ ,٩٥٣

ثبت المصادر:

-ابن الأثير:(أبو الحسن على أبي الكرم الشـيباني ، ت ٦٣٠هـ /١٢٣٢م)
١- الـتاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، القاهرة، دار الكتب الحديثة.
٢- الكامل في التاريخ، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

-ابن الأثير:(أبو الحسن على بن محمد الجزري)
أسـد الغابة في معرفة الصحابة،تحقيق محمد إبراهيم البنا،دار الشعب،من غير تاريخ طبع.

- ابن الأخوة:(ضياء الدين محمد بن محمد القرشي، ت ٧٢٩هـ/١٣٢٨م)
معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

- ابـن اياس:(أبو البركات محمد بن أحمد الحنفي ، ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م)
بدائـع الـزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى ،الجزء الأول، القسـم الأول،القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
الجزء الأول، القسم الثاني و الثالث، والجزء الثاني، الهيئة العامة لقصور الثقافة،د٠ط.الجزء الثالث،القاهرة،الناشر فرانز شتايز،١٣٨٣هـ/١٩٦٣م
الجزء الرابع،القاهرة،الناشر فرانز شتايز،١٣٧٩هـ/١٦٩٠م
الجزءالخامس،القاهرة،الناشر فرانزشتايز،١٣٨٠هـ/١٩٦١م

-ابن أيبك:(أبو بكر عبد الله بن أيبك الدودار، ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م)
كـنز الـدرر وجامع الغرر، المجلد الثامن، الدرر الزكية في أخبار الدولة التركـية، تحقيق أولرخ هارمان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٩١هـ/١٩٧١م. المجلد التاسع، الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقـيق هـانس روبرت رويمر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٠م.

-ابن بطوطة:(محمد بن عبد الله اللواتي، ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)
تحفـة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار(رحلة ابن بطوطة)، تحقـيق على المنتصر الكتاني،بيروت،مؤسسة الرسالة،الطبعة الرابعة،من غير تاريخ طبع.

- ابـن البيبـي:(ناصـر الديـن يحـى بـن محمد ، ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م)
تـاريخ سـلاجقة الـروم، تحقيق محمد علاء الدين منصور،من غير تاريخ طبع.

-ابن تغري بردي:(يوسف الأتابكي،ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)

١-حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين ، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢- الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهيم شلتوت، مكة المكرمة ،مركز البحث العلمي و أحياء التراث بجامعة أم القرى،١٩٨٣م.

٣-المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، الجزء الأول والثاني،تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

الجزء الثالث، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز،القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

الجزء الرابع،تحقيق محمد محمد أمين،القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م

الجزء الخامس، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز،القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.

الجزء السادس ، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

الجزء السابع،تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

٤-موارد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٧م.

٥- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الجزء السابع والثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر،القاهرة، الهيئة العامة للتأليف والنشر.

الجزء الثالث عشر، تحقيق فهيم شلتوت، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

الجزء الرابع عشر،تحقيق جمال محرز، فهيم شلتوت،القاهرة،الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،١٩٧١م.

الجزء الخامس عشر،تحقيق إبراهيم طرخان، القاهرة، الهيئة المصري العامة للتأليف والنشر، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

الجــزء الســادس عشر، تحقيق جمال الدين الشيال، فهيم شلتوت،القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر،١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

– ابن تيمية:
(أحمد عبد الحليم ،ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م)
١– السياســية الشــرعية فــي إصلاح الراعي والرعية، تحقيق إبراهيم رمضان، بيروت، دار الفكر اللبناني، الطبعة الأولى،١٩٩٢م.
٢–الحســبة في الإسلام،تحقيق سيد بن محمد بن أبي سعدة، الكويت،مكتبة دار الأرقم، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

– ابــن جبير:(أبو الحسن بن أحمد بن جبير الكناني، ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م)
تذكــرة الأخــبار عــن اتفاقات الأسفار(رحلة ابن جبير) ،بيروت، دار التراث ،من غير تاريخ طبع.

– ابن الجزري:(شمس الدين محمد بن إبراهيم القرشي،ت ٧٣٨هـ/١٣٣٩م)
١– حوادث الزمان وإنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبناءه(تاريخ ابن الجــزري)، تحقــيق عمر عبد السلام تدمري،بيروت، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٢– المخــتار من تاريخ ابن الجزري، تحقيق خضير عباس المنشداوي، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

– ابــن الجيعان:(بدر الدين محمد بن يحى بن شاكر بن عبد الغني،ت ٩٠٢ هـ /١٤٩٦م).
القول المســتظرف في سفر الملك الأشرف(أو رحلة قايتباي إلى الشام)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري،جروس برس، الطبعة الأولى،١٩٨٤م.

– ابن حبيب:(الحسن بن عمر، ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)
تذكــرة النبــيه فــي أيــام المنصــوروبنية، تحقــيق محمد محمد أمين، القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٢م.

- ابن حجر:(شهاب الدين أحمد بن على، ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)
١-إنباء الغمر في أبناء العمر في التاريخ، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٢-الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت، دار الفكر،١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٣-ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق أبي عبد الرحمن سعيد معشاشة، دار ابن حزم، من غير تاريخ طبع.
٤-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد، دار الكتب الحديثة،من غير تاريخ طبع.
٥-ذيل الدرر الكامنة، تحقيق عدنان درويش، القاهرة، معهد المخطوطات العربية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
٦-رفع الأصر عن قضاة مصر، تحقيق حامد عبد المجيد،محمد المهدي أبو سنه، محمد الصاوي،من غير تاريخ طبع.

- ابن الحمصي:(شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، ت ٩٣٤هـ/ ١٥٢٧م)
حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت،المكتبة العصرية،الطبعة الأولى،١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

- ابن خرداذبة: (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م)
المسالك والممالك، تحقيق محمد مخزوم،بيروت، دار أحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- ابن خلدون:(عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨هـ /١٤٠٥م)
١-تاريخ ابن خلدون(العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)،عناية تركي فرحان،بيروت،دار أحياء التراث العربي، الطبعة الأولى،١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٢-مقدمة ابن خلدون، تحقيق علي عبد الواحد وافي،القاهرة،الطبعة الثالثة.

- ابــن خلكــان:(أحمــد بــن محمد بن أبي بــكر، ت ٦٨١هــ/١٢٨١م) وفــيات الأعــيان وإنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، من غير تاريخ طبع.

- ابــن دقماق:(إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ، ت ٨٠٩هــ /١٤٠٦م)
١-الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق،سعيد عبد الفــتاح عاشور،مكة المكرمة،مركز البحث العلمي وأحياء التراث،من غير تاريخ طبع
٢-الــنفحة المســكية في الدولة التركية من كتاب الجوهر الثمين في سير الخلفــاء والملــوك والسلاطين، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى،١٤٢٠هــ/ ١٩٩٩م.

- ابــن رافــع:(محمــد بــن رافــع الســلامي ، ت ٧٧٤هـــــ /١٣٧٢م)، الوفيات،تحقــيق صــالح عباس، بيروت،مؤسسة الرسالة،الطبعة الأولى، ١٤٠٢هــ/١٣٩٢م.

- ابــن رســته:(أبــو علــي أحمــد بــن عمــر، ت ٢٩٠هـــــ/٩٠٣م) الاعلاق النفيسة، بيروت، دار أحياء التراث العربي، من غير تاريخ طبع

- ابـــــن زنـــــبل:(أحمـــــد الـــــرمال ،ت ٩٦٠هـــــــ/١٥٥٢م) آخــرة المماليك(أو واقعة السلطان الغوري مع ســليم الثاني)، تحقيق عبد المــنعم عامــر، القاهــرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

- ابن شاكر الكتبي:(فخر الدين محمد بن أحمد الكتبي،ت ٧٦٤هــ/١٣٦٢ م)
١-عــيون التواريخ ، الجزء الثاني عشر، تحقيق فيصل السامر،نبيلة عبد المــنعم داود، الجمهوريــة العراقــية، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، ١٣٩٧هـــ/ ١٩٧٧م. الجزء الحادي والعشرون، تحقيق فيصل السامر، نبــيلة عبدالمــنعم داود، الجمهوريــة العراقــية، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، ١٩٨٤م.

٢-فـوات الوفـيات، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة،مكتبة النهضة المصرية،١٩٥١م.بيروت،نشر إحسان عباس،من غير تاريخ طبع

- ابن الشحنة: (أبو الفضل محمد بن الشحنة ، ت ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م)
١-الـبدر الزاهر في نصرة الملك الناصر محمد قايتباي(٩٠١-٩٠٤هـ/ ١٤٩٥- ١٤٩٩م)، تحقـيق عمر عبد السلام تدمري،بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٢-الـدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تحقيق عبد الله محمد درويش، سورية، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- ابـن شـداد:(بهـاء الديـن ابـن رافـع بن تميم، ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)
النوادر السـلطانية والمحاسن اليوسـفية(أو سيرة صلاح الدين)، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والنشـر، الطـبعة الأولى، ١٩٦٤م.

- ابـن شـداد:(عـز الدين محمد بن علي بن إبراهيم الحلبي، ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م)
الأعـلاق الخطـيرة فـي ذكـر أمـراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان،دمشـق،المعهد الفرنسـي للدراسـات العربية،١٣٨٢هـ/١٩٦٢م
تاريخ الملك الظاهر، تحقيق أحمد حطيط، فرانزشـتاير بقيسـبان،١٤٠٣ هـ/١٩٨٣م.

- ابن صصري: (محمد بن محمد ابن صصري)
كـتاب الـدر المضيئة في الدولة الظاهرية، تحقيق وليم.م.بريز،من غير تاريخ طبع.

- ابـن طباطـبا:(محمـد بـن علـي بـن طباطبا، ت ٧٠٩هـ/١٣٠٩م)
الفخـري فـي الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق ممدوح حسن محمد، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، من غير تاريخ طبع.

- ابن طولون: (شمس الدين محمد، ت ٩٥٣ هـ/١٥٤٦م)
١- أعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الكبرى،تحقيق محمد دهمان،دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٢-قضاء دمشق (الثغر البسام في ذكر من ولي قضاءالشام)،تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق، المجمع العلمي،١٩٥٦م.
٣-القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد دهمان،دمشق، مجمع اللغة العربية،من غير تاريخ طبع.
٤-مفاكهة الخلان في حوادث الأزمان تاريخ مصر والشام، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القسم الأول، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م.القسم الثاني، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

- ابن طولون، ابن المبرد:(يوسف بن حسن بن عبد الهادي ابن المبرد الحنبلي،ت ٩٠٩هـ/١٥٠٢م)
متعة الأذهان من التمتع بالأقران بين تراجم الشيوخ والأقران، تحقيق صلاح الدين خليل الشيباني، بيروت، دار صادر، الطبعة الأولى،١٩٩٩م.

- ابن الطولوني:(الحسن بن حسين بن أحمد ،ت ٩٢٣هـ/١٥١٧م)، النزهة السنية في أخبار الخلفاء والملوك المصرية(أخبار الخلفاء)، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- ابن عبد الظاهر:(محي الدين عبد الله بن رشيد الدين بن عبد الظاهر السعدي،ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م)
١-الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية المملكية الأشرفية،الجزء الثالث،من غير تارخ طبع.
٢-تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور،تحقيق مراد كامل، القاهرة، الشركة العربية للطباعة،الطبعة الأولى،١٩٦١م.
٣-الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

– ابـن العـبري:(غريغوريوس أبو الفرج بن أهرون المللطي، ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)

١- تاريخ الزمان، بيروت، دار المشرق،١٩٨٦م.

٢-تـاريخ مختصـر الدول، تحقيق خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

– ابن العديم:(كمال الدين عمر بن أحمد ابن أبي جرادة،ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م)،

١-بغـية الطلـب فـي تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دمشق، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢-زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، دمشق،المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية،١٣٧٠هـ/١٩٥١م

– ابن العراقي: (ولـي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم بن الحسن، ت ٨٢٦هـ/١٤٢٢م)

الذيـل علـى العـبر فـي خـبر مـن غبر،تحقيق صالح مهدي عباس، بيروت،مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

– ابـن عربشاه:(شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقي، ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م)

عجائـب المقـدور في نوائب تيمور، تحقيق أحمد فائز الحمصي،مؤسسة الرسالة،الطبعة الأولى،١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

– ابـن العماد الحنبلي:(أبو الفلاح عبد الحي أحمد بن محمد، ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق مصـطفى عبد القادر عطا، بيروت،دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى،١٤١٩هـ /١٩٩٨م.

– ابن العميد:(المكين جرجس)

أخبار الأيوبيين، بور سعيد ، مكتبة الثقافة الدينية، من غير تاريخ طبع.

– ابـن الفـرات:(ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ، ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م)،

تـاريخ الـدول والملوك (تاريخ ابن الفرات)، المجلد الرابع الجزء الأول

والثانـــي، المجلـــد الخـــامس الجزء الأول، تحقيق حسين محمد الشماع، ١٣٩٠هـــ /١٩٧٠م، المجلـــد السابع، تحقيق قسطنطين زريق، من غير تـــاريخ طـــبع، المجلـــد الثامـــن والتاســـع، الجزء الأول والثاني، تحقيق قسطنطين زريق ،نجلاء عز الدين، من غير تاريخ طبع.

– ابن الفقيه الهمذاني:(أحمد بن محمد الهمذاني)
مختصـــر كتاب البلدان، دار أحياء التراث العربي،الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.

– ابن فهد :(نجم الدين عمر بن فهد ،ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)
إتحاف الورى بأخبار أم القرى،تحقيق فهيم شلتوت، جدة، دار المدني، من غير تاريخ طبع.

– ابـــن فهـــد المكـــي:(تقـــي الديـــن محمد بن محمد، ت ٨٧١هـ/١٤٦٦م)
لحـــظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، تحقيق زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى،١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

– ابن الفوطي:(ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)
كـــتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة، تحقيق عماد الدين عبد السلام رؤوف، من غير تاريخ طبع.

– ابن القاضي :(أبي العباس أحمد بن محمد المكناسي،ت ٦٩٠هـ/١٠٢٥م)، ذيـــل وفـــيات الأعـــيان(درة الحجـــال في أسماء الرجال)، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة ، دار التراث، من غير تاريخ طبع.

– ابن القلانسي:(أبـــو يعلـــى حمـــزة ابن القلانسي ، ت ٥٥٥هـ/١١٦٠ م)
ذيل تاريخ دمشق،بيروت، تحقيق الأباء اليسوعيين، ١٩٠٨م.

– ابن الكاتب الموصلي:(موسى بن حسن الموصلي)
الـــبرد الموشـــى في صناعة الأنشا،تحقيق عفاف سيد صبرة، دار الكتب العلمية،الطبعة الأولى،١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

- ابـن كثـير:(عمـاد الديـن بن عمر القرشي ، ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢ م) البداية والنهاية، تحقيق عبد الرحمن اللاوقي، محمدغازي بيضون،بيروت، دار المعرفة، الطبعة الأولى،الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧م.

- ابـن كـنان:(محمد بن عيسى بن كنان الصالحي الدمشقي،ت ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م) المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية،تحقيق حكمت إسماعيل، دمشق،وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية،١٩٩٣م.

-ابن منظور:(محمد بن مكرم بن منظور ، ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) لسان العرب، بيروت ، دار صادر، الطبعة الأولى.

- ابن مماتي:(أسعد بن مماتي ،ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) جمعه وحققه عزيز سوريال عطيه، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- ابن ميسر:(محمد بن على بن يوسف ، ت ٦٦٧هـ/١٢٧٨م) المنـتقى فـي أخبار مصر، تحقيق، أيمن فؤاد سيد، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية،من غير تاريخ طبع.

- ابـن ناظـر الجيش:(تقي الدين عبد الرحمن بن محمد التميمي الحلبي، ت ٧٧٨هـ/١٣٧٦م) كتاب تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق رودلف قسلي، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، من غير تاريخ طبع.

- ابن واصل:(جمال الدين محمد بن سالم، ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق حسنين محمد ربيع،سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب، ١٩٧٧م.

- ابـن الـوردي:(زيـن الدين محمد ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، ١- تـتمة المختصـر في أخبار البشر(تاريخ ابن الوردي)، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٢-خـــريدة العصـــر وفـــريدة العجائب، بيروت، المكتبة الشعبية،من غير تاريخ طبع.

- ابن الوكيل: (يوسف اللمواني ، ت ١١٣١هـ/١٧١٩م)
تحفـــة الأحـــباب بمـــن ملـــك مصـــر من الملوك والنواب، تحقيق محمد الششـــتاوي، القاهـــرة، دار الآفـــاق العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م

- أبـــو شامة:(شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي ،ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)،
١-تـــراجم رجـــال القرنيـــن الســـادس والسابع (المعروف بالذيل على الروضـــتين)، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى،١٩٤٧م، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م.
٢-مختصـــر كـــتاب الروضـــتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقـــيق محمـــد بـــن حسن، جدة، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

- أبو الفداء:(عماد الدين إسماعيل، ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)
١-تقويم البلدان، تحقيق رينود البارون مارك كوكين دبســـلان، بـــاريس، دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م.
٢-المختصرفي أخبار البشر،المطبعة الحسينية بمصر،من غير تاريخ طبع
٣-اليواقيـــت والضرب في تاريخ حلب، تحقيق محمد كمال،فالح البكور، حلب، دار القلم العربي، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

- أبو الفداء:(زين الدين قاسم بن قطلو بغا ،ت ٨٧٩هـ/١٤٧٤م)
تاج التراجم، تحقيق محمد خير رمضان يوسف،دمشق ، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

- الأحدب:(نجم الدين حسن الرماح ،ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م)
الفروسية والمناصب الحربية، تحقيق عيد ضيف العبادي، من غير تاريخ طبع.

- الأسحاقي:(محمد بن عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد بن المفتي)
كتاب أخبار الأول،مكتبة القاهرة، من غير تاريخ طبع.

- أسطفان الدويهي:(أسطفان الدويهي)
تاريخ الأزمنة،تحقيق الأب بطرس فهد، بيروت، دار الحد خاطر،من غير تاريخ طبع.

- الأسنوي:(جمال الدين بن عبد الرحيم، ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م)
طبقات الشافعية، تحقيق، عبد الله الجبور، دار العلوم،١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- إدريس:(عماد الدين إدريس، ت ٨٧٢هـ/١٤٦٧م)
تـاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، الطبعة الأولى، ١٩٨٥هـ.

- أرنبغا الزردكاش:
الأنيق في المنجانيق، تحقيق نبيل محمد عبدالعزيز، القاهرة، ١٩٨١م.

- البصـروي:(عـلاء الدين على بن يوسف بن أحمد، ت ٩٠٥هـ/١٤٩٩م)
تـاريخ البصروي، صفحات مجهولة من تاريخ دمشق في عصر المماليك مـن سـنة ٨٧١هـ/٩٠٤م، تحقيق أكرم العلبي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- الـبغدادي:(صـفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)
مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق على محمد البجاوي، مصر، عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

- البقاعي:(إبراهيم بن عمر البقاعي)
إظهار العصر لأسرار أهل العصر(أو تاريخ البقاعي)، تحقيق محمد سالم بن شديد العوفي، الطبعة الأولى،١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- البكرجـــي الحنفـــي:(علاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبد الله(ت٧٦٢هـــ/ ١٣٦٠م)
مختصر تاريخ الخلفاء، تحقيق آسيا لكيبان، دار الفخر للنشر، ٢٠٠١م.

- بيـــبرس المنصوري:(ركن الدين بيبرس المنصوري الدودار، ت ٧٢٥هــ/ ١٣٢٤م)
١- الـــتحفة المملوكية في الدولة التركية تاريخ دولة المماليك البحرية في الفـــترة مـــن ٦٤٨- ٧١١هـــــ، تحقـــيق عبد الحميد صالح حمدان،الدار المصرية اللبنانية،الطبعة الأولى،١٤٠٧ هــ/١٩٨٧م.
٢-زبـــدة الفكـــرة في تاريخ الهجرة، تحقيق دونالد .س.ريتشار،بيروت، ١٤١٩هــ/ ١٩٩٨م.
٣-مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية سنة ٧٠٢ هـــــ، تحقـــيق عبد الحيد صالح حمدان، الدارالمصرية اللبنانية، من غير تاريخ طبع.

- البـــنداري الأصـــفهاني:(الفـــتح بن على بن محمد البنداري، ت ٦٤٣هــ/ ١٢٤٥م)
١-تـــاريخ دولة آل سلجوق، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية،١٩٧٨م.
٢-ســـنا البرق الشامي ٥٦٢هــ/ ١١٦٦م - ٥٨٣هــ/١١٧٨م،أختصار الفـــتح بن على البنداري من كتاب البرق الشامي للعماد الأصفهاني،تحقيق فتحية النبراوي، مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٧٩م.

- تقي الدين الداري:(المولى تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي ،ت ١٠٠٥هــ /١٠١٠م)
الطبقات السنية في تراجم الحنفية،تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو،الرياض، دار الرفاعي،الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـــ.

- الحسيني:(صدر الدين على الحسيني، ٥٧٥هــ/١١٨٠م)
أخـــبار الدولة السلجوقية، تحقيق محمد أقبال، بيروت، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى،١٤٠٤هــ/١٩٨٤م.

- الحميري:(محمد بن عبد المنعم الحميري ، ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٤م)
الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ١٩٧٥م،.

- الحنبلي: (أحمد بن إبراهيم، ت ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)
شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم سيد،العراق، وزارة الثقافة،١٩٧٨م.

- الحنبلي:(مجير الدين الحنبلي)
الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل،مكتبة الجيل،١٩٧٣م.

- الجيلاني: (عبد القادر الجيلاني، ت ٥٦١هـ/١١٦٥م)
١-الأوراد القادرية، دار الألباب، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٢.
٢-السفينة القادرية(شرح الصلاة الصغرى مع شرح حزب الوسيلة)، دار الألباب، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
٣-الغنية(طريق الحق في الأخلاق الإسلامية والتصوف والأداب)، وكتاب الفتح الرباني والفيض الرحماني، دار الألباب،من غير تاريخ طبع.

- الديار بكري: (حسن بن محمد بن الحسن الديار بكري)
تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، بيروت، مؤسسة شعبان، من غير تاريخ طبع.

- الذهبي:(شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م)
١-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٢-ذيل تاريخ الإسلام، تحقيق مازن بن سالم باوزير، دارالمغني للنشر والتوزيع،الطبعة الأولى،١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٣-دول الإسلام، تحقيق، فهيم شلتوت، محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤.
٤-العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد،بيروت، دار الكتب العلمية، من غير تاريخ طبع.

٥-سـير أعـلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية،١٤١٨ هـ/١٩٩٧م.
٦-ذيول العبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد، بيروت،دارالكتب العلمية ، من غير تاريخ طبع.

- الزبيدي: (المرتضى الزبيدي، ت ١٢١٣هـ/١٧٩٨م)
تـرويح القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق صلاح الدين المنجد، دمشق، دار الكتب الجديد،الطبعة الأولى،١٩٦٩م، بيروت،الطبعة الثانية،١٩٨٣.

- سبط ابن الجوزي:(أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي،ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حيدر أباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى،١٣٧٠هـ/١٩٥١م؛طبعة أخرى، تحقيق ودراسة مسـفر بـن سالم الغامدي، مكة المكرمة، جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية واحياء التراث،مركز إحياء التراث الإسلامي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

- السـبكي:(تـاج الديـن عبد الوهاب بن على بن عبد الكافي،ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)
١-طـبقات الشـافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى، من غير تاريخ طبع.
٢-معـيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٦م.

- السـخاوي:(محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان ، ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)
١-كتاب التبر المسبوك في ذيل السلوك،القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، من غير تاريخ طبع.
٢-الذيل التام على دول الإسلام للذهبي، تحقيق حسن إسماعيل مروة، دار العروبة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٣-الذيـل علـى رفع الأصر أو بغية العلماء والرواة، تحقيق جواد هلال، محمد صبح، الدار المصرية للتأليف والترجمة، من غير تاريخ طبع.
٤-الضـوء اللامع لأهل القرن التاسع، مكتبة الحياة، من غير تاريخ طبع.

٥- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد ، عصام الحرستاني، أحمد الحظيمي، مؤسسة الرسالة،الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
٦-الذيل على رفع الأصر أوبغية العلماء والرواة، تحقيق جودة هلال،محمد محود صبح، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، من غير تاريخ طبع.

- السنامي:(عمر بن محمد بن عوض، ت ٦٩٦هـ/١٢٩٧م)
نصاب الاحتساب، تحقيق مريزن سعيد مريزن، مكتبة الطالب الجامعي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ.

- السيوطي:(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)
١-تاريخ الخلفاء، بيروت، دار الكتب العلمية، من غير تاريخ طبع.
٢-حسن المحاضر في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٣-ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، تحقيق زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

- شافع العسقلاني:(شافع بن على الكاتب العسقلاني،ت ٧٣٠هـ/١٣٣٠م)
الفضل المأثور في سيرة الملك المنصور،تحقيق عمر عبد السلام تدمري،بيروت، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

- شاهين الظاهري:(زين الدين عبد الباسط بن خليل ،ت ٩٢٠هـ/١٥١٤م)
نيل الأمل في ذيل الدول، بيروت، المكتبة العصرية، من غير تاريخ طبع.

- الشوكاني:(محمد بن على، ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاهرة،مطبعة السعادة،الطبعة الأولى،١٣٤٨هـ.

- الشهرستاني:(محمد عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد ،ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م)
الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني،بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٠هـ/

١٩٨٠م. نسـخة أخرى ، خرجه محمد بن فتح الله بدران، القاهرة،مطبعة الأزهر، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

- شـيخ الربوة:(شمس الدين محمد بن أبو طالب الأنصاري ،ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)

نخـبة الدهـر فـي عجائـب الـبر والبحر،بـيروت، دار أحياء التراث العربي،الطبعة الثانية،١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

- الشيزري:(عبد الرحمن بن نصر الله ، ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م)

نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، بيروت، الطبعة الثانية،١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- الصـفدي:(صـلاح الديـن خلـيل بـن أيـبك ، ت ٧٦٤هـ /١٣٢٦م)

١-أعـيان العصـر وأعوان النصر، تحقيق على أبو زيد، نبيل أبوعمه، محمـد موعـد، محمود سالم، بيروت،دار الفكر المعاصر ، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٢-تحفـة ذوي الألـباب فيمن حكم بدمشق من خلفاء والملوك والنواب، تحقيق إحسان سعيد، زهير حميدان الصمام، دمشق، وزارة الـثقافة فـي الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٢م.

٣-نكـت الهيمان في نكت العميان، المطبعة الجمالية دار المدينة، ١٣٢٩ هـ/١٩١١م.

٤-الوافـي بالوفيات، فرانز شتاير بقيسبادن،١٣٨١هـ/١٩٦٢م، وطبعة بتاريخ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

- الصـيرفي:(علـى بـن داود الجوهـري، ت ٨٤٢هـ/١٤٣٨م)

١-أنـباء الهصـر بأبناء العصر،تحقيق حسن الحبشي،القاهرة،دار الفكر العربي ، ١٩٧٠م.

٢-نـزهة الـنفوس والأبـدان، تحقيق حسن الحبشي، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٠م.

- العبادي:
ذيل طبقات الفقهاء الشافعيين، تحقيق أحمد عمر هاشم،محمد زينهم، مكتبة الثقافة الدينية، من غير تاريخ طبع.

- العصامي:(عبد الملك بن حسين بن عبد الملك، ت ١١١١هـ/١٦٩٩م)
سمط النجوم العوالي في إنباء الأوائل والتوالي،المطبعة السلفية ومكتبتها، من غير تاريخ طبع.

- العمري:(شهاب الدين أبو عباس أحمد بن يحي ، ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)
١- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق دوريتا كرافوالسكي،بيروت،المركز الإسلامي للبحوث،الطبعة الأولى، ١٤٠٦-١٤٠٧هـ/ ١٩٨٤-١٩٨٥م.
٢-التعريف بالمصطلح الشريف،تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، من غير تاريخ طبع.

- العيني:(بدر الدين محمود ، ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)
١-الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر، تحقيق هانس أرنست، دار أحياء الكتب العربية، ١٩٦٢م.
٢-السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي، تحقيق فهيم شلتوت، القاهرة، دار الكاتب العربي،١٩٦٦-١٩٦٧م.
٣-عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، وجزء تحقيق عبد الرزاق القرموط،الطبعة الأولى،١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

- غرس الدين الظاهري:(غرس الدين خليل بن شاهين،ت٨٧٢هـ/١٤٦٧م)
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق بولس رادلي، باريس ،مطبعة الجمهورية،١٨٩٤.

- الغزي:(نجم الدين محمد بن محمد، ت ١٠٦١هـ/١٦٥٠م)
الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، تحقيق خليل المنصور، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

- الغياثي:(عبد الله بن فتح الله الغياثي)
تـــاريخ الغياثـــي الفصـــل الخامس من ٦٥٦-٨٩١هـــ/١٢٥٨-١٤٨٦م، تحقيق طارق نافع الحمداني، بغداد، مطبعة أسعد،١٩٧٥م.

- الفاســـي :(تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي، ت ٨٣٢هـــ/ ١٤٢٨م)
العقـــد الثميـــن فـــي تاريخ البلد الأمين، الجزء الثالث، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٨٣هـــ/١٩٦٤م.

- القرمانـــي:(أحمـــد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، ت ١١٠٩هـــ/١٦١٠م)
أخـــبار الدول وآثار الأول في التاريخ،عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـــ/١٩٩٢.

- ا لقزويني:(زكريا بن محمد بن محمود، ت ٦٨٢هـــ/١٢٨٣م)
آثار البلاد و أخبار العباد، بيروت، دار صادر،١٣٨٩هـــ/١٩٦٩م.

- القلقشندي:(أبو العباس أحمد بن على ،ت ٨٢١هـــ/١٤١٨م)
١-صـــبح الأعشـــى فـــي صناعة الأنشا، وزارة الثقافة والأرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، من غير تاريخ طبع.
٢-مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فرج، من غير تاريخ طبع.

- المسعودي:(ابـــو الحســـن علـــى بـــن الحســـين ،ت ٣٤٦هـــ/٩٥٧م)
مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق سعيد محمد اللحام، بيروت،الطبعة الأولى، دار الفكر،١٤١٧هـــ/١٩٩٧م.

- مجهول:
خـــزانة السلاح، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة،الأنجلو المصرية، ١٩٧٨م.

- المقدسي:(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن البناء البشاري،ت بعد ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه، محمد مخزوم، بيروت، دار إحياء التراث العربي،١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

- المقريـزي: (أحمـد بـن علـى بن عبد القادر، ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)
١-اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق محمد حلمـي، القاهـرة، لجـنة إحياء التراث الإسلامي،١٣٩٣هـ/١٩٧٣م،تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة،١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
٢-تـاريخ الأقباط (المعروف بالقول الأبريزي)، تحقيق عبد المجيد دياب، القاهرة، ١٩٩٨م.
٣-درر العقـود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق عدنان درويش، دمشق،وزارة الثقافة الجمهورية السورية، ١٩٩٥م.
٤-الذهـب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الديـن الشـيال، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى،١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٥-السـلوك لمعـرفة دول الملـوك، تحقـيق محمـد عبد القادر عطا، بـيروت،دار الكتـب العلمـية، الطـبعة الأولـى،١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٦- المواعـظ والاعتـبار بذكـر الخطـط ولآثـار (المعروف بالخطط المقريزية)، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، من غير تاريخ طبع.
٧-المقفى الكبير، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى،١٤١١هـ/١٩٩١م.

- الملطـي:(عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي، ت ٩٢٠هـ/١٥١٤م)
نـزهة الأساطين فيمن ولي مصر من سلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، مكتبة الثقافة الدينية، من غير تاريخ طبع.

- النابلسي:(عثمان بن إبراهيم ،ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)
لمـع القوانين المضيئة في دواوين الديار المصرية، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.

- النسوي:(محمد بن أحمد المنشي، كان حياً قبل ٦٣٩هـ)
سيرة جلال الدين منكبرتي، تحقيق حافظ حمدي، القاهرة، ١٩٥٣م.

- النعيمي:(عبد القادر بن محمد الدمشقي، ت ٩٢٧هـ/١٥١٢م)
الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق جعفر الحسيني، مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٨٨م.

- النويري:(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)
نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء السابع والعشرين،تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، محمد زيادة، فؤاد الصياد،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
الجزءالثامن والعشرين،تحقيق محمد محمد أمين،مركز تحقيق التراث الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
الجزء الثلاثون، تحقيق، مركز تحقيق التراث الهيئة المصرية العامة للكتاب، الجزء الواحد والثلاثون، تحقيق الباز العريني، مركز تحقيق التراث الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
الجزء الثاني والثلاثون، تحقيق فهيم محمد علوي، القاهرة،دار الكتب المصرية،١٩٩٨م.
الجزء الثالث والثلاثون، تحقيق مصطفى حجازي، القاهرة، دار الكتب المصرية،١٩٩٧م.

- النويري السكندري:(محمد بن قاسم بن محمد، ت ٧٧٥هـ/١٣٧٢م)
الأعلام بما جرت به الأحكام والأمور المقتضية في وقعة الأسكندرية، تحقيق عزيز سوريال، حيدر أباد، دارة المعارف العثمانية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

- الهمذاني:(رشيد فضل الله بن عماد الدولة أبو الخير،ت٧١٨هـ/١٣١٨م)
جامع التواريخ،نقله إلى العربية فؤاد عبد المعطي الصياد،راجعه يحيى الخشاب، بيروت، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى،١٩٨٣.

- اليافعي:(عبد الله بن سعد ،ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)
مــرآة الجــنان وعــبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، القاهرة،دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- يــاقوت الحمــوي:(شــهاب الدين يــاقوت بن عبــد الله الحموي الرومي البــغدادي ،ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
١- معجــم البلدان ،بيروت، دار صادر، ١٩٩٣/١٩٩٤م؛ طبعة أخرى، بيروت،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٢-المشــترك وضــعاً والمفــترض صقعاً، بيروت، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- اليونيني:(موسى بن أحمد بن قطب الدين، ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)
ذيــل مــرآة الزمان، القاهرة،دار الكتاب الإسلامي،الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ/١٩٩٢م.

ثبت المراجع

- أبو حجر: آمنة
الموســوعة الجغرافية لبلدان العالم، عمان، دار أسامة للنشر، الطبعة الأولى،٢٠٠١م.

- الألفي: أبو صالح
الفن الإسلامي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٤م.

- أسكندر: فائز نجيب
دراسة لاتفاقية التجارة بين طرابزون والبندقية، الأسكندرية، ١٩٨٣م.

- أطلاس: مصطفى
المعجــم الجغرافــي للقطر العربي السوري، المؤسسة العامة لمساحة دمشق ،مركز الدراسات العسكرية، ١٩٩٢م.

- أنيس: محمد

الدولة العثمانية والشرق العربي(١٥١٤-١٩١٤)، القاهرة ،مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣م.

- الباشا: حسن

١-الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، دار النهضة العربية- ١٩٧٨م.

٢-دراسات في الحضارة الإسلامية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٨م.

- باشا: محمد مختار

كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية، دراسة وتحقيق وتكملة محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- البرجاوي: سعيد أحمد

الحروب الصليبية في المشرق، بيروت ، دار الأفاق الجديدة ، طبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- البقلي: محمد قنديل

التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.

- تدمري: عمر عبد السلام

تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور عصر الصراع العربي- البيزنطي- الحروب الصليبية، بيروت، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م،طرابلس، دار الإيمان ، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- الجورانة: أحمد
تاريخ الأردن في العصر المملوكي،منشورات الجنة تاريخ الأردن٦٢ ، من غير تاريخ طبع.

- جمعة : بديع، أحمد الخولي
تـــاريخ الصـــفويين وحضارتهم، دار الرائد العربي، الطبعة الأولى ، ١٩٧٦م.

- جوده: صادق أحمد داود
المدرســـة العصرونية في بلاد الشام، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـــ/١٩٨٩م.

- الحجي: حياة ناصر
السلطان محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده مع تحقيق ودراسة "وثيقة وقف سرياقوس"،الكويت، مكتبة الفلاح، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـــ/ ١٩٨٣م.

- حران: تاج السر أحمد حران
المؤتمـــر الدولـــى لـــتاريخ بـــلاد الشام،بلاد الشام في علاقات المماليك والعثمانييـــن منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي وحتى الفتح العثماني١٥١٦،بيروت،الدار المتحدة للنشر،الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.

- حريري: محمد محمد عبد الرحمن
المســـكن فـــي العمـــارة الإسلامية صحن الدار والتطلع إلى السماء ، الطبعة الأولى،١٤١١هـــ/١٩٩١م.

- حسن: حسن إبراهيم
تاريخ الإسلام السياسي والاجتماعي،٤أجزاء، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة، ١٩٦٤م.

- حسن: على إبراهيم
  تاريخ المماليك البحرية،مكتبة النهضة المصرية،الطبعة الثانية، ١٩٦٧

- حليم : إبراهيم بك
  التحفة الحليمية(تاريخ الدولة العثمانية العلية)، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- الحمصي: أحمد فائز
  روائع العمارة العربية الإسلامية في سورية، من غير تاريخ طبع.

- حميدة: عبد الرحمن
  جغرافية الوطن العربي، بيروت، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

- الخبروزي: عليه عبد السميع
  ١-إمارة الرها الصليبية، القاهرة، ١٩٨٦م.
  ٢-الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٧٩م.

- خليل: عماد الدين
  ١-الإمارة الأرتقية في الجزيرة والشام، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
  ٢-نور الدين محمود الرجل والتجربة، بيروت،١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- الدراج : أحمد
  المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٦١م.

- دهيش: عبد اللطيف
  قيام الدولة العثمانية، من غير طبعة.

- دهمان: محمد أحمد
١-العــراك بيــن المماليـيك والعثمانيين الأتراك، دمشق ،دار الفكر، الطبعة الأولى،١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٢-معجــم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى،١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

- دياب: صابر محمد
المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري، مكتبة السلام العالمية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- ربيع: حسنين محمد
دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية،دار النهضة،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- الرحموني: محمد الشريف
نظــم الشــرطة فــي الإسلام إلى أواخر القرن الرابع الهجري، الدار العربية الكتب، من غير تاريخ طبع.

- رضوان: نبيل عبد الحي
١-جهــود العثمانيين لاسترداد الأندلس، مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٢-القوة العثمانية بين البر والبحر، مكة المكرمة، دار الثقافة ،١٤١٤ هـ/١٩٩٣م.

- الرفاعي: أنور
النظم الإسلامية، من غير طبعة.

- الرمال: غسان على محمد
صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

- رمضان: آمال عبد الحميد
الحياة العلمية في الإسكندرية في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ) - (١٢٥٠-١٥١٧م)، القاهرة، مطبعة العمرانية للأوفست، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

- رمضان: رمضان أحمد
١-شبة جزيرة سيناء في العصور الوسطى، مطابع شركة الاعلانات الشرقية، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
٢-المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، من غير طبعة.

- رمضان: عبد العظيم
تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٢م.

- زكريا: أحمد وصفي
عشائر الشام، دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- زكريا: جمال
تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر(إمارات الخليج العربي في عصر التوسع الأوربي الأول (١٥٠٧-١٨٤٠)) ، دار الفكر العربي، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- زكي : عبد الرحمن
١-الجيش المصري في العصور الوسطى، من غير طبعة.
٢-السلاح في الإسلام، القاهرة، ١٩٥١م.

- الزهراني: ضيف الله يحى
النفقات وإدراتها في الدولة العباسية من سنة ١٣٢-٣٣٤هـ/٧٤٩-٩٤٥م، الأردن ، مكتبة المنار، الطبعة الأولى ،١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- الزهراني، عادل محمد نور غباشي
تـاريخ مكـة المكـرمة الـتجاري، الغرفة التجارية الصناعية بمكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

- زيدان: جرجي
مصر العثمانية، تحقيق محمد حرب، دار الآفاق،من غير تاريخ طبع.

- زيدان : عبد الكريم
نظـام القضـاء فـي الشريعة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- سالم: السيد عبد العزيز
١-تـاريخ المغـرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، من غير تاريخ طبع.
٢-تـاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦م.
٣-تاريخ الأسكندرية وحضارتها، القاهرة، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.
٤-طـرابلس الشـام فـي التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، من غير تاريخ طبع.

- سالم، وسحر عبد العزيز سالم
دراسـة فـي تـاريخ الأيوبيين والمماليك، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، ١٩٩٧م.

- سبانو: أحمد غسان
مملكة حماة الأيوبية، دمشق، دار قتيبة، ٢٠٠٠م/١٩٨٤.

- سرور: جمال الدين
١-دولـة بنـي قـلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها بوجه خاص، دار الفكر العربي، من غير تاريخ طبع.
٢-دولة الظاهر بيبرس في مصر، دار الفكر العربي، ١٩٦٠م.

- سعداوي: نظير حسان
نظام البريد في الدولة الإسلامية، القاهرة، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م.

- سعيد: إبراهيم حسن
البحرية في عصر سلاطين المماليك ،دار المعارف، ١٩٨٣.

- السيد: أديب
أرمينية في التاريخ العربي، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م.

- سليمان : أحمد عبد الكريم
١-تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة مع مقال الكاتب اللاتيني دي مخنانللي عن حياة تيمور لنك، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
٢-المغول والمماليك حتى نهاية عصر بيبرس ٦٤٨هـ/٦٧٦هـ، دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

- الشامي: صلاح الدين وزين الدين عبد المقصود
جغرافية العالم الإسلامي، الاسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٧م.

- شامي: يحي
موسوعة المدن العربية والإسلامية، بيروت، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

- شباور: عصام محمد
السلاطين في المشرق العربي(المماليك معالم دورهم السياسي الحضاري ٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٤م.

- شلبي: محمود
حياة الملك الظاهر بيبرس الأسد الضاري قاهر التتار ومدمر الصليبيين ، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

- الشناوي: عبد العزيز محمد

الدولـــة العثمانـــية دولـــة إسلامية مفترى عليها، القاهرة، مكتبة انجلو المصرية، ١٩٨٠م.

- آل الشيخ: عبد الرحمن حسن

فتح المجيد في كتاب التوحيد، الرياض، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- الصباغ: عباس إسماعيل

تـــاريخ العلاقـــات العثمانية الأيرانية الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين، بيروت، دار النفائس، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

- صبرة: عفاف سيد

١-الـــتاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ/١٩٨٧م.

٢-العلاقـــات بين الشرق والغرب علاقة البندقية بمصر والشام من الفترة ١١٠٠هـ/١٤٠٠م، القاهرة، ١٩٨٣م.

- الصابوني: أحمد إبراهيم

تاريخ حماة، مطبعة حماة ، طبعة الأولى، ١٣٣٢م.

- الصلابي: على محمد

الدولـــة العثمانـــية عوامـــل الـــنهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- الصياد: فؤاد عبدالمعطي

المغول في التاريخ، بيروت، دار النهضة ، ١٩٨٠م.

- الصيرفي: نوال حمزة

الـــنفوذ البرتغالـــي في الخليج في القرن ١٠هـ/١٦م، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- الطروانه: طه ثلجي

مملكـــة صفد في عهد المماليك، بيروت، دار الآفاق الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- طقوش: محمد سهيل

١-تـــاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ، بيروت،دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٢-تـــاريخ الأيوبين في مصر والشام والجزيرة، بيروت، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٣-تـــاريخ المماليك فـــي مصر وبلاد الشام، بيروت، دار النفائس، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م

- طرخان: إبراهيم

مصـــر في عصر مماليك الجراكسة، القاهرة،مكتبة النهضة المصرية، من غير تاريخ طبع.

- طعمية: صابر

دراســات في القرن الشيعة، النصرية، الباطنية، الصوفية، الخوارج، الرياض، ١٤٠٣هـ.

- عاشور: سعيد عبد الفتاح

١- بحـــوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى، جامعة بيروت العربية ١٩٧٧م.

٢- الأيوبييـــن والمماليـــك فـــي مصر والشام، دار النهضة العربية، الطبعة ١٩٧٦م.

٣-الحركة الصليبية، من غير طبعة.

٤-العصـــر المماليكي، القاهرة، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.

٥-قبرص والحروب الصليبية،القاهرة، ١٩٥٧

٦-تـــاريخ العلاقـــات بيـــن الشـــرق والغرب في العصور الوسطى، بيروت، دار النهضة،١٩٧٦م.

٧-تاريخ أوربا في العصور الوسطى، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٢م.

- عاشور: فايد حماد محمد

جهاد المسلمين في الحروب الصليبية العصر الفاطمي والسلجوقي والزنكي، مؤسسة الرسالة، من غير تاريخ طبع.

- العبادي: أحمد مختار

قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، بيروت، دار النهضة العربية،١٩٦٩م.

- العبادي، عبد العزيز سالم

تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، بيروت، دار الأحد، طبعة ١٩٧٢.

- عبد الجواد: توفيق أحمد

تاريخ العمارة العصور المتوسطة الأوربية والإسلامية، من غير طبعة.

- عبد الحافظ: عادل

نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.

- عبد الحليم : رجب محمد

انتشار الإسلام بين المغول، القاهرة، من غير تاريخ طبع.

- عبد العزيز: نبيل

الخيل ورياضها في عصر سلاطين المماليك، القاهرة، ١٩٧٦م.

- عبد النبي: ناجلا محمد

مصر والبندقية العلاقات السياسية والاقتصادية في عصر المماليك، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

- العبيدي: صلاح الدين حسين

الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني، بغداد، مكتبة الوطنية ، ١٩٨٠م.

- عتريس: محمد

معجم البلدان العالم آخر التطورات السياسية ، أحداث، البيانات الاحصائية، جغرافي، اقتصادي ، تاريخي، سياسي، القاهرة، دار الثقافة للنشر،الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- العدوي: إبراهيم أحمد

قوات البحرية في مياه البحر المتوسط ،مصر، مكتبة النهضة بالفجالة، من غير تاريخ طبع.

- العريني: السيد الباز

١-الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م، بيروت،دار النهضة العربية،١٩٨٢م

٢-المغول، بيروت، دار النهضة العربية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- العش: محمد أبو الفرج

آثارنا في سورية العربية، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ/١٩٨٣م.

- عشري: عثمان

الإسماعليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية، الخرطوم، ١٩٨٢-١٩٨٣م.

- عصفور: محمد أبو المحاسن

معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١م.

- عطا: زبيدة محمد

الـترك في العصور الوسطى بيزنطية وسلاجقة الروم والعثمانيون، دار الفكر العربي، من غير تاريخ طبع.

- على : محمد كرد

خطط الشام ، الجزء الخامس والسادس، بيروت، دار العلم للملايين ، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

- على: وفاء محمد

جهـود المماليك الحربـية ضـد الصليبين ، الاسكندرية، الجامعي الحديثة،الطبعة الثانية، ١٩٩١م.

- العلبي: أكرم

١-تـيمور لـنك وحكايـته مع دمشق، دمشق، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

٢-دمشق عصر المماليك والعثمانيين ٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠٠-١٥٢٠م، دراسة تاريخية واجتماعية وثقافية واقتصادية، دمشق، الشركة المتحدة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م.

- عمران: محمود سعيد

١-معـالم تـاريخ الأمـبرطورية البيزنطـية مدخل الدراسة التاريخ السياسي والحربي، بيروت، دار النهضة العربية،١٩٨١م.

٢-المغول وأوربا، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م.

- عوض: محمد مؤنس

١-الـزلازل فـي بـلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة، ١٩٩٦م.

٢-الـرحالة الأوربـيون فـي مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩-١١٨٧م، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

- أبو عليان: عزمي عبد

مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك ٦٤٨-٩٢٣ هـ/١٢٥٠-١٥١٧م، الأدرن، دار النفائس، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

- العيدروس: محمد حسن

دراسات في الخليج العربي، الكويت، دار الكتاب الحديثة، ١٩٩٩م.

- عيسى: أحمد

تاريخ البيمارستان في الإسلام، بيروت،دار رائد العربي، الطبعة الثانية ١٩٨١م.

- الغامدي: سعد بن محمد

سقوط الدولة العباسية، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ،الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

- الغامدي: عبد الله بن سعيد

١-صلاح الدين والصليبيون "استرداد بيت المقدس" المكتبة الفيصلية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢-جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، مكة المكرمة، مركز البحوث العلمية بجامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣-مقومات حركة الجهاد ضد الصليبيين زمن عماد الدين وأبنه نور الدين محمود، معهد البحوث العلمية واحياء التراث الاسلامي،١٤١٤هـ.

- الغامدي: على محمد

بلاد الشام قبيل الغزو المغولي، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- غرايبة: عبد الكريم

العرب والأتراك دراسة لتطور العلاقات بين الأمتين خلال ألف سنة ، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

- غنيم: حامد
١-عصر الدول المستقلة،القاهرة، ١٩٧٠م.
٢-الجبهة الإسلامية المتحدة، القاهرة، ١٩٨٣م.

- غوانمة: يوسف درويش
١-آمارة الكرك الأيوبية،عمان، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ
٢-تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، الأردن، دار الحياة، ١٩٨٢م.
٣-شرقي الأردن في عصر دولة المماليك الأولى" القسم الحضاري"، عَمان، وزارة الثقافة والشباب، ١٩٧٩م.

- فرج: سالم عبد العزيز
دراسات في تاريخ وحضارة الدولة البيزنطية، الإسكندرية، مطبعة مصنع الإسكندرية للكراسي، من غير تاريخ طبع.

- فرغلي: أبو الحمد محمود
الدليل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

- فهمي: نعيم زكي
طرق التجارة ومحطاتها في الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م.

- قاسم: قاسم عبده
عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي،القاهرة ،الهيئة العامة لقصور الثقافة، ١٩٩٩م.

- الكحلاوي: محمد محمد
آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

- الكرملي: الأب انستاس

الـــنقود العربـــية والإســـلامية وعلم النمايات، القاهرة، مكتبية الثقافة الدينية، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

- الكيلاني: مؤيد

محافظة حماة، دمشق،وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٤م.

- ماجد: عبد المنعم

١-طومـــان بـــاي آخـــر سلاطين المماليك في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨م.

٢-نظـــم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.

٣-الأطلـــس التاريخـــي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى، رسم خرائطه وحققه على البنا،دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م.

- ماهر: سعاد

١-الـــبحرية في مصر الإسلامية، دار الكتاب العربي، من غير تاريخ طـــبع، طبعة أخرى، جدة، دار المجمع العلمي بجدة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٢-العمارة الإسلامية على مر العصور، دار البيان العربي، من غير تاريخ طبع.

- متولي: أحمد

الفـــتح العثمانـــي لمصر والشام ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصر له، دار النهضة، من غير تاريخ طبع.

- محسوب: محمد صبري

العـــالم العربـــي دراسة جغرافية، القاهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

- محمد: محمود وصفي
دراسات في الفنون العمارة العربية والإسلامية، الدمام، دار الأصلاح، من غير تاريخ طبع.

- محمود: عبد الرحمن
قايتباي المحمودي، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨م.

- محمود: على عبد الحليم
الغـــزو الصليبي والعالم الإسلامي، المملكة العربية السعودية، عكاظ، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـــ/١٩٨٢م.

- مرسي: فاروق عبد العليم
القضـــاء فـــي الشـــريعة الإســـلامية دراسة مقارنة حكمة وشروطه ووآدابه، جدة، عالم المعرفة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـــ/١٩٨٥م.

- مزغلي: أبو الحمد محمود
الدلـــيل الموجز لأهم الآثار الإسلامية والقبطية في القاهرة، من غير طبعة.

- المصري: حسين مجيب
معجم الدولة العثمانية، مكتبة أنجلو المصرية، من غير تاريخ طبع.

- مصطفى: شاكر
المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، تاريخ بلاد الشام من القرن السادس إلـــى القـــرن الســـابع عشر(دخول الترك الغز إلى الشام)،بيروت، الدار المتحدة للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.

- المعاضدي:
خاشـــع وســـوادي عبد محمد ودريد عبد القادر نوري، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، الطبعة الثانية، ١٩٨٦م.

- موسى: على، محمد حربة
محافظـــة حمـــاة دراســـة طبيعية تاريخية بشرية اقتصادية ،سورية، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٨٥م.

- مؤنس: حسين
رائـــد نصـــر المسلمين على الصليبين نور الدين محمود سيرة مؤمن صادق، جدة، الدار السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

- نخبة من المؤرخين :
المنجد في الأعلام واللغة، بيروت ، دار المشرق ،١٩٩٧م

- النبراوي: فتحية
تـــاريخ الـــنظم والحضـــارة الإسلامية، الدار السعودية للنشر، الطبعة السادسة، ١٤١٧هـ.

- النخيلي: درويش النخيلي
السفن الإسلامية على حروف المعجم،القاهرة،دار المعارف، ١٩٧٩م.

- النقاش: زكي
العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والافرنج خلال الحروب الصليبية، دار الكتاب اللبناني، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.

- نعيع: سهير محمد
الحـــروب الصـــليبية المـــتأخرة حملـــة بطرس الأول لوزجنان على الأســـكندرية، القاهـــرة، عيـــن للدراســـات والـــبحوث الإنســـانية والاجتماعية،الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

- نواب: عواطف محمد يوسف
الـــرحلات المغربـــية والأندلســـية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنييـــن الســـابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية مقارنة، الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

- نوار: عبد العزيز سليمان
الشـــعوب الإســـلامية الأتـــراك العثمانيون- الفرس- مسلمون الهند، بيروت، دار النهضة العربية،١٩٧٣م.

- هاشم: محمود محمد
القضــــاء ونظام الأثبات في الفقه الإسلامي الوضعية، الرياض، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

- هلال: عادل إسماعيل محمد
العلاقـــات بيـــن المغـــول وأوربا وأثرها على العالم الإسلامي، عين للدراسات والبحوث الأنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

- واكيم: سليم
إمبراطورية على صهوات الجياد، دار الكاتب العربي، من غير تاريخ طبع.

- الوالي: طه
المسجد في الإسلام، بيروت، دار العلم للملايين، من غير تاريخ طبع.

- الوذيناني: خلف
الفتح العثماني لجزيرة رودس ٩٢٩هـ/١٥٢٣م، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية واحياء التراث الإسلامي،١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

- ياغي: إسماعيل أحمد
الدولـــة العثمانـــية فـــي الـــتاريخ الإسلامي الحديث، الرياض، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

ثبت الموسوعات:

- البستاني: بطرس
  دائرة المعارف، مطبعة إسماعليات، تهران، من غير تاريخ طبع.

- شاكر: محمود
  التاريخ الإسلامي العهد المملوكي ٦٥٦هـ/٩٢٣هـ، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة،١٤١١هـ/١٩٩١م.

- شلبي: أحمد
  موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السابعة، ١٩٨٦م.

- زكي: إبراهيم ، أحمد الشناوي، عبد الحميد يونس
  دائرة المعارف الإسلامية،القاهرة، دار الشعب، من غير تاريخ طبع.

ثبت الرسائل العلمية:

- أبو العنين: لطيفة أحمد
  الحياة الاقتصادية في عكا في عصر الحروب الصليبية ٤٩١-٦٩٠ هـ/١٠٩٧-١٢٩١م، رسالة دكتوراة، كلية الآداب للبنات بالدمام، ١٤٢٠ هـ/١٩٩٩م.

- بابكور: عمر سالم
  حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشرفين في القرن العاشر الهجري، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى،مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

- باعامر: محمد سالم
  صلة الدولة التيمورية بالعالم الإسلامي في عهد تيمور لنك، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الشريعة الإسلامية، جامعة أم القرى،مكة المكرمة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

- خياط: أحمد عبد الله

الاقطـاع فـي الدولـة الإسلامية حتى نهاية العصر العباسي الأول، رسـالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، ١٤٠٠-١٤٠١هـ/ ١٩٨٠-١٩٨١م.

- شعوط: المعتصم بالله

جهاد العثمانيين ضد البيزنطيين حتى فتح القسطنطينية ٧٧٥-٨٥٧هـ / ١٣٥٤-١٤٥٣م، رسـالة ماجسـتير غـير منشـورة، كلـية الشريعة والدراسـات الإسـلامية، جامعة الملك عبد العزيز، ١٣٩٩-١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩-١٩٨٠م.

- الزاملي: يوسف إبراهيم الشيخ عيد

تحقيق المقتفى لتأريخ أبي شامة تأليف على الدين القاسم بن محمد بن يوسـف البرزالـي(٦٦٥-٧٣٩هـ)، ق١من الجزء ٢، رسالة دكتوراة، كلـية الشـريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٤-١٤١٥هـ/١٩٩٤-١٩٩٥م.

- القثامي: متعب حسين

مملكـة حماة في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشـريعة والدراسـات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،١٤١٣ هـ/١٩٩٣م .

- عبد الهادي: عادل محمد

عسـقلان منذ منتصف القرن الرابع الهجري حتى النصف الثاني من القرن السابع الهجري دراسة تاريخية وحضارية ٣٥٨-٦٦٩هـ/ ٩٧٠-١٣٧٠م، رسـالة دكتوراة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- بن لادن: مريم محمد

دور ابن تيمية في الجهاد ضد المغول الأيلخانيين ٦٦١ إلى ٧٢٨هـ

، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- المبارك: حصة ناصر
  الناصر محمد بن قلاوون الحياة الاقتصادية في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

ثبت المراجع المترجمة:

- أولسن:روبرت دبليو
  حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية (١٧١٨-١٧٤٣م) دراسة عن الثورة في العاصمة والحرب في إقليم الأمبرطورية العثمانية،ترجمة عبد الرحمن بن الحاج أمين بك الجليلي، دار العلوم للطباعة والنشر،١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- باركر: أرنست
  الحروب الصليبية، تحقيق السيد الباز العريني، بيروت، دار النهضة العربية، الطبعة الثانية، طبعة أخرى سنة ١٣٧٦هـ /١٩٦٧م.

- بالار:ميشيل
  الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، ترجمة بشير السباعي، القاهرة، ٢٠٠٣م.

- براور: يوشع
  الاستيطان في فلسطين مملكة بيت المقدس، ترجمة عبد الحافظ البنا، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.عالم الصليبين ، ترجمة وتقديم د/قاسم عبده قاسم ود/ محمد خليفة عيون للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

- بروكلمان: كارل

تـــاريخ الشـــعوب الإســـلامية، بـــيروت، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة.

- بريل: أ.جي.

دائرة المعارف الإسلامية، من غير طبعة.

- بوزورث:كيلفود

الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، دراسة في التاريخ والأنساب، تـــرجمة حسين على اللبودي، مراجعة سليمان إبراهيم العسكري، الكويت، ١٩٩٥م.

- بيروج: أنتوني

تـــاريخ الحروب الصليبية، تحقيق أحمد غسان سبانو، نبيل الحيرودي، دار قتيبة، ١٩٨٥م.

- توراد: بيتر

الظاهر بيبرس،تحقيق محمد جديد، قدمس للنشر،من غير تاريخ طبع.

- توران: عثمان

الأناضـــول في عهد السلاجقة والإمارات التركمانية، تحقيق على بن محمد عودة الغامدي، الطبعةالأولى، ١٤١٨هـــ/١٩٩٧م.

- جوانفيل:

مذكـــرات جوانفـــيل، القديـــس لويـــس حـــياته وحملـــته على مصر والشـــام، ترجمة وتعليق حسن الحبشي، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى،١٩٦٨م.

- جونز: أ.هـــ.

بحـــوث فـــي تـــاريخ بـــلاد الشام مدن بلاد الشام حين كانت ولايات رومانية،ترجمة إحسان عباس،دار الشرق،الطبعة الأولى،١٩٨٧م

- الجوهري:يسري عبد الرزاق

شمال أفريقية، الإسكندرية، دار الجامعات المصرية، ١٩٧٠م.

- الجويني:عطا ملك

تاريخ فاتح العالم جهانكشاي في تاريخ الخوارزميين والإسماعيلية الحشاشين وفتح مدينة بغداد على يد هولاكو، ترجمة محمد التونجي، دار الملاح،الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- ديواريت: ول

قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، القاهرة،١٩٨٣م. طبعة أخرى القاهرة، مطبعة لجنة التاليف والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م.

- رنسيمان: ستيفن

تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، دار الثقافة، من غير تاريخ طبع، طبعة أخرى، الطبعة الثالثة،١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

- زامباور:

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه زكي محمد حسن بك،وحسن أحمد محمود،بيروت،دار الرائد،من غير تاريخ طبع.

- سرهنك:الميرالاي إسمعيل

تاريخ الدولة العثمانية، تقديم ومراجعة حسن الزين، بيروت، دار الفكر، من غير تاريخ طبع.

- سمث: جوثان ريلي

١- الأسبتارية فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس وقبرص١٠٥٠-١٣١٠ م، ترجمة العميد الركن صبحي الجابر، طلاس للترجمة والنشر، الطبعة الأولى،١٩٨٩م.

٢-ما الحروب الصليبية، ترجمة محمد فتحي الشاعر، القاهرة، دار الأمين، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

- سوفاجيه: جان

دمشق الشام لمحة تاريخية منذ العصور القديمة حتى عهد الأنتداب، ترجمة فؤاد أفرم البستاني، تحقيق أكرم العلبي، دمشق،١٩٨٩م.

- فامبري: أرمينوس

تاريخ بخارى، ترجمة أحمد محمود الساداتي، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، الطبعة الثانية،١٩٨٧م.

- فورزيوغ: يوحنا

وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة سعيد عبد الله البشاوي، عمان، دار الشروق،الطبعةالأولى، ١٩٩٧م.

- فينز: فولفغافغ مولر

القلاع أيام الحروب الصليبية، ترجمة محمد وليد الجلاد، دمشق، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٩٨٢م،الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

- كانتو: نورمان.ف.

التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ١٩٩٧م.

- كورزية: موريس

تاريخ الحضارة العام ، دار المنشورات عويدات، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م.

- كلنيل:هورست

آثار سورية القديمة آثار من قبل الإسلام في الجمهورية السورية ،ترجمة قاسم طوير،دمشق،منشورات وزارة الثقافة، من غير تاريخ طبع.

- كونل: أرنست
الفــن الإسلامي، ترجمة أحمد موسى، بيروت، دار صادر، من غير تاريخ طبع.

- لامونت: جون.ل.
الحــروب الصــليبية والجهــاد، الدوافع الدينية في الحروب الصليبية وحروب المسلمين ضد اللاتين في سورية في القرنين الثاني عشر والثالث عشــر ، بحــث منشــور ضــمن كتاب عنوانه ، دراسات إسلامية ضم مجموعة من البحوث لعدد من المستشرقين بإشراف نقولا زيادة، بيروت، ١٩٦٠م.

- لسترنج: كي
بلــدان الخلافــة الشــرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- لويس: ارشيبالد .ر.
القوى البحرية التجارية في حوض البحر المتوسط،ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم شفيق غربال ،القاهرة، ١٩٦٠م.

- مورتيل: ريتشارد
الأحــوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، الرياض، عمــادة شؤون المكتبات جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى ،١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- ماير: إتش-إ-
تــاريخ الحمــلات الصليبية، نقله إلى الإنجليزية:ج جلينجهام، وعربه محمد فتحي الشاعر، القاهرة، ١٩٩٩م.

- ماير: ل.أ.

الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي ، مراجعة وتقديم عبد الرحمن الفهمي محمد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، من غير تاريخ طبع.

- موير: السير وليم

تاريخ دولة المماليك في مصر، ترجمة محمود عايد وسليم حسن، القاهرة، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- هامر: السير.ا.

تاريخ العام،القاهرة، دار النهضة المصرية، من غير تاريخ طبع.

- هايد: ف.

تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

- ويلسون: لتفانت كولونيل سير ارنولدت

تاريخ الخليج العربي، ترجمة محمد عبد الله، سلطنة عمان وزارة التراث، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.

ثبت الدوريات:

- الحجي: حياة ناصر

الوضع الاداري لطرابلس في العصر المملوكي، مجلة العربية للعلوم الإنسانية ، ع٧٤.

- الراحجي: محمد

الدولة الدربندية في بلاد القوقاز، مجلة التاريخ العربي،ع١٢، خريف ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

- ربيع: حسنين

بحـــر الحجـــاز في العصور الوسطى، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، إصـــدار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،ع١، ١٣٩٧هـــ/١٩٧٧م

- الربيعي: عبد الله

الدوافـــع الدينـــية للحـــركة الصليبية، ندوة الاطار التاريخي للحروب الصـــليبية ، عقدهـــا اتحـــاد المؤرخيـــن العرب بالقاهرة، رجب ١٤١٦ هـــ/نوفمبر ١٩٩٥م.

- الزوابي: ممدوح

نواعـــير حمـــاة أوابـــد تشهد على أزهارها هذه المدينة، مجلة القافلة، صفر ١٤١٥هـــ/يولية،اغسطس ١٩٩٤م.

- السالمي: حماد

أوراق الأوراق عجائـــب وغرائـــب، مجلـــة المنهل، ع٥٠١،مج٥٤، رجب ١٤١٣-يناير ١٩٩٣م.

- الطرسوسي: مرضي بن على

تبصـــرة أربـــاب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الاسواء، ونشـــر اعلام العلم في العدد والآلات المعنية على لقاء العدو، تحقيق كلود كاهن،مجلة معهد الدراسات الشرقية،دمشق،ج١٢،١٩٤٧-١٩٤٨م.

- العابدين:

زين الدين العبدين، شمس الدين نجم، الوظائف العسكرية والتشكيلات القتالية في العهد المملوكي والعثماني، مجلة كلية الملك خالد العسكرية، ع ٣٩، ١٤١٣هـــ.

- عطا: زبيدة

مكتـــبات المـــدارس فـــي العصريين الأيوبي والمملوكي، ندوة تاريخ المدارس في مصر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٢م.

- علي: سيد رضوان

الإمــارات التركية المستقلة في آسيا الصغرى في النصف الأول من القرن السابع الهجري، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، إصدار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع٦، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

- الغامدي: عبد الله سعيد

١-سياســية ســلاطين المماليك البحرية إزاء ميناء إياس الأرمني، بحث مقبول للنشر بمجلة جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية.
٢-شــقيف أرنــون في عصر الحروب الصليبية ، مجلة الانسانيات، كلية الآداب فرع دمنهور، جامعة الإسكندرية، ، ع٧، ٢٠٠١م.
٣-شــيزر مــنذ زوال حكم بني منقذ حتى أواخر القرن التاسع الهجري/ الثالــث عشــر الميلادي، مجلة كلية اللغة العربية فرع أسيوط ، ع١٩ ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

- الغامدي: على محمد

١-حصــن بغــراس ودوره الحربي في عصر الحروب الصليبية ، ندوة الأطار التاريخي للحركة الصليبية عقدها اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ، رجب ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٢-سياســية نــور الدين محمود العسكرية إزاء مملكة الأرمن في قليقلة، مجلة بحوث تاريخية تصر عن الجمعية التاريخية السعودية، اللقاء الثاني.

- كامل: رفاة محمد

حمــاة مديــنة الآثار، مجلة الفيصل، ع٢١٨،شعبان ١٤١٥هـ /يناير ١٩٩٥م.

- متولي: أحمد فؤاد

البحرية العثمانية والبرتغالية في القرن العاشر الهجري(السادس عشر المــيلادي) علــى ضوء الوثائق التاريخية، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، إصدار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،ع٤، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- محمود:حسن أحمد

التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب ومصادر دراسته، مجلة العرب، ح٧و١٢/٨ محرم وصفر ١٣٩٨هـ/٢ شباط (يناير /فبراير) ١٩٧٨م.

- الوذيناني: خلف

ولاية جان بردي الغزالي، مجلة المؤرخ العربي، ع٦،مارس١٩٩٨م.